


فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣ هـ

رحمه الله تعالى

المجلد الثاني

تحقيق

عبد الله محمد الكندري

دار النوادر ®







بسم الله الرحمن الرحيم







دار النوادر ®

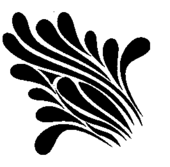
فوائد الارتحال ونتائج السفر

في

أخبار القرن الحادي عشر

(٢)




الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

ردمك : ٦ ـ ٩٤ ـ ٤١٨ ـ ٩٩٣٣ ـ ٩٧٨ : ISBN



9789933418946



سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَارُ النَّوَادِرِ م.ف - سُورِيَة ❋ شَرِكَة دَارُ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لُبْنَان ❋ شَرِكَة دَارُ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة ذ.م.م - الكُوَيْت
سورية ـ دمشق ـ ص. ب: ٣٤٣٠٦ ـ هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ ـ فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان ـ بيروت ـ ص. ب: ١٤/٥١٨٠ ـ هاتف: ٦٥٢٥٢٨ ـ فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت ـ الصالحية ـ برج السحاب ـ ص. ب: ٤٣١٦ حولي ـ الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦
هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ ـ فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أَسَّسَهَا سَنَة: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م نُورُ الدِّين طَالِب المُدِيرُ العَام وَالرَّئِيسُ التَّنفِيذِي







تَابِعِ ٱلْمُحَمَّدُونَ

[٣٤١] محمد بن عمر الرَّوضي المالكي.

أحد العلماء الذين يُقتدى بهم، والصلحاء الذين يهتدى بهم، كان عالماً وقوراً، وعند أهل عصره مشكوراً، أخذ عن النور علي الأجهوري، ومن في طبقته، وألف مؤلفات، منها: «تذكرة القاري بذكر رواية مسلم عن البخاري»، وكتاب: «رد الاعتراض والقدح في جواز الإطناب في الثناء والمدح»، وكتاب في «المغارسة»، **توفي** بمصر سنة سبعين وألف ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٣٤٢] السيد محمد بن عمر بن عبد الوهاب العُرضي الحلبي الحنفي(١).

كان فاضلاً أديباً، ماهـراً أريباً، له في كل علم سـهم مصيب، وحذق عجيب، ويد طولى في العلوم النظرية، وسـعة إطلاع على النقول الفقهية، واستحضار لدقائق العربية، ومحاضرة بديعة سنية.

وكان بديع النظم والنثر، رقيق الطباع والشـيم، دقيق حواشـي المجد والكرم، أخذ عن أخيه العلامة أبي الوفاء، وبه تخرَّج، وحصَّل من العلوم

---

(١) «خلاصـة الأثـر» للمحبي (٤/ ٨٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٤٨٣) (١١٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣١٧)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٢٩٩) (٩٨٤).

طرفاً صالحاً، إلا أنه كان صارفاً أوقاته في الصحبة والمنادمة جل أوقاته، وكان يقول له أخوه: لو تركت ما أنت فيه، لم يكن في حلب مرجع غيرك في العلوم.

وكان دخل الروم، مقدراً أن المتاع بأرضه يسترخص، وأن المرء يبلغ مناه في أي وجه يشخص، فلم يحصل على طائل، ورجع إلى بلده، وأقام بها، إلى أن توفي سنة سبعين وألف، بعد أخيه أبي الوفاء بخمسين يوماً.

وله تذكرةٌ لطيفةٌ وقفت عليها، جمع فيها جملة من أفاضل حلب، والوافدين عليها، والأدباء الواردين إليها، أحسن فيها كل الإحسان، وفاقت ألفاظها عقود الجمان.

ومن شعره:

على وَجَناته خالٌ عليه ... تبدَّت شعرةٌ زادتْه لطفا

كقطعةِ عنبرٍ من فوقِ نارٍ ... بدا منها دخانٌ طاب عَرْفا

وقوله:

ويلاه من جيدٍ كماء الحياة ... حَفَّ به ريق كشطِّ الفراتِ

كأنما أطواقُهُ حولَه ... فوارةٌ تمطرُ ماءَ الحياةِ

وقوله:

لله يا عصرَ الصبا والهوى ... ما كان أهناكَ وأحلاكَ

إذ فيك ليل الخيل ريحانة ... أشمُّها في ظل ممشاك

تمسّك الليل بأذيالنا ... حتى حسبتُ الليلَ ليلاك

وقوله مضمناً:

لـئن سـلبوني لؤلـؤاً كنـتُ صـنتُه ... بأصداف صـدري لـم يثِّقْبـه ثاقبُـهْ

وإن غلبتنـي الأغنيـاء وطيَّـشَتْ ... سهامي وعيشي كان صفواً مشاربُهْ

فللـه قـوسٌ لا تطـيش سـهامُها ... ولله سـيفٌ لـيس تنبـو مـضاربُهْ

وقوله:

طويتُ رقعةَ حـالي عـن شـكايتها ... وقد سكنتُ زوايـا الفقـر واليـاسِ

وقد قطعتُ حبالي عن رجـا بـشرٍ ... معـوضٍ بـسهام المـوتِ والبـاسِ

حينـاً يجـود وأحيانـا تبخّلـه ... خلائـقُ أوحـشته غِـبَّ إينـاسِ

وقد لجأتُ إلـى مـولًى أرى ثقتـي ... بفضلِه نـسختْ أحكـامَ وسواسـي

هـو النـصيرُ لعبـدٍ لا نـصير لـه ... ترميه بالهوى ظلمـاً أعـينُ النـاس

وقوله:

قيـل لـي كَـمْ وكَـمْ تتمـادى ... في الهـوى والطريـقُ وعـرٌ قَـصِيُّ

قلـتُ ظنـي بـالله ظـنٌّ جميـلٌ ... وبخيـر الأنـام جَـدِّي علـيُّ

إن لله رحمـةً تـسع الخلـ ... ـقَ جميعـاً فمـن هـو العُرضِـيُّ

وقوله:

إن يغـبْ كـلُّ صـاحب وصـديق ... والرزايـا بـساحتيك أنابـتْ

فاسـتمدَنَّ رَوحَ روحِ نبـيٍّ ... إنَّ روحَ النبـيِّ مـا قَـطُّ غابـتْ

وقوله:

وقالوا تركتَ الشعرَ فيمن تحبه ... ولم تخترع معنى قديماً ولا بِكْرَا

فقلتُ تجلَّى بعضُ أنوارِ حسنهِ ... على طُورِ أحشائي فأحرقَتِ الفِكرْا

وقوله:

إن خالَ الحبيب لمَّا دهاني ... وشجاني منه الجفا والمِطالُ

قلت إذ زاد نكهةً وصفاءً ... قمْ أَرِحْنا بقبلةٍ يا بلالُ

وقوله:

وجه كعبة حسن ... ولما ماء زمزَمْ

خلت ذاك الخالَ منه ... حَجَرَ الأسودِ يُلثم

وقوله وقد أمره العلامة الشهاب الخفاجي، يأكل قطعة من البرش:

وما كان أكلي البرشَ مولاي كي أرى ... بطربة نشوانٍ وغبطةِ مسرورِ

ولكنني كنتُ السليم لبيتكم ... فكان لآلامي به بعضُ تخدير

وقوله في لاعب شطرنج:

يحاول أن يُميتَ النفسَ ظبيٌ ... بشاماتٍ حكتْ عشراتِ حاسِبْ

تُرى أحظى به في الدهر يوماً ... أراني راكباً من فوق لاعِبْ

وقوله في مكاتبه:

هل من خليل بشهبانا نُخالِلُهُ ... وهل غزالٌ إذا عدانا نُغازِلُه

عهدتُها وشموسُ الراحِ جاء بها ... بدرُ التمام وغصنُ البان حاملُه
إن ماس من دلّه وأذلّ عاشقَه ... حَتَّام يغني إذا ما اهتزَّ عامِلُهُ
ترى إذا ما قرعنا بابَ ساحتِه ... يُولي الجميلَ وإلا خاب آمِلُهُ
وهل يودُّ فتًى شطَّتْ منازلُه ... ورَبْعُة قد خلا والبيتُ نازلُهُ
ما حيلتي وطُروقُ الطيفِ أقلقني ... كأن عيشاً لنا ما زال زايِلُهُ
طال الفراقُ فلا وافٍ يراسلُنا ... على البعاد ولا آتٍ نُسائِلُهُ[1]

[٣٤٣] محمد بن عمر العباسي؛ نسبة إلى العباس ﷺ عم النبي ﷺ، الخلوتي الصالحي، ثم الدمشقي الحنبلي، وأمه من ذرية الشيخ أبي عمر بن قدامة الحنبلي[2].

كان من أكابر العارفين، والأولياء المتمكنين، ولد بصالحية دمشق، في حدود سنة ألف، وأخذ الفقه عن أبي الوفاء المفلحي، ومن شيوخه: العلامة إبراهيم بن الأحدب، والنجم الغزي، وأخذ طريق القوم عن العارف بالله الشيخ أحمد العُسالي، لازمه بقرية عُسال، من قرى دمشق، وتخرج به، ثم صار خليفة من بعده.

وكان يؤثر الخمول على الظهور، إلى أن أراد الله سبحانه ظهوره، لما حبس الغيث عن دمشق، سنة سبعين تقريباً، واستسقى أهلها مرات، فلم يمطَروا، وكان المترجم لا يخرج معهم؛ هضماً لنفسه، فأنطق الله بعض

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أرباع الصفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٣).

المجاذيب: بأنكم إن أردتم الغيث، فاستسقوا بصاحب الترجمة.

فحينئذٍ أمره ولي الأمر بالخروج للاستسقاء بهم، فخرج وهو في غاية الخجل، وقال: اللهم إن هؤلاء عبادك، قد أحسنوا الظن بي، فلا تفضحني بينهم، فسُقوا من ساعتهم، وما رجعوا إلى البلد إلا بمشقة؛ من كثرة المطر، واستمر ثلاثة أيام.

فاشتهر بعد ذلك ذكره، وعلا قدره، ولازمه المريدون، وتسلك به جماعة صالحون، ثم انقطع عن الناس، وكان لا يقبل من الحكام هدية، ولا يتردد عليهم.

وله كرامات كثيرة مشهورة عند أهل دمشق، منها: أن بعض المجاورين بمكة من أهلها، رآه يصلي الأوقات الخمسة بالمسجد الحرام، بالمقام الحنبلي، وهو بدمشق[1]، توفي عام ستة وسبعين وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح.

[٣٤٤] محمد بن عمر الكفرسوسي الشافعي[2].

الشيخ الصالح العامل، ولي الدين بن زين الدين ابن شيخ الإسلام شمس الدين الكفرسوسي، قال النجم في «الذيل»: كان من أجل الوعاظ بدمشق، إلى ما حواه من كمال الفضيلة، وإتقان العلوم.

توفي ليلة الأحد، ثامن رمضان، سنة خمس عشرة بعد الألف، ودفن بتربة باب الفراديس، عند أبيه وجده ـ رحمهم الله تعالى وإيانا ـ.

---

(١) إدعاء رؤية المشايخ في الأماكن الفاضلة مثل الحرمين وبيت المقدس، دعوى باطلة يُكثر منها أهل التصوف وأدعياء الطريق، نسأل الله السلامة.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٨) (٤٤).

[٣٤٥] السيد محمد بن عمر بن يحيى بن المَسَاوي السُّرديني الحسني، ينتهي نسبه إلى إدريس بن جعفر بن نعمة بن علي بن داود بن سليمان بن عبدالله الكامل بن المؤيد بالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ [١].

القطب العارف بالله، المتوجه بكل كليته إلى مولاه، الذاهل عن الأكوان بنظره إلى مكونها، المربي السالكين بأحواله على تفننها.

أحاطت به المعرفة من كل جانب، فظهرت منه العجائب والغرائب، كان في بدايته مشتغلاً ليله ونهاره بقراءة القرآن، مجداً في عبادة الرحمن، ثم أخذ باليمن عن شيوخ من السادة بني الأهدل وغيرهم، ثم قدم الحرمين، وجاور بهما سنين، ولازم بالمدينة شيخ شيوخ الطريق أحمد بن محمد القشاشي، وأخذ عنه، وبه تخرج، وانتفع كثيراً.

وكان شيخه المذكور يشير إليه كثيراً، ويقول في شأنه: إذا لبس السيد محمد خرقةً، فهي خرقة نبوية.

ورأى صاحب الترجمة النبي ﷺ في المنام قائلاً له: قدمك كقدمي، ومسجدك كمسجدي.

ورأى بعض الصالحين، في عالم الرؤيا أيضاً، قائلاً يقول: محمد ﷺ أمين الله على خزائن الأرض، ومحمد بن عمر أمين رسول الله ﷺ.

وكان رضي الله عنه على يعتريه في بعض أوقاته حالٌ يغيب فيه عن شعوره، فيجلس

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٤).

اليوم واليومين مصطلماً لا يتكلم.

ومناقبه وكراماته لا يحصيها عدّ، ولا يحيط بها حدّ، فلنكتف بما ذكرناه؛ فإنه أشهر من أن يُعرف حاله.

واستمر على المجاهدة والصيام، والصلاة والقيام، وإطعام الطعام، والإنفاق على الفقراء، والإحسان إليهم مدى الأيام؛ بحيث ينفق جميع ما يحصل له من بلاده ومزارعه ـ على كثرتها ـ في وجوه البر.

ولما قربت وفاته، قرأ من أول سورة الأنعام إلى قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام: ١٢٤]، **ثم خرجت روحه الشريفة**، وكان ذلك اليوم الأربعاء، رابع شهر ربيع الأول، سنة ست وتسعين وألف، ودفن بقرية السِّنان ـ بكسر السين ـ من بلاد بني جل، من أعمال الشرف، من اليمن الميمون، وصُلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد صلاة الجمعة، سادس عشر ربيع الثاني، من السنة المذكورة ـ نفعنا الله به ـ.

[٣٤٦] محمد بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بكر بن إسرائيل بن إسماعيل بن محمد بن عمر[١].

الشيخ الإمام العلامة، الذي ظهر شرفه، وعلت غرفه، وأنبأ عن جوهر كلمه صَدَفُه، صنف عدة كتب، في فنونٍ كثيرةٍ، منها: تفسير غريب القرآن العظيم، المسمى: «شذور الإبريز في لغات الكتاب العزيز»، وهو كتاب يعجز الواصفون عن وصف جماله، وتغشى العيون من شموس كماله.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١١)، «لفت النظر» للجيلاني (٥٧٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢١٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٢).

وله «رسالةٌ في القهوة» وأخرى في علم المساحة سماها: «المُشِمَّة النفاحة بتحقيق المساحة» جمع فيها الكثير المتفرق من الكتب في هذا الفن، على أقصد سبيل، وأقرب مأخذ.

وله نظمٌ حسنٌ، ورد على الشيخ العلامة محمد بن عمر بحرق، في قصيدة له في السلطان بدر الكثيري في قوله: وكأنما أنصارك الأنصار، فقال صاحب الترجمة: أتقيس غفلاً جاهلاً بنبينا؟!

ومن نظمه في القهوة:

يا شاعرا فاقَ في أقواله الشُّعَرا	أبدى لنا من قوافي نظمه دُرَرا
أطربتني إذ وصَفْتَ القافَ تُتبعه	هاءً وواو وهاء بعده زُمرا
حققت في وصفها وصفي كفى ورقا	بل قد شفى وجلا عن قلبي الكدرا
فإنها قوةٌ مهما حذفتَ لها	هاء تبيَّنَ ذا مَنْ في الأنام قَرا
كذاك ناسبها في ذكرك اسم قوى	موافقاً عدَّها فاعدُدْه واعتَبِرا
فقافُها قويت أعضاء كلِّ فتى	وهاؤها لهدى والواو منه جرى
بين الأنام الوفاء والهاء آخرها	منه الهباتُ وهذا السرُّ قد ظهرا
فاشربْ هنيئاً فما في ذاك منقصةٌ	كلا ولا حرمةٌ تَخْشى بها ضررا

توفي يوم الأربعاء، لثنتي عشرة بقيت من رجب، سنة خمس عشرة وألف، بروضة بني إسرائيل بحضرموت ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٣٤٧] الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر بن أبي بكر ابن الأمير إبراهيم ابن الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم ابن الأمير منجك اليوسفي

الناصري، مملوك الناصر محمد بن قلاوون أمير الأمراء بالديار المصرية في الدولة الجركسية[1].

كان أمير الأمراء بدمشق، مفرد عصره في الكرم والجود، مشهوراً في الآفاق؛ بحيث إنه لم يكن له قرين في الإحسان إلى الفضلاء، والإنعام إلى الفقراء، قوي الشوكة، ملك من العقارات والبساتين والضياع في بلاد الشام، ما لم ينله أحدٌ في عصره، وله القصر المشيد العالي، الكائن بالشرق القبلي، المطل على المرجة الخضراء، وهو من متنزهات دمشق، ولما أتم الأمير بناءه، نظم الشعراء له تواريخ، منها: قول الشيخ أبي بكر العمري:

وقصر تودُّ قصورُ الجِنا ... ن لو أنها بابه تخدمُ

وكوثرُها دائرٌ حولَهُ ... وأشجارُها تربَها تلثمُ

بناه الأمير فتى منجك ... محمد والفارسُ المُعْلَمُ

وشرفه فغدا قدرُه ... عظيماً وتاريخُه أعظمُ

ولولده الأمير منجك شاعر عصرنا قصائد فيه، منها: قوله:

قصر الأمير بوادي النيربين سقى ... رباك عني من الوسميِّ أمطارُ[2]

توفي ليلة الخميس خامس عشري شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين وألف، وخلف الأمير الشهير منجك باشا، والأمير عمر.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٢٩).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «أمطار» خمسة أسطر بياض بالأصل».

ولشعراء عصره فيه مدائح ومراث بديعة، منها: قول العلامة أحمد ابن شاهين:

مـصابٌ لَعَمـري بـالأمير كبيـرُ ورزءٌ لـه أضـحتْ دمـشقُ تمـورُ
وفقـدُ كبيـرٍ صـغرَ العـيشُ قـدرَه فكـلُّ لذيـذٍ فـي الحيـاة حقيـرُ
وميــتٌ تمنـى كـلُّ حـيٍّ بأنـه يـصيرُ لـه مثـل الأميـر مـصيرُ
مضى ما مضى إلا وخلفتَ روعةً مُـرورٌ لهـا بـين الحـشا وكُـرورُ

منها:

أميــرٌ معاليــه إذا مــا ذكرتهـا تفــوحُ عبيــراً أو تلــوح بــدورُ

ومنها:

بني منجـكٍ يـا عظَّـمَ اللهُ أجـرَكم فقــدرُكُمُ بــين الأنــام خطيــرُ
نعــزِّيكُمُ حتــى كــأن فؤادَنــا خَلِــيٌّ ولكــنَّ الفــؤاد سـعيرُ
أميــرُكم بالحمــد راح فــأرخوا (بـأيمنِ حمـدٍ جنـةٌ وحريـرُ)

ومنها:

أميرَ دمشقَ الـشامِ يـا روحَ أهِلهـا رحلــتَ فأجـسادُ الأنــام قبــورُ

ولولده الأمير منجك وقد اجتاز بالقصر المذكور:

مــن مبلــغٌ قــصرَ الأميــر بأنــه فجَعتْـه فــيمن قــد بنـاه منــونُ

ومنها:

قد أَسْكَنَتْهُ بعدَ مـا وَطِـئَ الـسُّهى جـدثاً فأمـسى فيـه وهـو رهـينُ

هين. . . . . . . [1] فيه الحدائق أبداً ولا مادتْ بهن غصونُ
وجفا ملثُّ الغادياتِ رسومَه وأذيل فيه الدمعُ وهو مصونُ

ومنها:

ولئن خلا منه فبين جوانحي ربعٌ له طولَ المدى مسكونُ
أقوى فغَشْت كلَّ قطرٍ وحشةٌ ونأى فكلٌّ قد عراه أنينُ
يبلى الزمانُ وذكره متجدد إن الزمانَ بفضله مشحونُ

ومنها:

ولكل عزٍّ في سواه مذلَّةٌ ولكل صدرٍ في المجالس دونُ
فسقاه من نِعَم المهيمن صيّبٌ يهمي على ذاك الضريحِ هتونُ

[٣٤٨] محمد بن عبد الكريم، الشهير بقاضي زاده.

كان والده قاضي الأحساء، ثم ترك القضاء، وجاور بالمدينة الشريفة، ومعه أولاده: محمد المترجم، ويحيى، قرأ بالروم على كثيرين، وبالحرمين على القاضي عبد الرحمن بن عيسى المرشدي مفتي مكة، وبه تخرج، وعلى محمد أفندي الشعراني قاضي المدينة، وأقام بالمدينة، على بث العلم ونشره، إلى أن توفي بها ثاني ربيع الأول، سنة ثلاث وسبعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٣٤٩] محمد بن مصطفى بن بستان مفتي التخت العثماني[2].

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٠٢) (٣١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٢٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٧٣) (١٤٧).

الإمام العلامـة، الأوحـد المحقق الفهامـة، شيخ الإسلام، ولي قضاء الشام، فقدمها حادي وعشري ذي الحجة، سـنة إحدى وثمانين وتسعمائة، ثم ولي قضاء مصر، ثم قضاء العسكرين، ثم ولي قضاء مصر.

ثم كتب إليه السـلطان مراد خان: بأني لم أعزلك عن مصر، فأقم من شئت بها مقامك، ثم جئنا زائراً؛ فإنا أنعمنا عليك بمشيخة الإسلام، وإفتاء الأنام في الأحكام، فدخل دمشق في رمضان، سنة أربع وتسعين، ـ بتقديم التاء فيهما ـ.

قال النجم الغزي: فاجتمعت به إذ ذاك، في صحبة شيخنا أحمد العيثاوي، في مجالس كانت حافلة بالعلماء، وكان فصيح العبارة، عالماً بعلوم العربية فهامة.

قال النجم: وعرضت عليه بعض مؤلفاتي، فقبلها، وأثنى عليها، وعلى شـيخ الإسـلام الوالد، وقال: سـرُّ بيت رضـيِّ الدين لا ينقطع بالشام، كما لا ينقطع سرُّ بيت البكري بمصر، وأمر بكتابة بعض تحريراتي، وكتب منظومتي في «مورثات الفقر والنسيان» التي نظمت فيها رسالة الإمام العلامة المحدث إبراهيم الناجي.

ثم سـافر إلى القسـطنطينية، فصـار بها شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، ومرجع الخاص والعام، وكان محمود السيرة في قضائه، نافذ الأحكام، مع الحلم الزائد، وحسن الخلق، والمداراة، ولين الجانب، مع العلم الوافر، والفضيلة التامة.

وبقي في منصب الإفتاء، إلى أن توفي رابع شعبان بالقسطنطينية، سنة ست بعد الألف، وهو اليوم الذي مات فيه شـيخ الإسـلام الشمس الداودي

بدمشق، ووصل الخبر بموته يوم الاثنين، ثامن عشري رمضان، وصُلي عليه غائبةً يوم الجمعة بعده ـ رحمه الله ـ.

قلت: وللعلامـة درويش محمد الطالوي فيه مدائح كثيرة، ذكرها في كتابه «السابحات».

[٣٥٠] محمد بن مصطفى الشهير بداود زاده.

كان من علماء الروم المشـهورين، له اختصار القاموس سماه: «الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط»، **توفي** سـنة إحـدى عشـرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٣٥١] محمد بن مصطفى الشهير بقاضي زاده.

من مشاهير علماء الروم، له مؤلفات منها: «رسالة في صلاة الرغائب وعدم جوازها بالجماعة»، وله «رسالة الميزان» ألفها بإشارة شيخ الإسلام صنع الله أفندي، وكانت **وفاته** سنة أربع وأربعين وألف.

[٣٥٢] محمد بن مصطفى الواني المعروف بواز قولي الرومي[1].

عالمٌ مشهورٌ، نقل «صحاح الجوهري» إلى اللغة التركية، وحذف منها الأمثال والشواهد، حتى بقي في عشر حجمه، **توفي** سنة ألف ـ رحمه الله ـ.

[٣٥٣] محمد بن مصطفى الشهير بكاني جلبي الحنفي[2].

الرومي الأصل، اليمني المولد والمنشأ، كان من أجلاء الأعيان، وأهل

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٧/ ٩٩).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٩٩).

الفضل والبيان، وكان أميراً من جهة الأتراك، حين كانوا مستولين على اليمن، وكان حسن السيرة، صافي السريرة.

له اطلاع على العلوم الأدبية، ومعرفة جيدة بعلوم العربية، وله تاريخ سماه: «بغية الخاطر ونزهة الناظر»، ابتدأ فيه من أخباره ﷺ، وأحواله، من زمان ميلاده إلى هجرته، وصل فيه إلى سنة ثلاث وثلاثين وألف، وذكر فيه الأئمة الدعاة من الزيدية، وغيرهم، وملوك آل عثمان، وحكامهم في اليمن، وجعله باسم الوزير محمود باشا، وقد وقفت عليه، ونقلت منه ما هو من شرطي.

وله أشعارٌ حسنةٌ، منها: قوله يمدح النبي ﷺ:

يا نبياً كمَّل الله له ... كلَّ وصفٍ زيَّنته الشيمُ

والذي من بأسه نارُ لظى ... وأياديه الزلالُ الشيمُ

والذي قد أصبحت أمته ... يتدانى من علاها الأممُ

من لصَبٍّ ليس يَشفيه البكا ... وهو من أجفانه منسجمُ

ولقلبٍ ولبرقٍ مثله ... تحت جلبابه الدجى يضطرمُ

وكئيبِ القلب صَنْعا دارُه ... ما بدا رسم له أو معلَمُ

حبُّ جرعا طيبةٍ جرَّعَه ... كأسَ شوق ما حكاه العلقمُ

ومنها:

يا أحيابي وأيام خلتْ ... هي أيام مضتْ أو حلمُ

وعهود قد حفظناها لكم ... ما نرى أنكم ضَيَّعتمُ

وهواكم وهو عندي قسمٌ ... بسواه حالفاً لا أقسمُ

بُعدُكم لم يغير بَعدكم ... غير دمعٍ قد جرى وهو دمُ

وسقامٍ لا يداويه سوى ... من برؤياهُ يداوى السقَمُ

حيث لا تبصر إلا رحمةً ... في جِنان ظلها مرتكمُ

في ربا طيبةَ طابت تربةٌ ... حيث حلَّ المصطفى والحرمُ

ومنها:

مضجَعٌ حلَّ الحبيبُ المصطفى ... في ثراه والعلا والكرمُ

بقعةٌ ضُمت بها أعضاؤه ... أفضلُ الأرض بقولٍ يجزمُ

بلدٌ بالمصطفى الهادي له ... كلَّ يوم وقفةٌ أو موسمُ

النبيُّ الهاشميُّ المجتبى ... سيدُ الخلق وإن هم رَغِموا

صفوةُ الله وما من آدمٍ ... كان في الكونِ ولا كانوا هم

جمعَ الله به أشتاتَنا ... من شتاتٍ كادَ لا يلتئمُ

ومنها:

بات يرعانا ويحمي سوحَنا ... وكأنا حيث كنا نعَم

هو مسكٌ طيبٌ من أجل ذا ... أنبياءُ الله منه خُتموا

نجلُ إسماعيلَ في عرق الثرى ... وابنُ إبراهيم فانظر مَنْ همُ

ومنها:

يا خليلَ الله هل من نفحةٍ ... يخجل البحرُ بها والديمُ

يـا رسـولَ الله هـل مـن جذبـة حيـث حـل الـركنُ والملتـزَمُ
يـا حبيـبَ الله هـل مـن شـربةٍ تـروي العطـشان منـه زمـزمُ
يـا عظـيمَ الجـاهِ هـل من غـارةٍ هـي بالنـصر المرجَّـى موسـمُ

ومنها:

يـا أجـلَّ الخلـق هـل تـسمعني مثـل مـا قـال الأجـلُّ الأكـرمُ
وإليـك اليـومَ أشـكو خلـةً أسـقمَتْ جسمي ومـا بـي سـقمُ
خـوفُ أعـدائي ونفسي والهـوى وشـياطين عـن الحـق عَمُـوا
بـل أنـا عبـدٌ مـسيءٌ مـذنبٌ منـذ وافـى سـائلاً لا يحـرمُ

ومنها:

يـا جميـلَ الخلـق فعلـي سَيِّءٌ فاسـأل الـرحمن يـا مـن يـرحمُ
فأنـا المـضطرُّ وإنـي سـائلاً جـودَ مـولًى مـا عـداه الكـرم
لـست بالكـافي لمـا أشـكوكم أنـتمُ بالحـال منـه أعلـمُ
وحيـاء لـم أقـل لـي ذمـةٌ باسـمك المحمـود ذاك الأعظـمُ
فكنيـتُ الاسـمَ إجـلالاً وإن صـحَّ لـي منـه الـذمامُ المحكَـمُ

ومنها:

فعليـك اللهُ صـلَّى دائمـاً مـا هـدى الساعي إليـك القـدمُ
وكـذاك آلُـكُ أربـابُ التقـى وكـذا الـصحبُ الهـداةُ الأنجُـمُ

[٣٥٤] محمد بن المطهر بن محمد. . .[١] الجرموزي الحسني[٢].

السيد العلامة الأديب، والشاعر الماهر الأريب، فصيح اليمن، وعمدة الزمن، ذو الحكم الباهرة، والنوادر النادرة، والشوارد التي سارت بها الأمثال السائرة، لا يوصف ما اتصف به من بدائع بداءة ارتجاله، وغزارة اطلاعه على الشعر وسعة مجاله، مع كونه حاز قصب السبق في غالب الفنون، وافتخرت به الآباء والبنون، وشهد أهل الفضل له بالكمال البارع، وأذعنوا أن ليس له في العصريين مشابه له ولا مضارع.

ولما رأى الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل ما فيه من كرم الخصال، وكمال الفضل والجلال، جعله من خواص ندمائه، وأَجَلَّه وفضّله على أكثر وزرائه، وأحلَّه منه محلاً كريماً، وأنزله عنده منزلاً جسيماً.

مولده ـ كما أخبرني صنوه ـ العلامة السيد الحسن بن المطهر، أمير المخا ـ عام تسع ـ بتقديم ـ التاء وثلاثين بعد الألف، وقرأ بصنعاء على أكابر شيوخها، وجّد في الطلب لاكتساب بضاعة العلم والأدب، ونظم الأشعار الحسان، التي تزري بعقود الجمان.

فمنها: قوله مضمناً بيت ابن تومرت:

فيـا حجـرَ النجـدِ حتـى متـى   تـسنُّ الحديـدَ ولا تقطـعُ

---

(١) جاء في الحاشية: «قبل كلمة «الجرموزي» سطر ونصف بياض بالأصل».

(٢) «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ١٩٣) (١٦٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٠٦) (٢٢٢).

ألا انهمـــري أيهـــا الأدمـــعُ　　وذوبـــي جَـــوىً أيهـــا الأضـــلعُ

ونـــوحي علـــى مَـــنْ لـــه أزمعـــتْ　　كبـــار المعاصـــي التـــي يـــصنعُ

ومنها:

فكم خـاضَ جهـلاً بحـارَ العمـى　　ومـــن عنـــده يوجـــد المهيَـــعُ

علـــى أنـــه واعـــظٌ إن رقـــى　　علـــى منبـــرٍ روعـــه يـــردَعُ

فمثِّلْـــــه إن شـــــئت تمثيلَـــــه　　بمثـــل الـــذي قالـــه المبـــدعُ

فيـا حجـرَ النجـد حتـى متـى　　تـــسنُّ الحديـــدَ ولا تقطـــعُ

وقوله:

قفـا حـدِّثا عـن لـوعتي وغرامـي　　ففي القلب نارٌ أُجِّجت بضـرامِ

وعني خذا الأشواق والوجد والهوى　　فلـيس دَعِـيٌّ فـي الهـوى كإمـامِ

وفي الجزع حيٌّ كلما شاقَ ذكرهم　　نـسيم اشـتياق لا يلـذ منـامِ

جَفَوا مغرماً لم يثنه عـن ودادِهـم　　سـلوٌّ ولا أرواه شـربُ مُـدامِ

ولا لحـنُ شـادٍ معبـديٍّ غنـاؤه　　يرجِّـع ألحانـاً كـسجع حَمـامِ

ومنها:

إذا سلوةٌ رامت إلى القلب مسلكاً　　يقول لهـا الوجـدُ ارجعـي بـسلامِ

وهي طويلة.

وكتب إلى الفقيه الأديب حسين بن علي الوادي، وهو إذا ذاك بصنعاء، سنة إحدى وستين وألف: **قوله**:

الـسحب أرخـى أدمعـاً لا تفيـقْ فـألبس الأغـصان ثوبـاً أنيـقْ

ودبّـج الأرضَ فمــن أخـضرٍ أو أصــفر أو أحمــر كـالعقيقْ

وكلمــا مــرت بنــا نفحـــةٌ أهدت من الأزهار مـسكاً سـحيقْ

روت حــديثاً عــاد دمعــي لــه مسلـسلاً بـالردِّ لا يـستفيقْ

إن الربــا قــد كُلِّلَــتْ بـالكلا وانـتظمَ المنثـورُ بـين الـشقيقْ

والطيــرُ فــي أرجائهــا منــشدٌ هـذا هـو العـيشُ الرقيـقُ الأنيـقْ

لا تهجـروا إخـوانكم واغْنَمـوا زمـانكم أو تهجـرون العتيـقْ

فإنمــا الــدهرُ قــصير أبــداً وقلمـا يُـدرَك عـيشٌ رقيـقْ

يــا أيهــا الــوادي الــذي نــشرُه قـد مـلأ الأرجـاء نـشراً عبيـقْ

بُعــدُك عنــي والوفــا شـيمتي ما لـي إلـى الـسلوان عنه طريـقْ

فأجابه الحسين بقوله:

إن الـــذي صـــيرني حبُّـــه دمعــاً جريحــاً وفــؤاداً رقيـقْ

لـم يكتفـي عـن مهجتـي بالغـضا ولا عــن العـين بـسفح العقيـقْ

واحــرَّ قلبــاهُ ومَــن نــافعي منـه إذا بجـرح قلبـي الحريـقْ

مِـن قمـرٍ يفعـل بالقلـب مـر آه ولا فعــلَ ســلافِ الرحيـقْ

مكــوثَرِ الريــق لــم لــي دم[1] ومــدمع فــي حبــه قــد أُريـقْ

مــا لــي عــن عــشقه سـلوةٌ ولا أرى الــسلوانَ عنــه يليـقْ

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الأول غير موزون.

إلا حـديثاً فـي جمـال الهـوى   كأنمـا حُـلَّ بمـسكٍ سـحيقْ

وهي طويلة.

وقوله إلى الحسين أيضاً:

قم يا رسـولي نحـو دار الحـسينِ   وقـل لـه الوعـدُ شـبيهٌ بَـدْينْ

ما زلـتَ تُـدلي فـي حبـال المنـى   بوقفـة والأمـر فـي ذاك هَـيْنْ

وكـلَّ يـوم نلتقـي تقـلْ   غـداً سـآتيكم ومـا ذاكَ مَـيْنْ

فأرقـبُ الـساعاتِ حتـى مـضى   ميعـادُكم وأستخلف الحـسرتَيْنْ

يـابنَ علـيٍّ أنـت أطربتنـي   ولـم أنـلْ منـك سـوى وقفتـيْنْ

للهِ واديـك ومـا حـازه   مـن نغمـات مـن كـلا الجـانبينْ

بليلـة بلبـل فلـم أزلْ   أراعـي فـي الـدجى الخـافقينْ

فأجابه بقوله:

ذكـرتَ أن الوعـدَ ديـنٌ نعـم   الوعـدُ عنـد الحـرِّ لا شـك ديـنْ

وكيـف يخفـى فـيكمُ سـائلي   وسـائلي قـد مـلأ الخـافقينْ

فهـل سـألتَ الربـعَ عـن وقفـة   وقفتُهـا فيـه بـلا وقفتـينْ

وقلـت للـوادي هـل جاءنـا الـ   ـوادي وفينـاه فمـا الأمـر هَـيْنْ

إن كـان ذا مطـل فنفـسي لهـا   صـبرٌ جميـلٌ تقبـل الحـالتين

وهي طويلة.

وله يمدح صنعاء:

أرى المدائن شوهاً كلَّما ذُكرت صنعاءُ والبابُ منها بابُ سترانِ

ما حلَّ فيها امرؤ إلا وعاينَها جناتِ عدنٍ عليها حورُ رضوانِ

إياك إياك لا تعدلْ بها بلداً هيهاتَ ما الدرَّ والحصباءُ سيانِ

تاهت على الأرض ما نهر الأُبُلَّة والـ ـوادي المقدَّس أو ما شِعْبُ بَوَّانِ

توفي في شعبان سنة سبع ومائة وألف بضوران ـ رحمه الله ـ.

[٣٥٥] محمد بن نور الدين الدَّرّا الدمشقي[1].

مالكُ أعنة الشعر، وناهج طريقه، العارف بترصيفه وتنميقه، الناظم بعقوده، الراقم لبروده، المجيد لإرهافه، العالم بجلائه وزفافه، تصرف في فنونه كيف شاء، وأتبع دلوه الرشاء، فشعشع القول وروَّقه، ومدّ في ميدان الإعجاز طلعه، فجاء نظمه أرقَّ من النسيم العليل، وآنقَ من الروض البَليل، يكاد يمتزج بالروح، وترتاح إليه النفس كالغصن المَرُوح.

ولد بدمشق، وبها نشأ وبرع، وتأدب وترعرع، وأخذ عمن بها من الفحول، علمَ الفروع والأصول، ورحل إلى مصر، وأخذ بها علوم العربية، ثم قصد مكة البهية، فأدى النسكين، وزار سيد الكونين، وأقام بمكة نحو عامين.

وألف بها: «شرح كتاب سقط الزند» لأبي العلاء المعري، باسم الشريف زيد، ملك الحرمين، ومدحه بمدائح طويلة أنيقة، وأشعار رقيقة، ورجع

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٤٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٢١٥) (١٣)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٢٦).

إلى بلده دمشق، فتوفي بها يوم السبت، وقت الزوال، سادس شهر رمضان، سنة خمس وستين بعد الألف.

وله ديوان شعر، كله غرر، وجواهر ودرر، منه قوله: . . .[1].

[٣٥٦] السيد محمد بن صلاح بن الهادي الوَشَلي اليمني[2].

سيد عظيم، وعالم كريم، ذو قدر فخيم، له السبق في الجهاد، ونظم أعمال البلاد والعباد، وتولى الأعمال الكبار، بأبي عريش وجازان، من جهة الأئمة بني القاسم.

ومن شعره: ما كتبه إلى العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، وقد عاد إلى بلاده من أبي عريش ونواحيها، بعد أن ارتحل إليها، لصلاح أمر عظيم، بين السادة النعميين، وأهل صبيا، عن أمر الإمام المؤيد بالله محمد ابن القاسم، وهو قوله:

لستُ أنسى رقةَ العيش الذي	زاد في الرقة حتى انقطعا
في ربا الشجعة كنا جيرةً	وأخلائي وأَخداني معا
جنةٌ عندي رباها زُخرفت	سيما والكرمُ فيها نبعا
وسقى الله لُييلاتِ الحمى	وكَلاَه وحَماه ورعى
وصديقاً زارني من بعدِ ذا	بجلابيبِ الظلامِ ادّرعا
قطع البيداء نحوي مسرعاً	والفيافي والمرامي قطعا

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد ذلك بياض بالأصل».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٧٧) (٢٤٠).

زار كـالطيف اختلاساً ومـضى		ثـم مـا سـلّم حتـى ودّعـا

وقوله:

أودعَ القلـبَ أَسًى إذ ودَّعـا		فجميـلُ الـصبر منـي امتنعـا

وسـعى الحـادي بـه مـستخفراً		ليتـه بالخـدن يومـاً لا سـعى

إن يكـنْ لـذَّ لـسمعي خبـر		بعـد أن فـارقتكم لا سـمعا

أو ظننـتم أن جفنـي هجعـا		فلعمـري بعـدكم مـا هجعـا

عِيـل صـبري إذ رحلـتم جزعـا		وفـؤادي ذاب فـيكم ولعـا

وقوله:

كـان ينهـاني الحيـا أن أشـتكي		فغرامـي لحيـائي منعـا

فاقـصد الناصـر فـضلاً إنـه		خيـرُ بحـر للمعـاني جمعـا

واسـألا لـي مِـنْ نـداه دعـوةً		فهـو بَـرٌّ ومُجـاب إن دعـا

وهي طويلةٌ رائقةٌ.

وله عدة رسائل، نظماً ونثراً، إلى الناصر المذكور، تضمنتها مجموعاته، وتوفي سنة ثمان وسبعين وألف، بأبي عريش، وبها دفن ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٣٥٧] السيد محمد بن الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر بن أبي بكر شعاع بن علي الأيبع بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد النجيب بن حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن الحسين بن علي بن آدم بن إدريس بن الحسين بن محمد الجواد ابن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي

السجاد زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، هكذا نقل نسب بني البحر محمد بن أبي بكر الأشخر، في كتاب «كشف العين فيمن بوادي سُردُد من ذرية السبطين»، وأن نسبهم فيه ثلاث عشرة قبيلة، من أشراف سردد الحسينيين ـ بالتصغير ـ، يجمعهم الحسن بن يوسف، وأم المترجم عائشة بنت أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر المتقدم[1].

الشيخ الولي، العارف بالله الشهير، كان من أصحاب المقامات العلية، وأهل الكرامات السنية.

مولده ثامن عشر رمضان، سنة اثنتين بعد الألف بالمنصورية، وهي قرية من أعمال بيت الفقيه ابن عجيل، من قرى اللاميين معروفة، بينها وبين زبيد مرحلة كاملة، من جهة القبلة.

وكان أسلافه بمدينة الحرجة ـ بفتح الحاء المهملة والراء والجيم ـ من أعمال بيت الفقيه الكبير ابن حشيبر، بقرب اللحية، بلدة معروفة، خربت قديماً.

وأول من قدم من أجداده إلى المنصورية: أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر، ومعه أخوه أبو القاسم بن أبي الغيث، المقبور برباط الشيخ محمد بن عمر النهاري، المشهور بقمر الصالحين، وقبره هناك يزار، ويتبرك به، فسكنوا بمحل يقال له: منيبر، بقرب محلتهم الآن من الشرف، ويقال: إن ذلك باستدعاء عامر بن عبد الوهاب.

ودخل صاحب الترجمة إلى زبيد، سنة إحدى وعشرين بعد الألف

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٧٨).

للقراءة، فقرأ بالروايات على شيخ[1] القراء عبد الباقي بن عبدالله العَدَني، للشيخين، ثم لحفص عن عاصم، وقرأ في الفقه والحديث على إبراهيم بن محمد جعمان بعض «المنهاج»، و«الأذكار»، وجملة من «البخاري».

وعلى القاضي أبي الوفا أحمد بن موسى الضجاعي، وعلى محمد بن أحمد المُرَيْري الأزهري، وعلى محمد بن أبي بكر حجربه، صاحب مقصورة الجامع بزبيد، وفي العربية على الشهاب أحمد بن محمد بن يحيى المطيب الحنفي، وسمع «صحيح البخاري ومسلم» مراتٍ متعددة على الشيخ العلامة علي بن أحمد الفقيه المقرّب أحمد المدني، في مدة نحو عشرين سنة، وحج عام أربعة وأربعين وألف، وأخذ بمكة عن محمد علي بن علان، قرأ عليه في التفسير والحديث، وأجازه بمروياته.

وكانت **وفاته** عشية الاثنين، رابع شهر محرم، سنة ثلاث وثمانين وألف بالمنصورية، ودفن عند أسلافه.

وله مؤلفاتٌ، منها: «تحفة الدهر في نسب الأشراف بني بحر ونسب من حقق نسبه وسيرته من أهل العصر» ـ رحمه الله ـ.

[٣٥٨] السيد محمد بن الطاهر بن أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر.

كان سيداً جليلاً، حافظاً للقرآن، محافظاً على الجماعة والنوافل، قرأ على السيد محمد بن الطاهر: «الأذكار» للنووي، وكانت **وفاته** في شهر ربيع الآخر، سنة خمس وخمسين وألف.

---

(١) في الأصل: شيخه.

[٣٥٩] **محمد بن محمد بن محمد الشرنبابلي الشافعي.**

شـيخنا الإمام الفقيه، النحوي، المفنن في العلوم المتداولة، المنفرد بالقاهرة في علوم الحساب والفرائض والميقات، قرأ على شـيخنا سلطان، وبه تخـرج، وأخـذ عن شيخنا علي الشبراملسي، ومحمد البابلي، ومحمد الدلجموني، ومنصور الطوخي.

وتصدر للإقراء في حياة شيوخه بالجامع الأزهر، وأخذ عنه كثيرٌ من أكابر الأفاضل، وصار رئيس العلماء بالجامع الأزهر، حضرت درسه في «شرح المنهاج» للمحلي، حين رجوعي إلى مصر، سنة سبع وتسعين وألف، وأجازني بمروياته ومسموعاته ـ سلمه الله ـ ثم قدم مكة، فحج، وجاور بها، وقرأ بها نبذة من «شرح المنهاج»، وغيره، وأخذ عنه أكابر فضلائها.

فتوفي ـ رحمه الله ـ، نصف ليلة الثلاثاء، ثالث وعشري شعبان، سنة اثنتين ومائة وألف، وصُلي عليه ضحى اليوم المذكور بالمسجد الحرام، وكان له مشهدٌ حافلٌ، وأمّ الناسَ الشيخُ أحمد النخلي، وغسله بيده مع جماعة من الفضلاء، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة آل شيخان، وكنتُ القائم بتجهيزه؛ لما بيني وبينه من كمال الخصوصية، والناظـر على ولده وأهله بعده إلى أن ذهبوا إلى الديار المصرية، بأمر منه ـ رحمه الله ـ.

وكان ينظم الشعر الحسن، بغير تكلف، فمنه يمدح النبي ﷺ:

أيا ساجعاتِ الـوُرق خَـلٍّ ملامـي ... لقـد حـرك التغريـدُ نـار غرامـي

معاذَ النوى لا ذقتِ طارقةَ النـوى ... ولا أُنْبِـتَت أرجـاؤه بثمـام

ويا عَذَباتِ الرندِ جـددتِ لـوعتي ... وحركـتِ أشـجاناً لـدى مـستهامِ

ويــا جبلَــيْ نعمــانَ بــالله خَلِّيــا … نسيمَ الـصبا يـسري بطيـبِ مـدامِ

أيا ليتَ شعري عن طلالِ ندى اللوى … وسـكانُ ذاك الحــيِّ أهــلُ خيــامِ

. . .[1] الحمى يا من همو كلُّ بغيتـي … ويا منتهـى قـصدي وكـل مرامـي

إلى أن قال:

وُفــوداً أتينــا والنــواحي بعيــدةٌ … وُشــقَّتها طالــت وَحــرُّ أُوامــي

أتينــاكُمُ أنــضاءَ فقــرٍ ومــا لنــا … غِنًـى عــن نَـداكم يـا أعـزَّ كـرامِ

أتيــتُ وظهــري أثقلتـه خطيئتـي … وجنـدُ الـردى قـد قـادني بخِطـامِ

جنيتُ على نفسي فأثقلتُ حملَهـا … وكم من ذنوبٍ بالنـصوصِ عظـامِ

ومنها:

فيــا طالمــا حَمَّلتهــا مــن جـرائمٍ … وخاضت بحار الذنب جنحَ ظـلامِ

وفَرَّطت في جنب الإلـه فلـم أُقِـمْ … فرائــضَه الغَــرَّا بوجــهِ تمــامِ

وضيعتُ عمـراً طالمـا قـد لهوتـه … فيــا خجلتـي منـه وطـولَ نـدامِ

وقائلــةٍ لمــا رأتْ مــا أصــابني … وحلَّ بقلبـي مـن لهيـب ضِــرامِ

وحرقــةِ أحــشاءٍ تــوالى زفيرُهــا … وتنفيــسِها الــصُّعدا بغيـر كــلامِ

تــيمَّمْ بــذلٍّ نحــوَ أكنــافِ طيبــةٍ … وأكــرِمْ بهــا مثــوًى ودارَ مقــامِ

ومنها:

فقــفْ بحماهــا واســتظلَّ بظلِّهــا … وحــيِّ رُبــاً فاحــت ونـشرَ بَـشامِ

---

(١) بياض في الأصل.

فشيمتُها الإغضاء عن ذي جرائمٍ وحطُّ الخطايا شأنُها بدوامِ
فيا طالما أغضتْ ويا طالما عفتْ ويا طالما أشفَتْ عُضالَ سقامِ
فيا صاحِ إن وافيتَ تربةَ أحمدٍ ولذتَ بذي الجاه المنيع وحامي
فقمْ بين تياكَ الرياضِ مؤدَّباً وأهدِ تحياتي وطيبَ سلامي
وقل يا رسولَ الله وقفةَ مذنبٍ أسيرِ خطايا قد رمى بسهام
فيا كعبةَ الآمال يا رحمةَ الورى ومن خُصّ بالمحمود يومَ زحامِ

وله، وكتب بها إلى السيد محمد بن أحمد الحارث:

عقودُ سلامٍ بالسعودِ اتساقُها ونشرُ تحياتٍ يطيبِ انتشاقُها
نسيمُ سلامٍ عطرت كلَّ محفلٍ وروضةُ عز قد ترنَّم ساقُها
تُساق هدايا من محبٍّ متيمٍ إلى ملك العليا إليه استباقُها
شجاعُ لدى الهيجا صدوقٌ لدى اللقا صبورٌ إذا طالت وعز افتراقها
أرادت تُجاريه الأسودُ فقصَّرَتْ وعادتْ حيارى حين ضنَّ لحاقُها

ومنها:

فمن ذا يساوي في التسامي محمداً وقد قلد الجوزاء ختم انتساقها
ولكنها رامتْ بغايةِ وُسعها تجاري أياديه فكل وفاقُها
وكيف وقد جاءت أحاديثُ جوده بنقل رواة صحَّ عنها سياقُها
فلا زال نوءُ المجد يورق يانعاً وسحبُ أياديه يَصُبُّ انبعاقُها
ولا برح الوَسْمي يجودُ بداره وجرعاؤها الأنواء يبدو ائتلاقُها

ومنها:

فيا ليت شِعري هل أُقيم بظلّه ... فتحيا به روح عادى اشتياقُها[1]

وهل يأتينّي من حماهُ مبّشرٌ ... فتسكن آلامي ويبرى فراقُها[2]

منها:

فهاكَ عقوداً قد تسامى نظامُها ... وراقت فرَّقت نشرُها ورحاقُها

منها:

عليكَ سلامُ الله يا أفصحَ الورى ... ومن دانت العليا له ونطاقُها

كذا الآلُ والأصحابُ ما قال قائلٌ ... عقودُ سلامٍ بالسعودِ اتساقُها

وله من أخرى، يمدح السيد محمد أيضاً:

خليليَّ قد طفت المعاهدَ كلَّها ... وسرَّحْتُ طرفي بين تلك المحافلِ

فلم أر غوثاً يرتجى لملمةٍ ... سوى جيرةِ الحي الكرامِ الأصايلِ

أبا الحارثِ المعروفَ في كل أزمةٍ ... إذ الحربُ شبت فاصطلى كلُّ باسلِ

له راحةٌ من بأسها يتقي الردى ... وجودُ نداها مبدأٌ للمناهل

ومنها:

سألت الندى والجودَ ما لي أراكما ... تقلدتما عقداً سما عن مُشاكلِ

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: فواقُها.

وما بالُ روضِ العز أصبح يانعاً ... يميسُ ويرقى فوق أعلى المنازلِ

فقالا أقمنا تحتَ ظلِّ محمدٍ ... له شيمٌ فاقت كرامَ الأوائلِ

فكنا له عبدين في كل مشهد ... نروح ونغدو عند سيرِ المحامِلِ

فصارتْ لنا تلك المزايا كما ترى ... وكمْ من أيادٍ كاثرت جودَ وائلِ

ومنها:

فقلت فهل لي من سبيل لأشتكي ... له قصتي أو أن أبث مسائلي

فقالا تيمَّمْه فإن له يداً ... وهِمَّتُه تكفيكَ في كلِّ نازلِ

كريمٌ إذا الأزماتُ قد شطَّ وليُها ... فعادت عواديها كغيثٍ مواصلِ

وله من قصيدة يمدحه:

وقائلةٍ لي أطلتَ بوصفِه ... وجمعِ سجاياه بعقدِ نظامِ

وجُسْتَ خلالَ المجد تختارُ صفوه ... فجئتَ نعوتاً في رقيقِ كلامِ

وكررْتَ مغناه على كلِّ مسمعٍ ... وهمتَ به مرحاً أشدَّ هيامِ

وواليتَ ذا في كل وادٍ ومشهدٍ ... وقمت بذكراه أتمَّ قيامِ

ومنها:

فقلت لها كُفِّي عن العذل واسمعي ... مقالَ نصوحٍ لا يعي لملامِ

فلو شاهدَتْ عيناك كثرةَ جودِه ... وبسطَ أياديه وحفظَ ذِمام

لغُصتِ بحارَ الدرِّ تستخرجينها ... وتنسقها[1] نعتاً لكل مرامِ

---

(١) كذا في الأصل.

ومنها:

فكم زاحمتني في معانيه أمة ... من الشُّعرا كلٌّ أتى بمقامِ

فمن ناظمٍ حاكى عقوداً تنسقت ... ومن ناثرٍ يُنشي عبير تمام[1]

فليس نظامي أولَ الشعر فاعلمي ... ولا قوسُ إنشائي بأولِ رامي

وإني وإن أكثرتُ في الوصف والثنا ... لنظم قصور لا يفي بغرامِ

وكيف وفي الأحزاب آيةُ إنما ... يريدُ ومدحُ الأهل في الآي سامي

ومنها: . . .[2]

عُريبَ الحي أهدي إليكم تحيةً ... تحيةَ مشتاقِ الفؤادِ خليلُ

يمازجها نشرُ الرياض وحسنُها ... فتحيا بها الأرواحُ وهي عليلُ

أكاتبكم في البعد أهلَ مودتي ... وقد عاقَني عجزي وعز وصولي[3]

وكنت حريصاً أن أشاهد أنسَكُم ... ولكن حظَّ العاشقينَ قليلُ

فإن توصلونا فالحياةُ قريرةٌ ... وإلا فقد مرتْ وشطَّ سبيلُ

منها:

أيا كعبةَ الأنس الذي طاب أصلُه ... وطيبُ السجايا شاهدٌ ودليلُ

جمعتَ نعوتاً ضاق عنها نظامُها ... وعاد إليها الطَّرْفُ وهو كَليلُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: ثمام.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «منها» أربعة أسطر بالأصل».

(٣) كذا في الأصل، ولعلها: وصولُ.

وله:

سقى اللهُ بالوسميِّ رَبْعَ سعودي ... وروَّى رُبا ذاك الحمى بعهودِ

وسقى ربوعاً حازتِ البشرَ والندى ... وبسطةَ كفٍّ وانقباضَ حسودِ

فكم لي بها شجوٌ وفرطُ صبابةٍ ... وعقدُ ولاءٍ ثم حفظُ عهودِ

ومنها:

بها جيرةٌ عزت وطابت أصولُها ... سجاياهُمُ الهيجا وصدقُ وعودِ

وإني وإن وَرَّيْتُ بالربع والحمى ... فروحُ حياة الرقمتينِ شهودي

فلم تر عيني كابن أحمدَ سيداً ... هو الناصر المدعو لحلِّ عقودي

له سؤددٌ فوق السماكين رفعةً ... وذاك تراثٌ من كرام جدودِ

شجاعٌ إذا ما الحرب شبَّ لهيبها ... وعافت سيوفُ القوم ردَّ عمودِ

صبورٌ إذا الهيجا ترادفَ هولُها ... وهاجت بموجٍ مع كثيرِ جنودِ

ومنها:

فهيهاتَ من يلقى صدوقاً لذا اللقا ... يخوض حياضَ النقع عند ورودِ

كما الناصرِ المعروفِ في كل أزمةٍ ... كريمِ السجايا حافظٍ لحدودِ

فيا كعبةَ الآمال يا طَيِّبَ الثنا ... أبى اللهُ إلا أن ترى في صُعودِ

[٣٦٠] الفقيه محمد المشلول الزيلعي العقيلي[١].

الشيخ الأستاذ، العارف بالله، المجمع على جلالته وولايته، **ولد**

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣١٣).

بجـازان، في نيف وثلاثين وألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وقرأ ما يكفيه لمعاشـه ومعاده، كان كبيـر الحال، مؤثراً الخمول على الظهور، ويأبى الله إلا اشتهاره.

مهاباً ذا سـكينة، إذا رآه مـن لم يعرفه، تحقق ولايته، لطيف الطباع، متحملاً للأذى، لا تكاد تسـمع منه كلمة تغضب جليسه، ولو أساء الأدب، وكان سيفاً مسلولاً، إذا ألجئ إلى ظهور شيء من الكرامات، أتى بالعجب العجاب منها.

ولذلك كانت تهابه أمراء السـواحل، إذا وصـل إليها، وكان معه جلبة يتعيش بها تستراً، ولا يسـتطيعون أخذ شيء منه من المكوس، على جاري عادتهم، واتفق له كثيراً أنه يخرج الحمول البز من الفرضة، فيراها المكاسون حبوباً، ويكون قد أعطاه أصحابها شيئاً من المال، على أن يخرجها لهم من الفرضة، من غير شيء، وله من هذا القبيل أشياء كثيرة مشهورة.

وكان ـ نفـع الله به ـ بيني وبينه محبـةٌ وصحبةٌ، ولي معه وقائع عديدة باهرة شاهدتها منه، **توفي** بعد رجوعه من الحج إلى بلده في جلبته، في شهر صفر، عام ستة وتسعين وألف، ودفن بالقنفذة ـ نفع الله به ـ آمين.

[٣٦١] السيد محمد بن الهادي ابن الإمام أبي الفتح الديلمي القطابري(١).

من أكابر أبناء الأئمة وأفاضلهم، له الأدب العظيم، والبلاغة السائرة، مع الكفاية التامة في الأعمال الكبار، والمحاسـن المشـرقة إشراق النهار، ولما أمره الإمام المهدي أحمد بن الحسن بالسـير إلى الجهة الحَيْرانيَّة، من

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٧١) (٢٣٩).

أعمال الشرف الأسفل؛ لقطع دابر المفسدين فيها، الذين عاثوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد.

فصال عليهم بعزيمة واجتهاد، وقطع دابرهم، وأرسلهم في الأغلال إلى الإمام، وقد كان الإمام أمره أن لا يقطع أمراً فيهم، إلا عن أمر القاضي الحسين المهلا، فامتثل أمره، وتم بمقتضى الشرع الشريف عن نظره.

وله إلى القاضي المذكور عدة رسائل نظماً ونثراً، **فمنها هذه البديعية:**

عُجْ بالغضا ولَعْلَعِ	ورامةٍ والأجرعِ
وقفْ هناك معلناً	بصوتكِ المرجَّعِ
واسأل أُهيلَ المنحنى	عن قلبيَ المستودعِ
قلبٌ به نارُ الهوى	والوجد بين أضلعي
من لا يرى دموعه	في الخدِّ أيّ هُمَّعِ
يبكي اللويلاتِ التي	سلامُها تودّعي
ليلاتِ وصلٍ عَبَرت	عبورَ برقٍ مسرعِ
أيامَ لي ثوبُ الصِّبا	وصفوه مدرّعي
سقا الحيا زمانَهَ	وعيشنا ذاك رُعي

ومنها:

لهفي على مواقفٍ	مضتْ بذاك المربَعِ
كنتُ بها في غفلةٍ	ونعمةٍ لم تُنزَعِ
وشادنِ جفونُه	نبالُها لم تُدفَعِ

واصَلَني تكرماً طبعاً بلا تطبُّعِ
فليت شعري ما له شَطَّ عن المولَّعِ

ومنها:

آهٍ على العيش الذي طالَ له توجُّعي
نديرُ كاساتِ الطِّلا بلفظِ ربٍّ ألمعي
في حَيِّ حيٍّ كلُّهم كالبدرِ عندَ المطلعِ
شموسُ علمٍ نورِهم ما زال ذا تشعشعِ
من آلِ طه معشرٍ ذوي السيوفِ القُطَّعِ
ليوثِ حربٍ إن دُعوا لَبَّوا ببطشِ الأنزعِ
أكرمْ بهم من سادةٍ صدورِ كلِّ مجمعِ

ومنها:

وأنت يا سعدُ إذا نوديتَ يوماً فاسمعِ
أبلغْ حسيناً من له في المجدِ خيرُ موضعِ
قاضي القضاة يا لَهُ من عالمٍ وأروعِ
وعابدٍ وزاهدٍ وناسكٍ وأورعِ
بورِكَ للعالَم في حياته والمربعِ
فخلِّني من غيره كم صنم مُلَفَّعِ
أكرمْ به من عَلَمٍ وعالمٍ ممتَّعِ
وباسلٍ عرفتُه بالكفِّ عاري الأشجَعِ

إن صرف الدهر لم ... يجر ولمّا يمنعِ
يممته مسلماً ... بحالةِ التودُّعِ

ومن جواب القاضي إليه:

يابنَ الوصيِّ الأروع ... ونورَ كلِّ مجمعِ
نَجْلَ النبيِّ من له ... قالَ الإله فاصْدَعِ
ومن أبوهُ الناصرُ الـ ... ـبحْرُ الإمامُ الألمعي
ومن غدا برهانُه ... في العلم أيَّ مرجعِ
وافى إليَّ نظمُه ... كزهرِ روضٍ مُمْرِعِ
في جنةٍ راقت لدى ... فضلٍ بتلك مولَّعِ
أنهارُها كفضةٍ ... تجرى بتلك الأربُعِ

ومنها:

كأنما مرّت على ... سوحِ العظيم الأروعِ
محمدٍ مَن علمُه ... في الناس ذو تنوُّعِ
وإن بدا في محفلٍ ... مشَّرفٍ ممنَّعِ
رأيتَ بحراً زاخراً ... أمواجُه لم تدفَعِ
يُملي علوماً جمةً ... لمسمع ومسمَعِ
يوري الحديث مسنداً ... وإن يُحدِّثْ يرفَعِ
مدبجاً ومرسلاً ... كالغيث إمَّا يهمَعِ
معنعناً معضلَها ... مسلسلاً لمن يعي

كـــم خبـــرٍ منـــه لنـــا غريبُـــه لـــم يرجـــعِ

يزيـــلُ كـــلَّ منكـــر موضـــوعُه لـــم يـــسمَعِ

وهي طويلة.

ومما كتبه إلى القاضي الحسين المذكور، في يوم الأربعاء، رابع وعشرين من شهر شعبان، سنة إحدى وتسعين بعد الألف: قوله:

لئن[1] صرفت عني الهمومُ الطوارقُ وساعدني دهري وما عـاق عـائقُ

وأيـــدني ربُّ العبـــاد بنـــصرِه وتأييدِه لم أخشَ مـا قـالَ فاسـقُ

وحـسبُ الفتـى أن يتقـي الله ربَّـه وما غضبُ المخلوقِ إن يرضَ خالقُ

وأيُّ فتـــى غيـــرَ الإلـــهِ وبطـــشِه أمنـتُ ولـي ربُّ الـسماء مرافـقُ

فقل للأولى قد يحسدوني على العلا لُحيتم أما فيكم مدى الدهر صادقُ

تبـاتُ كأعيـان الغـواني عيـونُكم تملُّكُـمُ عنـد الخمـولِ النمـارقُ

ومنها:

ولي مقلٌ شُهْرَ الجفـونِ ومفـرشٌ سروجُ المذاكي والحسامُ المعـانِقُ

وسُرْدُ الدِّلاصِ الزغْفِ أشرفُ ملبسٍ علـيَّ وللنقـع الكثيـفِ سُـرادقُ

ولي عزماتٌ تـسلب الليـثَ شبلَه وعـزمٌ لـه تعنـو الـذرا والـشواهقُ

ورأيٌ إذا أعملتُـــهُ[2] فـــي ملمـــةٍ يفلُّ فِرِنْدَ الـسيفِ والـسيفُ فـالقُ

---

(1) في الأصل: لأن، والصواب ما أثبت.

(2) في الأصل: أعلمته، والصواب ما أثبت.

سجيةُ آباءٍ كرامٍ غطارفٍ ... إلى المجد سُبَّاقٍ وإني لَلاحِقُ
نَمَتْهُم إلى العليا نفوسٌ كريمةٌ ... تخاف أعاديها وترجو الأصادقُ

ومنها:

وما هي إلا نعمةٌ قد تحدثَتْ ... بها شفتي والحرُّ بالحقِّ ناطقُ
أيا سعدُ عجْ لي بالحسين الذي له ... علومٌ لها بحرٌ على الناس دافقُ
فتًى يُدهش الأبصارَ رأياً وحكمة ... وحلماً وعلماً فهو للناس خارقُ
ونادِ بناديه وقلْ يابنَ ناصرٍ ... عليكَ سلاُم الله ما ذَرَّ شارقُ

ومنها:

لقد أرعدتْ في الأرض من قبل صبوتي الـ ... ـلئامُ وللأوباشِ ثَمَّ بوارقُ
وما صولتي لولا الإمامُ بقوله ... فبورك قولاً فهو للخير سابقُ
أتت نحوه منكَ الطروسُ مذكّراً ... فلبتك منه بِيضُه والسوابقُ
يقودُهم من ليس للخصم مدخلٌ ... عليه ولا للقِرْن إن ضاق مارقُ
فتًى شبَّ في نصر الخليفة جاهداً ... وشاب وما شابَ الزمانُ الغرانِقُ
وقام بأمر الحقِّ عن أمرِ قائمٍ ... هو العدلُ إن جار اللئيمُ المنافقُ
وأنفذت سُبْلاً للمساكين لم يزلْ ... بها ماردٌ طاغٍ وما زال بارقُ

ومنها:

وجاء معي وجهٌ من الحقِّ أبلجٌ ... أضاء به الإسلام فالغشمُ زاهقُ
ولكنني أدعوه دعوةَ وامقٍ ... ونفثةَ مصدورٍ به الصدرُ ضائقُ

ذوى البغي في الأصفاد حرب وآخرٌ لـه شـهاب وهـو والله سـارقُ
لعـلَّ أميـرَ المـؤمنين يحقِّـق الـ ـذي قلتُ أو يدري لما أنا راشـقُ
ومـن يعلـم التلمـيحَ غيـر طليقـه ولولاه ما في الخلـق أروغُ حـاذقُ
وكيف يصحُّ الجسم والرْأسُ موجَعٌ وكيـف ينيـر العـدل والجـو رائـقُ
إليـكَ علـى بعـد الـديارِ نـصيحة لها الودُّ والإخـلاصُ داعٍ وسـابقُ

ومنها:

فـإن نطقـت عنـي بحـقٍّ فأهلُـه وإن كذبَتْ فالمجدُ عنـدي طـالقُ
ويا أيها القاضي الهِزَبْر وخيرَ مـن يُنادى إذا ما الظلـمُ للرفـقِ مـاحقُ
سـلامٌ علـيكم بعـد جَـدِّي وآلـهِ سـلامَ امـرئٍ إن رُمْتَـه لا ينـافقُ
تحيـة ذي قلـبٍ تحـرَّق بـالجَوى ولِـمْ لا وقـد قـلَّ الـوليُّ الـصادِقُ
ولولاكَ في هـذي الرُّبـى للعنتُهـا وأوصـيتها مـا لاح أو ذَرَّ شـارقُ
وإخوتُـك الـصيدُ الكـرامُ علـيهم تحيـــةُ حـــبٍّ بـــالمودةِ واثـــقُ
يقول إذا ما ضم شـملي بـشملكم فريقـا هـوى منـا مـشوقٌ وشـائقُ
ولِمْ لا ولم أُلْـفِ امـرأً ذا حفيظـة بهـا لا ولا قـرمٌ فَتـوقٌ وفـاتقُ
سواك وإخـوانٍ لهـم قـد عـرفُتهم ودادُهُمُ فـي قـائم الـدهر صـادقُ

وتوفي بصنعاء، عام سبعة وتسعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٣٦٢] محمد بن نجم الدين بن محمد بدر الدين بن محمد رضيِّ الدين بن محمـد بن عبدالله بن بدر بن عثمـان بن جابر بن تغلب بن ضوي ابن شداد بن عاد بن مفرج بن لقيط بن جابر بن وهب بن ضباب بن جحيش

ابن معيض بن عامر بن لؤي بن غالب، الغزيُّ الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، العامري القرشي الشافعي[1].

محدث الشام، وخاتمة من بها من الحفاظ الأعلام، وممن بوأه الله في الحديث منزلة عليّة، وجمع له بين العلوم السنية، وممن استجيبت فيه دعوة المصطفى ﷺ، فكان وجهه كالبدر في النورانية، وممن افتخرت به دمشق على سائر البلاد، مع كثرة ما في ذلك العصر من العلماء الأمجاد، وأجمع على جلالته أهل المشرق والمغرب، وانفرد في عصره بعلو الإسناد، الذي هو للعالم أجلُّ منصبٍ.

سمعت شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي يثني عليه، ويقول: إنه حافظ الدنيا في عصره، ويكفيه شهادة مثل هذا الحبر الفخيم، الذي أجمع الناس على علمه العظيم.

وذكره جماعة من المؤرخين، منهم: صاحبنا السيد العلامة محمد أمين ابن فضل الله المحبي الدمشقي، في كتابه «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، فقال: النجم الأرضي، وأبوه البدر المضي، وجده الرضي، ثلاثة في نَسَق، طلعوا فأناروا الغَسَق، وقدمُهم في النباهة، أعلى قدرهم في الوجاهة، فمن يدانيهم، وإلى الكواكب مراميهم، وهم في القديم والحديث، أئمة التفسير والحديث.

لم يبرح المجدُ يسمو ذاهباً بهم حتى أزاح الثريا وهو ما قنعا

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٨٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٤٠) (٥١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٦٣).

والنجمُ انعقدت العشرةُ عليه، وسعت وفود العناية مسرعة إليه، فو النجمِ إذا هـوى! ما ضل صاحبكم وما غوى، والذي به يقتدي المقتدي، وبسمته يهتدي المهتدي، شعر:

هو الـنجمُ يهـدي جميعَ الـورى	فمـن دونـه البـدرُ والـشمسُ دون
وقد صار في الأرض حيثُ انتهوا	وحيــث انتحــوا فبــه يقتــدون
إذا ظلمــةُ الغــي ألــوتْ بهــم	أضــاء فبــالنجمِ هــم يهتــدونْ

وله دعاء يستجاب، وخواطر ليس بينها وبين الله حجاب، فلو حُذِّرَ به المنهمكُ في غوايته، لأمسـك، أو خُوطـب به المتهالك في عصيانه، أناب وتنسَّـك، شغل بالإفادة أيامه ولياليه، ونظم على جيد الأيام فرائدَه ولآليه، وتأليفاتُه كاثرتْ رملَ النقا، وأربت على الجواهر في الرونق والنقا، مع ما له من كرم يخجل الأجواد، وسخاء أضحت عوارفه كالأطواق في الأجياد، لم يُرو في التواريخ كأحاديثه الحسان، ولم يسطر كآثاره في الحسن والإحسان، وله شِعر كقدره ثمين، إلا أنه كالياسـمين، فيكتب لشرفه، لا لكثرة طُرفه. انتهى.

قلت: مولده سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين فيهما ـ وتسعمائة، ومات والده وعمره سبع سنين، وأجازه بمروياته، وقرأ القرآن العظيم على الشيخ يحيى العماد، وبالروايات على حسن الصلتي، ولازم العلامة الشهاب أحمد العيثاوي سنة تسعين وتسعمائة، وقرأ عليه «المنهاج» تقسيماً وانفراداً، وشَرْح والده الصغير، وسمع عليه نبذةً من «شرح الإرشاد» لابن حجر، بقراءة الشيخ شرف الدين الدمشقي.

وكان الشيخ العيثاوي يحبه، ويجله، ويعامله معاملة الوالد لوالده، واستنابه في حياته في وظائفه وخطبه، ثم زوجه إحدى بناته، فولدت له بدر الدين محمد، المتقدم ذكره، ثم ماتت، فزوجه أختها، فولدت له الشيخ العلامة السُّفودي، ولما حضرته الوفاة، أذن له بالكتابة على الفتوى، فكتب على الفتاوى، وأمره أن يباشر تدريس الشامية البرانية عنه، فباشرها، ثم فرغ له عنها.

وتولّى المترجَم إفتاء دمشق، فكان محدثها ومفتيها، وناشر لواء الإفادة بنواديها.

ومن مشايخه: الملا أسد الدين التبريزي، والقاضي محب الدين الحموي، وكتب له بالإجازة شيخ الإسلام الشمسُ محمد الرملي، والشيخ نور الدين الزيادي، وعلي بن غانم المقدسي.

وكان المترجم يميل لفن الأدب، ومفاكهة أهله، ويمزج ـ للطافته وحسن أخلاقه ـ جِدَّ القول بهزله، فتارة ينظم في الغزل ما تصبو إليه القرائح، وطوراً[1] يجني الأجنة بما يجتني ثمار الوعظ والنصائح.

وحج مراراً، وأخذ عن علماء الحرمين في عصره، وأجازوه، وقد جمع أسماء شيوخه، ومن روى عنه في فهرس كبير، وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون، منهم: محمد بن بلبان، وعلي القروي، وعبد القادر الصفوي، ونجم الدين الرضي، وأخوه الكمال محمد العيثاوي، ومحمد الخباز، ومصطفى بن سوار، والسيد محمد بن كمال الدين النقيب.

---

(١) في الأصل: فَطوراً، والصواب ما أثبت.

وبالجملة: فإنه كان في عصره شيخ الشام على الإطلاق، جامعاً للكمالات الجميلة، ومحاسن الأخلاق، وحائزاً أنواع الفضائل والعلوم، ومحتوياً على بدائع المنثور والمنظوم.

وإذا تكلم في الحديث بلفظه الجاري، أقر كل مسلم بأنه البخاري، وأجمعت على تفرده في عصره بعلوم الحديث علماء البلاد، واتفقت على ترجيحه بعلو إسناد والده البدر الذي اشتهر في الآفاق، وفاق علماء عصره بالاتفاق، خصوصاً بتفاسيره الثلاثة المنظومة، أكبرها في ثلاثين ألف بيت، والوسط في عشرين ألف، والصغير في عشرة الآف، مزج فيها جميعها القرآن مزجاً غريباً سهلاً من غير تكلف، وكذلك شروحه على ألفية ابن مالك الثلاثة المنظومة.

والحاصل: أنهم ذرية بعضها من بعض، ملأ فضلهم طول الأرض والعرض، فعلمُهم لا يخفى على أحد، وفضلُهم شاع وذاع في كل بلد ـ قدس الله أسرارهم، وأعلى في الدارين منارهم ـ.

وله المؤلفات الكثيرة الفاخرة، منها: «الكواكب السائرة بأخبار علماء المائة العاشرة»، وذيله المسمى: «لطف السمر وقطف الثمر بتراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر»، و«كتاب جمع فيه أشراط الساعة» نظماً أوصلها إلى ألف، وشرحه في مجلدٍ ضخمٍ سماه: «تحبير العبارات في تحرير الأمارات»، و«مقصورة في أحوال أبناء عصره» تبلغ ستة عشر ألف بيت.

وله «التنبه في التشبه» في أربع مجلدات لم يؤلف قبله مثله، وعقد «النظام لعقد الكلام»، و«شرح على ألفية جده الرضي في التصوف»، و«شرح منظوم

على منظومة والده النحوية» المرسلة إلى مصر للشمس الرملي، فقرظ له عليه نظماً، ذكرته في ترجمة الشمس الرملي، وكتاب «الدر النضيد»، و«شرح على لامية ابن الوردي» التي أولها:

اعتــزلْ ذكــرَ الأغــاني والغــزلْ وقــلِ الجِـدَّ وجانــبْ مــن هَــزَلْ

وابتُلي في أواخر عمره بالسَّكتة في الدرس فقط.

سببُها أن الشيخ المجذوب حسين بن فرفرة كان يأتي إلى درسه بالجامع الأموي تحت قبة النسر، وهو يُقرئ الحديث، فيجلس في وسطه ويتكلم بالهذر من الكلام الذي لا يفهم على طريقة المجاذيب ويرفع صوته بذلك، فأكثر الكلام يوماً، وأشغل الحاضرين، فقال له الشيخ: اُسكت يا حسين، فقال له: اُسكت أنت، وصادف حالاً له، فسكت الشيخ من ساعته، وصار من ذلك الآن لا يستطيع التكلم في الدرس بكلمة واحدة، وكان يأتي بعدها إلى الدرس، فيقرأ عليه القارئ الحديث إلى أن يُتمّه، فيتكلم الطلبة بعضهم مع بعض، وهو ساكت إلى أن يُتموا الكلام فيما بينهم على الحديث، وإذا أشكلت عليهم مسألة رفعوها إليه في بيته، فيحُلّها لهم، ولم يَخْتَل على الشيخ شيئ من حاله وعلمه وفهمه، إلا عدم استطاعته التكلم في الدرس ثم لم يزل على هذا الحال إلى أن توفي ثامن عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وستين وألف بدمشق، ودفن بتربتهم، بقرب الشيخ رسلان ـ نفع الله به ـ.

ومما امتحن به ـ رحمه الله ـ: أنه لما مات شيخه الشيخ أحمد العيثاوي، وكان مدرس الحديث بمسجد دمشق، تحت قبة النسر، وكان يظن أنه لا يعدل به عنه؛ لقرابته من الشيخ، وكمال علمه، فلم يتم له، ووجه للشيخ شمس

الدين الميداني؛ لكونه أسن منه وأشهر منه، إذ ذاك، فحصل له غاية التعب.

ثم توجه إلى الروم؛ رجاء أن تتم له من ثمة، فوصل إلى القسطنطينية، ونزل على شيخ الإسلام إذ ذاك ـ أظنه يحيى بن زكريا ـ، وكان تولى دمشق سابقاً، ويعرف الشمس والنجم ومكانتهما، فعرض عليه مدارس أخرى غيرها، ومعاليم جسيمة بدلها، فلم يقبلها، وصمم على طلب التدريس المذكور.

فلما أيس المفتي منه، تلطف به، وألان له القول، وأعمل له المكيدة والحيلة، وكتب براءتين سلطانيتين بالتدريس المذكور: واحدة باسم الشمس الميداني، وأخرى باسم النجم الغزي، وأمضاهما بالعلامة السلطانية المعروفة عند أهل الروم، ثم عرض البراءة التي باسم النجم، وأشرفيها عليه، فاستقر خاطره، وسُرَّ بذلك، وأمر المفتي خادمه أن يكتب عليه كتاباً ويختمه، ويضع البراءة باطنه، فذهبا الخادم ليختمه، وكان مواعداً لخادمة أن يضع البراءة التي للشمس باطن الكتاب، ويبقي عنده براءة النجم، ففعل الخادم ذلك، ثم دفعه للنجم، وأمره أن لا يفتح الكتاب إلا بين يدي قاضي دمشق، إذا وصل إليها؛ ليكون أقوى له وأثبت.

فلما وصل النجم إلى الشام، خرج إليه أكابرها وعلماؤها، يتلقونه من خارج البلد؛ كجاري عادتهم إذا وصل أحد من الروم، وحصل له بها قبول، ودخلوا به إلى بيته، ثم ذهبوا جميعهم إلى قاضي البلد؛ ليسجل له المرسوم السلطاني.

فدفعه للقاضي مختوماً، فلما أراد القاضي فتحه، قال له النجم: لا تفتحه إلا بحضور الشمس الميداني، فأرسل بطلبه، فأتى إليه، ودخل عليه، وهو

لا يظن إلا أن التدريس خرج عنه، وصار للنجم الغزي، فقال له القاضي: يا مولانا جاءنا مرسوم سلطاني، مرادنا نقرؤه عليكم، ففتح القاضي الكتاب، وفي باطنه المرسوم السلطاني، فلما شرع في قراءة المرسوم بنفسه، فإذا مضمونه: إن جميع ما على الشمس الميداني من المعاليم والتداريس، وتدريس القبة المذكورة، باقٍ عليه، مقرر به غير معارض من أحد، كائناً من كان، وإن النجم الغزي لا يعارضه فيه، ولا في شيء من وظائفه، مع تأييد شديد، وعظيم تأكيد على الواقف على المرسوم، من خدام السلطنة العلية، أن يزيدوا في تعظيم الشمس وتوقيره، وقبول شفاعته.

فلما قرئ المرسوم، تعجب القاضي ومن في المجلس من أكابر البلد وعلمائها، وكاد النجم الغزي يموت حياءً، وتحقق المكيدة من المفتي، ورجع بخفي حنين، وذهب الشمس الميداني إلى بيته، ولم يظهر منه تغير حال، ولا انبساط ولا عجب، وقبض المرسوم من القاضي، وأوصله القاضي إلى خارج باب مجلس الحكم، واستمر عليه التدريس إلى مات، فوجه للنجم الغزي، بغير معارض ولا مشقة، إلى أن مات أيضاً رحمه الله بمنّه ـ.

ومن غريب الاتفاق: أن النجم جلس في التدريس المذكور، تحت قبة النسر مدرساً سبعاً وعشرين سنة، بقدر الشمس الميدانيٍ الذي كان قبله.

ومن شعره: هذه الزائية، التي عارض بها قطب مكة الذي عليه المدار، وقمر أفقها الذي يأبى غير الإبدار، وهي قوله:

سبحانَ مَنْ للوجود أبرزْ رَشَأً بحكمِ الهوى تعزَّزْ
زادَ على الريمِ في دلالٍ وعن جميع المَها تميَّزْ

أحــوى وللطــرفِ لــيس منــه ... أحــوى ولا للبهــاء أحــوزْ
لقــد كــساه الجمــالُ ثوبــاً ... بــألطفِ اللطــفِ قــد تطــرَّزْ
رنــا بطــرفٍ جــآذِريٍّ ... كأنــه للوصــال ألغَــزْ
وعــداً ولكــن بــلا نجــازٍ ... يـا حبـذا الوصـلُ منـه لـو تنجَّـزْ
بعثـت بـاثنين مـن خضوعي ... وثالــثٌ بعــدَ ذيــنِ عــزَّزْ
أرجــو وصــالاً منــه بعــزٍّ ... مــن عَــزّ وصــلُه فقــدَ بــزّ
فمـا رثـى لـي ولا وفـى لـي ... وقــد قــسا قلبُــه ولــزَّزْ
وعــفّ إلا عــن قتــل مثلــي ... فإنــه عنــه مــا تحــرَّزْ

قوله: من عز بز، مَثَلٌ معناه: من غلبَ، سلبَ، قالت الخنساء:

كــأن لــم يكونــوا حِمًــى يتقــى ... إذِ النــاسُ إذ ذاكَ مَــنْ عــزّ بــزّا

قال المفضَّل: أول من قال ذلك: رجل من طيء، يقال له: جابر بن رألان، أحد بني ثُعل، وكان من حديثه: أنه خرج ومعه صاحبان له، حتى إذا كانوا بظهر الحيرة، وكان للمنذر بن ماء السماء يومٌ يركب فيه، فلا يلقى أحداً إلا قتله، فلقي ذلك اليوم جابراً وصاحبيه، فأخذتهم الخيل بالثوية، فأُتي بهم المنذر، فقال: اقترعوا، فأيكم قرع خليت سبيله، وقتلت الباقين، فاقترعوا، فقرعهم جابر بن رألان، فخلى سبيله، وقتل صاحبيه، فلما رآهما يقادان ليقتلا، قال: من عَزَّ بَزَّ، فأرسلها مثلاً.

وقصيدةُ القطب مطلعها:

أقبــلَ كالغــصنِ حــين يهتــزَ ... ميــلَ قــدودٍ تميــل فــي الخَــز

وللمترجم:

أخوك في الإسلام يجديك في	علمٍ ورأيٍ منه أو أنسِ
كان قد احتجت إلى نفعه	وإذ به قد صار في الرمسِ
ما أحوجَ المرءَ إلى خلِّه	وأحوجَ الجنسَ إلى الجنسِ
ويلاه من عصرٍ رُزِئْنا به	على افتقادِ الكُمَّل الخُمسِ
لسنا نرى ممن مضى واحداً	ولو بلغنا مطلعَ الشمسِ

هذا معنى موجود في الأثر، وذلك ما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن سليمان بن موسى الأشدق، قال: أخوك في الإسلام إن استشرته في دينك، وجدت عنده علماً، وإن استشرته في دنياك، وجدت عنده رأياً ما لك وله، وإن فارقك، لم تجد منه خلفاً. انتهى.

ومن هذا ما نقله الشعراني في «طبقاته» عن الشيخ أبي المواهب الشاذلي: أنه كان أهل الخصوصية من هو وفيهم أيام حياتهم، فتأسف عليهم بعد مماتهم، وهناك يعرف الناس قدرهم، حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم، وقد قيل في هذا المعنى:

ترى الفتى يُنكر فضلَ الفتى	ما دامَ حياً فإذا ما ذهبْ
يحمله الحرص على لفظةٍ	يكتبها عنه بماء الذهبْ

ومن مقاطيعه قوله:

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ	على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخانِ يعلو بنفسهِ	إلى طبقاتِ الجوِّ وهو وضيعُ

وقوله:

لا تكـــــرهَنَّ حـــــسوداً يجـــديك نـــشر الفـــضيلهْ
كَـــمْ مـــن حـــسودٍ مفيـــدٍ مـــا لـــم تفـــدْهُ الفـــضيلهْ

ومثله لوالده البدر:

الحمـــدُ لله علـــى فـــضلِه إذ صَـــيَّرَ الحاســـدَ لـــي يخـــدمُ
يجهـــدُ فـــي رفـــعِ مقـــامي وفـــي رفـــعِ علـــومي وهـــو لا يعلـــمُ

ومثله لابن الوردي:

سبحانَ مـن سـخر لـي حاسـدي يحـدِثُ لـي فـي غَيبتـي ذِكْـرا
لا أكـــرهُ الغيبـــةَ مـــن حاســـدٍ يُفيـــدني الـــشهرةَ والأجـــرا

ولأبي حيان:

عِـداايَ لهـم فـضلُ علـيّ ومِنَّـةٌ فلا أذهبَ الرحمنُ عنِّي الأعاديـا
همو بحثـوا عـن زلتـي فاجتنبتُهـا وهم نافسوني فاكتـسبتُ المعاليـا

ومن نظمه، في حديث ابن ماجه، عن أبي سعيد يرفعه: «سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم، فقولوا لهم: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ»:
قوله:

لقد أوصـى النبـيُّ الـصحبَ يومـاً بقـــومٍ يـــسألون العلـــمَ عنـــهُ
إذا جـــاؤوهم أن يكرمـــوهمْ ويُنبـــوهم بمـــا ســـمعوه منـــه
فمن طلـب الحـديث يَجِـلُّ قـدراً ولا يـــدرَكْ لـــه كنـــهٌ فكنـــهُ

وقوله:

يا ربِّ جدْ لي بالندى والهدى ... لا ملجأَ منك إلا إليكْ

يا ربِّ آنسني لك حمداً على ... فضلك لا أحصي ثناء عليك

وقوله مفرد:

ظلمُ الظلومِ مثلُ نارِ الحَلْفا ... فوراً تثورُ وسريعاً تُطفى

وقوله:

دبرتُ أمرَكَ عندما ... كنتَ الجنينَ ببطنِ أُمِّكْ

وعليكَ قد حَنَّنْتُها ... حتى لقد جادتْ بضمِّكْ

فاذهبْ عن التدبير في ... كلِّ الأمور بكلِّ عزمِكْ

إنَّا لكافوكَ الذي ... يأتي بعزمكَ أو بِهمِّكْ

ولعلمِنا بكَ يا فتى ... نُغنيك عن تدقيقِ فهمِكْ

فالجأْ إلينا ضارعاً ... نأخذْ بكفك في مُهِمِّكْ

وقوله:

أُعاطيه كؤوساً من لُجَينٍ ... فيجعلُ لي من الذهب الوفاءَ

ولستُ مرابياً في ذا ولكنْ ... خيارُ الناسِ أحسنُهم قضاءَ

وقوله:

انظر إليه كأنه متبرمٌ ... مما تغازله عيونُ النرجسِ

فكأنَّ صفحةَ خدهِ ياقوتةٌ ... وكأن عارضه خميلةُ سندسِ

وقوله:

لنـا نفـوس إذا هـي انـصدعتْ بلحـظِ طـرفٍ تقـوم سـاعتُها
عـزَّتْ فعاشـت بفقـدِها رغـداً وفـي اعتـزالِ الأنـامِ راحتُهـا

وقوله:

بلغتُ من الجَوى ما ضقتُ عنه فخلِّـصْني بفـضلك ربِّ منـهُ
إلهـي إن حُبَّـك فـي فـؤادي فأنقـذْه مـن البلـوى وصـنْهُ

وقوله:

قـال صحبي عـن الـدخان أجبْنـا هـل لـه فـي كتابنـا إيمـاءُ
قلـتُ مـا فَـرَّطَ الكتـابُ بـشيء ثـم أرخـتُ (يـوم تـأتي الـسماءُ)

وقوله:

عـن النبـيِّ أتانـا مـن رأى امـرأة أحـل فـي قلبـه للحسن موقعَهـا
فليـأتِ زوجتَـهُ فلـيقضِ حاجتَـهَ إن الـذي معهـا مثـلُ الـذي معَهـا

وقوله:

تلـمّ المعـاني بـالقلوب كأنهـا عرائسُ تُجلى في عقود مـن الـدُّرِّ
وتذهبُ حتى لا تراهـا فـإن تجـدْ لها لمماً بالقلب يخلج في الصدرِ
فبـادرْ إلـى تقييـدها بكتابـة فذلكَ ذخرٌ وهي من أنفـعِ الـذخرِ
لكـمْ لاح لـي أمـرٌ وراحَ وعنـدما أطالعُـه ألقـاه مـن أعجـب الأمـرِ
ومـا العلـمُ إلا روضـةٌ مـستنيرة فطوراً إلى نـور وطـوراً إلـى ثمـرِ

وما زلتُ في تلك الرياض معاطياً نفائسَ ما تحويـه مـن أول العمـرِ

[٣٦٣] محمد بن محمد السُّوداني.

نزيل المدينة الشـريفة، كان من أكابـر الفضـلاء، جال بلاد المغرب، وقرأ ببعض نواحيه، ثم توجه منه إلى الحج، واستوطن المدينة مدةً طويلةً، مرموقاً بعين الإجلال، مظنوناً به الصلاح.

ثم توجه إلى بغداد، ودخل الكوفة، وحصلت له هناك وجاهةٌ عند أهل تلك الناحية من المالكية، وتزوج هناك، وانتفع الناس به، ثم حصلت له آفةٌ في عينيه، فكف بصرُه، ثم رجع إلى المدينة، واستقر بها، وصار من المدرسين، يُقرئ في فنون العلوم، حتى نيفٍ وسـتين وألف، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٦٤] محمد بن محمد الهُرَيري ـ مصغراً ـ الحلبي[1].

نزيل دمشق، كان من فضلاء وقته، عالماً وعاملاً، منكفاً عن الناس، نساخاً للكتب، وخطه متوسط، لكنه صحيح مبيّن مضبوط، لا يكاد يُرى فيه تحريف، ولذلك كان يُرغب في خطه، حتى كتب كتباً كثيرةً مقبولةً إذا عرضت.

توفي بدمشق، في نيف وستين وألف، ودفن بمرج الدحداح.

وله أشـعارٌ كثيرةٌ، منهـا: قولـه محاجياً في مِقراض، وأرسل بها إلى عبد الكريم الطاراني الميقاتي بدمشق، سنة أربع عشرة وألف:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٠٠)، وذكر وفاته في سنة سبع وثلاثين وألف، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٢).

يـــا أيهـــا الحبـــرُ الـــذي ... منـــه الأفاضـــلُ تـــستفيدْ
يـــا فاضــــلاً أقلامُــــه ... قــد أذكــرت عبــدَ الحميــدْ
ومـــن لـــه فـــي المـــشكلا ... تِ الفهـــمُ والقـــولُ الـــسديدْ
أوليـــتَ كـــلَّ مكمـــل ... مـــن وفـــرك البحـــر المديــدْ
مـــا مثـــل قولـــك للـــذي ... حاجيتـــه أحبـــبْ مريـــدْ

فأجابه بقوله أولها:

يـــا مـــن يُبـــين المـــشكلا ... تِ بفهمـــه العـــالي الـــسديدْ
ومـــن ابتنـــى بيـــتَ المعـــا ... لـــي ســـامياً وغـــدا فريـــدْ
وحـــلا بحـــلِّ الغامـــضا ... تِ محليـــاً جيـــدَ القـــصيدْ
بجـــواهرِ الـــدررِ التـــي ... يَعنُـــو لهـــا ابـــنُ أبـــي الحديـــدْ
وبهـــا يـــدين أبـــو نُـــوَا ... سٍ والمفـــضَّلُ مـــع لَبيـــدْ
يـــا كـــاملاً أشـــعارُه ... مـــن دونهـــا الـــدرُّ النـــضيدْ
أذكرتَنـــي ببلاغـــة ... نمقتَهـــا عبـــدَ الحميـــدْ
مـــستفهماً عـــن آلـــة ... للقـــصِّ يـــدريها المريـــدْ
فطربـــتُ مـــن لفـــظ غـــدتْ ... منـــه الأفاضـــلُ تـــستفيدْ
وفهمـــتُ منـــه لفـــظَ مقـــ ... ـــراضٍ ومعنـــاه أحيـــدْ
لا زلـــتَ تُحيـــي ميِّـــتَ الـــ ... آداب بِالفـــضلِ المديـــدْ
وبقيـــتَ ترفُـــلُ فـــي ثيـــا ... ب العـــزِّ والعـــيشِ الرغيـــدْ
مـــا نـــاحَ قمْـــريٌّ فهـــا ... ج بلابـــلَ الـــصبِّ العميـــدْ

[٣٦٥] محمد بن محمد المكنى الطرابلسي.

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: من أعلم أهل بلده طرابلس المغرب، كانت له مشاركةٌ حسنةٌ في فنونٍ كثيرةٍ، أخذ عن محمد ابن مساهل مفتي طرابلس، وعن غيره، وكان له عقلٌ، وزيادة نبل.

ومهر في فنون عديدة، وفاق أقرانه، ولما عزل شيخه المذكور عن الفتوى، وليها، فحمدت سيرته، وظهرت نجابته، وسدد في فتواه، وولي بها تدريس الجامع الكبير، والخطابة والإمامة.

لقيته بداره، واستعرت منه «المطول» لسعد الدين، فأعاره، وكانت له خزانة كتبٍ ليس مثلها لأحدٍ من أهل بلده، ثم استعرت منه «العضد على مختصر ابن الحاجب»، وكان ذلك قبل رحيلنا، فأعاره، وكتبت له مع الرسول بيتين وهما:

فَمُنُّوا به قبل الرحيل لنا كما ... تطوَّلْتُم من قبله بالمطوَّلِ

فإنكم أهلٌ لكل فضيلةٍ ... كما أنكم أهلٌ لكل تفضُّلِ

توفي والده قريباً من سنة ست وخمسين بعد الألف، وتوفي المترجم بعد سنة خمس وسبعين وألف ـ رحمهما الله تعالى ـ.

[٣٦٦] محمد بن محمد بن محمود بن عبد الحق العمري الشافعي الطرابلسي.

عالم الشافعية في عصره بطرابلس الشام، كان إماماً جليلاً، عالماً عاملاً زاهداً، منكفاً عن الناس، مشتغلاً بما يعنيه من أمور دينه ودنياه، قرأ ببلده على كثير، وأخذ بدمشق عن النجم الغزي، ومن في طبقته، وأجازوه.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على نشر العلم، والاشتغال به، إلى أن مات سنة ثمانين وألف تقريباً، ولما قدم الأمير منجك إلى طرابلس، اجتمع به، وصارت بينهما ألفةٌ ومودةٌ، ومدحه بقصيدةٍ مطلعها:

طرابلس هي الدنيا جميعا إذا ما كان ابنُ عبدِ الحقِّ فيها

ولم يكن فيها في عصره من الشافعية من هو أفقه منه، إلى ما حواه من العلوم العقلية، وسلوك طريق الصوفية. . .[1].

[٣٦٧] محمد بن محمد بن محمود بن محمد بن أحمد بن محمد ابن خضر بن محمد بن خضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي المناشيري الصالحي الدمشقي الشافعي[2].

كان صاحب فضلٍ كبيرٍ، وأدبٍ غزيرٍ، قرأ على والده، وعلى علي النجار، والقاضي حسين العَدَوي، ومحمد بن بلبان، وعلي الغَزْوي، وعبد الوهاب الفُرفوري، ومحمد الأسطواني، ومحمد المحاسني، وعبد الباقي الحنبلي.

مولده يوم الثلاثاء، بين الظهر والعصر، رابع عشر شهر ربيع الثاني، سنة سبع وعشرين وألف، **ووفاته** في نيف وثمانين وألف، والمناشيري نسبة إلى المناشير، وهي رقاع الأحكام، وكان جده خضر الأدنى كاتبَ الإنشاء بالديار المصرية ـ رحمه الله ـ.

[٣٦٨] محمد بن محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي الشافعي[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطر بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٠).

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠١).

فاضل وافي الفضيلة، ذو فنون جليلة، عارفٌ بحقائق التنزيل، ماهرٌ في معرفة التفسـير والتأويل، إمام في الفقه، مشارك في جميع العلوم، صحيح الفهـم في كل منطوق ومفهوم، ذو رتبة عالية المقدار، ومنزلة رفيعة المنال والمنار.

أخذ عن النجم الغزي، ومن في طبقته، وأخذ عنه كثير، من أجلهم: عبد القادر بن عبد الهـادي العمـري، وأبو السـعود بن تاج الدين، وباشـر الوظائف الدينية، ودرس تحت القبة النسرية بجامع دمشق، ولـم يزل يدرس في فنون العلوم، حتى وافاه أجله المحتوم، سنة ثمانين وألف.

وقد رأيته في سـن الصغر، ودعا لي بدعواتٍ أرجو بها الظفر، وسأله بعض تلامذته في درسـه: لم دخل النفي [على] لا إله إلا الله؟ فأجاب على البديهة: إنما دخـل النفي في هـذه الكلمة؛ لتحقيـق الإثبات؛ فإن قـولك: لا صديق لي إلا أنت، أشدُّ تحقيقاً من قولك: أنت صديقي. انتهى.

والعيثاوي: نسبةٌ إلى عَيْثا ـ بفتح العين، وسكون الياء التحتية المثناة، بعدها ثاء مثلثة، وألف مقصورة ـ: قرية من قرى دمشق.

[٣٦٩] محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو الدرعي، نسبة إلى «درعه»: واد بالمغرب الأقصى[١].

كان عالم المغرب في عصره، إماماً في التفسير والحديث وفقه مالك، يعرف «المدونة» معرفةً جيدةً، وكثيرٌ من أولاده يحفظها؛ لعنايته بها، وكان

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٩) (٦٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٨٣)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٣).

ممن اجتمعت القلوب على حبه واعتقاده؛ حيث كان مجللاً، حسن الخلق، متواضعاً كريماً، صاحب زاوية في بلده، وبيته منزل للوافدين عليه من الغرباء وطلبة العلم، مشهورٌ بالمغرب شهرةً قويةً.

ولد في شهر رمضان، سنة إحدى عشرة وألف، وقرأ بالمغرب على شيوخٍ كثيرين، منهم: العلامة محمد بن سعيد المَيْرَغني المراكشي، وأجازه إجازةً حافلةً بمروياته، ومن شيوخه: علي بن يوسف الدرعي، كان إماماً محققاً، من أكابر أولياء الله تعالى، وكان يرى النبي ﷺ يقظةً، ومنهم: محمد بن أحمد المصمودي، نسبة لمصمودا: قرية بالمغرب، ومنهم: الشيخ أبو بكر السجستاني، تلميذ الشيخ إبراهيم اللقاني.

وقدم مصر للحج مرةً سنة سبعين وألف، وأخرى سنة ست وسبعين، واجتمعت به فيها، وأخذت عنه، وأجازني بمروياته، وكان ينزل في مصر، ببيت الشيخ عبد السلام اللقاني؛ لما بينهما من المودة القديمة بالمكاتبة، وأخذ بمصر عن شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وعبد السلام اللقاني، وعبد المعطي المالكي، وأخذ عنه كثير، منهم: العلامة محمد بن سليمان الروداني، وعبد الملك السجلماسي بالمغرب، وشيخنا منصور الطوخي، وأحمد البشبيشي.

وله مؤلفاتٌ، منها: «غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب»، ومنها: «وسيلة العبد الضعيف إلى مولاه اللطيف»، و«سيف النصر على كل ذي بغي ومكر»، و«مناسك الحج»، و«منظومة في قواعد الإسلام».

توفي في شهر صفر، سنة خمس وثمانين وألف، ببلده وادي درا،

وأعقب ذريةً صالحةً، من أجلهم: ولده شيخنا أحمد، قدم مكة مرتين أيضاً، واجتمعت به في الثانية، سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، وأخذت عنه أيضاً، وأجازني بمروياته، ولقنني أذكاراً نافعةً، ورجع إلى بلاده ـ بلغه الله سلامته وكرامته ـ وأخبرني أن مولده، في شهر رمضان، سنة سبع وخمسين وألف، وأكثر أخذه عن والده.

[٣٧٠] محمد بن كمال الدين محمد بن محمد بن حسين بن كمال الدين بن محمد بن حمزة بن أحمد بن علي بن الحافظ شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن علي ابن الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط المجتبى بن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب الحسيني الدمشقي الحنفي(١).

نقيب الأشراف بدمشق، ورئيسها في عصره، كان علامة دهره في غالب العلوم، كما شهدت بذلك أهل الفهوم، من العرب والروم، واشتهر صيته وذكره، وعلا في الخافقين قدره، وبوأه الله في العلم منزلةً عليةً، إلى ما حواه من النفس الرضية، والشيم الهاشمية، والمكارم الحاتمية، والشرف الذي ينطح النجوم، وتخضع له التخوم، والجاه العميم، والخلق العظيم.

مولده في غرة رجب، بدمشق، سنة أربع وعشرين وألف، وبها نشأ، وقرأ القرآن العظيم، وأخذ الحديث والفقه عن محمد بن منصور بن المحب،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٢٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٥).

وعلي القَبَرْدي الصالحي، ومحدث دمشق النجم محمد الغزي، وحج، وأخذ بمكة عن محدثها محمد علي بن علان، وأجازه بمروياته.

وعنه أخذ العلامة محمد بن سليمان المغربي، وشيخنا عبد القادر البغدادي، لما قدما دمشق، ومحمد أبو المواهب الحنبلي، وعبد الحي العكري، وعثمان القطان، وعبد القادر بن عبد الهادي، وأخي محمد شاهين، وغيرهم.

وكان منزلنا بدمشق قريباً من داره، وبينه وبين طائفتنا خصوصيةٌ ومحبةٌ، وكان يمازحني كثيراً وأنا صغير، ويقول لأخي محمد شاهين: إني أتفرس في أخيك أن يصير عالماً فيه بركة، ولعل الله يحقق ذلك.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح تنوير الأبصار»، و«حاشية على البيضاوي»، و«حاشية على شرح الألفية» لابن الناظم.

وكان له ولدٌ فاضلٌ نحريرٌ، أكبر أولاده، اسمه عبد الرحمن، توفي قبله بقليل، وجزع عليه كثيراً، وله فيه مرثيات، وبعد وفاة ولده بأيام، عزل من منصب النقابة، فسافر إلى الروم، ورجع بمنصبه.

ثم توفي سلخ صفر، سنة خمس وثمانين وألف بدمشق، ودفن بالصالحية، بالتربة الإيجية، تربة آبائه وأجداده.

وله الشعر الأنيق، البديع الرقيق، منه: قوله يمدح السيد عبدالله الحجازي الحلبي، حين قدم دمشق، قاصداً للحج:

جاد الغمامُ الروضَ سَحّا ... فاستجْدَ من ريّاه نَفْحا

واستجلِ من زهر الربى ... قبل ابتسامِ الصبحِ صُبحا

واجنحْ لوانية الأصا ... ئل في الخمائل تلقَ نُجْحا

واصِــــغْ لهينمـــــةِ الـــصَّبا　　　واســمع مــن الغِرِّيــد صَــدْحا

يغنيـــك عـــن ألحـــانِ معـــ　　　ـــبد أو زنـــام إن أَشَـــحا

واشــربْ علــى ضــففِ الغديـــ　　　ـــرِ بهـــا كـــؤوسَ الــراح طفْحـــا

وأجِـــدْ محادثـــةَ النديـــ　　　ـــمِ تجــد ســقيمَ الــودِّ صَــحّا

ومنها:

وتـــولّ إفـــراغ المعـــا　　　نـــي فـــي مبـــاني القـــول لَقْحـــا

فهمـــا الغنيمـــةُ بافتنـــا　　　نـــك فـــي البيـــان منـــاكَ سَــمْحا

مـــا البكـــرُ إلا التبـــر إن　　　عاصـــاك زنـــدُ الفكـــر قَـــدْحا

إنـــا بمـــدح مـــسددٍ　　　فـــالفكرُ يرشـــح فيـــه رَشـــحْا

ومنها:

فـــإذا تـــولى وجهـــه　　　فُتحـــت لـــه الأبـــوابُ فَتْحـــا

كـــصفاتِ تِـــرْبِ المكرمـــا　　　تِ أخـــي العـــلا المرغـــوب مـــدحا

فـــرعُ الكـــرامِ الرافعيـــ　　　ـــن لهـــم بـــأوج المجـــد صَـــرْحا

مـــولًى أحـــاط بكـــل منـــ　　　ـــقبة فـــأغنى عنـــك شَـــرْحا

وأقـــامَ ســـوقَ الفـــضل كـــا　　　ســـدةً فـــضاعفَ فيـــه رِبْحـــا

ومنها:

مـــا جـــال طـــرفُ مـــضائه　　　فـــي البحـــث إلا كَـــرَّ سَـــبْحا

وافـــى دمـــشقَ ركابـــهُ　　　فأفادنـــا أدبـــاً ونُـــصْحا

وأنالنـــا شـــرفاً أفـــا   د صـــدورَنا بـــالأنس شَـرْحا
وكفـــى الفتـــى زمـــنٌ بـــصفـ   ـــوِ مـــسرَّةٍ أمـــسى وأضـــحى
مـــولاي يـــا مـــن سَـــرَّ أفـــ   ـــئدةً بلطـــفٍ منـــه قَرْحـــى

ومنها:

يـــابنَ الفـــواطمِ والمكـــا   رمِ مُثْبَتـــاتٍ لـــيسَ تُمْحـــى
أوليتَنـــي نظمـــاً يـــرقْ   قُ فيـــسترقُّ الحـــرَّ سَـــمْحا
مـــصقول ألفـــاظٍ تكـــا   د تـــرى المعـــاني فيـــه لَمْحـــا
هـــو لا ســـواه الكيميـــا   ءُ لأنهـــا فـــسدَتْ وصَـــحّا
لا البحتـــريُّ ولا الـــسَّرِيْ   يُ يـــدانيان مـــداهُ فَـــسْحا
مـــا عارضـــتْهُ قريحـــة   إلا وعـــادت منـــه قَرْحـــى

ومنها:

كَلِفَـــتْ بـــه شُـــمُّ المعـــا   طـسِ حـين ذاقـتْ منـه ملحـا
وبـــه رُفِعـــتُ مـــن الحـضيـ   ـض وصـرتُ للعليـاء سَطْحا
أفـــلا أتيـــهُ بـــه وإن   صـــادفتُ مـــن مرمـاه قَـدْحا
وأجـــرُّ أذيـــالَ الفخـــا   ر ولا ألام بـــه وأُلحـــى
مـــولاي عـــذراً إنهـــا   مـــن فكـــرة بـــالبين مرحـــا
منحـــتْ بمـــدحك فاستقلْـــ   ـــلَت أن تـــروم ســواك منحـا
وتباركـــت عـــن كاشـــح   وتزينـــت جِيـــداً وكَـــشْحا

واسـلمْ بقيـتَ نـسيجَ وحْـ ـدِكَ مُفْـضلاً جـوداً وصَـفْحا

وقوله:

أمـل لـيس ينقـضي فـي تمني نظـرة تـستفادُ عنـد التفاتِـكْ
لستُ أرضـاك مـسرفاً فـي تجنيـ ـك بحالٍ والحُسْنُ بعضُ صفاتِكْ
لك في كل مهجة راضـها الحبْـ ـبُ هوى يُستطاب فـي مرضـاتِكْ
بقـوام يملـي علـيَّ إذا مـا لَ حـديثَ الرمـاح فـي قناتِـكْ
ومُحَيَّـا يـرى ضـئيلَ نحـولي لعـذولي والـصبحُ للـستر هاتِـكْ

ومنها:

وسـنا مبـسم إلـى الرشـد يهديـ ـها بما ضلَّ في دُجـى مرسـلاتِكْ
يا بـديعاً تحكـي الريـاض سـجايا ه أقِـلْ مهجتـي شَـبا لحظاتِـكْ
أنـا مـن لا يجيلُـه فـرطُ إعـرا ضك عن مذهب العـلا وحياتِـكْ
وعلـى مقلتـي رقيـبٌ مـن الوجـ ـد أرى فـي لقـاه بهجـةَ ذاتِـكْ
حـسبُ قلـبٍ ونـاظرٍ يتمنـا ك بـأن لا يَـرى سـوى حـسناتِكْ
مُلـحٌ تـسلبُ النهـى ومزايـا أنهـا تـستطاع واللحـظُ فاتِـكْ

وكتب للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني، حين قدم دمشق، واجتمع به، **قوله:**

وكنـتُ أسـائلُ الركبـانَ عمَّـن أقـامَ بمهجتـي ونَـأتْ ربوعُـهْ
فلمـا ذَرَّ شـارقُه منيـراً بـأفقِ الطِّـرْس عـاوَدَه هجوعُـهْ

فأجابه بقوله:

أيـا ربَّ المـوالي والمعـالي	ومـن بـالرق لبَّـاه مطيعُـهْ
لقـد كُمِّلْـتَ فـي خَلْـقٍ وخُلْـقٍ	بـأعظمِ مـا تخيَّلَـه سـميعُهْ
وشـرَّفت الرقيـقَ برفـع ذكـرٍ	علمـت بـأنني حقّـاً وضـيعُهْ
فـدمتَ ضـياءَ أفـقِ الـشام حَقّـاً	بـلا أفـق الوجـود إذن جميعُـهْ
وقـد قَـرَّتْ بمـرآكم عيـوني	جـريحُ الطـرفِ عـاودَه هجوعُـه

[٣٧١] محمد مرزا بن محمد السروجي الدمشقي الشافعي(١).

كان شيخاً جليلاً، عالماً عاملاً، فاضلاً كاملاً، خيراً تقياً، صالحاً نقياً، ملازماً لعبادة الله وطاعته، وذكر الله وخشيته، له معرفةٌ جيدةٌ بعلم الحقائق، واطلاع على كتب الرقائق، واعتقادٌ ومحبةٌ للقوم ـ نفع الله بهم ـ، وجمع من كتبهم شيئاً كثيراً، سيما كتب الشيخ محيي الدين بن عربي، ورزق فهماً لكلامه ـ نفع الله به ـ.

مولده سنة أربع بعد الألف بدمشـق، وبها نشأ، وكان في ابتداء أمره في حانوتٍ يصنع سروج الخيل ويبيعها، ثم طلب العلم، ولازم أكابر الشيوخ، وأخذ عن محدث دمشق وحافظها الشمسِ محمد الميداني، وعن محدث العصر في المغرب الشهاب أحمد بن محمد المقري التلمساني ثم الفاسي، حين قدم دمشق، حضر دروسه، وقرأ عليه كتباً عديدةً، منها: عقيدته المسماة: «إضاءة الدجنة»، وكتب له في آخر نسخته إجازةً بخطه بها، وبجميع مؤلفاته ومروياته.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٤).

ولازم العلامة المحدث النجم محمد الغزي، وأخذ عن العارف بالله عبدالله الرومي البوصنوي، شارح «الفصوص»، قرأ عليه غالب مؤلفاته، وأجازه بمروياته، وعن الشيخ غرس الدين الخليلي المدني، وغيرهم من كبار الشيوخ، أهل التمكين والرسوخ.

ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وجاور بهما عمراً طويلاً، وكان غالب إقامته بالمدينة، وأخذ عن عارف زمانه تاج الدين النقشبندي، وأخذ عن السيد الجليل سالم بن أحمد شيخان، والعارف بالله أحمد القشاشي، وعن كثيرٍ من مشايخ الحرمين، وأجازه جل شيوخه.

ولما توجهتُ إلى المدينة الشريفة، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، نزلت عنده، وأكرمني، وكان في غالب أوقاته لا يفارقني، ويفرحه ما يفرحني، ويكدره ما يكدرني، ويحزنه ما يحزنني، فجزاه الله عني أفضل الجزاء وأجزله، وأحسنه وأكمله، وقرأت عليه نبذةً من «الفتوحات المكية»، وجميع «نظم مراتب الجيلي» لشيخه غرس الدين، وشرحه لشيخه عبدالله الرومي، ورسائل كثيرة، وأجازني بمروياته.

وكان ـ رحمه الله ـ يأمرني دائماً بذكر لا إله إلا الله، وتلقنتها منه، وقال لي: إنه تلقنها من علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ مناماً، وقرأت عليه سورة الكوثر، وقال لي: إنه قرأها على رسول الله ﷺ مناماً أيضاً.

ولم يزل ـ رحمه الله تعالى ـ تاركاً ما لا يعنيه، مشتغلاً بنفسه وذويه، ملازماً لطاعة رب العالمين، متحققاً بحق اليقين، سالكاً طريقة الناسكين، حتى توفي سنة تسع ـ بتقديم التاء وثمانين ـ رحمه الله، وأسكنه عليين.

ومن وصاياه لي: لا تتعرف من لا تعرف، ولا تداخلْ من تعرف، إلا

لضرورةٍ داعيةٍ؛ فإن الوقت فاسد.

وأخبرني صاحب الترجمة: أنه لقي ـ في بعض حجاته ـ رجلاً فقيهاً من أهل تلمسان، حكى عنه أحوالاً غريبة، منها: أنه رافقه من مكة إلى المدينة، وكان يختم كل يوم كذا وكذا ختمة، قال: فلما وصل إلى المدينة، ودخلنا المسجد النبوي، وتقدمت إلى الزيارة، ووقفنا بالمواجهة، قال: فلما فرغتُ من الزيارة على الوجه المعتاد، رجعتُ إلى الروضة، وجلست أنتظره، فأبطأ هنيهةً، فإذا هو داخل، فقلت له: ما أبطأك عليّ؟ فقال لي: ختمت ختمةً أمام وجه النبي ﷺ، ثم جئتك.

وهذا لا يُستبعد على سبيل الكرامة وخرق العادة، لا شك أن من ألف قراءة القرآن واعتادها، قد يبلغ إلى ختم ثلاث أو ما يقرب من ذلك في اليوم.

وقد ذكر الناس في كرامات الأولياء: أن بعض أصحاب الشيخ أبي مدين حج في السنة التي حج فيها السهروردي، فذُكر له عنه أنه يختم في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة، فبعث بعض ثقة أصحابه يختبر له ذلك، فوجده يقرأ، فتبعه من الركن إلى قريب من الحجرة، فختم عدداً كثيراً من الختمات.

وفي هذا خرق عادة للقارئ والسامع؛ لأن سماع مثل هذا في هذه المدة لا يمكن عادة، وهذا قريب من ختمة في كل نَفَس، فقد قيل: إن أنفاس الآدمي المعتادة في اليوم والليلة نحو من ذلك العدد، وعلمُ الله أوسع من أن يحاط به. انتهى.

[٣٧٢] محمد فريد بن محمد شريف الصدِّيقي الحنفي الأحمد أبادي.

أحد العلماء المشهورين بالديار الهندية، أخذ عن السيد معظم البلخي،

ومن في طبقته من علماء بلده، وكان حافظاً للقرآن، من أفراد الزمان، أشرقت بالهند شموسُ علمه وآدابه، وزها نورُها إذ زها في عوده ماء شبابه.

وممن أخذ عنه، وتخرج به: صاحبنا الفهامة محمد قاسم الأحمد أبادي، وكان يثني عليه كثيراً، ويقول: ما رأيت في الهند أفضل منه.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ منها: «حاشية على شرح التلخيص» للسعد، و«حاشية على شرح الهداية» للمبيدي، و«حاشية على المطول»، و«حاشية على حاشية الخطابي على المطول»، و«حاشية على التلويح»، وغيرها، توفي سنة تسع وثمانين وألف ببلده ـ رحمه الله ـ.

ونقل لي عنه صاحبنا محمد قاسم المذكور: أنه كان في مجلس بعض الأمراء، فجرى ذكر قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾[الإسراء: ٨٨] الآية وقول البيضاوي: لم تذكر الملائكة؛ لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة... إلخ، فقال: لا نسلم أن إتيان الملائكة بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة، ولعل عدم ذكر الملائكة ليس لعدم صدور المعارضة منهم، أو لدلالة النص على عدم اقتدارهم على الإتيان بمثله؛ لأن الإنسان مع شرفه لا يأتي بمثله، فغيره بطريق الأولى. انتهى.

قلت: وعدم صدور المعارضة منهم؛ لكونهم معصومين، لا يعصون الله ما أمرهم، وأما الجواب الثاني: فيخدشه: أنه لا يأتي إلا على القول بتفضيل البشر على الملك، وعلى تسليمه، فيمكن أن يوجد في المفضول مزيةٌ لا توجد في الفاضل، فلا يتم ما ذكره. انتهى.

[٣٧٣] محمد بن محمد بن أحمد المنوفي الشافعي المكي.

كان من صدور العلماء المدرسين، والأئمة والخطباء المعتبرين، فقيهاً

محققاً مفنناً، له اطلاع واسع على كثير من العلوم الدينية، مجللاً عند الأشراف الحسينيين ملوك مكة، موفر الجاه.

ولم يزل كذلك حتى امتحن من محمد بن سليمان المغذف، في دولة الشريف بركات بن محمد أمير مكة، ورمي عنده بأنه من أعوان الشريف سعد ابن زيد، فخشي منه مكيدةً، وكان المترجم من الدهاة، فأخرجه من مكة مع جماعة من أهلها من أتباع الشريف سعد، فمكث بمصر سنين، واجتمعت به فيها، ثم حصلت لهم شفاعة من بعض كبراء مصر، فرجعوا إلى مكة، وأقام المترجم بمكة، إلى أن مات بها سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن بالمعلاة.

وكان ـ رحمه الله ـ عذب المصاحبة، خبيراً بموقع الكلام، ذا فطنةٍ قويةٍ، وفكرةٍ ألمعيةٍ، وتأنٍّ في الأمور، حازماً لأمور دينه ودنياه، وكان في دولة الشريف زيد بن محسن، ثم في دولة ولده سعد، قارئ المنشورات السلطانية، مرجواً للدولة الحسنية، حسن السيرة، طاهر السريرة، له فضائل كثيرة، ومآثر شهيرة، وهو والد صاحبنا الفاضل، المتحلي بأجل الفضائل، سعيد المنوفي ـ أطال الله عمره ـ.

[٣٧٤] محمد مكي بن محمد ولي الدين الحنفي(١).

الرومي الأصل، المدني المنشأ والمولد، رئيس الحرمين، وقاضي البلدين، وسعيد الدارين، الذي اشتهر صيته وذكره، وعلا عند جميع الأنام قدره، وحصل له من العزة ما لم يعهد لأحد من أقرانه، وأهل عصره وزمانه، إلى كرم نفس وشيم، وأخلاق رضية وعلو همم.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٧).

كان مرجع المدينة الشريفة في عصره، ولا يصدر شيء إلا عن رأيه، وكان معاملاً لأهل المدينة بالإحسان والامتنان، وكلهم مرجعهم إليه في كل مهمة؛ لأنه كان كالأب الشفيق عليهم، يحبه الصغير والكبير، والغني والفقير؛ لما هو عليه من الأدب، والاعتناء بحاجات أهلها من غير طلب.

ولد سنة تسع عشرة وألف، وجاء تاريخ مولده بغاية الضبط (محمد بن ولي عاش مبرورا)، ومراده بغاية الضبط: الطاء، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم النافع، وأخذ الطريق، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من السيد العارف بالله سالم ابن أحمد شيخان، ولازمه وانتفع به، وحصل منه علوماً مفيدةً في الدين والدنيا، وكان من أعز جماعته عنده.

وبشره بأشياء ظهر له من بعد ذلك حقيقتها.

منها: أنه يعيش سعيداً، ويموت كذلك، فرفل في ثياب السعادة، وأعطاه الله الحسنى وزيادة.

ومنها: أنه لا يتعرض له أحدٌ بسوء إلا قصم سريعاً، وشوهد له من هذا شيء كثير، وهو مشهور في واقعة أهل المدينة، وما فعل بعضهم معه؛ من شكواه إلى الأبواب العلية السلطانية، فخذل، ولم يظهر بشيء، وكانت النصرة للمترجم، وهو غافل، وغالبُ من تعرض له مات في حياته، بأسوأ حال.

ومنها: أنه بشره أنه من أهل الجنة، بلا سابقة عذاب.

وقد صحبته مدةً مديدةً، وأجازني بمروياته.

ومما اتفق له في مجاورته بمكة، سنة اثنتين وسبعين وألف: أنه ورد

إليه من الروم تفويض الحكم الشرعي بطيبة، من قاضيها المولى بها من الديار الرومية تفويضاً مطلقاً، واتفق أن قاضي المدينة المعزول عنها، وهو محمد أفندي المرغلي، أُعطي قضاء مكة، وجاء له المنشور السلطاني في مجلس درسه، في الروضة المطهرة، وهو يقرر تفسير قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾[المطففين: ٢٦]، فأرسل هو أيضاً بتفويض حكم مكة إليه، فباشر النيابة عن القاضي بنفسه بمكة، وأقام من يباشر عنه في المدينة، حسبما أبيح له في ذلك، فقال في ذلك الشيخ العلامة أحمد بن عبد الرؤوف المكي:

وضحَتْ لرائدِ مدحكم طرقُ البيان	وتحدثت بنسيبكم خُرْسُ اللسانِ
وأتتْ بأسجاعِ الهديلِ حمائمِ	الترسالِ عن أوصافك الغُرِّ الحِسانْ
وتقلدت تيهاً نظامَ حليها	وتطاولتْ شرفاً لها عنقُ الزمانْ
وشدا بها حادي علاكَ محدثاً	ولقد روى الحسن الصحيح عن العيانْ
سعتِ المناصبُ نحو بابك خطبةً	وترومُ نحلتها القبولَ لأن تُصانْ
وأتت إليك خلافةٌ مقرونةٌ	بفرائد التسديد يقدمها الأمانْ
لقضاء مكةَ والمدينةِ مفرداً	إذ لا يكونُ لنجم سعدِكم قرانْ
فلذاك نَاديتُ الغداة مؤرخاً	(يا حاكمَ الحرمينِ في وقتٍ وآنْ)

توفي بالمدينة ليلة الخميس، ودفن ضحى يومها، الخامس عشر من شهر محرم، افتتاح سنة أربع وتسعين وألف، وصلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله ـ.

ورثاه جماعة، منهم: ولده الفاضل أحمد، فقال:

سبحانَ من قَدَّرَ الآجالَ تقديراً	لا نستطيعُ لها رَدّاً وتأخيرا

نبكـي لفرقـةِ أحبـابٍ وبيـنَهُمْ بكاءَ ثَكَلْى على ابنٍ صـارَ مقبـورا
وليسَ يجدي البكا والنوحُ ذا أسفٍ ترى الثـرى بـدما عينيـه ممطـورا
ولا يـردُّ عليـه فائتـاً حَـزَنٌ كلاًّ غدا تحـت حكـم الله مقهـورا
لكنْ على مثلِ ذا الرزءِ الجليلِ إذا أفنيتُ صبري ودمعي[1] كنت معذورا
أبكي على جوهرِ الفضلِ الكريمِ ومَنْ في دينه والدُّنا قـد كـان مـشكورا
حبرٌ هو البحـرُ المعـروفُ شـيمتُه بذاك قد كان في الأقطار مـشهورا
فقل لطالـبِ عـامِ الانتقـال اصِـخ بـشطر بيـت تـراه فيـه مـسطورا
وزده يـا راحمـاً جـوداً يؤرخـه (محمـدُ بـنُ ولـي مـات مبـرورا)
عليـه رحمـةُ ربـي دائمـاً أبـداً تملا ثرى مضجَعٍ [قد] حلَّه نـورا

[٣٧٥] محمد أبو عبدالله المرابط بن محمد بن أبي بكر، شُهر بالصغير، الدلائي الفِشْتالي المغربي المالكي[2].

شيخنا العلامة، نادرة الدهر، وفريد العصر، لم يأت من أرض المغرب في عصرنا له شقيق، فهو ـ لَعَمري ـ بجميع الفضائل حقيق، ذو حسب تليد، وباع في المجد طويلٍ مديد، وله في كل علم سهم مصيب، وحذق عجيب، خصوصاً العربية؛ فإنه رأس المؤلفين فيه في زمانه، وسار ذكره به سير المثل بين أقرانه.

ولد بالزاوية من قـرى الدلا، وبها نشـأ، وقـرأ القرآن، وروى الفقـه

---

(١) في الأصل: ودمع.

(٢) «خلاصـة الأثـر» للمحبي (٤/ ٢٠٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ١٩) (٣٧٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٠)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٤).

والحديث والعلوم العربية عن والده، وعن إمام المغرب في عصره بلا مدافع أبي عبدالله محمد العربي بن يوسف أبي المحاسن الفاسي.

وعنه أروي «شرحه لدلائل الخيرات»، وعن ولي الله السري السني الحسني السيد أبي محمد عبد الهادي ابن عالم المغرب في الحديث، وعلوم القرآن أبي محمد عبدالله بن طاهر السجلماسي، وغيرهم، وبرع وفاق علماء عصره، واشتهر صيته في الآفاق، وأخذ عنه خلق، وانتفع به كثير من فضلاء المغرب، وتخرجوا به.

ولما قدم القاهرة المحروسة، لا زالت ربوعُها عامرةً آهلةً مأنوسةً، سنة ثمانين وألف، مريداً الحج، أقبل عليه فضلاؤها، ولازمه علماؤها، واستفاد منه نجباؤها، وعقد بها درساً بالجامع الأزهر.

وجرى بينه وبين شيخنا علامة العصر، شهابِ الملة والدين، أحمَد البشبيشي، مطارحاتٌ وأسئلةٌ وأجوبةٌ منظومةٌ في العربية، منها: ما كتب به إليه شيخنا أحمد المذكور ـ قدس سره ـ، وهو قوله:

ألا أيها النحريرُ عالمُ عصره ... ومَن غَرف الروّادُ من فيض بحرِهْ

ومن قلّدَ التسهيلَ عقداً منظماً ... تنزّه عن طعن الحسود ومكرِهْ

أبينوا لنا إعرابَ نعم وتلوِها ... إذا كانت اسماً تُفصحون بأمِرهْ

وهل هي من قسم المعارف أو أتتْ ... منكرةً تستطردون لذكِرهْ

وهل أحدٌ منهم بذاك مصرِّحٌ ... أم الشيخُ فيها يستبدُّ بفكرِهْ

ومنها:

فإن قلتمُ التعريفُ فيها محصَّلٌ ... فمن أيِّ قسمٍ يا جديراً بخبُرِهْ

وإن قلتمُ التنكيرُ فيها فما الذي ... أساغَ ابتداءُ يا فريداً بعصرِهْ

فلا زلتمو أهلا لبذلِ فوائدٍ ... وجبرِ فقيرٍ مع تزيُّدِ فقرِهْ

فأجابه بقوله:

أيا عالماً قد عاد فرداً بدهره ... إذا ما شدا بالنظم أو حينَ نثرِهْ

حنانيْكَ إن الرفعَ لا شكَّ واحدٌ ... لدى متعاطي النحوِ يا فخرَ مصرِهْ

سوى أن حاوي المدح والتلو قد غدا ... كتاب وقرِناه مسمًّى بأسرِهْ

لدى رأسِ أهل الكوفة القوم إذ أتى ... مسمًّى به الممدوحُ نافحُ عطرِهْ

فعاد بذاك اسماً مجازاً وإنما ... هو الفعلُ ملتاحا وقالوا بنصرِهْ

وقد زعم القراءُ إذ ذاك أنه ... خليفةُ مطويٍّ يضنُّ بنشرِهْ

فمن ثَمَّ أَسمَوْه ادعاءً لأن غدا ... يحرر سربالا يضوع بنشرِهْ[1]

وإذ ذاكَ ما المخصوصُ قد عاد مسنداً ... لهاتيك إذ نَمَّتْ بمكنونِ سِرِّهْ

وأما على رأي الجماهير منهم ... فنعمَ ابتداء رافعٌ ما بإثرِهْ

مبيناً على الممدوح أي منوّه ... كما ماز ممدوحاً حرّياً بنكرِهْ

وذلك رأيُ الألمعيِّ ابن حمزةٍ ... ويحيى ارتواء من مَشارعِ نهرِهْ

فتاليه محكومٌ به أو عليه أو ... تشا كسار ذا قياساً فأَجْرِهْ[2]

طموحاً لمشتقٍّ جليٍّ مؤولٍ ... به فاصغِ واقطفْ بالحِجا ينعَ ثمرِهْ

فسيغَ ابتداءٌ فيه إن كان عاملاً ... كما شامتِ الأفكارُ أنوارَ بدرِهْ

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

وناهيكَ منه في القضية حاكماً ... كما ذاكَ قول الكوفةِ الغرِّ فادرِهْ
بلى عزموا عقدَ الترافعِ فيهما ... جنوحاً لأصلٍ ثابتٍ بمقرِّهْ
وقال ابنُ كيسانَ لتالٍ متى بدا ... بيانٌ أو أبدلْ واقدُرْهُ حَقَّ قدرِهْ
وسمِّ تاليَ التالي الذي عَنَّ مسنَداً ... بذاكَ وأملِ اللفظَ تسمُ بجبرِهْ
وقد قلتُ رأياً وما كنتُ عالماً ... بقولِ أناسٍ مُرْتوين بغُدرِهْ
وقد زعموا قولاً سنياً فنوَّهوا ... به علما يجترُّ أثوابَ فخرِهْ
فلا زلتَ طوداً في المعارفِ شامخاً ... يلوذُ بك العاني ويُجلى بأمرِهْ

وله مصنفاتٌ عديدةٌ شهيرةٌ، منها، وهو أجلها: «نتائج التحصيل في شرح التسهيل» لابن مالك، في مجلدات، قرأت عليه شيئاً منه، وأجازني به، وناولني إياه، و«فتح اللطيف للبسط والتعريف»، و«المعارج المرتقاة[1] إلى معاني الورقات» لإمام الحرمين، و«البركة البكرية في الخطب الوعظية»، و«الدرة الصدفية في محاسن الشعر وغرائب العربية»، و«فصل الخصمين في متعلق الظرفين»، و«الدلائل القطعية في تقرير النصب على المعية»، و«التحرير الأسمى في إعراب الزكاة اسما»، و«رفع اللبس عن ورود تفعَّل بمعنى فعل وبالعكس»، وغير ذلك، وله «ديوان شعر» بليغ كبير الحجم، من طالعه، عرف في البلاغة مكانه.

سمعت منه ـ رحمه الله ـ الحديثَ المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعته منه، وقرأت عليه طرفاً من «صحيح البخاري»، وغيره من الكتب

---

(١) في الأصل: المرتقات.

الحديثية، وطرفاً من غالب مؤلفاته، وأجازني بسائرها، وتلقنت منه الذكر، وصافحني المصافحة المتصلة إلى النبي ﷺ، وكتبت إليه أبياتاً استدعي منه الإجازة، مطلعها:

مليكَ نُحاةِ العصرِ علامةَ الدهرِ ... ويا علماً في العلم مرتفعَ القدرِ

منها:

وقبلك ما كان ابنُ مالكَ هكذا ... وعمرو نسيناه وعاد بلا ذكرِ

أجزني بما ألفته وقرأته ... على السادة الأعلام أشياخِك الغُرِّ

بقيتَ بقاء الدهر يا غايةَ المنى ... وبُلِّغتَ ما ترجوه يابن أبي بكرِ

فكتب إليّ إجازات سنية بمروياته، أعاد الله علي من بركاته.

ومن شعره قوله:

سبَّحْتُ إذا أومضتْ للصبِّ عيناك ... وفكرتُ أقضي هَوًى من حسنِ مرآكِ

يا من ثملتُ براحٍ من لواحِظها ... للهِ ما فعلتْ فينا حُمَيَّاكِ

تكاملتْ فيكِ أوصافٌ جللتِ بها ... عندي فسبحانَ مَنْ بالحسن حَلاَّكِ

يا أختَ ظبيِ النقا دَلاً وفرطَ بَها ... ردِّي ودائعَ قد أودعتها فاكِ

فلا تجوري فأنتِ اليوم مالكةٌ ... ذوي الصباباتِ فاستَبْقي رعاياكِ

ولما رجع من الحج إلى بلاده، أذن له مولاي الرشيد سلطان المغرب في عصره أن يسكن فاس، فأقام بها إلى أن توفي سنة تسعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

وكان أخوه الأكبر سيدي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر سلطانَ

فاس ومكناس والقصر، وما والاها من أرض الدلاء وسلا، وغيرها من الأقاليم المعتبرة بأرض المغرب، ومكث ملكاً أربعين سنة، فلما خرج مولاي الرشيد الشريف الحسني في أرض المغرب، انتزع الملك منه، ومن غيره من ملوكها، وملوك السوس الأقصى، واجتمعت كلمة المغرب عليه، وحبسه إلى أن مات مسجوناً.

ولما انتـزع الملك منـه، ومن ولده عبدالله، خرّب مدينتهم المعروفة بالزاوية، زاوية والده الشيخ محمد بن أبي بكر، فتفـرق جمعُهم، وتشـتت شملهم، والدهر لا يبقى بحال واحدة، ورحلوا بأجمعهم إلى مدينة تلمسان، بقرب الجزائر، من الممالك العثمانية.

وسميت مدينتهم بالزاوية؛ لأن والدهم الشيخ محمد بن أبي بكر بنى بها زاويةً عظيمةً، كان يطعم بها الطعام للفقراء والمساكين، وكانت منزلاً لمن يفد عليهم من الغرباء والفضلاء المترددين؛ بحيث إنه لم يسمع بذلك الإقليم بزاوية مثلها، فسميت البلد باسمها، وهي قريبةٌ من فاس، بينهما نحو ثلاث مراحل، في أرض تسمى: الدلاء، وغالب أهلها لهم معرفةٌ جيدةٌ بلسان البربر، وفيها منهم خلقٌ كثيرٌ، ويقال: إن أصل الشيخ محمد بن أبي بكر منهم.

ولما قدم صاحب الترجمة إلى مصر، ووصل معه ابن أخيه فخر الدين عبدالله بن محمد الحاج، وكان في زمن والده أميرَ سلا وأعمالها من قِبل والده، ومن خبره: أنه لما ملك الرشيد بلادهم، جمع كنوزه وأمواله وذخائره، وحبس نهراً بالدلا، وحفـر فيـه مكاناً يعرفه، ووضـعها جميعاً، وأجرى عليه الماء وتركه، وبلغ الرشيد ذلك، فعالج كثيراً في معرفته، فلم يقدر.

ولعبدالله هذا ولدٌ اسمه أحمد، من أكابر الفضلاء، تصدَّر بأرض المغرب

لقراءة العلوم النقلية والعقلية، وله شعرٌ بديعٌ، أوقفني والده على شيءٍ منه، ولم يتيسر لي تقييده، وبينه وبين والده مكاتباتٌ بديعة، وأخبرني بعض المغاربة: أنه خرج بعد موت مولاي الرشيد، وولاية أخيه مولاي إسماعيل بعده، طالباً للملك، ومعه خلقٌ كثيرٌ، لكنه لم تطل مدته، فمات في أثناء ذلك، وأباده الدهر كما أباد أهله ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٣٧٦] محمد بن محمود بن أبي بكر الوطري التنبكتي المالكي[١].

عرف بيَغْيُع ـ بباء مفتوحة، فغين معجمة ساكنة، فياء مضمومة، فعين مضمومة، قال تلميذه العلامة أحمد بابا، في كتاب «كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج» مختصر كتابه «الذيل»، الذي ذيل به كتاب «الديباج المذهب في معرفة أعيان أهل المذهب» للإمام برهان الدين بن فرحون، المسمى: «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»:

شيخنا وبركتنا، الفقيه العالم المتفنن، الصالح العابد الناسك، كان من صالحي خيار عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين، مطبوعاً على الخير، وحسن النية، وسلامة الطوية، والانطباع على الخير، واعتقاده في الناس، حتى كان الناس يتساوون عنده، في حسن ظنه بهم، وعدم معرفة الشر، يسعى في حوائجهم، ويضر نفسه في نفعهم، ويتفجع لمكروههم، ويصلح بينهم، وينصحهم، إلى محبة العلم، وملازمة تعليمه، وصرف أوقاته فيه، ومحبة

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢١١)، «نيل الابتهاج» (٦٠٠) (٧٣٦)، «كفاية المحتاج» (٤٧٦) (٦٤١)، «شجرة النور الزكية» (٢٨١) (١٠٥٨)، «تعريف الخلف» (٢/ ٥٠٩)، «الأعلام» للزركلي(٧/ ٨٨)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٠٦٧).

أهله، والتواضع التام، وبذل نفائس الكتب الغريبة العزيزة لهم، ولا يفتش بعد ذلك عنها، كائناً ما كان من جميع الفنون، فضاع له بذلك جملةً من كتبه ـ نفعه الله بذلك ـ وربما يأتي لبابه طالبٌ يطلب كتاباً، فيعطيه له من غير معرفة من هو، فكان العجب العجاب في ذلك؛ إيثاراً لوجهه تعالى، مع محبته للكتب، وتحصيله لها شراءً ونسخاً، وقد جئته يوماً أطلب منه كتب نحو، ففتش في خزانته، فأعطاني كل ما ظفر به منها.

إلى صبرٍ عظيمٍ على التعليم آناء النهار، وعلى إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر، حتى يمل حاضروه، وهو لا يبالي، حتى سمعت بعض أصحابنا يقول: أظن أن هذا الفقيه شرب ماء زمزم؛ لئلا يمل في الإقراء؛ تعجباً من صبره.

مع ملازمة العبادة، والتجافي عن رديء الأخلاق، وإضمار الخير لكل البرية، حتى الظلمة، مقبلاً على ما يعنيه، متجنباً الخوض في الفضول، ارتدى من العفة والمسكنة أزين رداء، وأخذ بيده من النزاهة أقوى لواء، مع سكينة ووقار، وحسن أخلاق وحياء سهلةِ الورود والإصدار.

فأحبته القلوب كافة، وأثنوا عليه بلسان واحدٍ إلى الغاية، فلا ترى إلا محباً مادحاً، ومثنياً بالخير صادقاً، طويل الروح، لا يأنف من تعليم مبتدئ أو بليد، أفنى فيه عمره، مع تشبثه بحوائج العامة، وأمور القضاة، لم يصيبوا عنه بدلاً، ولا نالوا له مثيلاً، طلبه السلطان: لتولية القضاء بمحله، فأنف منه، وامتنع وأعرض عنه، واستشفع، فخلصه الله تعالى.

لازم الإقراء، سيما بعد موت سيدي أحمد بن سعيد، فأدركته أنا يقرئ من صلاة الصبح أول وقته إلى الضحى الكبيرة، دولاً مختلفة، ثم يقوم لبيته،

ويصلي الضحى مرة، وربما مشى للقاضي في أمر الناس بعدها، أو يصلح بين الناس، ثم يقرئ في بيته وقت الزوال، ويصلي الظهر بالناس، ويدرس إلى العصر، ثم يصليها، ويخرج لموضع آخر، يدرس فيه للاصفرار أو قربه.

وبعد المغرب يدرس في الجامع إلى العشاء، ويرجع لبيته، وسمعت أنه يحيي الليل على الدوام، وكان محققاً دَّراكاً ذكياً، فطناً غواصاً على الدقائق، حاضر الجواب، سريع الفهم، منور البصيرة، سكوتاً صموتاً وقوراً، وربما انبسط مع الناس، ويمازحهم، آية الله في جودة الفهم، وسرعة الإدراك، معروفاً بذلك.

ولد عام ثلاثين وتسعمائة ـ على ما سمعت منه ـ، وأخذ العربية والفقه عن الفقيهين الصالحين: والده، وخاله، ثم قطن مع أخيه الفقيه الصالح سيدي أحمد شقيقهِ، بـ «تنبكت»، فلازما الفقيه أحمد بن سعيد، في «مختصر خليل».

ثم رحلا للحج، فلقيا بمصر الناصر اللقاني، والتاجوري، والشريف يوسف الأرميوني، والبرهمتوشي الحنفي، والإمام محمد البكري ـ رحمهم الله ـ، وغيرهم، فاستفادا ثمة، ثم رجعا بعد حجهما، وموت خالهما، فنزلا بتنبكت، فأخذا عن ابن سعيد، الفقه والحديث، قرأا عليه «الموطأ»، و«المدونة»، و«المختصر»، وغيرها، ولازماه.

وعن سيدي ووالدي الأصول، والبيان، والمنطق، قرأا عليه: «أصول السبكي»، و«تلخيص المفتاح»، وحضر عليه شيخنا حمل الخونجي، ولازم مع ذلك الإقراء حتى صار خير شيخٍ في وقته في الفنون لا نظير له، ولازمته أكثر من عشر سنين، وذكر مقروءاته عليه.

ثم قال: وباحثته كثيراً في المشكلات، وراجعته في المهمات.

وبالجملة: فهو شيخي وأستاذي، ما نفعني أحدٌ كنفعه ويكتبه ـ رحمه الله، وجازاه بالجنة ـ. وأجازني بخطه جميع ما يجوز له، وعنه، وأوقفته على بعض تآليفي، فسُرّ به، وقرظ عليه لي بخطه، بل كتب عني أشياء من أبحاثي، وسمعته ينقل بعضها في دروسه؛ لإنصافه وتواضعه، وقبوله الحق حيث تعين.

وكان معنا يـوم الواقعة علينا، فكان آخـر عهـد به، ثم بلغني أنه **توفي** يوم الجمعة، في شوال، عام اثنين وألف، وله تعليق وحواشي، نبه فيها على ما وقع لشراح خليل وغيره، وتتبع ما في «الشرح الكبير» للتتائي من السهو نقلاً وتقريراً، في غاية الإفادة، جمعتها في جزءٍ تأليفاً ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٧٧] محمد بن محمد بن سليمان الرُّوداني المغربي المالكي[١].

نزيل الحرمين، الشيخ الإمام، العلامة المحدث، المسند، المفنن في ضروب العلم، المشهور عند العرب والروم، حكيم الإسلام، وآخر العلماء الأعلام، المتوقد فطنة، والمتوهج ذكاء، الممتلئ حكمة وإيماناً، ولم يرشح له وعاء، ولا حُلَّ له وِكاء، الذي توغل في أقطار الأرض، وبلغ على حداثة سنه مبلغاً عجز عنه فحول الرجال، وتحلى بمحاسن الأوصاف وما حال.

قرأت بخطـه: أن والـده أخبره: أن **مولده** سـنة تسـع ـ بتقديم التاء ـ وثلاثين، بمدينـة «تارُودَنْت» قاعدة بلاد السـوس الأقصى، وكان ممن ألهم الرشد في صغره، فاجتنى ثمر رشده في كبره.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٤)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٤١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٦)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٦٧٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٥١).

فلما بلغ مبلغ الرجال، تاقت نفسه إلى تعلم العلم، فخرج فاراً من أبويه، فبلغ بلاد درعة، واستقر عند صالح علمائها، وعالم صلحائها، شيخِنا الشيخ محمد بن ناصر الدرعي ـ رحمه الله تعالى[1] ـ، فاقتبس من علومه، ولازمه أربعة أعوام، في التفسير والحديث، والفقه والتصوف، وغيرها، وصحبه، وتخرج به.

ثم خرج من عنده رحالاً[2] في أقطار المغرب، ودخل سجلماسة، وغيرها من البلاد القبلية، ثم وصل إلى مراكش، وأخذ عن كثير، من أجلهم: مفتيها قاضي القضاة عيسى السجستاني الشهير بالسُّكتاني، والعلامة محمد ابن سعيد الميرغني المراكشي، ثم إلى «تادلا»، ثم إلى «فاس»، ولقي بها أوحدَ زمانه، في سلوك طريق الصدق، العديم النظير في معرفة أدب معاملة الحق والخلق، الشيخ محمد بن عبدالله معان الأندلسي.

وكان دخوله فاس بقصد تعلم العلوم الرسمية، سيما علوم الحكمة؛ من هيئة، وتنجيم، وحساب، ومنطق، وما شاكل، فقد كانت له اليد الطولى في ذلك، شديد البحث عمن يتقن بعضها، فلم يظفر في بلاد المغرب بمن يشفي غليله في ذلك.

فلما دخل فاس، ولقي بها العارف بالله الشيخ محمد بن عبدالله المذكور، زجره أشد الزجر عن تعاطي هذه العلوم، وغيرها من العلوم الرسمية، ومنعه من لقاء علماء الوقت، وألزمه بالرجوع إلى والديه، والأخذ بخاطرهما، فرجع

---

(١) في الأصل: ﷺ.

(٢) في الأصل: رجال.

إلى والديه، حتى طابت قلوبهما، وأذنا له بالسفر.

فرجع إلى مراكش، وأقام فيها مدةً، وانتفع بعلمائها؛ كسيدي محمد ابن سعيد، المتقدم ذكره، وحكيمها المريد، وغيرهما، ولم يزل يتنقل في البلاد، إلى أن وصل الجزائر، وأقام فيها مدةً، وانتفع بعلمائها؛ كالشيخ سعيد ابن إبراهيم قُدورة الحنفي الجزائري، ومنه تلقن الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عنه علم المنطق وغيره.

ولقي رجلاً بالجزائر من أجلاء الصالحين، وكان يواظب الجلوس عنده، وهو ـ في الغالب ـ ساكت لا يتكلم، وذات يوم ضاقت عليه نفسه، ولم يدر إلى أين يتوجه من البلاد، فجاء الشيخ، فلما جلس عنده، قال له: أنت مسجون عند النبي ﷺ، وقد آل الأمر إلى ما قال؛ فإنه انتهت سياحته إلى المدينة المشرفة، ولم يخرج منها: من لدن وصلها، إلا إلى مكة.

ثم دخل كثيراً من البلاد الأفريقية، ثم ركب البحر إلى القسطنطينية، ووقعت له وقائع مع بعض علمائها منها: أنه دخل على بعض عظمائها، من القضاة، فقدم إليه القهوة والدخان، وذلك عندهم من جملة الإكرام، فامتنع من ذلك، وألح عليه، فلجَّ في إبائه.

فقال له: هذا زهدٌ أم تزهُّد؟ فقال: بل فرار من حرام أو شبهة، فدار الأمر بينهما في ذلك، قال: ومنّ الله علي بقوة القلب، واستحضار الجواب، وكنت ـ إذ ذاك ـ قريب عهدٍ بالقراءة، وقد أتقنت طرفاً من أصول الفقه والمنطق، فلم يأت بدليل، إلا ومنّ الله عليّ بإبطاله، حتى أفحمته، وانفصل المجلس، وتسللت من عنده، واختفيت في بعض الأماكن، وشاع الخبر في البلد: أن مغربياً دخل على فلان، وناظره، وكذا، وكذا حتى أفحمه، ولم أزل

مختفياً إلى أن خرجت منها بعد مدة.

ثم وصل إلى مصـر، ولم تطل إقامته بها، وأخذ عمن بها من العلماء الأعيان؛ كالشيخ علي الأجهوري، والشيخ أحمد بن محمد الخفاجي، والشهاب أحمد بن سلامة القليوبي، وشيخنا خاتمة الفقهاء سلطان المزاحي، وأجازوه، ثم سافر إلى الصعيد، وأقام بمدينة «جرجا»، إلى أن سافر منها إلى الحجاز، فحج، واستوطن المدينة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، وكان سكناه بها آخراً، ببيت منفرد، برباط السلطان، فيه طاقات يشرف منها على الحرم الشريف النبوي، فاعتزل فيه عن الناس، ولم يعاشر أحداً في المسكن، وتعاطى أسباب معاشه بيده، وترك الخروج نهاراً، وربما خرج بليلٍ للزوارة، أو لمهم آخر، وربما أغلق على نفسه بابه شهراً أو أشهُراً لا يراه أحد، فثبتت له بذلك هيبة في القلوب، وحصل له ناموس عند الخاصة، وربما تعاطى القراءة مع بعض خواصه في بيته، في وقت معلوم، لا يأذن فيه لغيرهم.

وقد لامه صاحبه الشيخ عبدالله العياشي على كثرة الانزواء، وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص، فاعتذر بفساد الوقت، ونيات أهله، ومشاهدة المناكير، مع عدم القدرة على زوالها؛ كلبس الحرير، وتعاطي الدخان.

وقال: كيف أجلس إلى قومٍ أعلم حالهم، وحالَ مكاسبهم؛ من أكل المكوس، وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعاً، مع العلم بذلك، فإن نهيتهم وزجرتهم، وقعت معهم في أشد مما وقعوا فيه، وإن سكتُّ عنهم وباسطتهم، وألنت لهم القول، كنت معيناً لهم، وممالئاً لهم على ما هم فيه، وتركت

الواجب عليَّ من هجرانهم بلا عذر، إلى غير ذلك مما هو معلوم.

وكان ـ رحمه الله ـ شديد الورع، ضيق الحوطة في تحمل أعباء ملاقاة الخلق، مقبلاً على شانه، لكنه غير عارف بزمانه، كما قيل:

كـان لا يَـدري مُـداراة الـورى ومـداراةُ الـورى أمـرٌ مُهِـم

وكان معاصراً ـ في الحرمين ـ للشيخ أبي مهدي عيسى الثعالبي المغربي، وكانا في حاليهمـا ـ في ذلك ـ على طرفـي نقيض، مع صلاح حالهما معاً، وديانتهما، ووفور علمهما ورعاً، عاب كل منها على الآخر ترك ما عاب عليه فعله، وقال له صاحبه الشيخ عبدالله العياشي ذات يوم: إن الشيخ عيسى يقول: ما أحسنَ فلاناً لو أنه كف من عزلته شيئاً، وألان جانبه للخلق! فقال له: وأنا أقول: ما أحسنه وأعلمه وأجرأه على منهاج السلف، لو انقبض عنهم شيئاً، وترك مداهنتهم في الحق!

وكلٌّ على هـدًى، إلا أن النفـس إلى ما عليه الشيخ عيسى أقبلُ؛ لأن اعتزال الخلق في هذا الزمن، وعدم الاختلاط بهم، والتجهم لهم، وحجبهم عند الاستئذان، مع معرفتهم له، واستشعارهم لخصوصيته، مما يزيدهم فيه إغراءً، وله مطالبة، فيشار إليه بالأصابع، ويحمل من يرى في نفسه أنه مشارك له في علمه وخصـوصيته، على التطلع لعوراته، والتتبع لزلاته، والقعود له بالمراصد؛ ليُسْـقِط منزلتـه من قلوب الخلـق، فينصـب نفسه غرضاً لسهام ألسنتهم، فيتضرر بذلك في دنياه وفي دينه، إن كان ممن يكتم تألمه بما يبلغه عنهم، ويؤثر ذلك عنده حقداً.

وإنما ينبغي ذلك ممن كان مغموراً بين الناس، لا يؤبه له، ولا يفتقد

إن غاب، ولا يُستأذن عليه إن احتجب، فيجد الراحة في نفسه؛ من عدم مشاهدتهم ومخالطتهم، من غير أَذًى يصل إليه منهم، فيسلم له دينه ودنياه.

وأما من كان مشهوراً بينهم، موسوماً بخصوصية تستشرف النفوس إلى لقائه ومخاطبته، فلا ينبغي له أن يحتجب عنهم، ويظهر الانزواء عنهم، والتكره للقائهم، سيما إن كان يصرح بذمهم، ويعيب ما هم عليه، فإن ذلك ـ وإن كان حقاً في نفسه ـ إلا أنه عرّض به نفسه لآفاتٍ كثيرةٍ كان في غنى عنها، اللهم إلا أن تكون له حال قاهرة، فيُترك وما انتحل من ذلك؛ فإن الله جاعل له عنه فرجاً ومخرجاً.

وكان ـ رحمه الله ـ ميمون النقيبة، له ورعٌ تامٌّ، ولا يقبض من أحدٍ شيئاً، إلا قليلاً ممن علم وجوه مكاسبه، وتحقق استقامته فيها.

ومن ورعه: أنه لا يتقوت ـ في الغالب ـ إلا من كسب يده، وكانت له يدٌ صناعٌ، يحسن غالب الحرف المهملة، سيما الرفيعة العمل، الرائقة الصنع؛ كالطرز العجيب، والصياغة المتقنة، وتجليد الكتب، والخرازة.

ولقد أُخبرتُ: أنه لما كان بمراكش، كان لا يتفرغ في الأسبوع إلا يوم الخميس، فيطلِّع فيه شيئاً يشتغله، فيبيعه، ويتقوت به إلى الخميس الآخر، وله يد طولى في عمل الإسطرلابات، وغيرها من الآلات التوقيتية؛ كالأرباع والدوائر والأنصاف، ومن أعجب ما رأيته من صناعته: أنه يجبر قوارير الزجاج المتصدعة بحسن احتيال، ولطف تدبير، إلى أن لا يكاد صدعها يتبين، ويصير مثل الشعرة الرقيقة.

ومن ألطف ما أبدعه، وأدقِّ ما صنعه، وأجلِّ ما اخترعه: الآلة الجامعة

النافعة في علمي التوقيت والهيئة، ولم يسبق إلى مثلها، ولا حذَى أحد على شكلها، بل ابتكره بفكره الفائق، وصنعه الرائق، كرة مستديرةُ الشكل، منعمةُ الصقل، مغشـاةُ ببياض الوجـه، المموه بدهن الكتان، يحسبها الناظر بيضةً من عسجد؛ لإشراقها، مسـطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة، منقسـمة نصفين، فيها تخاريـم وتجاويـف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها مصقلة، مصبوغة بلون الأخضر، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها نظر رائقٌ، ومخبر فائقٌ.

وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك؛ لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مشاهَدٌ فيها، وتخدم لسائر البلاد، على اختلاف أعراضها وأطوالها. وحاصل القول فيها: إن الوصـف فيها لا يكـاد يحيط بها، ولا يعلـم قدرها ومزيتها إلا من شاهدها.

وكانت له معرفة بالعلمين، فيرى ما يذهل الفكر، ويحير النظر، ويُعلم أن من اهتـدى لاسـتخراج ذلك للعيان، بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير في تصوره هنا، قد أيِّد بنور الهدى، وإلهام ربّانيّ.

وقد ألف رسالة في وصفها، وكيفية العمل بها، في سائر المطالب التي تدرك بغيرها وزيادة، ولما شاعت هذه الرسالة عند الناس، تنافس الناس في اقتناء هذه الآلة، ولا يقدر أحد على عملها وإتقانها إلا هو، فكان يبيع الآلة منها بثمنٍ غالٍ.

والعجب أنها مصـنوعة من الكاغـد، ومع ذلك، لو ألقيت من شاهقٍ

لا تنكسـر، فهي مع صـلابتها خفيفة الحمل، لينة المجس، وصفة ما تتخذ منه ـ على ما أخبر به هو رحمه الله ـ أن يؤخذ الكاغد، فيلقى في الماء حتى يتحلل، ويصـير مثل العجيـن، ثم يأخـذ الصمغ العربي، فيلقيه [في] الماء حتى يتحلل، فيعجن بمائه ذلك الكاغد عجناً ناعماً، ثم يتخذ منه الكورة، ويجهد في تكويرها، حتى تكون متساوية الأقطار بالنسبة إلى المركز؛ بحيث لو ألقيت على سطح مستوٍ، لوقعت على نقطة واحدة.

وقد أخبر ـ رحمه الله ـ: أن ذلك شق عليه، حتى أخذ مسماراً، وأدخله في وسطها، ثم أخذ نصف دائرة من نحاس منقوب الطرفين، فأدخل طرفيه في رأس المسـمار الخارجين عن جنبي الكـرة، ثم أخذ يدير نصف الدائرة المذكـورة على ذلك العجيـن المكـور، ويزيـل الناتئ منه، مثلويزيد على المنخفض حتى تكـورت غاية التكوير، ثم طلاهـا ببياض الوجـه، ثم كتب عليه ما احتاج إلى كتابته، ثم دهنها بدهن الكتان فوق الكتابة، فلأجل ذلك لا تمحى الكتابة المذكورة، ولو أصابها بلل من عرق اليد أو غيره.

وكذلك أيضا الدائرة التي فوقها، مصنوعة من مثل ذلك، إلا أنه يخرمها ما دامت رطبة، فإذا يبس شيء منها قبل تمام خرمه، شق عليه؛ لأنه لا يكاد يعمل فيه الحديد إلا بمبرد من الهند يبرده به كما يبرد النحاس والحديد.

وقد أخبر ـ رحمه الله ـ: أن الآلة الأولى التي استخدمها بقي في وضعها نحو عام، واحتاج إلى كثير من الآلة في اصطناعها، ثم بعد ذلك سهلت عليه حتى صار يصنعها في مدةٍ قليلةٍ.

وبالجملة: فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وصنعة اليد، فلا يكاد يتعاصى

عليه شيء من الصناعات المندرسة التي لم يبق إلا أخبارها، فضلاً عن الموجودة.

وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه، مع ما يتوقف عليه من علوم الحساب وغيره، إلا أنه يتحامى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلة ديانةً منه ـ رحمه الله تعالى ـ وكان يقول: إن ما يتبجح به بعض المنجمين من المعاصرين؛ من علم حوادث الجو؛ من الخسوفات والكسوفات، ونزول الأمطار والصواعق، وما هو بسبيل ذلك، أمرٌ قريبُ المدرك، سهل التناول، والتحقيق في هذا العلم أمر وراء ذلك، والتشاغل بمثل ذلك بطالةٌ وتمويهٌ على العوام بأمور تشبه إدراك الغيب، وذلك مذمومٌ شرعاً.

وله ـ رحمه الله تعالى[1] ـ «قصيدة في علم التوقيت» أكبر من «الروضة» بالغ في تجويد نظمها، وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيراً من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بيّن حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرب العمل بضوابط وقواعد مبنية الأرصادات الصحيحة، الواقعة في هذه الأزمنة الغريبة؛ كأرصاد السلطان أولغ بيك أحدِ ملوك العجم المتأخرين، تمهرَّ في هذا الفن غاية، وجمع من علماء مملكته من هو مثله في تحقيق الفن، فاستعان بهم في تحقيق ما رامه من ذلك، ولم يقلِّد الأقدمين، ولا من بعدَهم في شيء من تلك الأشياء، فرصد بنفسه هو وأصحابُه ما احتاج إلى رصده، حتى تحقق له ما بنى عليه الأعمال المطلوبة، حسبما ذكر لهم ذلك، في أول زيجه الذي هو أصح الأزياج في زماننا هذا، على ما قال أرباب ذلك الفن.

---

(١) في الأصل: نفع الله به.

ولصاحب الترجمة شرحٌ على منظومته المذكورة، أجاد فيها غاية الإجادة.

ولم يزل ـ رحمه الله تعالى ـ مقيماً بالمدينة، حتى طرقه طارق المجاورة بمكة، فتوجه من المدينة إلى مكة، وأقام بها مدةً مديدةً، وألف بها مؤلفات مفيدة، منها: «مختصر تلخيص المفتاح وشرحه»، و«حاشية على شرح التوضيح»، و«حاشية على التسهيل».

ولازم الإقراء في فنون شتى، وأكب على الإقراء والتصنيف، ثم جد في تحصيل علم الحديث، وجمع كتبه، واجتمعت إليه الطلبة الفضلاء ولازموه، ومنهم: السيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، والشيخ عبدالله بن سالم البصري، والسيد محمد بن أبي بكر الشلي، والشيخ حسن بن علي العجيمي، وكثير، واختصر «تفسير الوصول إلى جامع الأصول» للعلامة المحدث عبد الرحمن الربيع، أحسن في اختصاره، وأجاد كل الإجادة، وبين فيه أوهاماً وقعت لأصله.

ولما قدم مصطفى باشا، أخو الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلي، سنة إحدى وثمانين وألف، اختص به، وأخذ عنه، وولع به، واصطحبه[1] معه إلى الروم، فلما وصل إلى مصر، أجلَّه أهلها في غاية الإجلال، وأخذ بها عمن بها من شيوخ عصره، ومنهم: شيخنا خاتمة المحققين الشبراملسي، وأجازه.

وتوجه من مصر إلى دمشق، فمر بطريقه على «رملة» فلسطين، فأخذ بها عن خاتمة العلماء المحققين الشيخ خير الدين الرملي الحنفي، وأجازه، ولما وصل إلى دمشق، اجتمع إليه علماؤها، وبالغوا في تعظيمه، وأخذ بها عن

(١) في الأصل: وأصحبه.

خاتمة المسندين الشيخ محمد بن بلبان الحنبلي الصالحي، وعن السيد محمد ابن كمال الدين نقيب الأشراف بدمشق.

ولما وصل إلى قسطنطينية، حظي عند الوزير أحمد باشا الكبرلي فمن دونه، ومكث ثمةَ نحو سنة، ورجع إلى مكة مجللاً معظماً، وحصلت له الرياسة العظمى، التي لم يعهد مثلها لمثله، وفوض إليه من السلطنة العلية النظر في أمور الحرمين مدةً، حتى صار شريفُ مكة بركات بن محمد لا يصدر إلا عن رأيه، وأنيطت به الأمور العامة والخاصة، ونال من الجاه، ما يتجاوز الوصف، إلى أن مات الوزير المذكور، فرق حاله، وانحطت مرتبته. **شعر:**

لكلِّ شيءٍ إذا ما تَمَّ نقصانُ   فلا يُغَرَّ بطيبِ العيشِ إنسانُ

ثم ورد أمر سلطاني إلى مكة، سنة ثلاث وتسعين وألف، بإخراجه من مكة إلى بيت المقدس، وسببه عرض الشريف بركات أمير مكة فيه إلى السلطنة، أن يخرجوه من مكة، وزعم أنه تضرر منه، وكان ذلك يوم عيد الفطر، وألح عليه قاضي مكة وأميرها الشريف سعيد بن الشريف بركات بن محمد، في امتثال الأمر السلطاني، والخروج من مكة، فامتنع من الخروج في هذه الحالة، وتعلل بالخوف من قطاع الطريق، وأبى أن يسلم نفسه وماله للسراق في هذه الحالة، فأمهل بعد علاجٍ شديدٍ وتوجهٍ من بعض الأشراف، إلى مجيء الحجاج إلى مكة.

ثم توجه صحبةَ الحاج الشامي، وأبقى أهله بمكة، فلما وصل إلى دمشق، أقام بها إلى أن توفي في عامه، في حادي عشر ذي القعدة، سنة أربع وتسعين بعد الألف، ودفن بالصالحية، بسفح قاسيون، بالتربة الإيجية المعروفة ثمة.

ورثاه جماعة من أهل دمشق، بقصائد طنانة، وكان له مشهدٌ عظيمٌ ـ رحمه الله تعالى ـ، وله فهرسٌ بجميع مروياته وشيوخه، سماه: «صلة الخلف بموصول السلف»، وقد وقفت عليه، فوجدته مأخوذاً من فهرس العلامة المحدث محمد بن طولون الدمشقي.

وذكر في آخره: أنه وقع له بالمغرب عجائب، منها: أنه كان مجتازاً على بلد العارف بالله أبي عبدالله محمد بن محمد الواورُغتي التادلي، وهو قاصد بلداً أخرى، فسأل عن البلد، فقيل له: إن فيه شيخاً مربياً، صفته كذا وكذا، قال: فجذبني الشوق، ولم أملك نفسي حتى دخلت بلده، فلقيني رجلٌ خارجٌ إليّ، وقال: أمرني الشيخ أن أخرج إليك وآتيه بك.

فلما دخلت عليه، رفع بصره إليّ، فوقعت مغشياً عليّ بين يديه، وبعد حين أفقت، فوجدته يضرب بيده بين كتفي، ويقول: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[الشورى: ٢٩]، ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾[القصص: ٦١]، فأمرني بملازمته، ومذاكرة أولاده بالعلم، فقلت له: إني طلبت كثيراً، لكن إلى الآن ما فتح الله لي في شيء، ولا أقدر على استخراج كتاب، ولا الآجرومية، وكنت إذ ذاك كذلك.

فقال لي: اجلس عندنا، ودرِّس كل علم شئت، في كل كتاب شئت، ونطلب الله أن يفتح لك، فجلست، فدرست طائفة من الكتب التي كنت قرأتها، وكنت إذا توقفت في شيء، أحسُّ بمعاني تُلقى على قلبي، فكأنها أجرام، وغالب تلك المعاني هي التي كانت مشايخنا تقررها لنا، ولا نفهمها، ولا أتذكرها قبل ذلك.

وكان مسكني قريبـ[ـاً] من مسكنه، فكنت أعرف أنه كان يختم القرآن العظيم بين المغرب والعشـاء يطلب بها النوافل، ورأيته يوماً تصفح جميع المصحف الشـريف، وجميـع «تنبيه الآنام»، وجميـع «دلائل الخيرات» في مجلس، فتعجبت منه، وسألت بعض الحاضرين، فقال لي: من ورد الشيخ أن يختم ثلاثتها بعد صلاة الضحى[1].

وشاهدت له العجب العجاب، في نزول البركة في الطعام، وغير ذلك مما هو محض كرامة الله تعالى لأوليائه.

ومنها: أنه لقي يوماً العلامة عيسى المراكشي، وقد احتفَّ به خلقٌ كثير يزدحمون على تقبيل ركبته وهو راكب، قال: فزاحمتهم حتى أقبل يده تبركاً، فانحنى إليّ دون الناس، وقال لي: أجزتك بجميع مروياتي، فكأنما طبعها في قلبي إلى الآن.

وكان ذلك قبل اشتغالي بطلب العلم، ولست متزيياً بزيٍّ طلبته، حتى يقال: إنه رأى علامة الأهلية، ولا أن ذلك من عادته مع المتأهلين للإجازة، بل لم يظفر بالإجازة منه إلا القليل من أخصائه فيما أظن، ثم بعد غيبتي عنه ثمانية أعوام في طلب العلم الشريف، منّ الله عليّ بالرجوع إليه، وتجديد الأخذ عنه، سنة ستين بعد الألف، قبل وفاته بسنة، ولله الحمد. انتهى.

قلت: وقد اجتمعت به كثيراً، وقرأت عليه من كل الكتب الستة، وأجاز

---

(١) هذه الأباطيل وأمثالها مما يُروج لها أدعياء الطريق، وأهل الشطح والتصوف، وإلا فمن له شيءٌ من دين أو مسكة من العقل لا يقبل من هذه الخرافات، رحم الله المصنف وغفر له.

لي روايتها، وحضرته مجالس في «صحيح مسلم»، وفي «شرح المسايرة» لابن أبي شريف، ببيته بالمسجد الحرام ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٧٨] محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البخشي بن محمد بن أحمد البكفالوني، ثم الحلبي الشافعي[1].

سيد أهل الأثر والحديث، واللابس من أردية الفضل كل قديم وحديث، وكعب الأحبار، وجُهينة الأخبار، وكنز الفنون العربية، ومعدِن العلوم الدينية، وسر المواهب اللدنية، ومورد المناهل الدنيوية.

أحاديث فضله على أعلام الرواة مرفوعة، وأسانيد مجده على سرر المراتب موضوعة، فهو البحر الذي وقفت كل الأفاضل على ساحله، والحبر الذي لا يعُرف في الفضل أواخره من أوائله، سنده في العلم أعلى سند، وأوصافه في المجد جلَّت عن العدد، وذاته مرآة الزمان، وصدره مجموعة العرفان.

ولد بـ «بكفلون»، وهي قرية من أعمال حلب، في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وثلاثين وألف، وبها قرأ القرآن العظيم، ونشأ في حجر والده في أرغد عيش ونعيم، قرأ في بدايته بحلب، على أبي الوفاء الفرضي، ثم رحل إلى دمشق الشام، وأخذ عمن بها من علمائها الأعلام.

وأخذ الطريق عن العارف بالله أيوب الخلوتي، وقرأ عليه جملة من فنون، وأطلعه على كثيرٍ من أسرار علمه المكنون، حتى نال منه غاية الأمل،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦٤٥)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٥)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٧٦) (١٠٠٥).

وأثمرت له من غيث دعائه أغصان العلم والعمل، فرجع إلى أهله بنعم وافرة، ومزايا متكاثرة، ثم توطن حلب، وأخذ بها عن عالم عصره محمد الكواكبي، وأقام بها على بث العلم ونشره، في غالب أوقاته.

وله من التآليف الشافية: «نظم الكافية»، و«شرحٌ لطيفٌ على البردة»، وغير ذلك مما لم يعتن بإظهاره، ولم يطلع عليه أحدٌ لعدم اشتهاره.

وله في حلبة الأدب سباقٌ مشهورٌ، ودررُ قلائدَ تودُّها اللبَّاتُ والنحور، فمن دره الرطيب[1]، وجوهر نظمه الغريب: قوله يمدح الشريف سعداً، وأخاه أحمد ابني الشريف زيد بن محسن أمير مكة، وهما بالقسطنطينية، دار الخلافة العثمانية:

خليليَّ إيهٍ عن حديثِ صَبا نجدِ ... وإن حركت داء قديماً من الوجْدِ
فآهاً على ذاكَ النسيمِ تأسُّفاً ... وآهٍ على آهٍ تروح أوتجدي
عليلةُ أنفاسٍ تصح نفوسا[2] ... معطرةُ الأردانِ بالشيحِ والرندِ
وهيهاتَ نجدٌ والعُذَيبُ ودونه ... مهامِهُ تغوي الكبد فيها عن الوردِ
ومن كل شمَّاخ الأهاضبِ خالط السْـ ... ـسَحاب يرومُ الشمسَ بالصدِّ والردِّ
وتسري الصَّبا منه فتمسي وبيننا ... من البون ما بين السماوة والسِّندِ

ومنها:

سقى الله من نجد هضابا بأرضها ... تَنَفَس عن أذكى من العنبر الورد

---

(١) في الأصل: الرطب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: نفوسنا.

وحيَّـا الحَيـا حَيَّـا نَعِمْنـا بظلِّـه ... بنعمـانَ مـا بـين الـشَّبيبة والرفـد
نغازلُ غزلاناً كـوانسَ فـي الحـشا ... أوانسَ في ألحاظها مقنصُ الأُسْدِ
تحاكي الجوارِ الكنَّسَ الزُّهْرَ بهجةً ... وتفضُلُها في رفعة الشانِ والـسعدِ
حجازيةُ الألفـاظ عذاريـةُ الهـوى ... عراقيـةُ الألحـاظ ورديـة الخـدِّ
بعيدةُ مهوى القُرط معسولةُ اللمى ... مرهَّفـة الأجفـانِ عَـسَّالة القَـدِّ
تميُس وقد أرختْ ذوائـبَ فرعِهـا ... فتخطـرُ بـين البـان والعَلَـمِ الفـردِ
وتعطف بجيدٍ عطل الحليُ حـسنَه ... كـأَن ظبيـةٍ تعطـو إلـى ريِّـق الـردِّ

ومنها:

وكـم ليلـةٍ باتـت يـديها حمـائلي ... وباتت يدي من جيدها مطرحَ العِقْدِ
نـدير سـلافاً مـن حـديث حَبابهـا ... على حين ترشاف ألذَّ مـن الـشهدِ
ولما تمطَّى الصبحُ يطلـبُ علمَنـا ... تَكَنَّفنـا ليـل مـن الـشَّعَر الجَعْـدِ
عفيفـينِ عمـا لا يليـق تكرمـاً ... على ما بنا من شدة الشوقِ والوجـدِ
وقد كان يسعى الدهرُ في شتِّ شملِنا ... ولكن تـوارى شـفعنا عنـه بـالفرد
فأصـبحتُ أشـكو بينَهـا وفراقَهـا ... بشطِّ النوى شكوى الأسير إلى القِدِّ

ومنها:

وإني قد اسـتطلعت دَرْكَ مطـالبي ... وتبليـغَ آمـالي ومـا نـدَّ عـن جـدِّ
بطلعة نجلَيْ روية المجد غاربِ الـ ... ـمعالي سنامِ الفخر بل غرةِ الحمـدِ
إمامِ المصلَّى والمحصَّب والـصَّفا ... وراثـةَ جـدٍّ عـن نمـيٍّ إلـى جَـدٍّ
أبي أحمدٍ زيدِ الصناديدِ في الوغى ... بني حسنِ الأسدِ الكواسـرةِ الحـدَّ

بُـزاةِ العـلا الغـر الميامنـة الألـى سما قدرهم يومَ التفـاخر عـن نِـدِّ
غيوثٌ إذا أعطوا ليـوثٌ إذا سـطوا مناقبُهم جلَّـت عـن الحـدِّ والعـدِّ
فما أفلَتْ شـمسٌ لزيـدٍ وقـد بـدا لنا من ضياها شمسُ أحمدَ والسعدِ

ومنها:

همـا نيِّـرا أوجِ المعـالي وشَّـرفا بروجَ قصورِ الروم في طالعِ السعدِ
ومذ رحلا عن مكـةٍ غـابَ أنـسُها فكانا كنصلِ السيف غابَ عن الغمد
أضاءت بهم أرضُ الشآمِ وأصبحت ضواحي نواحي الروم تنضحُ بالنَّدِّ

ومنها:

وقـد طالمـا ذابـتْ قـديما تـشوُّفاً إلى نيـل تقبيـل المـواطئ بالجـدِّ
إلـى أن تجلَّـى الله جـل جلالـه عليهنَّ بالإنعـامِ والـيمنِ والرشـدِ
فأصـبحْنَ يحكـين الجنـان تبرجـاً ويرفُلْن من نور الخمائل فـي بـردِ
جواديْنِ في شوطِ المماجـدِ جَلَّيـا وحازا رهانَ السبقِ في خنقِ الضدِّ
براحاتهم إن تنسب الجودَ في العطا فتلك بحـورٌ تتقـي الجـزرَ بالمـدِّ
وإن أحسنَ السحُب النباتَ بمائها فكم أحيتِ الراحاتُ أنفسَ مُسْتجدِ
ريـاضٌ لمرتـادٍ حـصونٌ للائـذٍ رجـومٌ لمـستعدٍ نجـومٌ لمـستهدِ
شـمائلُ تهـزو بالـشمائلِ لطفُهـا وعطفُ شَمولِ الراح هزتـه تُبـدي
إذا ما دجا ليلُ الخطوبِ بمعـضلٍ أماطَ لثامَ الكشفِ عن ذاك بالجـدِّ
بهم شرُفَت أرضُ الحجازِ وأمنت ظباها وأَمَّتْهـا الوفـودُ إلـى الرفـدِ

ومنها:

بنو هاشمٍ إن كنتَ تعرفُ هاشماً ... وما هاشمٌ إلا الأسنةُ للمجدِ

بهم فخرتْ قحطان والعربُ كلُّها ... ودانت لهم قحطانُ أهلُ القنا الصَّلدِ

فمن مجدِهم يُستقبس المجدُ كلُّه ... ومن جودهم أهلُ المكارم تستجدي

هنيئاً بني المصطفى الشرفُ الذي ... تسامى فلا يُحصى بعدٍّ ولا حدٍّ

بمدحتِكم جاء الكتابُ فما عسى ... تقولُ الورى من بعد حواميمَ والحمدِ

وعذراً بني الزهراء إني ظامئ ... إلى المدح والأيامُ تُنسي عن الوردِ

يودُّ لساني أن يترجمَ بعضَ ما ... لكم في فؤاد الصبِّ من صادق الودِّ

وقد تعبتْ مني القريحة نضبة ... على حذرٍ من حاذرٍ أحذر الرُّبْدِ

كنفثةِ مصدورٍ ولمحةِ عاشقٍ ... تسارقُه عينُ الرقيبِ على بُعدِ

فإن أعطتِ الأيام بعضَ قيادها ... رأيتم له من مدحكم أعظمَ الوردِ

سمعت عليه بمنزله بمكة، بمدرسة قايتباي، الحديثَ المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعته منه، بروايته له عن أيوب الخلوتي، وهو أول حديث سمعه منه، بروايته له عن إبراهيم الأحدب، وهو أول حديث سمعه منه، بروايته له عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وهو أول حديث سمعه منه، بسنده المشهور في معجم شيوخه.

وكان ذلك بسؤالٍ مني له في ذلك، بحضور شيخنا الحسن بن علي العجيمي، وصاحبنا الفاضل سليمان بن أحمد وغيرهما، وأجاز لي برواية ذلك، مع بقية مروياته، وحضرت دروسه بالمسجد الحرام، في «صحيح البخاري»، وبالمدرسة المذكورة في «رسالة القشيري»، و«الحكم» لابن

عطاء الله، و«التنوير»، وغيرها.

توفي ـ رحمه الله ـ بمكة، ليلة الثلاثاء، الخامس من شهر ربيع الثاني، سنة ثمان وتسعين وألف، وصلى عليه إماماً بالناس، ضحى يومها، بالمسجد الحرام، الشيخ الصالح أحمد النخلي، في مشهدٍ حافلٍ، حضره شريف مكة أحمد بن زيد، وقاضيها، وغالب أعيانها، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ ـ رحمه الله، ونفعنا به في الدارين ـ.

وأخبرني: أن بعض الأولياء بحلب، أخبره: أنه يقيم بمكة إقامةً طويلةً جداً، فقدم مكة في موسم سنة ست وتسعين، وأقام بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور، فكان في كلام ذلك الولي إشارةٌ له أنه يموت بمكة، فإنه لم تطل إقامته حياً، كما أخبر ذلك الولي، وكان يظن أن تطول إقامته حياً، فلم يقدر ذلك، وكانت إقامته ميتاً، فهنيئاً له إذ أراد الله له سعادة الدارين، وجعل تربته بأفضل الحرمين.

وكان ـ رحمه الله ـ ذا خلق رضي، وسمت حسن نبوي، كثير التحمل للأذى، مدارياً لأهل وقته، عارفاً بأحوال زمنه، معنياً بما يعنيه من أمور دينه ودنياه، متواضعاً سخياً، ينفق جميع ما يأتيه على وجوه الخير، وكان محباً للفقراء، معظماً لهم، كثير الاعتقاد للمجاذيب، وإذا جاء أحدٌ منهم، يُجله ويعظمه، لا يتكلم إلا في خير، ولا يذكر أحداً إلا بخير ـ رحمه الله ـ.

[٣٧٩] محمد بن محمد بن محمد البُديري ـ مصغراً ـ الدمياطي الشافعي، الشهير بابن الميت[١].

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٧/ ١١٤٠).

صاحبي ورفيقي في الطلب، وشريكي في الجثي بين يدي المشايخ على الركب، الشيخ الفقيه، المفنن النبيه، العالم الصالح الكامل، الصوفي السريرة، الحسن العشرة والعشيرة، اللطيف الطباع والشيم، المطبوع على الصدق والحياء والكرم.

مولده بدمياط، سنة أربع وخمسين وألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وقرأ بالروايات جميع القرآن العظيم، على شيخنا مقرئ مصر في عصره محمد البقري، وأجازه بمروياته، ولازم شيخنا أحمد البشبيشي، في دروسه الفرعية وغيرها، وأخذ عن شيخنا علي الشبراملسي، وغيره من علماء المصريين.

وقرأ ببلده دمياط على الفقيه زين الدين الدمياطي، والفرائض والحساب على محمود القباني الدمياطي، وحصل من العلم ما تنشرح له الصدور، وتقر به العيون، في غالب الفنون المتداولة بالديار المصرية.

وأقام ببلده للتدريس والإفادة، ورزقه الله الحسنى وزيادة، وكان في مدة مجاورته بالجامع الأزهر، لا يفارقني في غالب الأوقات، وأتذاكر معه في دقيق العبارات، ونتجاذب أكؤس المنادمات، حتى حالت بيني وبينه الأسفار، وفرق الدهر بيننا وأبعد الدار، ثم قدم مكة، واجتمعت به، ورجع إلى بلده.

واتفق أني كنت وإياه في منتزه من منازه مصر، فغضب بعض الحاضرين في المجلس على عبد له اسمه سالم، وضربه ضرباً وجيعاً، وكان سبق منه أن ضربه مرات عديدة، في مجالس حضرتها، فقلت للمترجم: أكثر ما يضرب سالم، فتوقف في هذا التركيب، وقال لي: كيف إعراب سالم؟ فقلت له:

يجوز فيه الرفع والنصب، نظيره ما أجازه بعض شراح «أدب الكاتب»، في قول ابن قتيبة فيه: إن اللمع بياضٌ في الشفتين، وأكثر؛ ما يعتري ذلك السودان، استجازوا رفع السودان، ونصبه، فالرفع على أنه خبر أكثر؛ أي: أكثر من يعتريهم ذلك السودانَ، والنصب على أنه مفعول يعتري، وما مصدرية؛ أي: أكثر اعتراء ذلك السودان، وهذا المفعول هو الذي أغنى عن الخبر؛ لأنه الجزء المستفاد من الكلام، فأعجب به، ثم عرضه على شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي، فاستحسنه ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٨٠] محمد بيك بن يار محمد بن خواجة محمد بن مير موهب[1].

البخاري الأصل، البرهانبوري المولد والمنشأ، الهندي النقشبندي الحنفي، الشيخ الإمام، العلامة المحقق، نور الدين، صاحب الفضائل والمعارف، والعلوم الباطنة والعوارف والأصول.

قد ترجم نفسه في مؤلفٍ مستقلٍ ذكر فيه أحواله، فقال: إن جده خواجه محمد قدم من ناحية بخارى إلى بلاد الهند، وصحب بعض ملوكها، وأقام بها، وسكن ببرهانبور، **وولد** المترجم بها، آخر ليلة أربع عشرة، في شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وألف، وتوفي والده وهو صغير، فقرأ القرآن، وختمه قبل البلوغ.

واشتغل بالعلم الفارسي حتى بلغ، فذهب يوماً لصلاة الجمعة إلى مسجد الشيخ الإمام الأكمل، منبع الأسرار الإلهية، ومعدن العلوم اللدنية،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١١٠)، «هدية العارفين» (٢/ ٣٠٦)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٣٥).

الشيخ عبد اللطيف البرهانبوري، فصلى الجمعة معه، ثم دخل الشيخ إلى بيته لأداء سنة الجمعة، وكان المصلون بعد أداء الصلاة جالسين، منتظرين لقدوم الشيخ، حتى خرج من بيته، وجلس في صحن المسجد يعظ الناس، وهم كأن الطير على رؤوسهم، فأثرت رؤيته له وكلامه فيه تأثيراً عظيماً، وانقطع خاطره عن بعض التعلقات الدنيوية.

وكان الشيخ صاحب حال ومقال، وأكثر الناس تابوا على يديه توبةً نصوحاً، وحصلت لهم بركة كبيرة بصحبته، واستقاموا على جادة الشريعة، حتى إن السلطان محمد أورنك زيب سلطان الهند، اجتمع به ليلة من الليالي، فأثرت صحبته فيه تأثيراً بليغاً، فاشتغل بالصوم والصلاة، وقيام الليل، واكتساب المعارف، وصار مولعاً بالعبادة، وغلبت عليه التقوى، وإجراء أحكام الشريعة، والعدل في بلاده بحسب المقدور والإمكان، ولم يزل على هذه الصفة، إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته، وكان السلطان المذكور يذكر الشيخ كثيراً بالتعظيم والتكريم، في غالب الأحيان، وأحوال هذا الشيخ السنية، واستقامته مشهورة في الهند، مستغنية عن البيان.

ثم شرع المترجم في قراءة علم الصرف على الشيخ الجامع بين العلوم النقلية والعقلية، صاحب السلوك والمعرفة في الطريق الحسنية الشيخ محمود، ولما فرغ من قراءة الصرف، قرأ عليه النحو، ثم ماتت أمه وهو ابن ثمان عشرة، فتوجه إلى مدينة «ملتان»، وكان بها إذ ذاك السلطان محمد أورنك زيب، فقصد ملازمته على قواعدهم، وخدمه نحواً من سنتين، ثم خطر له خاطر رحماني، فعزم على ترك ملازمة السلطان، والاشتغال بكسب العلم.

فتوجه إلى لاهور سنة اثنتين وستين وألف، ولقي علماءها وصلحاءها،

وخدم الشيخ العارف بالله نور محمـد القادري، وكان مجذوباً مسلِّكاً، يربي المريدين بالنظر والصحبة، بغير تلقين ذكر، فحصلت له ببركة صحبته الرغبة في السلوك، والاشتغال بخدمة ملك الملوك.

واشتغل بها بالعلم الظاهر عند الشيخ نعمة الله الحافظ البصير البلخي، فقرأ عليه «شرح الكافية» للجامي، ثم سافر بإذن الشيخ نور محمد المذكور إلى بلدة الغزني، وزار مزاراتها، ثم رجع منها إلى كشمير، وأخذ عن الشيخ محمد أمين الدار النقشبندي، قال: ورأيته يوماً توجه إلى قلب مريده، فغاب مريده عن حواسه، وظهر من قلبه صوت من ذكر الله تعالى.

ثم جاء صحبته إلى لاهـور، ومكث فيها مدةً، ثم سافر منها إلى دار السلطنة، دهلي جان آباد، وأقام بها ثلاث سنين، وزار أكابرها، واشتغل بها بالفقه والمعاني، والمنطق والحساب عند الشيخ كليم الله، والشيخ محمد صالح، وكان من العلماء العاملين، والصوفية الزاهدين.

ثم قدم إلى دهلي أيامَ إقامته بها الشيخُ محمد سعيد، والشيخ محمد معصوم، والشيخ يحيى، أبناء إمام العارفين، ومقتدَى السالكين، الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، فتشرف بلقائهم، وسمع من بعض مريديهم: ذكر لفظ الجلالة بالقلب، وكان مشغولاً به.

ثم سافر من دهلي في سنة ست وستين وألف، إلى بلدة مراد آباد، وقرأ في الأصـول كتاب «المنـار»، و«البـزدوي» على الشـيخ عبدالله تلميذ الملا عبد الحكيم السالكوتي، وأخذ بها السـيد عبد الجليل الذكر القلبي، وكان هذا السيد من مشايخ الطريقة القادرية والنقشبندية والخشتية، مرتاضاً زاهداً في الدنيا، يستفيد المريدون والسالكون منه أحوالاً عظيمة.

ثم سار من مراد آباد، إلى بلدة جونبور، وزار على طريقه من كان من المشايخ، واستمد منهم صالح الدعاء، فبلغه أن قرية «سلون» فيها شيخ صاحب حال وكرامات، اسمه الشيخ بير محمد، فقدمها، واجتمع به، وكان من مشايخ الخشتية والقادرية، فلما رآه، استبشر به، ولقنه الذكر النقي، والأثبات مع الإرادات الخمس، بالقلب بحبس النفس، وأمره بحفظ الأنفاس، وقطع من شعر رأسه قليلاً بالمقص، وقال: فيه إشارة إلى قطع العوائق الدنيوية الفانية، وكان في خدمته زماناً، حتى حصل له الحضور بالذكر، ثم لقنه لفظ ذكر الجلالة، بتحريك اللسان بلا صوت.

وكان مشغولاً بكسب العلم الباطني بحضرته، حتى ألقى الله على قلبه واردةً، انكشفت له بها مسألة وحدة الوجود، وبمدد روح المولى عبد الرحمن الجامي وكلامه ـ قدس سره ـ فتح عليه باب علم الحقائق والتصوف، وأجازه الشيخ بير محمد بالطريق الخشتية، بسنده المتصل، في فهرس المترجم.

ثم سافر إلى بلدة جونبور، سنة تسع وستين وألف، وزار المشايخ الذين كانوا فيها، ومنهم: علامة المنقول والمعقول، العارف بالله الشيخ عبد الرشيد، واستمد منه الدعاء، وقرأ على الشيخ العلامة عبد الشكور، كتاب «المطول» للسعد، و«شرح المواقف» للسيد، و«التوضيح مع التلويح»، و«الهداية في الفقه»، و«تفسير البيضاوي»، وكان مشتغلاً بالعلم الباطني، مع اكتساب العلم الظاهري.

ثم توجه إلى بلدة يَتَنَهْ، سنة إحدى وسبعين وألف، ولقي بها الإمام الأكمل، مرشد السالكين، ومقتدَى العارفين، الشيخ سلطان النقشبندي، فلقته ذكر اسم الذات على الطريقة النقشبندية، وتوجه إلى قلبه زماناً، وألقى الفيض

الإلهي فيه، وأجازه بطريق النقشبندية وغيرها من الطرق التي وصلت إليه من المشايخ.

وقرأ «شرح حكمة العين»، «وشرح الجغميني»، و«شرح التذكرة في علم الهيئة»، و«تحرير إقليدس في علم الهندسة»، و«الشرح العضدي مع حاشية الشـريف الجرجاني عليـه»، و«معرفة الإسطرلابات»، و«القانونجة في علم الطب» على العارف بالله السـيد جعفر، وقـرأ «زيج مرزا ألغ بيك»، وبعض العلوم الجزئية، وبعض مسائل «الشفا» لأبي علي بن سينا، و«شرح الإشارات» على الشيخ حبيب، وحصل له منه حظ وافر، وأخذ عن الشيخ محب الله الإله آبادي، شارح «فصوص ابن عربي»، وصاحب المؤلفات الكثيرة في التصوف، بعض الفتوحات والفصوص.

قال: ومن الاتفاقات الحسنة: أن جميع شيوخه الذين قرأ عليهم كانوا متصفين بالعلوم الظاهرة والباطنة، زاهدين في الدنيا، عاملين بالتقوى.

ثم سـار من يَتَنَه إلى فيـر زبـود، موضـع الشيخ الأجلّ زبدة الصلحاء الواصلين، السيد نعمة الله القادري، وكان صاحب جاه وجلال، فزاره به، وسمع عليه بعض المسائل من «الحاشية القديم على شرح التجريد»، وفرغ من تحصيل هذه العلوم الرسمية، وهو ابن ثلاثين سنة، فوقع في قلبه إرادة الحج، وزيارة النبي ﷺ، فتوجه إلى هذا السفر.

قال: وكان في أثناء الطريق يستغرق في الذكر، فإذا وقعت الواردات على قلبه، ألقته في بحر التوحيد والوجود، الذي لاابتداء له ولا انتهاء، في جميع الجهات، وهو مستغرق فيه، وغلبت على قلبه وبصيرته، هذه الخواطر، حتى كان ينظر في هذا البحر المحيط بجميع الكائنات بالبصر، وقلبه مملوء

بالحضور، ولا يميز وجوده من بحر هذا الوجود، ويرى جميع حركاته وسكناته فيه؛ كحركات السمك وسكناته في البحر، والله أعلم بحقيقة هذا الحال.

ثم وصل إلى قرية دَرَيْنكه، وكان فيها صاحب العلوم الفائقة، السيد صفي الدين القادري الشطاري، فجلس عنده أياماً، وأعطاه إجازة بما وصل إليه من مشايخه من الطرق والأوراد والذكر.

ثم توجه إلى قرية راجَكِير، وبها معبد الشيخ شرف الدين يحيى المنيري، صاحب الكرامات المشهورة، والمصنفات المشهورة في علم الحقائق والسلوك، فاعتكف فيه أربعين يوماً، ففتح الله عليه بعض الحالات والكيفيات.

ثم انتقل منها إلى بلد اجْمِير، وزار فيها مقام الشيخ معين الدين الجُشْتي، ومنها إلى بلدة أُجَير، ومنها إلى مسقط رأسه برهانبور، ولازم الشيخ برهان، وكان مقتدَى أهل عصره، فلقنه الذكر على طريقة الشطارية، ودعوة الصراط المستقيم من الجواهر الخمس للسيد محمد الغوث.

ثم سافر إلى قرية حالَنابُور، وكان فيها العارف الكبير جان محمد، فاجتمع به، وأدخله الخلوة، وأجازه بدعوة الأسماء الأربعين، وحصل له حالٌ عظيمٌ، ثم سافر منها إلى بندر سُورت، ومنها إلى بلدة أحمد آباد، وزار المشايخ الذين كانوا فيها.

ثم رجع إلى سورت، وأقام بها، حتى قدم إليها حاجاً العارف بالله الشيخ يحيى بن أحمد السّرْهَنْدي النقشبندي، فركب معه البحر، ونزل معه بندر المخا، ومنه إلى زَبيد، وأخذ عن مشايخها.

ثم وصل إلى مكة المشرفة، سنة خمس وسبعين وألف، فاجتمع بها بالشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري، والشيخ المحدث محمد بن

سليمان المغربي، وأخذ عنهما الحديث، وأخذ عن عبد الوهاب المصري علم التجويد، ثم وصل السيد عبد الرزاق بن شرف الدين القادري إلى مكة، فأخذ عنه طريق القادرية.

ثم ذهب إلى المدينة المنورة، وزار النبي ﷺ، وسمع بها «صحيح البخاري» على الشيخ ياسين الخليلي المدني، ثم سافر إلى مصر، وقرأ في الجامع الأزهر «ألفية العراقي» في أصول الحديث، و«الجامع الصغير»، ثم سافر إلى دمياط، ومنها إلى غزة، وأخذ بها عن الشيخ عبد القادر الغصين، ثم زار البيت المقدس، واجتمع بمن به من مشايخه.

ثم رجع إلى مكة المشرفة، فسمع من بعض الصالحين بذكر شيخ كامل ببلخ، صاحب كرامات وخوارق، وهو الشيخ حاجي علي النقشبندي البلخي، فسافر من طريق اليمن، حتى وصل إلى المخا، ومنها إلى مسكت من بلاد عمان، ومنها إلى ريك بندر، وأراد أن يسافر إلى شيراز، فوصل إلى عقبة كازرون، فآذاه الروافض، فرجع إلى البصرة، وزار النجف وكربلاء، ووصل إلى بغداد، وأخذ عمن بها من المشايخ، ثم توجه إلى همدان، وقزوين، ونيسابور، وسمنان، وطوس، وزار بها الإمام موسى بن علي الرضا.

حتى وصل إلى بلخ، سنة ثمانين وألف، فاجتمع بالشيخ المذكور، فأكرمه وأجلسه عنده، وكان معتكفاً في المسجد، وقد نوى اعتكاف أربعين يوماً، قال: فتوجه إلى قلبي، وكنت جالساً في حلقة مريديه معه، وكلهم كأن على رؤوسهم الطير، متوجهون إلى الله مستغرقون في الحضور والذكر.

وكل من كان يجلس في هذه الحلقة من المعتقدين، يحصل له الحضور بلا تلقين، وكم من شخصٍ حصل له الفناء، وهو الجذبة والذهول عن

الخواطر، وكانوا لغلبة هذه الجذبة كأنهم سكارى، وكانت صحبته مؤثرة، ولم يكن يلقن مريديه إلا هذه الكلمة: اعلموا أن الله تعالى حاضرٌ في جميع الجهات، وهو وراء الجهات.

قال: وكنت يوماً جالساً عنده، بعد صلاة التهجد معه، في حلقة مريديه في المراقبة وإذا بالنور حلّ في جسدي وملأه، وأنا أحسه في الباطن، وكنت على هذه الحالة حتى [إذا] تحركت، زال، هكذا كنت في هذه الكيفية دائماً.

ثم سافر بإذن الشيخ إلى سمرقند، وحبس بها مدة، وأخذ عن مشايخها، وزار بها خواجة عبيدالله الأحرار، وسائر أوليائها، ثم سافر إلى بخارى، واجتمع بعلمائها، ومشايخ الطريقة بها، وأخذ عنهم.

ثم رجع إلى بلخ، واستأذن من الشيخ في السفر، فأذن له، فسافر إلى كابل، وهي بلد كبيرة مشهورة، وزار مشايخها وعلماءها، ومكث بها مدةً، واجتمع بالشيخ العارف بالله الملا يا منده كلكار النقشبندي، من تلامذة الشيخ محمد معصوم النقشبندي السرهندي.

قال: ورأيته أخذ كاغداً، فقطعه مدوراً مثل الدينار، فقرأ عليه الفاتحة والإخلاص، وبلعه، وتوجه إلى قلبه، فخرج من حلقه فضة مسكوكة بسكة الهند، تسمى رُبّية، وهكذا كان يفعل كل وقت الاحتياج(1).

ورأيت منه كرامات كثيرة أيضاً، ثم جئت إلى جلال آباد، ومنه إلى بيشار، ومنه إلى آتك، ومنه إلى كشمير، ومنه إلى لاهور، قال: ورأيت من

---

(1) إذا لم يكن هذا من حال من يتعامل مع الجن مثلاً، أو أن الحكاية من صناعة خرافات المتصوفة فماذا تكون، أعاذنا الله من الخذلان.

العجائب والتجليات والفتوحات ما لا يدرك إلا بالذوق، ولا ينال إلا بالشوق.

وأقام بلاهور مدةً، واختلى بها للرياضة مدةً، حتى قدمها الشيخ العارف بالله محمد نقشبند بن محمد معصوم، أما الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، فزاره، وطلب منه التوجه، فتوجه إلى قلبه، وأفاض عليه علوماً فيضية.

ثم جاء إلى سرهند، واجتمع بالشيخ يحيى السرهندي ابن الشيخ أحمد الفاروقي، والشيخ عبدالله، والشيخ سيف الدين، ثم سافر إلى قرية يتن، وزار بها قبر الشيخ فريد الدين شكر كنج، واعتكف في مسجده أربعين يوماً، وحصلت له معارف إلهية.

ثم جاء إلى بلده دهلي، وزار مشايخها ومزاراتها، وأخذ عنهم، ثم منها إلى بلدة أكبرآباد، وكواليار، وزار بها قبر سيدنا ومولانا السيد الغوث مصنف كتاب «الجواهر الخمس» في فن الدعوة.

وكان إذا وصل إلى موضع أو قرية، زار قبور أوليائها وصلحائها وعلمائها، واستمد منهم، ثم استخار الله تعالى، وألقى القرعة في أي بلد يسكن، فخرجت للحرمين الشريفين، فجاء إلى مكة سنة أربع وثمانين، فحج، ثم زار النبي ﷺ، والعلماء الذين بهما، واجتمع بالسيد العارف بالله عبد الرحمن بن أحمد الإدريسي، واستمد من دعائه، وحضر بمكة دروس عيسى بن محمد الجعفري، ومحمد بن سليمان، وسمع منه الصحاح الستة، وكتب له إجازة بمروياته، على ظهر فرسه الذي سماه: «صلة الخلف بموصول السلف»، وألبسه الخرقة.

وأقام بمكة على خير وفي خير، يقرئ الناس فنون العلم، تارة بالمسجد

الحرام، وتارة بخلوته برباط الداودية، وأخذ عنه كثير من الفضلاء، واستفادوا منه، وألف مؤلفات كثيرة، منها: شرح القسمين الأخيرين من التهذيب في المنطق، سماه: «زبدة عقائد الإسلام في شرح تهذيب الكلام»، و«شرح على أشكال التأسيس» قرأت عليه طرفاً منه، وأجازني به وبمؤلفاته ومروياته، و«خلاصة الرسائل» في بيان فضائل مكة.

و«رسالة في الحج والعمرة»، و«الرسالة الكاشفة لهيئة الأرض والسموات بالأحاديث والآيات»، و«رسالة في جواب أسئلة السيوطي عن حروف الهجاء»، و«رسالة في بيان خوارق العادات لسيدنا بهاء الدين نقشبند»، و«رسالة فائض المنيبين في السلوك والحقائق»، و«رسالة في علم المعاني».

و«جواب سؤال للسيد أحمد الحموي» وقع في حاشيته على «الأشباه والنظائر»، عند قوله: الإيمان تصديق ﷺ في جميع ما جاء به من الدين ضرورة، و«رسالة في تعريف الإيمان وأركانه وشرائطه»، و«رسالة في علم الصرف».

و«الفوائد الفاخرة في بيان أحوال الدنيا والآخرة»، و«شرح الإرشاد في النحو»، و«جامعة الدلائل الشافية لمذهب الحنفية»، و«رسالة في أجوبة أسئلة وردت من الهند»، وتاريخ سماه: «خلاصة السير»، و«رسالة في سير الشمس والقمر وتقويمهما»، و«رسالة في الإسطرلاب»، و«رسالة أجاب بها عن اعتراضات السيد محمد البرزنجي على الشيخ أحمد السرهندي النقشبندي».

و«رسالة مفرح القلوب في آداب السلوك»، و«مرآة المقصود في دفع شبهات وحدة الوجود»، و«الفوائد السنية في بيان الأمور الدنيوية والضرورية،

و«شرح تهذيب المنطق»، وبعض عبارات وقعت في شرحه للملا عبدالله اليزدي، و«مختصر شرح التحرير لابن الهمام»، و«رسالة في حروف الهجاء»، و«رسالة في تقليد الحنفي للشافعي»، و«ترغيب الحسنات وترهيب السيئات» في الحديث.

و«رسالة في بيان حقيقة الكعبة»، و«مناسك الحج»، و«فضائل مكة والمدينة»، و«رسالة في عمرة المكي في أشهر الحج»، و«رسالة في رد مذهب الروافض»، و«رسالة في الفرائض وبيان في سهام الورثة»، و«رسالة في أن الأصل في الأشياء الحل»، و«رسالة في بيان تعريف العلم والاعتراضات الواردة عليه وجوابها»، وغير ذلك.

[٣٨١] محمد بن يحيى بن أحمد نظام الدين بن معصوم الحسيني(١).

ذكره أخوه السيد علي في «سلافة العصر»، فقال: ماجدٌ ثبتت في المجد وشائقه، وفاضلٌ نشبت بالفضل علائقه، أحرز من الأدب النصيب الأوفر، وتمسك منه بما أخجل نشرُه المسكَ الأذفر.

قلت: ولد بمكة سنة ثمان وأربعين وألف، وجاء تاريخ مولده قول بعضهم من أبيات:

إن قلت ما تاريخُ مولدِه فقل   (جبر الزمان بدا بأشرف طالع)

ونشأ بمكة، وقرأ القرآن، وطلب بها من العلم قدراً صالحاً، ثم ذهب إلى والده بالديار الهندية، وأقام بها إلى أن توفي سنة اثنتين وتسعين وألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٩٦) (٢٩٧)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦).

وله شعرٌ يأخذ بمجامع القلوب طرائقه، ويملك مسامع أولي الأشواق شائقه ورائقه، **فمنه قوله:**

تـذكرتُ أيـامَ الحجـيجِ فأسَـبلتْ　　جفوني دماءً واستجدَّ بـيَ الوجـدُ
وأيامنـا بالمـشعرينِ التـي مـضتْ　　وبالخَيْفِ إذ حادي الركاب بنا يحدو

وقوله مخاطباً لأخيه السيد علي:

وما شوقُ مقصوصِ الجناحين مقعدٍ　　على الضيمِ لم يقدر على الطيـرانِ
بـأكثرَ مـن شـوقي إليـك وإنَّمـا　　رمـاني بهـذا البعـدِ منـك زمـاني

وقوله:

ألا لا سـقى الله البعـادَ وجـورَهُ　　فـإنَّ قلـيلاً منـه عنـك خطيـرُ
ووالله لـو كـان التباعـدُ سـاعةً　　وأنـتَ بعيـدٌ إنـه لكثيـرٌ

وقوله:

ألا يـا زمانـاً طـال فيـه تباعُـدي　　أمـا رحمـةٌ تـدنو بهـا وتجـودٌ
لألقى الذي فارقتُ أنسي مذ نـأى　　فهـا أنـا مـسلوبُ الفـؤاد فريـدُ

[٣٨٢] محمد بن أحمد النُّوري الميداني الشافعي[١].

الشيخ العلامة، الفرضي الحيسوب، انتهى إليه علم الفرائض والحساب في عصره، حتى صار مشهوراً في الآفاق، ورحلت إليه الطلبة، وكان متهماً

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٨٧) (٥٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣١٤).

بعمل الكيمياء، وله صلاح وحسن اعتقاد.

قال النجم الغزي: حدثني أنه كان مريضاً، فدخل علي الشيخ مسعود المغربي يعوده، فقال له: نصبر أو نحمل عنك، فقلت: يا سيدي! لا صبر لي على المرض، فقال: يحصل الخير، قال: فما خرج من عندي، حتى عرقتُ وذهبت الحمى عني ببركته، وعُمِّر نحوَ ثمانين سنة، ومات سنة ثلاث أو أربع بعد الألف.

[٣٨٣] محمد بن أحمد الشيخ العالم الصالح شمس الدين ابن الشيخ شهاب الدين الناصري الصالحي الشافعي، المعروف بابن الرومي[١].

مولده سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، كانت له فضيلةٌ تامةٌ، وفهم رائق، وحذق فائق، وسكينة وتقشف، وتقى وتعفف، وكان رفيقاً للقاضي محمود العَدَوي في الاشتغال، وحضر دروس إسماعيل النابلسي، والشمس بن المنقار، وقرأ على الملا أسد، وقرأ على أحمد العيثاوي «شرح الإرشاد» لابن حجر.

وتوفي يوم السبت، بعد الزوال، رابع عشر شهر ربيع الآخر، سنة أربع بعد الألف، ودفن من الغد بسفح قاسيون، عند والده، فوق تربة السبكيين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٨٤] محمد بن أحمد بن شهاب الدين بن هلال الحمصي الأصل، الدمشقي الحنفي[٢].

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩٥) (٢٨).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩١) (٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٤١).

قال النجم في «الذيل»: مولده تقريباً سنة عشرين وتسعمائة، وقرأ الفقه على القطب ابن سلطان، والشمس بن طولون، وأبي الفتح المالكي، وقرأ على علي أفندي قِنالي زاده، وبرع في الفقه، وشارك في غيره، وولي إمامة السليمانية، وكان يكتب رقاع الاستفتاء، وهو المفتي في نفس الأمر، ولم يكن بدمشق في زمانه أعلم بالفقه، وأقوال فقهاء الحنفية منه، وله قدرة على استخراج نقولهم، ولشيخه أبي الفتح فيه:

إن الكتابةَ للفَتاوى لم تجدْ أحداً سواك يحلُّ من إشكالها
حلَّتك مقلتها فيا إنسانَها أنت ابنُ مقلتِها أم ابنُ هلالِها

وشعره لا بأس به، وله مراثٍ في شيخه ابن عماد الدين، منها قوله:

لقد فارقت نفسي وانبعاسي[1] إلى أيام حزني وانبعاثي
لتكرارِ النواحي في النواحي وتجديد القوافي والمراثي
على من كان في الدنيا ملاذي وملجأ غربتي وبه غياثي

توفي سنة ثلاث بعد الألف تقريباً.

[٣٨٥] الخوجة محمد بن أحمد الباقي النقشبندي الهندي الحنفي[2].

كان ـ قدس الله سره ـ آيةً من آيات الله سبحانه، ونوراً من أنواره، وسراً من أسراره، صاحب علمٍ ظاهرٍ وباطن، وتصرفاتٍ كبيرة، كثير الصمت والتواضع والانكسار، ذا خلقٍ حسن، لا يتميز عن الناس بشيء، حتى إنه كان

(١) في الأصل: وانبعاثي.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٨).

يمنع أصحابه من أن يقوموا لتعظيمه، وأن لا يعاملوه إلا كما يعامل بعضهم بعضاً.

وممن أخذ عنه، ولازمه، وانتفع به: العارف الشيخ تاج الدين النقشبندي، كتب الخوجة إليه كتاباً، وكان الخوجة في لاهور، والشيخ تاج في سَنْبَل، فلما أتاه كتابه، عزم على زيارته، فلما وصل إليه، توجه إلى سلوك طريق الأكابر النقشبندية، فتم سلوكه في ثلاثة أيام، ثم أجازه بتربية المريدين.

وهو أول من أجازه، وصحبه عشر سنين، وكانت الصحبة بينهما كصحبة شخصين لا يُدرى أيهما عاشق، وأيهما معشوق، كانا يأكلان في إناء واحد، ويرقدان على سرير واحد، ثم ظهرت له التصرفات العظيمة، فصار كل من يقع نظره عليه، أو يدخل في حلقته، يصل إلى الغيبة والفناء، ولو لم يكن له مناسبة، وكان الناس مطروحين على بابه كالسكارى، يحيي واحداً، ويميت آخر، وبعضٌ كان ينكشف له في أول الصحبة عالَمُ الملك والملكوت، وكل هذا كان من غلبة الجذبات الإلهية.

وكان **مولده** ومنشؤه بنواحي كابل، من بلاد العجم، التي تحت يد سلطان الهند، وكان جاء إلى الهند لأمر من الأمور الدنيوية، فجذبته الجذبات الإلهية، فترك الدنيا وأربابها، ودار في الطلب عند أكثر مشايخ وقته، ومضى عليه زمان في السياحة، والأخذ على المشايخ في طرق شتى، حتى حضرت له روح الشيخ عبيدالله أحرار ـ قدس الله سره ـ، فعلمه الطريقة النقشبندية، وتم أمره.

ثم رجع إلى بلاد العجم؛ لأخذ الإجازة من الشيوخ، ثم عاد إلى الهند،

وتوطن مدينة ذهلي، وظهرت منه الأمور العجيبة، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ في مدة قليلة، وما انشرت هذه السلسلة في الهند إلا منه، وما كان أحد يعرفها منهم قبله.

وتوفي ـ نفع الله به ـ يوم الأربعاء، رابع وعشري جمادى الآخر، سنة أربع عشرة وألف بمدينة ذهلي جهان آباد، من بلاد الهند، وله أربعون سنة وأربعة أشهر، وقبره بها على غربيها، عند أثر قدم الرسول ﷺ، يزار ويتبرك به.

[٣٨٦] محمد علي بن سليم.

وزير مكة المشرفة، وقدوة أعيانها، ونخبة أهل الفضل بها وسكانها، وزر لسلطان الحرمين الشريفين زيدِ بن محسن بن حسين مدةً من أيامه، ثم لولده الشريف سعد، وكان يجله ويعظمه، ويأتمر لأمره، ولا يصدر إلا عن رأيه.

ولما صار على الشريف سعد ما سنذكره في ترجمته؛ من الإجلاء عن الوطن، والتوجه إلى أبواب السلطنة، توجه هو بأهله وأولاده إلى اليمن من طريق البر سنة ثلاث وثمانين وألف.

ولما وصل القنفذة ساحل البحر، وبلغه أن مُلك مكة صار للشريف بركات بن محمد، فأضمر العودَ، وكتب إلى الشريف بركات بذلك، فأجابه: إني مشتاق إليك، وأود وصولك، لكن محمد بن سليمان المغربي لا يقبل ذلك، وأخشى عليك من مكره.

فثنى عنانه إلى نحو اليمن، وركب السفن، فوصل جازان، ونزل من

البحر إلى ذلك البندر، وألقى عصا التسيار، فقابله أعيان ذلك الإقليم بما يليق به؛ إذ كان لهم به سابق معرفة، وصنائع مودعة.

ثم رحل لزيارة إمام اليمن ـ إذ ذاك ـ إسماعيل المتوكل على الله، فقابله بالقبول، وقرر له ولأولاده ما يقوم بهم حيث أحبوا الإقامة، واختار الإقامة بصبيا، ودرت عليه الصلات الإمامية هناك مدة ثلاث سنين.

ثم مر به أمير من أمراء الهند، يقال له: عابد خان، قاصداً الحج، فاجتمع به في البحر، قريباً من جازان، في سنبوك نزل فيه الخان المذكور، فأعجبه لفظه وأسلوبه، فحسَّن له دخولَ الهند، والاجتماع بملكها محمد أورنك زيب، فمال الوزير محمد علي بن سليم؛ ليأسه من عودة مخدومه الشريف سعد من الديار الرومية إلى رأيه، ووعده الاجتماع في المخا.

ثم شرع في انتهاز فرصة الحركة، وطلب الإذن من إمام اليمن إذ ذاك، وهو أحمد بن الحسن الملقب بالمهدي، فحاوله البقاء بأرض اليمن، فلم يساعده على ذلك، فأذن له إلى المخا.

وما عاد عابد خان إلى المخا إلا وهو بها، فأركبه أحد مراكب السلطان، واصطحبا إلى بندر سورت، بأهله وأولاده، ثم منها إلى جهان آباد، مقر سلطان الهند حينئذٍ، وهو السلطان العادل محمد أورنك زيب، فأكرمه بما يليق به من الإكرام، وقرر له في كل يوم عشر روبيات، وجعل لأولاده مناصب، وكانوا ثلاثة: عمر وهو أكبرهم، وأبو بكر وهو أوسطهم، وعلي وهو أصغرهم، فأقاموا مدة ثلاث سنين.

ثم حدثته نفسه بالعود إلى ديار العرب، فطلب الإذن من السلطان،

فأذن له بعد ما أدرَّ عليه من الإنعامات ما هو لائق به، وأمر بإركابه في أحد مراكبه، فركب إلى بندر المخا، وكان العامل به السيد حسن الجرموزي، فقابله بما هو أهله، ثم قصد إمامَ اليمن إذ ذاك، وهو المؤيد بالله محمد بن إسماعيل المتوكل على الله، فأكرمه غاية الإكرام، وعين له ولأولاده ما يكفيهم، وأنزلهم داراً عظيمة بتعز، فأقاموا بها ثلاث سنين.

فوصل إليه مكتوب أخي مخدومه، الشريف أحمد بن زيد، يستدعيه فيه إلى مكة المشرفة، ويشوقه إلى أوطانه، فأقلع عن سكنى اليمن، ويمم نحو الحجاز وظعن، وذلك في أوائل سنة ست وتسعين وألف.

فأحلّه الشريف أحمد محل الروح من الجسد، ولم يزل مقيماً بها إلى أن **وافاه داعي الحمام**، فأجاب إلى دار السلام، وذلك في شهر ربيع الأول، سنة ثمان بعد المائة والألف، ودفن بالمعلاة، في تربة السادة آل أبي علوي؛ لمحبته لهم، وكمال عقيدته فيهم، **ومولده** كما أخبرني من لفظه، بمكة المشرفة، سنة أربع عشرة بعد الألف.

وكان فصيحاً بليغاً، يحفظ القرآن حفظاً عجيباً، حسن الصوت ـ رحمه الله تعالى ـ، وكانت له درايةٌ تامـةٌ بعلم العروض، وله النظم الرائق الفائق، والتخميسات العجيبة.

فمن نظمه: قوله مؤرخاً عود الشريف أحمد بن زيد، إلى مكة المشرفة سلطاناً:

حين بشرى الشريفِ أحمدَ وافت ... مــلأ الكــونَ بــشرُها وتجــدَّدْ
عــاود التخــت مالكــاً قلــت أرّخْ ... (عودُ يمـنٍ بـذلك العـودِ أحمـدْ)

وقوله في حكيم يصبغ لحيته:

دُعي حكيماً غلطاً ظالماً أضله الله على حكمته

دليلُ هذا أنه لم يزلْ شاهدُه يكذب في لحيته

[٣٨٧] محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الرحيم، صاحب المَسْوَح.

كان من الفقهاء المحققين، والعلماء الراسخين، نجب في حياة والده، وقرت عينه به، ثم أصيب به بموته، بعد أن أنست به هجرة المَسْوَح في حياة والده، وتصدر للتدريس، وانتفع به كثير، وكان **مولده** سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين فيهما ـ وتسعمائة، **ووفاته** سنة اثنتي عشرة وألف، عن خمس وثلاثين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٨٨] محمد بن أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي[1] نسبة إلى رملة، وهي قريةٌ صغيرةٌ على البحر، قريبةٌ من منية العطار، تجاه مسجد الخضر، بمنوفية مصر، الأنصاري الشافعي.

الشيخ الإمام، فاتح أقفال مشكلات العلوم، ومحيي ما اندرس من آثارها والرسوم، أستاذ الأستاذين، وأفضل علماء الدين، وأحد أساطين العلماء، وأعلام سائر الفقهاء، علامة المحققين على الإطلاق، وفهامة المحققين بالاتفاق، ناشر سنة سيد الأنام، عمدة أهل مصر والشام، من أجمع

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٧٧) (٢٢)، (خلاصة الأثر) للمحبي (٣/ ٣٤٢)، (خلاصة الخبر) لعمر بن علوي الكاف (٤٥٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٧)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٠٨٢).

الناس على جلالته شرقاً وغرباً، ونوه بفضله السراة عُرباً وعجماً.

ولد بمصر، في سلخ جمادى الأولى، سنة تسع عشرة وتسعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ، ونشأ على تحصيل العلوم والمعارف، والأخذ عن أكابر الطوائف، سالكاً الطريقة الجميلة، مالكاً أزمة المعرفة والفضيلة.

واشتغل على أبيه، وأغناه عن كثرة التردد إلى كل فقيه، وبث فيه ما كان عنده من خالده وتالده، فكانت بدايته كما قيل بنهاية والده، وحفظ القرآن، و«البهجة»، وغيرها من المتون، في كثير من الفنون.

وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: أخذ بيدي والدي وأنا صغير، وتوجه بي إلى شيخ الإسلام زكريا، وأجازني بجميع مروياته ومؤلفاته، ودعا لي ببعض صالح دعواته.

وأخذ عن برهان الدين بن أبي شريف، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: رأيت الشيخ زكريا كالألف في الانتصاب، ورأيت الشيخ برهان الدين وهو قاعد إلى هيئة السجود أقرب من الهرم، فقلت لوالدي: ما بال الشيخ زكريا مع كونه أسن من الشيخ برهان الدين أصحُّ جسيماً، ومنتصب القامة؟ فقال: كان الشيخ برهان الدين يكثر الجماع جداً، فأسرع إليه الهرم، وأما الشيخ زكريا، فكان معرضاً عن ذلك جداً.

وقرأت بخطه: أن له رواية عن أحمد بن النجار الحنبلي، ويحيى الدميري المالكي، وشيخ الإسلام الطرابلسي الحنفي، والشيخ سعد الدين الذهبي الشافعي، وغيرهم، وأنه قرأ على والده في الفقه والتفسير، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والتاريخ، وبلغني عن بعض طلبة والده: أنه سمع والده

يقول: تركت محمداً ـ بحمد الله ـ لا يحتاج إلى أحـد من علمـاء مصر، إلا في النادر.

قال: ولم يزل له الاعتقاد التام في طائفة الصوفية؛ تبعاً لوالده، وكان فهمه عجيباً، إذا دعي للمعنى الغامض، كان مجيباً، جمع الله له بين الحفظ والفهم، والعلم والعمل، وكان موصوفاً بمحاسن الأوصاف، مواظباً على الإفادة والقيام والاعتكاف.

قال العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني ـ رحمه الله تعالى[1] ـ: صحبته من حين كنت أحمله على كتفي إلى وقتنا هذا، فما رأيت عليه ما يشينه في دينه، ولا كان يلعب في صغره مع الأطفال، بل نشأ على الدين والتقوى والصيانة، وحفظ الجوارح، ونقاء العرض.

رباه والده فأحسـن تربيته، ولما كنت أحمله، وأنا أقرأ على والده في المدرسة الناصرية، كنت أرى عليه لوائح الصلاح والتوفيق، فحقق الله رجائي فيه، وأقر عين المحبين به؛ فإنه الآن مرجـع أهل مصر في تحرير الفتاوى، وأجمعوا على دينه وورعه، وحسن خلقه، وكرم نفسه، ولم يزل ـ بحمد الله ـ في زيادة من ذلك. انتهى.

وجلس بعد وفاة والده للتدريس، ورفع لواء مذهب إمام الأئمة محمد ابن إدريس، ودرس في كل علم نفيس، وبرع في العلوم النقلية والعقلية، والمدارك النظرية، وطار اسـمه في مشـارق الأرض ومغاربها، وملأ قفارها وسباسبها، وسار ذكره سير الشمس، وصفت له الحواس الخمس.

---

(١) في الأصل: ﷺ.

وجلس في الجامع الأزهر، وأضاء به مصباحه الأزهر، فأبدى من العلوم العجائب، وأظهر من المعارف الغرائب، واستمرت الشهرة له في عصره في الفقه والعلوم الشرعية، وللأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري في معارف الصوفية.

وحج على عادة أهل مصر مرات، وجاور في مرة منها، وشرح في تلك السنة «الإيضاح في المناسك» للإمام النووي، وسماه: «الغرر البهية في شرح المناسك النووية»، وهو عندي بخطه، ولله الحمد والمنة، وكان ركوبه في الذهاب والإياب، في المحفة المحفوفة بالإخوان والأحباب.

وحضر دروسه أكثر تلامذة والده؛ كالشيخ محمد الخطيب الشربيني، والفهامة أحمد بن قاسم العبادي، ولازمه، وانتفع به كثيراً؛ كالشيخ نور الدين الزيادي، وسالم الشبشيري، وعلي الحلبي، ومحمد الخفاجي، وولده الشهاب، والشمس محمد الشوبري، والشهاب أحمد القليوبي، ومحمد المأموني، وولده إبراهيم، والشيخ منصور الطبلاوي، وأبي بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، وعلي الأجهوري، ومن الشاميين: الشمس محمد الميداني، ونعمان الجبراصي، وعمر بن الكاسوحة، وأبو الطيب الغزي، لما رحل إلى مصر سنة اثنتين بعد الألف.

وولي عدة مدارس، وتزينت بحضوره المحافل والمجالس، وتشرفت الطلبة بحضور مجالس دروسه العامرة، واقتبست الناس من أنوار فوائده الغامرة، وكان مجلس درسه بالجامع الأزهر، في صدر المقصورة، من جهة يسار المحراب، ومجلس درس الأستاذ الشيخ البكري من جهة يمين المحراب، وإذا اتفق جلوسهما في الفقه في آن واحد، يحضر مشايخ العلماء من أهل الإفتاء

والتدريس عند المترجم دونه، وإذا اتفق جلوسهما في التفسير، تحضر المشايخ المشار إليهم عند الشمس البكري دونه ـ رحمه الله تعالى ـ.

وعاش حتى صار علماء الشافعية بمصر كلهم تلامذته، إلا النادر، فلا يوجد الآن عالم شافعي، إلا وهو من طلبته، أو تلامذة طلبته، وأرسلت إليه الأسئلة من سائر الأقطار، ووقف الناس عند قوله أكثر من أقرانه ـ رحمه الله ـ.

وولي منصب إفتاء الشافعية، بالقاهرة المعزية، فباهت به الأيام، وتاهت في عينه ألسنة الأقلام، وأصبحت عيون المذاهب إليه ناظرة، وثمرة العلوم في روضته ناضرة، وحُملت إليه مسائل الفتاوى من كل جانب، ووفد إليه الناس من المشارق والمغارب، ووسعت أخلاقه الأقارب والأجانب، وجزم بنصب المشايخ ورفع قدرهم، فأكرم به من رافع جازم ناصب.

ثم شرع في التأليف، ورتبه بحسن الترصيع والترصيف، فشرح المنهاج وسماه: «نهاية المحتاج»، وفاق بالترجيح عند تلاطم الأمواج، وأتى فيه بالعجب العجاب، ودعا قصي الإجادة، فكان المجاب، وصار هو العمدة عند المصريين، والمرجع للمفتين، و«شرح البهجة الوردية» في مجلدين ضخمين، وهو عندي بخطه أيضاً، ولله الحمد والمنة، وشرح «العقيدة الهذلية» سماه: «التحفة البهية»، وشرح «الطريق الواضح» للشيخ أحمد الزاهد سماه: «عمدة الرابح»، وشرح «العباب» للمزجد، لكنه لم يتمه، وشرح «الزبد» لخص فيه شرح والده، وهو مزجُ وشرحُ أبيات السيوطي التي أولها:

يتبع الفرعُ في انتسابٍ أباه ... ولأمٍّ في الرقِّ والحريهْ

وشرح رسالة والده في شروط الإمام والمأموم سماه: «غاية المرام»، وشـرح «مختصـر الشـيخ عبدالله بافضـل الصغير»، وله «حاشية على شرح التحرير» لشيخ الإسلام، و«حاشية على العباب»، و«شرح على الآجرومية»، وشرح منظومة ابن العماد التي في العدد، وسماه: «فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد»، و«شرح مناسك الحج» التي نظمها تلميذه الشيخ سليمان الدلجي، ومنها شرح على المنظومة النحويـة المسـماة بـ «العنقود ونظم العقود» لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الموصلي الخليلي التي أولها:

فأحمدْ وصلِّ على النبيِّ ومن تـلا ... لله ذي العـزِّ الـذي رفـعَ العـلا

والمرءُ يُـسبر فـي الكـلام ويُبتلـى ... واعلمْ بـأن اللحـنَ يُـزري بـالفتى

يسـبر؛ أي: يجرب، ويبتلى؛ أي: يختبر، وسمي الشرح المذكور: «فتح الملك المعبود بشرح العنقود».

وله فتاوى جمعها بخطه، يقول فيها: سئلت فأجبت، وقد أخذها تلميذه الشيخ أحمد السبكي، وزاد عليها من وقائع الحال شيئاً كثيراً، وأخذها أيضاً تلميذه الشيخ أحمد المتبولي، وزاد عليها من وقائع الحال أيضاً.

وله مؤلفات أخرى، منها ما كمل، ومنها ما لم يكمل، واشتهرت كتبه في جميع الأقطار، واعتمـدها العلماء الأخيار، ومما اشـتهر عند أشـياخنا المصريين: أن مشايخهم أخذوا عليهم العهود أن لا يفتوا إلا بقوله، وهم على ذلك إلى الآن، فإنه إذا اختلف ابن حجر والمترجمَ في مسألة، أفتوا بقوله.

والظاهر: أنه مجدد القرن العاشر؛ لأنه لم يشتهر الانتفاع بأحدٍ ممن انقضى القرن وهو موجود مثل اشتهاره، واحتياج الناس لكتبه، لا سيما فيما

يتعلق بالعلوم الشرعية، وقد تمت المائة العاشرة وهو بين الأنام، يُرجع إلى قوله وأفعاله عند الخاص والعام، وهذه الشروط المذكورة، قد اجتمعت فيه كما هي مسطورة، وهي شروط المجددين؛ كما ذكر بعض العلماء العارفين، قال ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها» أخرجه أبو داود، وغيره، وفي رواية: «من أهل بيتي».

وزعم الجمال النزيلي: أن المجدد في العاشر الشيخُ علي بن مطير، وقال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس: إنه عبد الملك بن دعسين، ويحتمل أنه الشيخ محمد البهنسي.

وقال الشيخ الغزي في «ذيل الكواكب السائرة»: وقد مد الله في عمره، حتى كان مجدد هذه الأمة. قال: وأرسلتُ إليه مؤلفيَّ المنظومين: «شرح اللمحة» للوالد في النحو، و«شرح منظومة ابن الشحنة في علم البلاغة»، فكتب على كل منهما تقريظاً منظوماً، وصورةُ ما كتبه على شرح اللمحة:

حمداً وشكراً دائمين أبدا ... لربنا جلَّ تعالى سرمَدا

وبعدُ فالعلامةُ البدريُّ ... هو البليغُ الحافظُ الغزيُّ

ألف نظمَ اللمحةِ البدريهْ ... في النحو تنحو نحوَها الألفيهْ

فألفَ النجمُ عليها شرحا ... يا حسنَهُ مؤلفاً قد صَحَّا

فالنجمُ نجلُ البدرِ لا بِدْعَ يُرى ... من فرعِ هذا الأصلِ نوراً بهرا

أجزتُه بكلِّ ما ألفتُه ... وما رويتُه وما سمعتُهُ

وفقه اللهُ لخيرِ العملِ ... وإنني أسألُه الدعاءَ لي

وقاله العبدُ الفقيرُ الرملي ... محمدٌ نجلُ الشهابِ العدلِ

في عام سبع ثم تسعين مضتْ ... من بعد تسعمائة قد سُجِّلَتْ

وصورة ما كتبه على شرح منظومة ابن الشحنة:

حمداً لمن علمنا البيانا ... وعلَّمَ العلومَ والقرآنا

هذا وشمسُ الدين بن الشحنهْ ... قاضي القضاة قد رقى في السنهْ

من علمه البلاغة القديمهْ ... ألف نظماً سامياً في القيمهْ

بشرحه قد فاز نجمُ الدينِ ... نمقه بنظمهِ المُبينِ

ألف هذا دون عشرين سنهْ ... فكم له كرامة مبينهْ

وفقه الله وزادَه علا ... والحمدُ لله على ما حصَّلا

وقاله الرمليُّ نجلُ أحمدَ ... محسبِلاً محوقِلاً طول المَدَى

وكانت **وفاته** آخر يوم السبت، وصلى عليه إماماً بالناس الأستاذُ الشيخ زين العابدين البكري، زوج ابنة المترجم، يوم الأحد، ثالث جمادى الأولى، سنة أربع بعد الألف، ودفن على والده، في التربة التي بقرب من جامع الميدان، المطل على الخليج الحاكمي.

ومات بعده بشهر الشيخُ علي بن غانم المقدسي، فرثاهما يوسف المغربي، وأرخ وفاتهما بقوله:

لما قضى الرمليُّ شيخُ الورى ... من كان على مذهب الشافعي

ثم تلاه المقدسيُّ الذي ... حوى علومَ الصحبةِ والتابعِ

أرختُ في موتهما قائلاً ... (مات أبو يوسفَ والرافعي)

وتوفي والده الشهاب الرملي في تاسع عشر جمادى الأولى، سنة

سبع وخمسين وتسعمائة، وماتت والدة المترجم في سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفنت بحوش الدير، خارج باب النصر، بالقرب من الشيخ إبراهيم الجعفري، وكان كثيراً ما يقصدها بالزيارة، ويذكر أنها كانت من أولياء الله ـ رحم الله الجميع، وأعاد علينا من بركاتهم ـ.

[٣٨٩] محمد بن أحمد العجمي، الحلبي الأصل والمحتد، الدمشقي المنشأ والدار.

كان من كبار تجار سوق الذراع بدمشق، ومع ذلك كان عالماً كبيراً بالفرائض والحساب، والجبر والمقابلة، والارتماطيقي، وغالب أهل عصره كانوا يقرؤون عليه هذه الفنون.

وهو والد جامع أشتات الفنون الأدبية، مصطفى أبي الصفا بن محمد العجمي، المترجم في «الريحانة الخفاجية»، و«السانحات الطالوية»، ولكونه ليس من شرطنا، لم نذكره؛ لأنه توفي ثاني شهر رمضان، سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة، وعاش بعد والده المترجم، إلى سنة ست وألف، فتوفي فيها بدمشق ـ رحمه الله ـ.

[٣٩٠] محمد بن أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس[١].

السيد المزيل كل هم وبوس، المشهور بالولاية التامة، المعروف بنفع الخاصة والعامة، من بوعظه تنجلي غياهب الكروب، وبذكر الله على لسانه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٤٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٣٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠).

الفصيح تطمئن القلوب، **ولد** بمدينة تريم الشهيرة، ونشأ بساحتها المنيرة، وطلب الفضائل، وصحب السادة الأماثل.

وأخذ عن والده إمامِ الطريقة وبحر الحقيقة، وصحب تاج الدين، وشيخ العارفين، محمد بن علوي باجحدب، وجد في الاجتهاد، وعمل بما يرضاه رب العباد، حتى فاق الأقران، وساوى من تقدمه من فضلاء الزمان، وسار بذكر أحواله الركبان، وقصده الناس من سائر البلدان، وصحبه خلق كثير، ولبس منه خرقة التصوف جم غفير.

وكان كبير القدر، واسع الصدر، له كرامات، وأحوال ساميات، وأفعال صالحات، وحج بيت الله الحرام، وزار جده ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هو وأخوه الشيخ عبدالله، وحصل لهما مزيد الأنس والصفا، وتأرج به الحجون والصفا.

ورجعا إلى وطنهما «تريم» سالمين، ووصلا منزلهما غانمين، ولم يزل نفعاً للعباد ممدوداً بمزيد الإمداد، إلى أن **انتقل إلى دار المعاد** سنة ست بعد الألف، ودفن بمقبرة زنبل، بقرب مشهد جده الشيخ عبدالله العيدروس، وقبره ظاهر، ونوره باهر ـ نفع الله به ـ آمين.

[٣٩١] محمد أبو الغواير بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد العجل بن محمد بن يوسف بن إبراهيم ابن الإمام القطب الغوث الفرد الجامع الفقيه أبي اللفيف أحمد بن موسى بن علي بن عمر العجيل ابن محمد ابن حامد بن رزيق بن وليد بن زكريا بن محمد بن حامد بن مغرب بن عبيد ابن محمد الفارس بن زيد بن ذؤال بن شبوة بن ثوبان بن عبس بن سحاره

ابن غالب بن عبدالله بن عك بن عدنـان اليمنـي الذؤلي صاحب بيت الفقيه ابن عجيل[1].

الإمام العارف بالله، صاحـب الأحـوال الباهـرة، والكرامات الخارقة الظاهرة، والأنفاس الطاهرة، الذي تواتر حديث فضله وجلالته، وأجمع الناس على ولايته، وعمت بركاته الحاضر والبادي، في كل وادٍ ونادي.

كان ـ نفع الله به ـ إمام أهل العرفان، المشار إليه بالبنان، وقطب دائرة اليمن الفخيم، ومركز محيط ذلك الإقليم، متخلقاً بالأخلاق النبوية، متصفاً بالصفات الربانية، شيخ المريدين في عصره، وأستاذ الأستاذين في دهره.

جُنَيْدِيُّ الطريقة في زمانـه، غزاليُّ الرقيعة لإمكانه، ابن عربي الحقيقة بشانه، ومن أرباب الأحوال السنية، بل المقامات العلية، بهرَ بجميل جماله أطوادَ العقول، وأثلج ببرد لطفه المناكب والصدور، ونال منه تلامذته الوصول.

وله ببلده الظهورُ الكبير العجيب، والجاه الطويل العريض الغريب، قلد أعناق الرجال باليمن المِنَن، ودانت له النفوس وإن خالف السرُّ العلَن، وامتد في المقامات والأحوال باعهُ، وعمرت بإقباله رِباعُه، وقصده الغادي والرائح، وخدمته القرائح بالمدائح.

وكان ﷺ حريصاً على سلوك طريق أهل السنة والجماعة، مواظباً على الخير، لا يصرف من أوقاته ساعة في غير طاعة، حافظاً لأزمانه وأوقاته، مقبلاً على طاعات ربه وعباداته، حسن الصمت والسيرة، نير القلب والسريرة، مع كرامات أشهر من الشمس في رابعة النهار، وخوارق اشتهرت في سائر الأقطار.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٠).

أخـذ الفقـه والحديـث وغيرهما من العلوم الدينية عن محدث اليمن وحافظـه في عصـره عبد الرحمن الدَّيْبَع صاحب «تيسير الوصول إلى جامع الوصول» لابن الأثير، وأجازه إجازة عامة بمروياته.

وأخذ الطريق عن السيد الولي العارف بالله أبي القاسم بن علي، المعروف بصائـم الدهـر، ولازمـه مدةً مديدةً، وأجازه بالإرشاد، ووصل إلى خدمة الشيخ محمد الفتى، وعرض عليـه إشـكالاته، فحلها له، ويقال إنه: غسل أقدام الشيخ، وشرب ماءها، فانبسط الشيخ وأخذ رُطَباً ومضغه، وأخرجه من فيه، ووضعه في فم المترجم، فلما ابتلعه، كشف له الحال، ووصل رتبة علية، ونصبه للإرشاد، وصار من جملة خلفائه[1].

وأخذ عنه خلق كثير لا يحصون، في مشارق الأرض ومغاربها، منهم: ولدُه وخليفته من بعده أحمدُ أبو الوفا الآتي ذكره.

وكان على طريقة شيخه صائم الدهر، دائم العبادة، عالماً بالعلوم الظاهرة والباطنة، كاملاً مكملاً، مرشداً حقيقياً، بارعاً في علوم الطريق، وله آثار كثيرةٌ وأخبار شهيرةٌ، متداولة باليمن.

ورأيت بخطه ـ نفع الله به ـ ما نصه: أخبرني الشيخ الصالح نجم الدين ابن أحمد الفيومي المصري: أنه رأى في حال سِنَةٍ، يومَ عيد الفطر، سنةَ سبع بعد الألف، كأن النبي ﷺ في محل قبره الكريم بارزٌ، والنور يخرج من جميع

---

(١) وهـذه الأفعـال والأباطيل من سـلوكيات أهل الطريق كما يدعون، التي يفخرون بها، وليـس لها أصـلٌ في كتـابٍ أو سـنة، نسـأل الله السـلامة والعصـمة من هذه الخرافات.

أجزائه، ويخرج من صدره الكريم نورٌ له جرم، وحلق السبابة والإبهام، وقال: مقدار هذا.

قال: ورأيت ذلك ممتداً من محله، حتى اتصل بسيدي محمد العجل، وهـو إذ ذاك في حال قـراءة المولد والذكر بمسجده، وصار النور يدخل في صدره مستمراً على ذلك، ورأيت جمعاً من الأولياء ينالهم نور من ذلك، ولكنه صغير الجرم، ومثله الرائي بالخيط في مقتضى الجس.

قال: واستيقظت، والحال على ما هي؛ من اتصال نور النبي ﷺ بصدر سيدي الفقيه محمد، ودخوله فيه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. انتهى.

ويقال: إنه ـ نفع الله به ـ اسـتمر نحو سنتين مرتاضاً، فكان في النهار يذهب إلى الهيجا، ويأتي بالليل إلى تربة جده الفقيه أحمد بن موسى العجيل، حتى ظهر له في ليلة، وأعطاه أصبعه فمصها، وأمره بالرجوع إلى البلد للتربية والإرشاد، ويقال أيضاً: إنه أتاه في منامه، وقال له: لازم مطالعة كتب الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، ونحن ندافع عنك بالسيف والترس.

ولم تزل نسمات نفحاته عاطرة الأرج، وزجاجات وارداته ظاهرة الوهج، إلى أن أحب مولاه لقاه، فأجاب داعيه ودرج، وبروحه اللطيفة إليه عرج، وكانت وفاته ظهر يوم الخميس، سابع شهر ربيع الثاني، سنة إحدى عشرة بعد الألف، ببلده بيت الفقيه ابن عجيل.

وبُنى عليه قبةٌ عظيمةٌ، أمر ببنائها الوزير حسن باشا، وكان ختم بنائها يوم الخميس، رابع عشر شوال، سنة اثنتي عشرة وألف، وقبره درياق مجرب

لقضاء الحاجات، وقد منّ الله سبحانه عليّ بزيارته عام رحلتي إلى اليمن الميمون، سنة أربع وتسعين وألف، وكنت نازلاً ببيت حفيده شيخنا العارف بالله موسى بن أحمد بن محمد المترجم ـ أعاد الله عليّ من بركاتهم ـ؛ كما سيأتي ذلك في ترجمته.

والذُّؤلي ـ بضم الذال المعجمة ـ: نسبة إلى ذؤالة، وهي ناحية على نحو نصف يوم من زبيد، والعُجيل: تصغير العجل، وبنو عجيل بيتُ علمٍ وصلاحٍ، ورياسةٍ وسيادةٍ، وشهرتهم تغني عن التعريف بهم.

وكان جدهم العارف بالله إبراهيم بن علي بن عمر، صاحبَ ماشيةٍ بين قومه من المغاربة، فأراد يوماً أن يسقي دوابه، فلم يمكنه؛ لكون الدلو لغيره، فذبح عجلاً، وفرى جلده، وسقى دوابه، فكان قومه يقولون: صاحب العجيل، فلما كثر ذلك وعُرف به، حذفوا المضاف، وأقاموا المضاف إليه مقامه، فقالوا: عمر العجيل، واستمر ذلك في ذريته ـ نفع الله بهم ـ آمين.

[٣٩٢] محمد بن أحمد بن محمد[١].

الشيخ المربي الجواد، السيد الشريف محب الدين الحصني الشافعي، ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان ـ رحمه الله تعالى ـ عالماً عاملاً، ورعاً متقشفاً، ملازمًا للاعتكاف بمسجد الحِصْنِيّة، بحارة المزَار، بالشاغور البراني من دمشق.

وكان على إقامة مطبخ آبائه بخان الكشك، المقابل لخان ذي النون، بالقرب من قرية الخيارة خارج دمشق، معمراً له بإصلاح الحلوى والطعام في

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٢).

كل عام لملاقاة الحاج، وكان سخياً لا يملك شيئاً، وكان يستدين ويطعم، حتى مات وعليه أموالٌ كثيرةٌ، فسومح بها بعد موته، وذلك ببركة سخائه وكرمه، وكانت **وفاته** يوم السبت، حادي عشر رمضان، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقيل في تاريخ وفاته:

إن الشريفَ محمدَ القطب الذي ... يدعى محبَّ الدين للأخرى انتقلْ

إن تسألوني أين حلَّ أرخوا ... (في وسط جنات النعيم قد نزل)

[٣٩٣] أبو المعالي درويش محمد بن أحمد بن محمود الطالوي الأم، الرومي الأب، الحنفي الدمشقي[(١)].

أحد أفراد الدنيا فضلاً وأدباً، وشعراً، وفصاحةً وبلاغةً، وأجلُّ الطالويين، من ذرية الملوك الأرتقيين، الذين هم من المجد والملك بمكان مكين، وممن جمع بين مهارة العلم، وغزارة الأدب، وصرف نقد أوقاته في طلب العلوم، ولها اكتسب.

فهو مجمع البحرين، الجامع بين الفخرين، وكنز الهداية، ومعدن الدراية، الذي أوصافه السنية تجل عن التعداد، وفضائله الجسيمة اشتهرت في كل ناد وواد، وشهد ببراعة عبارته كل حاضر وباد، ريان الفضائل والعلوم، بارع المنطوق والمفهوم.

ولد بدمشق سنة خمسين وتسعمائة تقريباً، وكان في أول أمره، على

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٣٩) (١٥٦)، وورد فيه اسمه: درويش بن محمد، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٤٩)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٥٣)، «عرف البشام» (٤٦) (١٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٩٧)، (٦٩).

طريقة أهله، يلبس لبس الجند، فنظر إليه الشهاب أحمد بن البدر الغزي، فتوسم فيه قابليّة العلم، فجذبه إليه بلطف، حتى حبب إليه طلبه، فلما طلب العلم، وذاق حلاوة الفضل، أشار إليه بترك زي الجنود، ولبس زي العلماء.

وأخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي، فحضر مجالسه في التفسير، بالتقوية، والجامع الأموي مدةً، مع ملازمة ولده شهاب الدين المذكور، وعن نجم الدين البهنسي خطيب دمشق ومفتيها، ثم بعد وفاته قرأ الفقه والمعاني والبيان على عماد الدين الحنفي.

وأخذ عن جماعة من فضلاء العجم الواردين إلى دمشق، منهم: المنلا محمد بن حسن المغاني، أنزله في مدرسة جده الأمير علي بن طالو الأرتقي، وقرأ التصوف، على ملا غياث الدين الشهير بمير محمد التبريزي، وأخذ عن سراج الدين التبريزي نزيلِ مكة، وصحبه برهةً لما قدم من مكة إلى دمشق.

وأخذ خرقة التصوف عن محمد المناشري اليمني نزيل المدينة، وإمام مسجد قبائها.

ثم صحب الشيخ الإمام أبا الفتح محمد بن عبد السلام التونسي الخروبي المالكي نزيل دمشق، ولزمه مدةً مديدةً، واختص بصحبته، وسلك على طريقته، واستفاد من درر فوائده، وغرر عوائده، حتى صار من أجل تلامذته، فقرأ عليه الأدب، والرياضي والمنطق، والحكمة والتصوف، وغيرها، واكتسب منه فنوناً عديدة.

وكان يملي عليه لطائف الأسمار، ومحاسن الأخبار، مما يزري لطفه بفعل العقار، حتى صار أعجوبة في الكمال، ونادرة في محاسن الخلال،

وألف رسالةً في ترجمته سماها: «هدايا الكرام في أخبار محمد أبي الفتح ابن عبد السلام».

ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن شيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الرملي، وخاتمة الحُساب والفرضيين عبدالله الشنشوري، قرأ عليه «شرحه على الرحبية»، وكتاب «النزهة في الحساب» وبعض «شرح الترتيب» له، وغيرها، وأجازه بمروياته.

وقرأ على الجامع بين الشريعة والحقيقة، والحاوي للعلوم الرقيقة والدقيقة، خاتمة الحنفية بالديار المصرية، علي بن غانم المقدسي، طائفةً من «صحيح البخاري»، وبعض «صحيح مسلم»، ونبذةً من كتاب «الهداية» لأبي الحسين علي بن عبد الجليل المرغيناني، مع مراجعة شرحها للكمال ابن الهمام، وكثيراً من كتاب «كنز الدقائق» لأبي البركات حافظ الدين النسفي، مع المباحثة في شروحه، وجملة من كتاب «المنار في أصول الفقه» للنسفي أيضاً، وأجازه بمروياته، سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، في إجازةٍ طويلةٍ كتبها له، ذكرها في كتابه «السانحات»، وقال فيها: إنه شرف مجالسه بالحضور.

وأخذ عن شيخ الإسلام محمد النحراوي البصير الحنفي غالبَ الكتب التي ذكرناها، و«مجمع البحرين» لابن الساعاتي، وبعض «مغني اللبيب» لابن هشام، و«حاشيته للدماميني»، و«حاشيته للشمني[1]»، وأخذ عن العلامة البدر القرافي، وأجازه.

وأخذ عن الشيخ الرئيس داود الحكيم أنواع الكتب العلمية، وأصناف

---

(١) في الأصل: للسمني.

المؤلفات الحكمية، في الأقسام الطبيعية، والفلسفية الإلهية، وما صنف في ذلك من الكتب المعتبرة، والرسائل المحررة، ودون في نوعي الحكمة المشائية والإشراقية، لمتأهلي حكماء الإسلام، ومتأخري فضلاء الأنام، وسائر العلوم، من منثور ومنظوم، سيما الفنون الأدبية، وما ينحاز إلى ذلك من الدواوين الشعرية، وتواريخ الأمم السالفة، التالدة والطارفة، وكتب السير والمناقب والأخبار، وظرائف النكت من المقاطيع والأشعار؛ ككتاب «رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا» للحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل، أبي القاسم سلمة بن أحمد المجريطي، يشتمل على إحدى وخمسين رسالة، في فنون شتى.

وكتابيه الموسوم أحدهما «برتبة الحكيم»، والآخر «بعناية الحكيم»، ومن كتب الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا «كتاب الشفا»، و«القانون» و«النجاة»، و«الحكمة الشرفية»، و«كتاب التعليقات»، و«رسالة الأجرام السماوية»، و«الرسالة التبريزية»، كتب بها لبعض سلاطين عصره، و«الرسالة العلائية» التي كتبها لعلاء الدولة بالفارسية، وما شاكل ذلك من الكتب والرسائل، وكتاب «الإشارات» الذي هو آخر تصانيفه، مع شرحه للمحقق نصير الدين الطوسي، والإمام الفخر الرازي، والمحاكمات بين الشرحين للعلامة قطب الدين الرازي، وحواشيه لسيد المحققين الشريف الجرجاني.

ومن كتب الشيخ المقتول شهاب الدين السهروردي، على طريقة المشائين: «المسارح والمطارحات»، وكتاب «التلويحات مع شرحه» للفاضل هبة الله بن كمونة البغدادي، وكتاب «الألواح العمادية» سلك فيه طريقة وسطى بين الحكمتين، صنفه للملك العادل عماد الدين بن داود بن أرتق، ومن

كتبه على الطريقة الأخرى: كتاب «الرموز اللاهوتية»، و«الإشراق مع شرحه» لأفضل الحكماء المتألهين قطب الدين محمود بن مصلح العلامة الشيرازي، وما ضاهى ذلك من رسائله؛ «كالهياكل النورانية وشرحها» للمحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني.

ومن كتب الأدب، كتاب «الغرر والدرر» للشريف المرتضى، وكتاب «نهج البلاغة» لأخيه الشريف الرضي، مع شرحه للعلامة عز الدين بن أبي الحديد الكرخي المدائني، و«القصائد السبع العلويات» له في مدح أمير المؤمنين، ويعسوب الموحدين، علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه في الجنة ـ، وشرحها لبعض العلويين.

ومن دواوين الشعر: «ديوان الحكيم الأديب والفيلسوف الأريب محمد ابن هانئ الأندلسي»، و«ديوان سقط الزند» للشيخ العلامة أبي العلاء أحمد ابن سليمان المعري، مع شرحه لتلميذه أبي يحيى زكريا الخطيب التبريزي، وشرحه المسمى بـ: «ضرام السقط» للقاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي، الملقب بصدر الأفاضل، وشرحه للعلامة محمد ابن السيد البَطَلْيُوسي الأندلسي.

ومن التواريخ: كتاب «العقد» لابن عبد ربه، وكتاب «المسالك والممالك» لابن فضل الله العمري، وكتاب «الملل والنحل» لمحمد الشهرستاني، وابن كمونة البغدادي، وما جمعه ابن خلدون، ونحو ذلك.

ومن كتب المناقب: «مطالب السَّول في مناقب آل الرسول» لمحمد بن طلحة القرشي العدوي النصيبي، وما ألف الحافظ زين الدين عبد الرحمن

ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي في هذا المعنى، وكذلك ما صنعه في مناقب آل البيت الخطيب المدني الشهير بالزرندي الأنصاري، وما دونه الفاضل شمس الدين محمد بن يوسف المعروف بالكنجي، وسماه: «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» رتبه على مائة باب.

ومن غرر القصائد في مدح أهل البيت قصيدة دِعْبِل الخزاعي التي مطلعها:

مدارسُ آياتٍ خلتْ عن تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العَرَصاتِ

وهي إحدى وستون بيتاً.

والقصيدة الدالية ليحيى بن سلامة الحصكفي التي أولها:

أقوتْ مغانيهم فأقوى الجسدُ ربعانِ كلٌّ بعد سلمى فَدْفَدُ

وعدة أبياتها ثمانية وخمسون بيتاً، وهي من أرق الشعر لفظاً ومعنىً، وأرشق القريض عروضاً ووزناً، إلى غير ذلك.

وأجازه بمروياته وسائر مؤلفاته.

وأخذ بغزة هاشم عن شيخ الإسلام محمد بن محمد بن محمد الخطيب التمرتاشي الحنفي، وأجازه بما يجوز له روايته، وبمؤلفه في الفقه الذي سماه: «تنوير الأبصار وشرحه».

وقرظ له غالب مشايخ مصر على رسالته التي ألفها في شأن سلفه أهل طالو، الذين شادوا في رتب العلى وطالوا، وأثنوا عليه، وشهدوا له بالتقدم في العلوم، وأن له فيها المقام المعلوم.

وتكرر شعره[1] إلى البلاد الرومية، ودار الخلافة السنية، قسطنطينية المحمية، وانتظم في سلك علمائها، وقارن فيها بدور سمائها، ومدح من بها من الموالي العظام بأنواع المدائح، مما لا تسمح بمثله القرائح، قبل أن تأفل من سمائها تلك الشموس الطوالع، وتغيب بدورها عن هاتيك المنازل والمطالع، وتستتر بيد المحاق غرر أقمارها، وتظلم جيوب الآفاق بمحو أنوارها.

وما ذاك إلا بأنه رأس من كان فيها من أساطين علمائها، وأفاضل مواليها، وانتقاص أرضهم من أطرافها، بموت أولئك الرؤساء من أشرافها في ناديها، في زمان لم يكن في القصر إلا لمح البصر، أو لطرفة عين، حتى صاروا أثراً بعد عين، كما قال القائل:

جرتِ الرياحُ على ممرِّ دِيارهم ... فكأنهم كانوا على ميعادِ

وقال:

أتى على القوم أمرٌ لا مَرَدَّ له ... حتى قَضَوْا وكأنَّ القومَ ما كانوا

وصارَ ما كان من علمٍ ومن أدبٍ ... كما حكى عن خيالِ الطيفِ وَسْنانُ

ثم رجع إلى دمشق، وولي تدريس الخاتونية داخل دمشق، ثم اتصل بخدمة قاضي القضاة محمد بن بستان، حين كان قاضياً بدمشق، وناب عنه، ثم دخل معه القسطنطينية، وتنقل في المدارس نحواً من ثلاثين سنة، حتى بلغ طريقة المولوية، على أسلوب أقرانه من الموالي الرومية.

---

(١) في الأصل: «شعره»، ولعل الصواب: «سفره»؛ ليستقيم المعنى، والله أعلم.

ثم عاد إلى دمشق مسقط رأسه، سنة تسع وتسعين وتسعمائة، وصحبه بها جماعة من أصحابه القدماء وغيرهم.

ومن لطيف ما دار بينه وبين الشيخ حسن البوريني من المذاكرة: أن الشيخ حسن نقل عن الشيخ الطيبي بيته المشهور:

ولا تضفْ شهراً إلى اسمٍ شهرِ إلا الذي أولُه الراءُ فأدرِ

فمر بهم في المطالعة في حواشي «الكشاف» للسعد: أن إضافة لفظ شهر إلى رجب ممتنع، فقال الطالوي: ينبغي أن يستثنى ذلك مما يقتضيه كلام الطيبي، فقال له البوريني: تفضلوا بنظم، فقال الطالوي:

إلا الأصم فهو فيه ممتنع.

فقال البوريني مجيزاً:

لأنه فيما رووه ما سُمع.

وبهذا علل السعد المنع.

ثم سافر إلى الروم، ولم يزل يحل ويرتحل، ويبرود العز يشتمل، حتى وصل إلى دمشق سنة ثلاث عشرة وألف، متولياً تدريس السليمانية، وإفتاء الحنفية بها، وتوفي يوم الأربعاء، ختام رمضان، سنة أربع عشرة بعد الألف، وصلى عليه بالجامع الأموي إماماً بالناس، المولى نيالي أفندي، قاضي دمشق إذ ذاك، ودفن بمقبرة باب الصغير، عن نحو سبعين سنة.

وبالجملة: فإنه كان غرة جبهة الدهر، وهالة طلعة البدر، شمائله أرق من النسيم، وأنفاسه شفاء كل سقيم، وله شعرٌ بديعٌ رائقٌ، ونثرٌ حسنٌ فائقٌ، ينحو فيه نحو المتنبي والرضي ومهيار، ولا يقصر عن جزالة شعر حسان

وبشـار، وكان إذا مدح، أبدع، وإذا رثى، تفجع، رأيت ديوان أدبه بخطه، فأجلتُ فيه طرف الطرف، فوجدته ظرفاً ملئ من الظرف، ووعاءً اشتمل على اللطف، ونقلت منه ما عز وندر، من غرائب نفائس الدرر.

ثم اطلعت على كتابه «سانحات زي القصر في مطارحات بني العصر»، فرأيت ألفاظـه اللطيفة من المعاني في بحر، وهو كتاب جمع فيه ما دار بينه وبين فضلاء عصره وأدبائه، من المكاتبـات الفائقة، والمراسـلات الرائقة، بالديار الرومية والشامية، والقاهرة المعزية.

وافتتحته بترجمة شيخه أبي الفتح بن عبد السلام المالكي، ونقلت منه ما لذ وطاب، وحسُن عند أهل الخطاب.

فمن فوائده المنظومة، ونوافج مسـكه المختومة، التي تغار منها درر الأسلاك، وتغور لحسنها درراي الأفلاك: ما كتب به من دمشق، إلى صديقه العلامة موسى بن شهاب الدين السيوري الخشابي، وهو مجاورٌ بمكة، سنة سبع وسبعين وتسعمائة، قوله:

سلوا الركبَ عن صبٍّ بأعتابكم مُلْقَى ... وعن مدَمع فيكم مدى الدهر لا يرقى
ولا تـسألوا غيـرَ المطايـا فإنهـا ... تُخَبِّركم عن شرح حالي وما ألقـى
ألا فاسألوا عن مغرمٍ كيـف حالُـه ... حليف عنًى يشكو الصبابة والعشقا
يحـنُّ إلـيكم كلُّمـا هبـتِ الـصَّبا ... سُحَيراً ويصبو كلَّما صدحت وَرْقا
ويطرب من ذكرى حبيـبٍ ومنـزلٍ ... وعيشٍ تقضَّى مَعْكُـمُ يانعـاً طَلْقـا
معنىً بكم لو رامَ إظهارَ بعضِ مـا ... يحنُّ[1] من الأشواق لم يستطع نُطْقا

(١) كذا في الأصل، ولعلها: يُجِنُّ.

ومنها:

إذا ما جرى والريحَ في حَلبْة الضَّنَى ... لفرطِ نحولٍ مَسَّه أحرزَ السَّبقا
يذوب جوًى حتى إذا عنّ ذكرُكم ... جرى دمعُه في خده يُخْجل الورقا
أيا نازلي سفحِ المحصَّب من مِنًى ... ويا زائري البيتِ الحرامِ ألا رِفْقا
فبي منكمُ داءٌ بقلبي حبُّهُ ... وسَوْرَةُ أشجانٍ معي أبداً تبقى
أأحبابنَا إن شتَّتَتْنا يدُ النوى ... وأبدتْ صروفُ الدهر فرقتَنَا حَقًّا
فإني على ما تعهدون وحَقِّكم ... ولم أبغِ يوماً من ولائِكُمُ عِتْقا

ومنها:

سقى الله أكنافَ الحجازِ وأهلَه ... لقد صرتُ في حكم الغرام لهم رِقًّا
وخَصَّ كرامَ الناس في خيرِ بلدةٍ ... وحَيًّا الحَيا عَنِّي سويقةَ والفلقا
إلهَ الورى إني دعوتُك ضارعاً ... بخيرِ الورى المختارِ أفصحِهم نُطْقا
تُجَمِّعُنا عمَّا قريبٍ فإننا ... أضرَّ بنا طولُ البعاد وما نلقى
عليكم سلامُ الله ما هامَ عاشقٌ ... وشامَ معنًّى الحزنِ من نحوِكم بَرقْا

ومنه: ما كتبه إلى قاضي صفد صالح بن محمد الكوراني، سنة خمس وثمانين وتسعمائة، مضمناً شطر مطلع لأبي الطيب:

جوانحُنا شوقاً إليكمْ جوانحُ ... وألبابُنا تصبو لكم والجوارحُ
ومغناكم مغنىَ الهوى ياشقى الهوى ... وأيامه غادٍ من المزن رائحُ
وخصَّ الصَّبا حيثُ الشبيبةُ أيكةٌ ... بأغصانها وُرْقُ الأماني صوادحُ

وحيثُ الحمى روضٌ لطارح[1] أهلَه أحاديثَ أشجاني بهم وتطارحُ
معاهدُ أحبابي ومربَى مآربي وأوطانُ أوطاري إذ العيشُ صالحُ
وإذا مامن حسانة الجيد ناعماً أغادي الهوى فرطَ الصّبا وأراوحُ
متى ابتسمتْ عن ذي لَمًى قلتُ منشِداً بأدنى ابتسام منك تحيا القرائحُ

ومنه قوله:

بين سقطِ اللِّوى ومعطفِ بانه وأثيلاتِ ملتقى كثبانِهْ
ظَبَياتٌ عندَ الطّلا قاصراتُ الطْـ ـطَرف ترنو بأوطفٍ وسنانِهْ
ناظرات عن نرجسِ الروضِ غَضٍّ باسماتُ الثغور عن أُقحوانِهْ
مشرقاتُ الوجوهِ أقمارُ حسنٍ مخجلاتُ البدرِ في عنفوانِهْ
كلُّ خمصانةِ الوشاحِ ثَنَتْهُ عقدُ درٍّ مفصَّلٌ بجمانِهْ
وبأجيادِها من اللؤلؤ الرطْـ ـب عقودٌ نُظِمْن في مَرْجانِهْ

وقوله:

قد كساها الشبابُ ديباجَ وَشْيٍ جلت وردَ الخدودِ من أُرجوانِهْ
فهيَ تهتزُّ فيه حسناً وفي آخر تحكي الرياض عن ألوانِهْ
ليَ فيهن مائسُ العِطْفِ أَلْمَى ناعسُ الطرف نَدَّ عن غزلانِهْ
كالقضيبِ الرطبِ يعلوه بدرٌ فوق دِعْصٍ من الظبا ريّانِهْ
يرتقي حبه الفؤاد بديلاً عن مرير الأراكِ في أغصانِهْ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أطارحُ.

وقوله:

لا تَسَمْهُ سرحَ اللحاظ وذُدْهُ ... عن حماه واستكفِ وقعَ سنانِهْ
وتجنبْ مراتعَ الظبي واحذرْ ... لفتةَ الريم في مرابعِ بانِهْ
لا تعر نظرةً لساحرِ طرفٍ ... قطُّ يوماً واسألْهُ حفظَ أمانِهْ
قد رماني من بينها ذلك الريـ ... ـمُ بسحرِ اللحاظ من أجفانِهْ
ملكَ القلبَ فهو سلطانُ حسنٍ ... كاملٍ فيه جلَّ عن نقصانِهْ
فقلوبُ العشاق بين يديه ... صِرْنَ مثلَ الكُراتِ في صَوْلجانِهْ

وقوله:

لم يزلْ بي حتى تملَّكَ لُبّي ... فجفاني ولجّ في هجرانِهْ
أنا واللهِ هالكٌ من جَفاهُ ... وهو لاهٍ عني برفعةِ شانِهْ
والذي حف يانعاً وردَ خديـ ... ـهِ بآسِ العِذارِ من ريحانِهْ
وأمالَ الرُّضابَ راحاً بثغر ... رصَّعَ الدرّ منه في عِقْيانِهْ
لا أطعتُ الوشاة فيه ولو ... أسرفَ في ظلمِه وفي عدوانِهْ
غيرَ أني أشكو جفاهُ لمولىً ... هو قطبُ الأوانِ سعدُ زمانِهْ
الإمامُ الجليل غوثُ البرايا ... غيثُها المرتجى ندى إحسانِهْ

وقوله:

ناصرُ الحقِّ والشريعة والديـ ... ـن بغربي سنانِه ولسانِهْ
ذو سجايا مثل الرياض سقاها ... وابلُ القطر من ندى هَتَّانِهْ
بحرُ جودٍ له جداولُ عشرٌ ... في يديه تدفقتْ من بَنانِهْ

عــالمٌ عامــلٌ تقــيٌّ نقــيٌّ خاشــعٌ للإلــه فــي رضــوانِهْ

ســار فــي الخـافقينِ ذكـرُ عــلاه وعـــلا قــدرُه علــى كيوانِــهْ

فــائضُ العلــم عــن رويــةِ فكــرٍ كــاد يجلــو ســرَّ القـضا لعيانِــهْ

ثاقــبُ الفهــم كـم خبايـا علـومٍ قد جلاهـا بالكـشفِ عـن برهانِـهْ

بــسنا منطــقٍ فــصاحةِ قُــسٍّ عنــدَه باقــلٌ لــدى سَــحْبانِهْ

فهــو كــشافُ مــشكلاتِ معــانٍ حلَّــى ألفاظَــه بــديعُ بيانِــهْ

ومنه قوله:

أيهـا الـسعدٌ قـد سـموتِ محـلاً قـصَّر المـدحُ عـن بلـوغ رعانِـهْ

كيـف يتلـو المقـالُ آيـةَ وصـفٍ لك جاءت فـي الـذكر مـن قرآنِـهْ

فــإذا قلــت والحـديثُ شـجونٌ فاستمعْ منـه فيـكَ بعـض حسانِهْ

أنــت عــينُ الوجــودِ مــن أعيانِــه بـل محـلُّ الإبـصار مـن إنـسانِهْ

وأرى أنــك المــرادُ مــن الكــو نِ وقـصدُ المحـيطِ مـن دورانِـهْ

علـــمَ اللهُ كيـــفَ فأعطـــا ك المحـلَّ الجليـلَ مـن سـلطانِهْ

ظلُّــه الــوارفُ الظــلالِ مــرادُ الحقِّ مجلِّي الوجـودِ مـن أكوانِـهْ

وقوله:

قــرن الله ملَكُــه بــك ســعداً فلكـــاً دائـــراً بـــسعدِ قرانِـــهْ

حطــت أركانــه بحــزمٍ وعــزمٍ قــد أقامــا الميّــادَ مــن بُنيانِــهْ

كــاد لــولاكَ ركْنــه يتــداعى لا تـداعى وشـدَّتْ مـن أركانِـهْ

ما يراه أولو النهى غير جسمٍ أنت روحُ الحياة في جثمانِهْ
ورآك العبادُ من نعمِ اللـ ـه عليه وطَوْلِه وامتنانِهْ

وقوله:

إيهِ سعدَ الورى لعلك تصغي نحوَ وصّافِ مدحِكم حَسّانِهْ
عبدِك الطالويِّ من قيل فيه شاعرُ العصر بحتريُّ زمانِهْ
كم له فيكَ من فرائدَ غُرٍّ كالدراريِّ يُخجلْن درَّ عُمانِهْ
مثلِ سيارةِ النجومِ رواةٍ سرنَ في الخافقينِ مع ركبانِهْ
فهي حليُ الزمان في جيده العا طلِ باقٍ والشنفُ في آذانِهْ

وقوله:

أنت سعدُ الورى ونيرها الأعـ ـظمُ والسرُّ شَفَّ عن كتمانِهْ
عجبَ القومُ من سناكَ وقد أشـ ـرقَ هذا الوجودُ من لمعانِهْ
وأضاءَ الأكوانَ شرقاً وغرباً وتوارى عن منزلي ولمعانِهْ
ما توارى أستغفرُ الله ضَنًّا بل لحظ ما زال في حرمانِهْ

وقوله:

فعسى نظرةٌ من السعد تُدني عينَ حرمانه إلى رحمانِهْ
دمتَ للعالمين سعدَ البرايا باهرَ الفضل في علوِّ مكانِهْ

ومن مشهور شعره وبديعه: القصيدة الرائية، التي كتبها من الديار الرومية، سنة إحدى وألف، إلى دمشق الشام، لا أغبها صوب الغمام، متشوقاً لسكانها

من الفضلاء، وحماة ساحتها من الأمراء، ومشايخها الصوفية الكبراء، وهي قوله:

أنـــسيمةَ الـــروضِ المطيـــرِ	بالعهـــد مـــن زمـــنَ الـــسرورِ
وأنيـــقِ أيـــام الـــشبا	بِ وعيـــشه الغـــضِّ النـــضيرِ
ووثيـــقِ أيـــام التـــصا	بـــي يـــا لمَعهـــدِها الخطيـــرِ
ومعاهـــدٍ كـــان الـــشبا	بُ وشـــرخُه فيهـــا ســـميري
هومـــتُ فيـــه فـــصاحَ بـــي	داعـــي الـــصباحِ المـــستنيرِ
فطفقـــتُ أنظـــرُ منـــه فـــي	أعقـــابِ بـــرقٍ مـــستنيرِ

وقوله:

قـــد كـــان حـــسانُ المـــرا	بـــع فيـــه حـــسانَ البـــدورِ
أيـــامَ غـــصنُ شـــبيبتي	ريـــانُ مـــن مـــاء الغـــرورِ
حيـــثُ الـــشبيبة روضـــةٌ	غَنَّـــاءُ صـــافيةُ الغـــديرِ
. . .[1] رائـــدها المهـــا	ةُ الـــرودُ مـــن ريـــمِ الخـــدورِ
مـــن كـــل مخطَفَـــةِ الحـــشا	كـــأخي الرشـــا أخـــتِ الغريـــرِ

ومنها:

طلعـــتْ بليـــلِ ذوائـــبٍ	أبهـــى مـــن القمـــرِ المنيـــرِ
بيـــضاءَ وشّـــحتِ التـــرا	ئـــب والنحـــور مـــن الثغـــورِ

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

وكـــسا معاطفهـــا الـــشباب ... الـــروق حـــسان الحبيـــرِ

تمـــشي أنـــاة الخطـــو فيـــ ... ـــها روعـــةُ الظبـــيِ النفـــورِ

قويـــتْ علـــى قتلـــي وفـــي ... ألحاظِهـــا ضـــعفُ الفتـــورِ

وبمـــا جـــرى يـــوم النـــوى ... مـــن درٍّ مـــدمِعها النثيـــرِ

كالعقـــدِ أســـلمَهُ النظـــا ... م مـــن الترائـــبِ والنحـــورِ

وبوقفـــة التوديـــعِ والـــ ... أنفـــاس تـــصعدُ بـــالزفيرِ

ومنها:

ويـــدُ الفـــراق تـــشبُّ فـــي الـــ ... أحـــشاءِ نيـــرانَ الـــسعيرِ

ألا ســـريتِ مـــع الـــصَّبا ... يـــا نـــسمةَ الـــروضِ المطيـــرِ

فاجتزتِ من أرض العراق على الخوَرْ ... نَـــقِ والـــسديرِ

ووقفـــت بـــالزوراءِ وقـــ ... ـــفةَ زائـــرٍ وفَّـــى مـــزورِ

وحملـــتِ للكـــرخِ التحيْـــ ... ـــيَةَ مـــن أخـــي ســـجنٍ أســـيرِ

ونزلـــتِ مـــن نهـــرِ الأبُلْـــ ... ـــلَةِ والمـــصراة علـــى شـــفيرِ

وأقمـــتِ فـــي شـــطِّ الفـــرا ... تِ بملتقـــى العـــذبِ النميـــرِ

وســـمعتِ هينمـــةَ الريـــا ... ض وصـــوتَ جائـــشةِ الخريـــرِ

ومنها:

وجـــدبت فـــي تلـــك الحـــدا ... ئـــقِ طـــوقَ ســـاجعة الهـــديرِ

حفـــت بـــسروٍ كالقيـــا ... نِ تلفعَـــتْ خُـــضْرَ الحريـــرِ

ولثمـــتِ خـــدَّ الـــروضِ فيْـــ ... ـــه نبـــاتُ ريحـــانٍ طريـــرِ

وثنيـــتِ عطفـــكِ والـــصبا حُ يكـــادُ يُـــؤذِنُ بالـــسفورِ
وأتيـــتِ بابـــلَ فاصطحبـــ ـــتِ بمثـــلِ مـــصباحٍ منيـــرِ
يغنيـــك متهمـــةً ومنـــ ـــجدةً ســـناها عـــن خفيـــرِ

ومنها:

ثـــم انبريـــتِ مـــع الجَنـــو ب وحِـدْتِ عـن مَسْرى الـدَّبورِ
حتـــى نزلـــتِ بـــذي الأرا كـــةِ أو رثيـــتِ علـــى ثبيـــرِ
فـــسقطتِ مـــن أرض الخـــزا مـــى والبَـــشام علـــى الخبيـــرِ
وشـــممتِ مـــن طفـــلِ العـــشيْـ ـــيَةِ نفحـــةً عنـــد المـــرورِ
وطلعـــتِ نجـــداً والـــدجى ينيـــل مـــن أثـــوابِ قيـــرِ

وقوله:

ومـــشيتِ فـــوقَ عـــرارِهِ مـــا بـــين خـــردانٍ وخيـــرِ
وهبطـــتِ غـــورَ تهامـــةٍ والـــشهبُ مالـــتْ للغـــويرِ
ونزلـــتِ فـــي ســـفح الأرا كِ وســـفتِ راهبـــةَ البريـــرِ
وســـلكتِ مـــن وادي العقيـــ ـــقِ منابـــتَ العمـــمِ الـــشكيرِ
وأملـــتِ فيـــه ذوائـــبَ الـــ أغـــصان مـــن طلـــحٍ نـــضيرِ
وهـــصرْتِ بانـــاتِ النَّقـــا هـــصرَ الـــروادفِ للخـــصورِ

ومنها:

فحملـــتِ عنهـــا مـــن غـــوا لـــي المـــسك فاغمـــة الزهـــورِ

وعبـــرتِ داريـــن العطـــا ر وســـمتِ عاليـــةَ العبيـــرِ

وازددتِ مـــن أَرَجِ الكبـــا وانثنيـــتِ مـــع البكـــورِ

وجرعـــتِ وادي الـــشَّحْر ليـــ ـــلاً ورنـــدَه عنـــد المـــسيرِ

والـــصبحُ يخطـــرُ فـــي الـــدجى كـــالوحيِ يخطـــرُ فـــي الـــضميرِ

والنَّـــــسُر فيـــــه واقـــــعٌ خـــوفَ الـــصباح لـــدى الوكـــورِ

وكواكـــبُ الجـــوزاء ممـــ ـــسكةُ الأعنـــةِ عـــن مـــسيرِ

ومنها:

خافـــت سُـــهيلاً فانتـــضتْ ســـيفاً مـــن الـــشعرى العَبـــورِ

والـــنجمُ يهـــوي للغـــرو بِ كأنـــه كـــفُّ المـــشيرِ

فهبطـــتُ ربـــعَ الـــشامِ دا رِ اللهـــوِ بـــل مغنـــى الـــسرورِ

ونزلـــتُ بـــالوادي المقَّـــدْ دَسِ شـــاطياً غيـــر الـــشطيرِ

وخطـــوتُ مـــن بطحـــاءِ وا دي النيـــربينِ علـــى الـــصخور

ووقفـــتُ فـــي تلـــك الربـــى مـــا بـــينَ روضٍ أو غـــديرِ

ومنها:

وقـــرأتُ ســـكانَ القـــصو رِ بهـــا الـــسلامَ بـــلا قـــصورِ

لا ســـيما شـــيخِ العلـــو مِ مفيـــدِ أربـــابِ الـــصدورِ

شـــمسِ الهدايـــةِ والـــدرا يـــةِ شـــيخِ جامعِهـــا الكبيـــرِ

كـــشافِ أســـرارِ الـــبلا غـــةِ عمـــدةِ الفـــتحِ القـــديرِ

مُعلـــي منـــارِ الـــشرعِ مغـــ ـــني المقتفـــى كنـــز الفقيـــرِ

ومنها:

ورئيـــسِها قاضـــي جمـــا ... عتهـا المحكَّـمِ فـي الأمـورِ
الفاضـــلِ اللـــسنِ المفـــوْ ... وَهِ والمنـــزَّهِ عـــن نظيـــرِ
أعنـــي بـــه القاضـــي محبْـــ ... ـــبَ الـدينِ ذا الـرأيِ المنيـرِ
مـــــولًى أراعَ براعـــــةً ... قلـبَ الطـروسِ مـع الـسطورِ
ببـــديعِ وشـــيِ محجـــلٍ ... وشـــيَ البـــديعِ أو الحريـــري
وأبـــي الـــضيا حـــسنٍ ... خليفـة الفـضلِ والأدبِ الغزيـرِ

ومنها:

عجبـــاً لـــه فـــاق الأوا ... ئـلَ وهـو فـي الـزمنِ الأخيـرِ
أدبٌ يروقُـــك مثـــل زهـــ ... ـرِ الـروضِ غِـبَّ حَيًّـا مَطيـرِ
وجنـابِ سـامي القـدرِ عبـــ ... ـدِ الحيِّ ذي الفـضلِ الـشهيرِ
والأكرمـــيِّ الأريحيْـــ ... ـيِ الألمعـيِّ أبـي الـسرور
ومـــشيِّدِي أركانِهـــا ... أمـــراءِ معلَمِهـــا الخطيـــرِ

ومنها:

مـــنهم جنـــابُ الطـــالويْ ... يِ سـليلِ أرتـقَ ذي الـسريرِ
فـــي الـــسلم كالغيـثِ المطيـــ ... ـرِ والحـربِ كالليـثِ الهـصورِ
محيـــي مكـــارمِ حـــاتمٍ ... بـين الأنـامِ بـلا نكيـرِ
وعلـــيٍّ المـــصريِّ كهـــ ... ـفِ الجـود أمـنِ المـستجيرِ
والمنجكـــيِّ محمـــد الـــسْ ... ـسَامي علـى الفلـكِ الأثيـرِ

ومنها:

فهـــو الأميـــرُ ابـــنُ الأميـــــــرِ ابـــنُ الأميـــرِ ابـــنُ الأميـــرِ

وشـــــيوخِها البـــــدلاءِ أهـــــــلِ الكـــشفِ حقّـاً والحـــضورِ

وأئمــــــةِ العرفــــــانِ منـــــــهم شـــيخنُا موســـى الـــسُّيور

والـــشيخُ ناصـــرُ عـــامرُ الـــــأوقـــات بالـــذكرِ الجَهيـــرِ

ذكـــــرتْهم الأنــــواءُ ذكــــــــرى بالعـــشايا والبُكـــورِ

وكـــساهمُ خلـــعَ الـــشبابِ الـــروقِ مقتبـــلُ الـــدهورِ

وهي عروض قصيدة الرضيِّ التي أولها:

نطـــق اللـــسانُ عـــن الـــضمير والبـــشرُ عنـــوانُ الـــسرورِ

وعروض قصيدة المنخّل؛ كما في «حماسة أبي تمام»، التي مطلعها:

إن كنـــتِ عـــاذلتي فـــسيري نحـــوَ الحجـــازِ ولا تجـــوري

ولإبراهيم بن المدبر قصيدةٌ على هذا الرويِّ، في مدح المتوكل:

يـــومٌ أتانـــا بالـــسرور والحمـــــــدُ لله الكبيـــــرِ

أخلـــصتُ فيـــه شـــكرَهُ ووفيـــتُ فيـــه بالنـــذورِ

منها:

البـــدرُ ينطـــق بيننـــا أم جعفـــرٌ فـــوق الـــسريرِ

فـــإذا تـــواترتِ العظـــائـمُ كنـــتَ منقطـــعَ النظيـــر

وللأديب العلامة عبد البر بن عبد القادر الفيومي، صاحب كتاب «منتزه

العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب» قصيدة على هذا البحر، مطلعها:

يــا روضــةَ الــسفحِ الخــضيرِ هــل فيــكِ مــن غــصنٍ نَــضيرِ

ومن شعره يذكر جامعَ يلبغا، تحت قلعة دمشق الشام، وهو من محاسنها، والقصيدة في نفس الأمر مدح لدمشق، ويرثي شيخه أبا الفتح المالكي:

ألمـمْ بـساحةِ يلبغـا مهمـا انبرَتْ منـك الهمـومُ ومـلْ إلـى شِـبَّاكِهِ
واستجلِ روضاً مـن سـماءِ زمـردٍ طلعتْ نجـومُ الزهـر فـي أفلاكـهِ
ينـسابُ فيــه كــالمجرة جــدولٌ حــصباؤه كالــدرِّ فــي أســلاكِهِ
حاكتْ له الأنوارُ مـن حُلِـلِ البهـا وشـياً يحـار الطـرفُ فـي إدراكِـهِ
ورسا النسيم بساحتيهِ كمـا رسـتْ طيـرٌ قـديمُ الـشجوِ فـوقَ أراكِـهِ

ومنها:

مـا بـين شُـحرورٍ كراهـبِ بِيَعـةٍ قـد رتـبَ الإنجيـلُ فـي أحلاكِـهِ
وغنــاءِ قمـريٍّ وسـجعِ حمامــةٍ ورجيــع ســنٍّ مولــع بــشباكِهِ
وخريـرِ نهـرٍ مـن لجـينٍ مـاؤه ذهبُ الأصيل جرى خلالَ حباكِـهِ
ذو شـاطئٍ لـو قـد رأى رقراقَـه نهـرُ الأُبُلَّـةِ فـاضَ وسـطَ نباكِـهِ
حفَّــت بــوادرُ بأســه أرجــاءه حتـى ثـوتْ منـه مكـانَ مـساكِهِ
يسقون فيـه علـى التـصابي قهـوةً كالمنـدَلِ الـشحريِّ غـبَّ مذاكِـهِ
من كفِّ ساجي الطرفِ مهما أن رنا أسـرَ الفـؤادَ فعـادَ فـي أشـراكِهِ
ولكمْ جلوتُ به الهمومَ وصُحبتي شيخٌ علـومُ الـشرع تحـت مِلاكِـهِ

ومنها:

كانت على الأيام منه بهجةٌ ... ونضارةٌ بقيت بُعيدَ هلاكه
فسقى إلهُ العرشِ تُرباً غيبتْ ... تلكَ العلومَ ببدر نو أسماكِهِ
وغدتْ تحايا الربِّ كل عشيةٍ ... تُهدى إليه على يدي أملاكِهِ

وله من قصيدة وهو بالروم يتشوق لوطنه قوله:

على الشامِ منِّي كلما هبتِ الصَّبا ... سلامٌ كنشر الروضِ طابَ له نشرُ
بلادٌ كأنفاس الشَّمولِ شِمالها ... وتربتُها مسكٌ وحصباؤها دُرُّ
سقاها وحَيَّاها الإلهُ معاهداً ... سحابَ دنو العهدِ وافى به البشرُ
فيا حبَّها زدْني جَوًى كلَّ ليلة ... ويا سلوةَ الأيامِ موعدُك الحشرُ

وله يستدعي بعض أصدقائه إلى منتزه، في بعض الأيام:

قد غازلَ النسرينُ لحظَ النرجسِ ... في مجلسٍ سُقي الحيا من مجلسِ
يرنو إليه كما رنتْ من خشية الرْ ... رَقباءِ غيدٌ عن لحاظٍ نُعَّسِ
والوردُ أخجلَه الحيا فكأنه ... خَدٌّ تورَّدَ من لهيبِ تنفُّس
في فتيةٍ نشرتْ حدائق بردها ... فزهت على زُهْرِ الجواري الكُنَّسِ

ومنها:

دارتْ سُلافُ الذكر منك عليهمُ ... فغدت تمايَلُ كالغصونِ المُيَّس
ترجو قدومَكَ كي يتمَّ سرورُها ... وتقرَّ عيناً يا حياةَ الأنفسِ
لا زالَ وردُك يانعاً في روضةٍ ... وشبابُكَ الفتانُ زاهي الملبسِ

مــا غــردت وُرْقٌ بــأعلى أيكــةٍ   في روضةٍ كسيت مطارفَ سندسِ

ومما كتبه إلى الشمس الصالحي، معاتباً له عن قولٍ بلغه عنه:

قــسماً بطــرة كــلَّ بــدر زاهــرِ   وبطلعــةِ القمــرِ المنيــرِ الزاهــرِ
وبفترةِ الأجفانِ ترشق في الحشا   سْـهمَ المنيـة عـن لحـاظِ جـآذرِ
وبكــلِّ هيفــاءِ القــوامِ إذا بــدتْ   أزرَتْ بحوطِ نقا الريـاض الناضـرِ
من كل خَوْدٍ وازنت شمسَ الضحى   غيــداءَ تهــزأ بــالغزالِ النــافرِ
ريّـا المُخَلْخَـلِ ذاتِ قَـدٍّ نـاعم   غرثـى وشـاحٍ ذاتِ طـرفٍ فـاترِ
رُعبوَبـةٍ تختـال مـن مَـرَحِ الـصِّبا   كخميلــةٍ بــالروضِ ذاتِ أزاهــرِ
لا بــل بعــزمٍ كالحــسامِ البــاترِ   وبثبــتِ عــزمٍ للأعــادي قــاهِرِ

ومنها:

وبهمــةٍ هــامَ المجـرةِ قـد علـتْ   فسمتْ على سرِّ الـسماك الظـاهرِ
وبطـارفِ الـشرفِ الرفيـعِ محلـه   وبتالـدِ الحـسبِ المنيـعِ الطـاهرِ
لأنَا الكميُّ الثبـتُ فـي الهيجـا إذا   شــنّت لـي الحـسادُ غـارةَ ثـائرِ
مِن كلِّ مَن لـم أرضَـهُ خِـلاًّ ولـم   أعــدُدْهُ يومــاً مــن سَـراة منـابرِ
أسدٌ علـيَّ وفـي الحـروبِ نَعامـةٌ   فَتْخـاءُ تنفِـر مـن صَـفيرِ الـصافرِ
زعــمَ العــدوُّ بــأنني متنحّــلٌ   مــا قلتُــه يـا ويحَــهُ مــن جـائِرِ

ومنها:

إن شئتُ وشَّيْتُ القريضَ بمدحِـه   ووصــــفْتُه ونعتُّــــه بمــــآثرِ

مـن كـلِّ قافيـةٍ إذا مـا أُنـشدَتْ ... تركتْ جريـراً فـي العديـدِ الآخِـرِ
حتـى يـرى أنـي امـرؤٌ مـن إمـرةٍ ... شادوا المعالي فـي الزمـانِ الغـابرِ
لكـن لـي جرثومـةً قـد أسـبلت ... ذيـلَ الوفـاء علـى الزمـانِ الغـادرِ

ومنها:

يـا فاضـلاً قـادتَ لنـا أفكـارُه ... غررَ المعاني فـي النـسيب البـاهرِ
حلَّيْـتَ جيـدَ الـدهر عقـدَ فرائـدٍ ... وكـسيتَه وشـيَ الثنـاءِ الفـاخرِ
بقائـدٍ طنانـةٍ مـا غـادرتْ ... لبنـي القطيعـة مـن عَجـاج ثـائرِ
خُـذْها إليـك أرقَّ مـن مـرّ الـصَّبا ... سـحراً وألطـفَ مـن خيـالٍ زائـرِ
تعدو على سَحْبانَ تـسحبُ ذيلَهـا ... وتجرُّ مِـرْطَ اللهـو فـوقَ الحـاجرِ
وكـنِ الـضنينَ بهـا فـإنَّ محلَّهـا ... بمكـانِ أسـودِ نـاظرٍ مـن نـاظري
لا زلـتَ ربعـاً بالفـضائل عـامراً ... تُنشي قريضَ الـشعر بـين معاشـرِ
مـا نـاح قُمـريٌّ بـروضٍ زاهـرٍ ... وغـدتْ تجاوبـه حمامـةُ حـاجرِ

فأجابه الصالحي بقوله:

أسـماءُ زهـر أم ريـاضُ أزاهـرِ ... سحبتْ عليها الذيلَ نـسمةُ حـاجرِ
مبلولـةُ الأذيـالِ تـستبدي شـذا ... دارَيـن نـشراً مـن عبيـرٍ عـاطرِ
أم درةٌ مكنونـةٌ مـا ثَقَبـتْ ... أصـدافَها فكـرُ الـذكيِّ المـاهرِ
أم بنـتُ فكـرِ بالحيـاءِ تلفعـتْ ... وأتـتْ تهـزُّ الـردفَ تحـتَ مـآزرِ

منه:

مـذ غـازَلتني مـن جفـونِ نـواظرٍ ... ونـضَتْ نقابـاً عـن جبـينٍ زاهـرِ

غَضَّيْتُ طرفي خوفَ بارقِ ثغرِها ... مـن أن يمـرَّ كلمـحِ لحـظٍ بـاهرِ
سـايرتُها والـنجمُ فـي آفاقِها ... يرنـو بطـرفٍ للنـديمِ الـسامرِ
وتلـت حـديثاً كالأمـانِ لخـائفٍ ... وألـذَّ مـن غَفَـلاتِ عـينِ الـساهرِ

وقال:

أكـرمْ بهـا مـن غـادةٍ فتانـةٍ ... لو لـم تـشبْ ودِّي بـصدِّ الهـاجرِ
فطمتْ ولائي والمعـارفُ نُكِّـرت ... يـا فـاطمَ الـذكرى لعاهـدِ غـابرِ
وأتـتْ تعرِّفُنـا بـأن مقالَهـا ... فـوقَ الـسماكِ وفـوقَ نـسرٍ طـائرِ
وتقولُ نظمي فوقَ نظمِ الحـاجري ... وكـذا جريـرٌ فـي العديـدِ الآخـرِ
شـاهدتُها فالرعـدُ فـي أرجائهـا ... يحـدو فخـاراً كالـسَّخاءِ البـاهرِ
والبـرقُ منـي حـين قابـلَ رعـدَها ... أندى انسياباً مـن حـديثِ الفـاخرِ
واريـتَ تـضميناً لبيـتٍ سـائرٍ ... ففهمت معنى مـن صـفيرِ الـصافرِ

وقال:

من ذا يبارز فـي الحـروب غزالـةً ... فافهمْ أخي كحسنِ قـصدِ الـشاعرِ
ما[1] راعني فـي الـنظم إلا قولُهـا ... شَـنَّتْ لـيَ الحـسادُ غـارةً ثـائرِ
يا ليتَ شِـعري والحـوادثُ جمـةٌ ... والـدهرُ يُبـدي كـلَّ أمـرٍ نـادرِ
ماذا ترى الحـسادُ حتـى يحـسدوا ... ابـنَ الـسراةِ المنتمـينَ لكـابرِ

---

(١) في الأصل: فما، الصواب ما أثبت؛ ليستقيم الوزن.

تَعِس الذي يرجو الوفا من آمرٍ ... أَوَ ما رأى فلكَ الزمانِ الدائرِ
فدعِ التفاخرَ والقريضَ لمعشرٍ ... إن سُوجلوا أو فُوخروا بمفاخرِ
برقَتْ غمائُمهم لغيثٍ ماطرِ ... وروى عطاؤهم الندى عن جابرِ
لكن هذا النظمَ يصلح للذي ... خطَّ القصائدَ في بطون دفاترِ

ومنها:

وأرى مصاريعاً بخطك علقتْ ... فأذاعَ هذا القول بين عشائر
غيري جنى وأنا المعذَّبُ فيكُم ... هذا لعمري حكُم خصمٍ جائرِ
يا هذه لا تحسبي هذا الجفا ... مما يكدر موردي ومصادري
أنتَ العُذيب وإن مضى ذاك النقا ... وتبدلَتْ غزلانُه بقنابرِ
وسكنتَ عندي في سوادِ الناظرِ ... وحللتَ مني في سُوَيدا خاطري

ومنها:

يا فاضلاً سحَّتْ سحابُ بَنانه ... ببديعِ نظمٍ كالعبابِ الزاخرِ
خذْها إليكَ ونظمها في ليلةٍ ... تُبدي قصوراً من ضعيفٍ قاصرِ
كالسيفِ يضحكُ والحتوفُ بحدِّه ... ويلينُ هَزّاً في يمينِ الباترِ
لا زلتِ أُفْقاً بالدراريَ نيِّراً ... يهدي السبيلَ لجائرٍ ولحايرِ
ما اعتلَّتِ النسماتُ من نوماتها ... ورقى خطيبُ الورقِ عودَ منابرِ
ثمَّ الصلاةُ على النبيِّ وآلهِ ... أهلِ المفاخر والنِّجارِ الطاهرِ
ما غنَّتِ العشاقُ في ركبٍ وما ... قصدَ الحجازَ وحنَّ قلبُ الذاكرِ

[٣٩٤] أحمد بن أحمد الكردي صائم الدهر[١].

نزيل دمشـق، ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان من جماعة الشهاب أحمد الغزي، وقرأ عليه كثيراً، ثم قرأ الفقه بعده على جماعات، منهم: أحمد العيثاوي، ولازمه كثيراً، وقرأ على الشمس محمد الميداني.

وكان مجاوراً بالجامع الأموي، ملازماً لقراءة القرآن، متعبداً شديد الورع، متجرداً عن الدنيا والنسـاء، قال النجـم: حكى لي: أنه اقتات بمكة ثلاثة أيامٍ بماء زمزم، واستغنى به عن غيره، قال: فعرض علي بعض الناس قطعة خبزٍ، فأكلتها، فذهبت عني تلك الخاصيّة.

وقطن بدمشق أكثر من أربعين سنة، وهو على خيرٍ وفي خيرٍ، إلى أن توفي يوم الثلاثاء، سابع جمادى الأولى، سنة أربع عشرة بعد الألف، ودفن بمرج الدحداح، خارج باب الفراديس ـ رحمه الله ـ.

[٣٩٥] الملا محمد بن أحمد البغدادي الشافعي ثم الحنفي[٢].

قال النجـم الغـزي في «الذيل»: قدم دمشق فيما أخبرني شيخنا أحمد العيثاوي، في سنة سـبع وسبعين ـ بتقديم السين فيهما ـ وتسعمائة، فحضر درس شـيخ الإسـلام الوالد، ولازم إسماعيل النابلسي، وقرأ فقه الشافعية، ثم تحنف.

---

(١) جاء في الحاشية: «لعله محمد بن أحمد».

(٢) «لطف السـمر وقطف الثمـر» للغزي (١/ ١٩١) (٦٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣١)، وسماه: محمد بن عبد الملك.

وكان مجاوراً بالمدرسة العزيزية، بجوار الكلاسة، بالقرب من الجامع الأموي، وكان قديماً من جماعة الملا مصلح الدين الراوي، ثم لما عمر جامع الدرويشية بدمشق، صار فيها مدرساً حنفياً، ثم ولي وظائف أخرى، وأثرى، وصار من رؤساء دمشق.

وكان علامةً في المنطق والبيان، والكلام والهيئة، مشاركاً في العربية والفقه، وكان يحضر دروسه أفاضل دمشق، وكان ضيق العبارة، حسن التحرير.

توفي ليلة الاثنين، عشرين شعبان، سنة ست عشرة بعد الألف، ودفن شمالي مرج الدحداح في أقصاها عن بضع وستين سنة ـ رحمه الله ـ[1].

[٣٩٦] أحمد بن أحمد بن علي القاضي شمس الدين المغربي الدمشقي المالكي[2].

قال النجم الغزي: قرأ القرآن العظيم على شيخنا يحيى العمادي، وكان يثني عليه، وكان يحفظ القرآن، حسن الصوت، وأخذ الفقه عن القاضي علاء الدين البعلي المالكي، عُرف بابن المرحل، وسافر إلى مصر، وأخذ عن علمائها؛ كالبنوفري، وغيره، وحج وجاور، وقرأ على أفاضل مكة، وقرأ بدمشق في العلوم على إسماعيل النابلسي الشافعي، وعلى رفيقه العماد الحنفي، وعلى الشمس بن المنقار.

---

(١) جاء في الحاشية: «أو يكون محل هذه الترجمة فيما قبل».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩٥) (٢٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥٣).

وناب بمحكمة قناة العوني، ثم بالباب عن شيخه القاضي علاء الدين، وكان يدرس بالأموي، ويفتي، واستقرت له الفتوى منفرداً بعد شيخه المذكور، وكانت سيرته في القضاء حسنةً، وكانت له معرفةٌ تامةٌ بالعربية، وغيرها من العلوم الأدبية، وله حسن معاشرة.

ولما دخلت السليمانية إلى دمشق، في وقعة ابن جانبولاد، دخلوا عليه وهو مريض ببيته، بحارة قصر حجاج، خارج باب الجابية، وانتهبوه وأهانوه، فزاد مرضه، إلى أن مات يوم الخميس، ثامن عشر ربيع الأول، سنة ست عشرة بعد الألف، وصلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي، إماماً بالناس بالسبيانية، خارج باب الجابية، ودفن بباب الصغير، وممن أخذ عنه، وبه تخرج، محمد بن أحمد بن الفرفور ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٣٩٧] أحمد بن أحمد المعروف بالعيشي.

أحد علماء الروم الكبار، اختصر «الصحاح في اللغة»، وهو نافع، وأفيدُ من «مختار الصحاح» للرازي، غير أنه غير مشهور، وله: «مختصر الطريقة والحقيقة»، **توفي** سنة عشر وألف.

[٣٩٨] أحمد أبو عبدالله بن أحمد، الشهير بابن الوحِي الرومي.

كان بحراً فياضاً في العلوم، خصوصاً فنون العربية، مفنناً في غيرها، عظيم الجاه، موفور النعمة، كريم الأخلاق، حسن السيرة، وجده علي بيك المذكور في «تذكرة الشعراء»، ومطلع شمس وجودهم بلدة أزنيق، وبها **ولد** المترجم، سنة تسعمائة وأربعين.

وقرأ فنون العلوم، وأخذ الطريق وأكمله على بعض مشايخها، ثم جلس

على سجادة الذكر والوعظ، إلى أن مات وُسنَه أفندي، سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة، وكان محدث دار الحديث، المنسوبة لوالدة السلطان، بمدينة أسكدار، فأعطيت له، مع وعظ الجامع المنسوب إليها أيضاً.

ولم يزل على ذلك، حتى توفي سنة ثمان عشرة وألف، ومن آثاره الجليلة: «شرح مغني اللبيب لابن هشام» في مجلدين، وهو شرحٌ مفيدٌ حافلٌ، يدل على سعة اطلاعه، وطُول طَوله وباعه، وله على تفسير البيضاوي تعليقات لطيفة، وغير ذلك ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٩٩] أحمد بن أحمد بن إدريس الحلبي، ثم الدمشقي الحنفي، المعروف بابن قلاق سيز، وهي لفظةٌ تركيةٌ معناها: مقطوع الأذن[١].

مولده بحلب، سنة ست وثلاثين وتسعمائة، في خامس وعشري ربيع الأول، وقرأ بها على ابن الحنبلي، الأصولَ والفقه والحديث، وعلى الملا أحمد القزويني، في المعاني والبيان والتفسير، وأخذ الفقه أيضاً عن البهنسي، والحديث أيضاً عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وقرأ «صحيح البخاري» على النسفي، والفرائض عن عبد الوهاب الحلقي، والقراءات عن الطيبي، والمنطق عن الملا إبراهيم الكردي القزويني الحلبي.

وكان يحب العزلة والانجماع عن الناس، ملازماً للاشتغال بالعلم، وتفقه عليه كثير، منهم: ولده أحمد، ومات في حدود إحدى وعشرين بعد الألف.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٨٨ (٢٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٥)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ١٨٦) (٩٤٩).

[٤٠٠] **أحمد بن أحمد البيطار**[1].

إمام مسجد منجك بمحلة القصب، كان من الفضلاء المشهورين، وهو آخر طلبة العلامة شهاب الدين الطيبي، وكان مقرئاً مجوداً، قليل الحظ في الدنيا، توفي ليلة السبت، عشري محرم، سنة إحدى وعشرين بعد الألف، وقد بلغ من العمر أربعاً وثمانين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٠١] **أحمد بن أحمد القَرَماني**.

أحد علماء الروم المشهورين، له «حاشية على الدرر والغرر» في فقه الحنفية، توفي سنة إحدى وعشرين وألف.

[٤٠٢] **أحمد بن أحمد الصلتي الحنفي**[2].

إمام الدرويشية خارج دمشق، كان من تلامذة الشيخ حسن البوريني، الملازمين له، حتى إنه تعلم منه الفارسية، وكانا يتكلمان بها في المجالس، وكان فاضلاً عالماً عاقلاً، عليه سكينةٌ ووقارٌ، توفي يوم الثلاثاء، تاسع عشر محرم، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٠٣] **أحمد كمال الدين بن أحمد طاش كبري الرومي الحنفي**[3].

عالمٌ كبيرٌ شاع فضله في الآفاق، ووقع على فضله وكماله الاتفاق، كان

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٩٩) (٦٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٩٤).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩٨) (٢٩).

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٠١) (١٥٥) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨).

طوداً راسخاً في فنون العلوم، لا يكاد يوجد له ضريب بين موالي الروم، سيما في علم الفقه والعربية والبيان.

وبلغ في الرياسة والعزة، ونفوذ الكلمة، ما لم تبلغه أقرانه، وكان ذا مروءةٍ وإحسان، وتواضع في رفعة بغير امتنان، حسنة من حسنات الزمان، حليفاً للسنة والقرآن، يخشى الله كأنه يراه، ولا يداري في دين الله.

ولي قضاء دمشق سنة خمس وألف، وسار فيها أحسن سيرة؛ من العفة وصفاء السريرة، وحل من أهلها محل الروح من الجسد، ولم يشك منه أحد، ثم تقلد في المناصب العلية، بالديار الرومية، فولي قضاء العسكر الأناطولي مرتين، وقضاء العسكر الروم ايلي ثلاث مرات.

وكان ـ مع ذلك ـ ملازماً للاشتغال بالعلوم النافعة، والكد في إقرائها، وألف مؤلفات كثيرةً نافعةً، منها: كتاب «عمدة أرباب البداية والنهاية في تحرير مسائل الهداية»، وجمع جميع ما فيه المسائل، وجردها من الدلائل، وأورد نبذةً من الشروح المحتاج إليه في حلها، وأهداه إلى السلطان أحمد بن عثمان خان، أكمل تحريره في جمادى الآخر سنة أربع وعشرين وألف، وقال في ذلك:

أحمدُ اللهَ الذي من فضلِه	تمَّ هذا الجمعُ لي والانتخابْ
قد بذلتُ الجهدَ في تحريرِه	وتحريتُ له محضَ اللبابْ
غررُ الفقهِ غدتْ سافرةً	فيه حتى ما عليها من نقابْ
فاجعلِ اللهمَّ سعيي خالصاً	لك مشكوراً إذا قام الحسابْ
واكسُه ثوبيَ قبولٍ ورضًا	من أُولي الفضل وأصحاب الثوابْ

إن تــرمْ تــاريخَ إتمــامٍ لــه كـاملاً أرخـه (قـل تـم الكتـابْ)

توفي بالقسطنطينية سنة ثلاثين وألف، وأرخ وفاته العلامة إبراهيم بن عبد الرحمن العمادي بقوله:

ألا إنمـا الـدنيا غـرور نعيمُهـا ينغِّـصه تكـديرُها وزوالُهـا
قضى اللهُ للمولى الكمال بأن قـضى فأرخ (ديارُ الـروم مـات كمالُهـا)

[٤٠٤] أحمد بن أحمد المَرْداوي، نسبة إلى مردا، من قرى نابلس الحنبلي[1].

نزيل مصر، شيخ الحنابلة في عصره بالديار المصرية، أخذ عن التقي الفتوحي، وعن عبدالله الشنشوري الفرضي، وغيرهما، وعنه كثير، منهم: مرعي المقدسي، وعثمان الفتوحي، ومنصور البهوتي الحنبليون، وممن أخذ عنه الحديث وعلوم العربية: الشمس محمد الشوبري، وأخوه الشهاب أحمد، وشيخنا سلطان المزاحي.

توفي بمصـر، سـنة سـت وعشـرين وألف، ودفن بتربة المجاورين، بالقرب من السراج الهندي ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان من المنتصرين لشيخ الإسـلام ابن تيميـة الحنبلي، غير مُسَـلِّم لشـيخ الإسلام الشهاب ابن حجر الهيتمي ما قاله فيه من الضلال والإضلال، ويقول: إن جميع ما نقل عنه من المقالات الشـنيعة مكذوبٌ ومفترى عليه، وسمعت أن شيخنا سلطان كان يميل إلى قول المترجم، والله أعلم.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦).

[٤٠٥] أحمد بن أحمد المنوفي المكي[1].

قال صاحب «السلافة»: إمام الأئمة الشافعية، ورب الفطنة الألمعية، ملك للعلوم زماماً، وتقدم في مقام الفضل إماماً، مولده بمكة، وبها نشأ وترعرع، وبرع في جميع العلوم، ثم رحل منها إلى الروم، وبلغ من المناصب ما يروم، فلما عاد إلى وطنه، نصبت له المنون أشراكها في طريقه، وأغصَّته إذا أساغت له أمانيه بريقه، فتوفي بدمشق عام أربع وأربعين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

عتبت على دهري بأفعاله التي أضاقَ بها صدري وأضنى بها جسمي

فقالت ألم تعلم بأن حوادثي إذا أشكلتْ ردَّت إلى من كان ذا علم

وسئل وهو بدمشق عن التجِّشي، هل ينبغي بعده الحمد؛ من حيث إن الشبع نعمةٌ مباحةٌ، أو الاستغفار؛ لأنه نشأ عن خلاف الأولى، وهو الشبع؟ فأجاب على البديهة، بأنه يجمع بينهما، فيحمد الله اعتبارا بالنعمة، ويستغفره لسوء أدبه في أكله. انتهى.

قلت: ولم أر في كتب أئمتنا الشافعية التصريح بهذه المسألة، بعد التتبع، ثم وقفت عليه في بعض كتب المالكية، فذكر مثله، وزاد: أنه يخفي المتجشئ صوته ما أمكنه. انتهى.

وفي «القاموس»: التجشؤ: تنفس المعدة؛ كالتجشية، والاسم كهُمَزَة. انتهى. أي: جُشَأَة.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٧٢) (٢٩٣)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٢٤).

[٤٠٦] أحمد بن أحمد الروحي السَّفطي؛ نسبة إلى محلة روح، وسفْط القدور بقرب المحلة الكبرى، بغربية مصر، المالكي.

الشيخ الإمام، العارف بالله، والدال عليه، قطب الناسكين، وأجل العلماء العاملين، أخذ عن محمد بن سلامة البنوفري، وعبد القدوس الشناوي، وشرف الدين الروحي، وغيرهم، وكان معظماً عند علماء عصره، ولذلك كان العلامة النور الأجهوري يجله، ويزوره كثيراً، ويسأله الدعاء، وكان - نفع الله به - كريم النفس، ينفق جميع ما يحصل له من الفتوحات على زائريه، وكثيراً ما ينشد:

إذا المرءُ وافى منزلاً قاصداً ... إليك ودلَّته عليكَ المسالكُ
فكن باسماً في وجهه متهلِّلاً ... وقلْ مرحباً أهلاً قدومٌ مبارَكُ
وقدِّم إليه ما نويتَ من القِرى ... عجولاً ولا تبخلْ بما هو هالِك
فقد قيلَ في الأمثال بيتٌ مصدَّقٌ ... تداولَه زيدٌ وعمرٌو ومالِكُ
بشاشةُ وجهِ المرء خيرٌ من القِرى ... فكيف إذا جاء بالقِرى وهو ضاحكُ

وذكر عنده بعض أصحابه رجلاً كان يتجاهر بالمعاصي، وكان يتردد إليه، فملس يده على وجهه، وقال: بأبي وجهٌ لا يفلحُ أبداً، قال الشاعر:

فإذا رأى إبليسُ غرةَّ وجهه ... حَيَّا وقال فَديتُ من لا يفلحُ

فكان سبباً لتوبته، ورجوعه إلى حال حسنة. توفي في نيف وأربعين وألف.

[٤٠٧] أحمد أبو عبدالله بن أحمد الفجيري القَصْري المغربي المالكي.

كان صاحب حالٍ عظيم، ومقامٍ جسيم، وكراماتٍ كثيرة، وأحوالٍ

خارقة شهيرة، أخذ عن أبي محمد عبدالله بن حسُّون السلاسي، وتوفي سنة أربع وأربعين وألف.

[٤٠٨] أحمد بن أحمد المعروف بابن النيشانجي الرومي[١].

عالمٌ كبيرٌ مشهور، قرأ بالروم حتى برع وفاق أقرانه، وألف ترتيب جامع الفصولين في فقه الحنفية، تصرف فيه بزيادة ونقص، وإبرام ونقض، وسماه: «نور العين في إصلاح جامع الفصولين»، وهو من أنفع الكتب وأجمعها لمسائل الدعاوى لمن ابتلي بالقضاء، توفي سنة إحدى وثلاثين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٠٩] أحمد بن أحمد الشرانسي.

أحد كبار المحققين في العلوم العقلية، له في الروم شهرة تامة، ومؤلفات مفيدة، منها: «حاشيته على جزء النبأ من تفسير البيضاوي»، و«شرح على الرسالة العضدية الوصفية»، توفي سنة إحدى وثلاثين وألف.

[٤١٠] أحمد أبو عبدالله بن أحمد الحنّان الغرناطي المدحي[٢].

كان إماماً فقيهاً، متبحراً في العلوم الدينية، متبعاً للسنة النبوية، مظهراً للحقائق الربانية، والمواهب الرحمانية، لاحت أنواره، وعظمت آثاره، وأكثرُ أهل المغرب الأقصى من أهل فاس وغيرهم أخذَ عنه؛ لاشتغاله بالأهم فالأهم من العلوم، إلى ما حواه من العلم اللدني، والحلم والصبر على الطلبة، والاهتمام بتفهيمهم، مع ملازمة الصيام والقيام، واشتغاله بعد قراءة العلم

---

(١) «هدية العارفين» (٢/ ٢٧٢)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨).

(٢) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٣٦٧).

بقراءة القرآن، وذكر الله على الدوام، والصلاة على سيدنا محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ.

ولد سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وأخذ عن ابن مَجْبَر، والقدومي، والبدري، والسراج، والحميدي، والمنجور، وعنه كثير من العلماء؛ كالشيخ أحمد بن عمران، والشيخ عبد القادر الفاسيين، وقاضي فاس محمد بن سودة، وغيرهم.

وطال عمره، وبارك الله له في أوقاته، وألف التآليف النافعة، ولم يزل معمِّراً ظاهرَه وباطنه، ممتَّعاً بحواسه، حتى **توفي** آخر ذي الحجة، سنة خمسين وألف بفاس ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤١١] أحمد بن أحمد الشوبري، نسبةً إلى شَوْبَر؛ ككوثر: قريةٌ بمصر[1].

شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، وحامل لواء الإمام الشافعي المُطَّلبي على كاهله، والراقم له تحريراً بأنامله، وصدر الشافعية بالديار المصرية، ومفرد الإفتاء والتدريس، بالجامع الأزهر في كل علم نفيس، الذي اشتهر ذكره في الممالك الإسلامية، وحظي في عصره في الفقه حظوةً لم يحظها أحد من الشافعية؛ بحيث إن جميعهم كان يرجع إليه في المسائل المعضلة، والعبارات المشكلة الفقهية، وجلالته في بقية العلوم المتداولة أشهرُ من نار على علم، وكان يلقب بالشافعي الصغير؛ لما حواه من العلم الكبير.

أخذ عن شيخ الشافعية الشمس محمد بن أحمد الرملي، ولازمه

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٨٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١١).

سنين، وقرأ عليه: «البهجة» قراءةَ بحث وتدقيق، وأجازه بالإفتاء والتدريس وبجميع مروياته سنة ألف، وجرد حواشي «شرح الروض» للشهاب الرملي سنة خمس عشرة وألف، وكان ملازماً للشيخ عبد المنعم الطائفي، والفهامة الشيخ منصور سبطِ الشيخ ناصر الدين الطبلاوي، والعلامة الرباني النور علي الزيادي، وبه تفقه، والقدوةِ الشيخ صالح البلقيني، والعلامة البرهان إبراهيم العلقمي، وغيرهم، وأجازه غالب شيوخه، وشهدوا له بالفضل التام، واشتهر بالعلم والجلالة عند الخاص والعام.

وهو آخر من قرأ بالجامع الأزهر: «شرح الروض»، و«متن العباب»، و«مختصر المزني»، وغيرها من الكتب القديمة، وكان غالب ميله إليها، ومعوّله في المراجعة عليها، وكان ثابت الفهم، دقيق النظر، متثبتاً في النقل، متأدباً مع العلماء، وكان حسن الخلق، عظيم الصورة، طويل القامة، لطيف الخلق، ولا يستطيع أحد أن يملأ نظره منه لهيبته، ملازماً للعبادات، وصنوف الخيرات، معتزلاً عن الناس، إلا في مجلس علم، أو حضور جمعة أو جماعة، غير متردد إلى أحد من الحكام، بل هم يأتون إليه، ويقبلون يديه، وهو لا يعبأ بهم، ويبالغ في نصيحتهم وزجرهم.

روى عنه كثير، منهم: شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي، والمحقق النحرير علي الشبراملسي، والفهامة ياسين بن زين الحمصي.

وأفاد الشيخ عبدالله العياشي المغربي في «رحلته»: أنه أجاز لمن أدرك حياته.

وله مؤلفات، منها: «حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني»، و«حاشية على شرح المنهج»، و«أخرى على شرح التحرير»، و«حاشية على شرح الأربعين

لابن حجر»، وغير ذلك من رسائل عديدة، وأجوبة مفيدة.

وكان **مولده** في حادي وعشري، شهر رمضان، سنة سبع وسبعين وتسعمائة، **ووفاته** فجر ليلة الثلاثاء، سادس وعشري جمادى الأولى، سنة تسع وستين وألف بمصر، بعد أخيه العلامة الشهاب أحمد الشوبري الحنفي بنحو عامين أو ثلاثة، ودفن بتربة السيدة سُكينة، بقرب محلة طيلون ـ رحمه الله تعالى، ونفع به ـ.

نقلت من إجازة كتبها للشيخ العلامة أحمد بن شهاب الدين العجمي المصري ما نصه: وأشترطُ عليه أموراً:

أحدها: أن الإفادة ولا الاستفادة، ما استطاع من الدأب في تحقيق المشكلات، وجميع المآخذ التي بها كمال الانتفاع.

وثانيها: أن يراجع في جوابه عن الحادثة المنقولة، وأن لا يحكم عقله، وأن يعتمد على عدد من النقول.

وثالثها: أن لا يُتبع نفسه هواها، وأن يلزمها تقواها، مع التفكير في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١] الآية. انتهى.

[٤١٢] أحمد بن أحمد بن أبي الفتح بن شمس الدين بن ناصر الدين، الأسطواني الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الحنفي[1].

كان عالماً كبيراً في الفقه والحديث والأصول، متضلعاً من العلوم الشرعية، ورعاً ناسكاً، متقشفاً مخشوشناً، مخلولقاً، كثير العبوس في وجوه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٦).

الناس؛ لما يكرهه منهم، شديد الإنكار عليهم فيما يخالف الشرع، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره، مطبوعاً على الالتذاذ بذلك، متحملاً للأذى من الناس بسببه.

وكان من أوحد زمانه في الوعظ، ومن رجال الدهر أدباً وحزماً، وعلماً وفهماً، لطيف الطبع، حسن المحاورة، حلو الإيراد، مليح المفاكهة، بديع الصفات، من أوعية الفضائل، مجموع خير وعلم، متكلمٌ بالحق، ويعمل به، ولا يخاف في الله لومة لائم.

قرأ في بدايته بدمشق على الشمس الميداني، والنجم الغزي، ومن في طبقتهما، ثم رحل إلى القاهرة، فأخذ بها عن البرهان اللقاني، والشمس المحلي، والنور الحلبي، وغيرهم، وبرع حتى فاق أقرانه.

وسافر من مصر من طريق البحر إلى الروم، فأسره النصارى، وبقي في بلادهم مدة، ثم فك من أسره، ومكث بالقسطنطينية دهراً طويلاً، وصار بها واعظاً نبيلاً، وألف بها رسائل باللغة التركية مشهورة نافعة، ثم رجع إلى دمشق، وأقام بها على بث العلم ونشره، والملازمة على التدريس في العلوم النافعة، حتى توفي سنة ثمانين وألف تقريباً، ودفن بباب الصغير، وهو ممن أدركته، وكنت أحضر دروسه وأنا صغير، مع خالي العلامة محمد بن حسين الملا ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٤١٣] أحمد بن أحمد بن عمر حَماده الحمادي الشافعي[(١)].

صاحبنا الفاضل الأديب، الكاتب الأريب، كان من رؤساء الكتاب

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٩).

بديوان دِجرْجا، قصبةِ الصعيد العظمى، قدم سنة ثمان وسبعين وألف إلى مصر، واجتمعت به، وتأكدت بيني وبينه الصحبة.

وكان عذب اللسان، قوي الجَنان، صالحه لدينه ودنياه، مرجعاً لحكام الصعيد في قواعد الدولة، ومعرفة الأمور السلطانية، وكان من أهل الخير والصلاح، يدافع الحكام بالتي هي أحسن، ويستر على الرعية ويراعيهم، وجميعهم راضون عنه.

وكانت له معرفة بعلوم الطريق، وألف رسائل لطيفة، وله معراجٌ على أسلوب غريب، وهو أنه جرد من نفسه سؤالاً في صفة الخمرة التي يتغزل فيها العارفون، وإليها يشيرون، وعنها يخبرون، ويصفونها بالسكر والغيبة، وفي كيفية الاتصال إلى تلك المرتبة، ومتى يتقرب إليها من اجتباه الله تعالى وقربه.

فأجاب عنه، وتسلق منه إلى المعراج النبوي بوجه لطيف يعرفه من وقف عليه، وقد أهداني منه نسخةً، وأخبرني أنه قرأ بالصعيد على شيوخ كثيرين، وبمصر على شيخنا سلطان ومعاصريه، وله روايةٌ عليةٌ في الحديث.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، أنشدني منها قصيدة لم أذكر منها إلا قوله:

وسرتُ إلى ما أحجمَ العقلُ دونَه ... ونلتُ أموراً لا يحيط بها فكري

توفي بعد رجوعه من مصر، ببلده دِجرْجا، سنة ثمانين وألف، بعد مرض طويل ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٤١٤] أحمد بن أحمد بن أحمد القشوي الشبامي الكوكباني.

فاضلٌ كريم النجار والفخر، سليم الصدر، أخف على الخاطر من

الريشة، تطيب بمجالسه العيشة، وله نظم أحلى من السكر، وأشهى من وصل الغادات، منه قوله:

يا بديعَ الجمالِ أشكو من الحب فقد حرك الجوى وأثارَهْ
فاسقِني من لَماك باردَ ريقٍ عَلَّ يُطفي بها رسيسَ الحرارَهْ
وتعطفْ ولو بطيفِ خيالٍ وأغثني وصلاً ولو بإشارَهْ

[٤١٥] أحمد بن أحمد بن علي البُهُوتي؛ نسبةً إلى البهوت، من غربية مصر، الحنبلي الخلوتي[١].

شيخنا العلامة، جامع الفنون البعيدة والقريبة، والعلوم المعروفة والغريبة، وراضعُ دَرِّ التحقيق ولِبانه، وواضع دُرِّ التدقيق عقداً على لَبانه، ورافع طراز سندس المعقول وراياته، وكشاف أسرار التنزيل وحكم آياته، ومنتهى إرادات طالبي علوم الدين، وأقصى غايات المحصلين، ومجمع بحرَي المعقول والمنقول، ومنبع نهرَي الفروع والأصول، وحامل أعباء التدريس والإفتاء المسدد الذي عليه المعوَّل، على مذهب إمام الأئمة أحمد بن حنبل.

ولد بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن وجوده، وأخذ الفقه عن العلامة عبد الرحمن البهوتي الحنبلي تلميذِ الشمس محمد الشامي، صاحب «السيرة النبوية»، ولازم منصوراً البهوتي، وبه تخرج في الفقه، وأخذ علوم العربية والأصول والكلام عن الشهاب أحمد الغنيمي، وبه تخرج فيها وانتفع.

واختص بعده بملازمة خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وصحبه،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٠)، «السحب الوابلة» (٢/ ٨٦٩)، «رفع النقاب عن تراجم الأصحاب» (٣٥٨).

فكان لا يفارقه في دروسه في العلوم العقلية والعربية، ويجري بينهما في الدرس محاورات سنية، ونكات دقيقة لا يعرفها من الحاضرين إلا من كان من أكابر المحققين، وكان شيخنا المذكور يُجله، ويثني عليه، ويعظمه ويحترمه وهو بين يديه، ولا يخاطبه في درسه إلا بغاية التعظيم، ؛ لما هو عليه من الفضل الجسيم، ولكونه رفيقه في الطلب، وشريكه في بضاعة العلم والأدب، ولم يـزل ملازماً له ملازمة المحـب للحبيب، حتى قضـى نحبه، وتلقاه الموت بتكريم وترحيب.

وكانت **وفاتـه** بعد نصـف ليلة الجمعة، تاسـع عشر ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وألف، وصُلي عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع الأزهر في مشهدٍ حافل، وكثر عليـه النحيب والأسـف، ولم يكـن له في مذهبـه خلف، وله تعليقـاتٌ ومؤلفـاتٌ كثيرةٌ، منها: «نظم رسـالة الوضع وشرحها على شرح الاستعارات للعصام».

وهو أحد شيوخي الذين أخذت عنهم، بالجامع الأزهر، وكان بيني وبينه محبة واتحاد، وكان مولعا بالسماع وحضورِ مجالسه؛ بحيث يذهب إليها قصداً وهي غير لائقة به، فقلت له يوماً: يا سيدي! حضور مثل هذه المجالس لا يليق بك، فقال لي: يا ولدي! أنا أعرف ذلك، غير أن في باطني داء خطيراً يتحرك عليَّ، ويؤذيني، ولا يسكِّنه عليَّ إلا السماع، وهذا عذرٌ ظاهرٌ، عند أهل الشرع والبصائر.

ومن شعره قوله:

سـمحت بعـد قولهـا لفـؤادي ذُبْ أَسًـى يـا فـؤادَه وتفتَّـتْ

ونجـا القلـب مـن حبائـل هجـرٍ نــصبَتْها لــصيدِه ثــم حلَّــتْ

وفي قوله تفتت وحلت تورية لطيفة.

وقوله:

كأنَّ الـدهرَ فـي خفـض الأعـالي وفــي رفــع الأســافلةِ اللئــامِ
فقيــهٌ عنــده الأخبــار صــحَّتْ بتفــضيل الــسجودِ علــى القيــامِ

يشير إلى أن كثرة السجود أفضلُ بناء على مذهب الحنابلة.

[٤١٦] محمد بن أحمد بامَشْمُوس الدوْعني الحضرمي الشافعي.

الشيخ الفقيه، العالم العامل، النبيه الورع الكامل، العارف الواصل، كان صاحـب أحـوال وتربية، وعلم غزير من علوم القوم، وكرامات أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تذكر، لقي السيد العارف بالله عمر العَطَّاس باعلوي، وأخذ عنـه، ولازم بعده الشـيخ علي باراس الدوعنـي، وبه تخرج وانتفع، واشتهر ذكره في بلاده.

ومن كراماته: ما أخبرني به بعض أصحابنا: أن رجلاً أهدى له تمراً في زنبيل، وكان فيه شبهة حرام، وقدمه إليه، فلما وضعه بين يديه، عرف بطريق الكشف أن فيه شبهة، ففتح الزنبيل الذي فيه التمر، فقال له: ما هذه الزنابير التي أتيت بها إليّ؟ فلما رآها الرجل، بُهت، ورجع به إلى البيت، ففتحه ثانياً، فوجده تمراً على حاله، وعلم عند ذاك اطلاع الشيخ على حاله[1]، توفي في حدود سنة تسعين وألف ببلده.

---

(١) مثل هذه الحكايات لا تروج إلا على قليل العقل والدين، نسأل الله السلامة.

[٤١٧] **أحمد بن أحمد بن مساهل الطرابلسي المغربي**[1].

من أحسن أهل بلده سمتاً ودَلاًّ، وأصدقهم قولاً وفعلاً، له مشاركةٌ في العلوم، وحسن اطلاعٍ على فروع المذهب، طالت ولايته للفتوى نحو أربعين سنة، وحُمدت سيرته فيها، ثم استعفى منها فأُعفي، وبقي ملازماً لداره ومسجده للتدريس فيه، مستريحاً من التكاليف، مشتغلاً بمطالعة التآليف، ولا يقطع القراءة ـ في الغالب ـ صباحاً ومساءً، شتاءً وصيفاً، يقرأ ما تيسر من فقه ونحوه وما يشاكل ذلك، ويختم بشيء من كتب الوعظ والتذكير.

ومع ذلك له ميل قوي إلى طريق القوم، وقد أخذ الطريق عن ولي الله بلا نزاع بين تلك البقاع، سيدي محمد الصيد ﷺ، والصيد في لغة أهل هذا القطر هو الأسد، وسمي بذلك؛ لكثرة ردعه للظلمة، وقهره للجبابرة، حتى كان لا يجترئ أحدٌ على معارضته فيما أمر به، ولا يتعرض لمن انتسب إليه، وظهرت له كرامات.

وقد أخذ الطريق عن سيدي عيسى بن محمد التلمساني المشهور بأبي معزة، وهو أخذ عن الولي الكبير، والعلم الشهير، سيدي أبي عمرو القسطالي المراكشي، ولأجل هذه النسبة لم يزل ولد الشيخ المذكور، سيدي عبد الحفيظ يبالغ في تعظيم أولاد سيدي أبي عمرو، بل تعظيم كل من يمت إليهم بقرابة، أو خدمة، أو جوار، وغير ذلك، وإن اتفق قدوم أحدٍ منهم عليه، فلا يبقي ولا يذر في إكرامه، والمثول بين يديه كأصغر الخدام وأحقرهم.

ولقد حج معنا سنة ستين، سيدي محمد بن أبي القاسم، من أولاد

---

(١) «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥١٧).

سيدي أبي عمرو، وتلقاه بالبشر والتعظيم، وأنزله عنده، وبالغ في إكرامه، وشيعه في الذهاب والإياب نحواً من سبع مراحل.

ولقد أخبرني من حضره ذات يوم، وقد غسل سيدي محمد بن أبي القاسم يده ورأسه من حناء، وكان بماء في إناء، فأخذ سيدي عبد الحفيظ ما اجتمع من الغسالة في ذلك الإناء وشربه ـ نفع الله بحسن اعتقاده ـ.

ولهذا السيد اعتقاد حسن في كل من ينتسب إلى الصلاح، وقد نفعه الله بذلك، فطار صيته وانتشر في البلاد أكثر من أبيه، وهابه الولاة فمن دونهم، وله ـ كما قيل ـ دنيا عريضة من المال، وآتاه الله نعماً وحرثاً وغيرهما، يطعم منها الواردين، ويواسي المحتاجين ـ أعانه الله على ما به تولاه، ورزقه الشكر على ما أولاه ـ، وتوفي الولي أبوه سيدي محمد الصيد سنة خمسين وألف.

وقد أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل: أنه ـ منذ عرفه ـ لم يترك صلاة الجمعة عنده إلا لعذر ظاهر، ولم يزل على ذلك إلى الآن، منذ أزيدَ من أربعين سنة، يذهب كل يوم جمعة ضحى إلى محل الشيخ المذكور، بالقرية المسماة: بـ «المنشير»، وبينها وبين المدينة ستة أميال، فيصلي هناك الجمعة، ويدرس هناك في مسجد الشيخ، إلى أن يصلي العصر، ويرجع إلى المدينة، لا يترك ذلك دائماً.

لطيفة: أخبرني شيخنا هذا: أن شيخه المذكور قال له: إن لأهل الله مراغة كمراغة الإبل، لا يمر بها أحدٌ منهم، إلا تمرغ بها، وإني لأرجو أن يجعلك الله مراغة لأوليائه، ولأجل دعوة هذا الشيخ، لا يدخل أحدٌ هذه المدينة، ممن له انتساب إلى هذا الطريق المبارك، إلا كان إيواؤه إلى هذا الشيخ، إما بنزول عنده، أو بالتردد إليه، وكان ﷺ يقوم بحوائجهم قدر الإمكان،

ويواسيهم ـ نفعه الله بقصده الجميل ـ.

ولقد وجدناه في هذه السنة منقبضاً منزوياً عن أكثر الناس؛ لأجل ما حصل له من التوجع على صهره زوج ابنته، وكان من شأنه أنه هو وأخوه من طلبته، وكان من أنجب طلبته الحنفية، وكانت له المنزلة الرفيعة في البلد وعند العسكر.

وكان الشريف المتولي لطرابلس قبل محمد باشا، المقتول سنة أربعين وألف، قد خلف ولداً صغيراً، وبقي في كفالة خديمه محمد باشا، الذي ولي الإمارة بعده، فلما مات، وأفضت الإمارة إلى عثمان باشا مملوكِ الشريف المذكور، رفع بِضَبْعَي ولد سيده، ورقاه مراقي الرياسة.

فلما تمكنت قهرة الرياسة الممزوجة بحداثة السن من رأسه، منّت نفسه الثورة على مملوك أبيه عثمان باشا، وظن أن المراتب الدنيوية بالاستحقاق، وأن نسبه الرفيع يحصل له به في سوق الدلالة النّفاق، ولم يعلم أن الناس أعوان من واتته دولته، وهم عليه إذا خانته أعوان.

وصادف ذلك ما كان من الرعية لولاية هذا الأمير لكثرة ظلم أعوانه، فمالت أنفس كثيرٍ منهم إلى معاونة الشريف، وشيخ ذلك عندهم تأزره واعتضاده بولد نُوَير رئيس عرب الناحية الغربية من طرابلس، وكان ذا شهامةٍ وبأسٍ شديدٍ، وقد أظلم الجو بينه وبين أمير البلد، فاتفقت كلمته وكلمة الشريف، ومن دان بدينهم من الرعية؛ كأهل تاجورا، وساعدهم على ذلك مفتي الحنفية المذكور، وطائفةٌ قليلة من العسكر.

فلما كاد أمرهم أن يتم، ونمَّت على سريرتهم أساريرُ وجوههم، وإشاراتُ

أقوالهم، أوحى بذلك إلى الأمير بعض بطانتهم؛ ممن أراد بذلك اتخاذ يد عنده، فأوجس الأمير في نفسه خيفة منهم، وكان ممن لا يُقعقَع له بالشِّنان، فاحتال في القبض عليهم خفية[1]، وأظهر التجاهل والغفلة عن أمرهم، وبادر بالخروج إلى ناحية «تاجور» محلِّ ربطهم وحلهم.

وأوعز إلى بطانته ـ بعد تحصين البلد ـ بالقبض على الشريف والمفتي ومن ساعدهم إثر خروجه، وأظهر للرعية عدم المبالاة بذلك، وقال: قد علمت أنكم برآء مما نسب إليكم، فخدعهم بذلك؛ لئلا يثوروا ثورة واحدة، واستعان على تسكين روعتهم، بالشيخ سيدي عبد الحفيظ، وخضع له وتذلل، فلما رأت الرعية استكانته لجانب الشيخ، اطمأنوا، ولم يزل كذلك إلى أن فرغ من أمراء الشريف وأتباعه، فكرَّ على الرعية بقتل ذريتهم وعوام أتباعهم بما جعلهم عبرة لغيرهم.

فلما خلا له الجو من هذه الطائفة، أخذ يتجسس عن كل من مالأهم بكلمة أو إشارة، فربما أشير إليه: أن شيخنا سيدي محمد بن مساهل ممن له في ذلك إشارة من شيخنا، ذلك بأن صهره مفتي الحنفية لا يقطع أمراً دونه، فتفكر له الأمير في باطنه، ولم يبده للناس؛ لوجاهة الشيخ في البلد، بعلمه وورعه، فلما علم الشيخ بذلك، استعفى من الفتوى، فأعفي، وبقي ملازماً لداره ومسجده للتدريس فيه، مستريحاً من التكاليف، مشتغلاً بمطالعة التآليف ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

لطيفة أخرى: أخبرني شيخنا ابن مساهل عن بعض مشايخه: أنه قال:

---

(١) في الأصل: خفية، والصواب ما أثبت.

إذا أُذن خلف مسافر، فذلك أمان له حتى يرجع من سفره، وروى في ذلك حديثاً، وقد فعل لنا ذلك ﷺ حين ودعنا خارج داره، فرأينا بركته، ولله الحمد.

غريبة: أخبرنا أيضاً: أن شيخه علي[اً] الخضيري، ذكر في شرحه على المختصر»: أن الزباد ـ المسمى في عرف غربنا بالغالية ـ نجسٌ، وإن كان عرق ـ حتى بمروره بمحل البول ـ. قال: وكان بعض الصالحين لا يتطيب به لذلك، وأظنه الشيخ اللقاني، قال شيخنا: وكنت أتوهم، إلى أن بعثت بحضرة الشيخ عبد الحفيظ إلى قطٍّ من القطوط التي يستخرج منها الزباد، وكان عند بعض الأتراك، فلما أُحضر، أمرنا متولي استخراج الزباد منه بإخراجه بحضرتنا، ففعل، فشاهدنا محل اجتماع ذلك منه خارجاً عن محل البول لا يمر به أصلاً، وإنما هو جليدة رقيقة عن يمين المحل أو يساره، يجتمع فيها ذلك العرق، ويشتد عليه وتنطوي حتى يؤخذ منها، قال: فحينئذ اطمأنت نفوسنا، وأيقنا بطهارته.

غريبة: أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل، سنة أربع وستين، في الرحلة التي قبل هذه: أنهم سمعوا في سنة اثنتين وستين وألف صوتاً هائلاً في ناحية البحر؛ كصوت المدافع الكبار، من قرب الضحى إلى الليل، قال: وظنناه سفناً للمسلمين تلاقت مع بعض سفن النصارى.

وكما سمعنا ذلك الصوت، سمعه أهل هذا الساحل إلى «مسراته»، وسمعه حتى أهل فزارة والإسكندرية، وسمعه من الناحية الغربية أهل جربة، وسوسة، وتونس، وكلٌّ يقرُّ أنه قريب منه، وبعد شهر أو شهرين، قدمت مراكب من بر الترك، وأخبروا أن ذلك الصوت لأمرٍ هائلٍ.

وذلك أن جزيرةً من جزائر الترك خرجت في بعض نواحيها حجارةٌ تطلع من البحر، حتى إذا ارتفعت على الماء، وعلت في الهواء، تصدعت، ويخرج منها نارٌ، ويسمع لها ذلك الصوت، فإذا خرجت النار، وقعت الحجارة على الماء خفيفةً كهيئة الجعابة، ودام ذلك إلى الليل، وارتفع من ذلك الجو دخان كثير، فيه رائحة الكبريت.

وأعجبُ من هذا: أنهم قالوا: إنه أصبح في ذلك البلد كل ما عندهم من الفضة نحاساً، في تلك الليلة، والله أعلم بغيبه.

وهذه المدينة معروفة بأهل الصدق في الأحوال من المجاذيب، وقد أدركنا بها رجلين أو ثلاثة من المجاذيب تُوتر عنهم كرامات وحكايات غريبة تَدلُّ على صدقهم في مَوَاجِدهم.

وكانت فيما مضى فيها مزارات كثيرة، تكثر من أكابر الصالحين، ولا يعرف منهم الآن إلا قليل؛ كسيدي سالم المنشاط صاحب المسجد الجامع الذي بأقصى المدينة، وقبره يزار.

وسبب خفاء كثير من قبور الصالحين المدفونين فيها؛ أن البلد قد تداولتها أيدي المسلمين والنصارى مراراً عديدة، وقد استولى عليها النصارى في أيام السلطان أبي عناق، وافتَدَاها منهم بحمل قناطير من الذهب العَيْن، فعُدَّ ذلك من مآثره، وقد استولى عليها النصارى ـ أيضاً ـ في القرن العاشر.

ومما كتبه إليه سيدنا الشيخ عبدالله بن محمد العياشي، لما قدم من المغرب الأقصى ثانياً، وكان قد اجتمع به في السفرة الأولى: **أبياتاً منها قوله:**

أسيدَنا مفتي الورى ابنَ مساهلٍ ومنهلَ فضلٍ فاق كلَّ المناهلِ

عليك سلامُ الله ممن غـدت بكـم	عليـه أيـادٍ فـي العـصور الأوائـلِ
بنورك يِستهدي إذا الأرضُ أظلمت	على أهلها بالجهل أهلُ السواحل
فكم قد أنلتَ العرف سـائلَه وكـم	مننـتَ بـلا سـؤلٍ وجُـدتَ بنائـلِ

[٤١٨] محمد بن أحمد الفزاري[١].

نزيل المدينة الشريفة ـ على ساكنها أفصل الصلاة والسلام ـ، الشيخ الناسك، الخاشع العابد الخاضع، المقري الفصيح، البر النصيح، الزاهد حليف المساجد، الفقيه النبيه، قدم من بلاد فزارة، التي بين أعالي النيل وأرض السودان، فاستوطن المدينة قريباً من أربعين سنة، وكان من قدماء المجاورين فيها، ومن أكثرهم زيارةً للأماكن التي تزار، وله مشاركةٌ تامة في فقه مالك، ومعرفة بعلوم القرآن، وكان يقرئ الأطفال بمؤخر المسجد النبوي، من دون مشارطة على أجر معلوم، فمن دفع له شيئاً، أخذه.

وتأوي إليه الغرباء، فيكرمهم، ويقوي قلوبهم ويثبتهم، ويحضهم على آداب المجاورة، ويعاملهم بما يقدر عليه من المعروف، وكانت تحت يده، خزائن من كتب الوقف، منها: كتب السيد محمد بن إسماعيل المناوي، التي أوقفها، وبعث بها من الغرب، وكان المترجم يرى النبي ﷺ كثيراً في النوم، ولقي كثيـراً من الأعلام القادمين على المدينـة وغيرهـم، وانتفع بصحبتهم، وغلبت عليه العبادة، إلى أن مات بالمدينة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأخبر: أنه كان بالمدينة رجل مغربي من أهل العصر، في السنة التي مات

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٦/ ١١).

فيها الولي الصالح محمد بن أحمد العياشـي، قال: جاءني ذات يوم وقال: إني رأيت في النوم أختي، ورأيت رجلاً جالساً، مقطوعَ اليد، يسيل دماً، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الإسلام، قطعوا يدي بـ «سلا»، قال: فلما أخبرني، قلت له: الذي يظهر من رؤياك: أن الرجل الصالح المجاهد الذي كان بسلا قد قتل، قال: وبعد ذلك في آخر العام، قدم الحجاج من الغرب، وأخبروا بموته ﷺ.

[٤١٩] محمـد علي بن أحمـد بن كمـال الدين بن حسين بن محمد الاستراباذي.

نزيل أصفهان، كان إماماً في العلوم العقلية، خصوصاً الرياضيات، وكان في الفقـه والعربيـة بحراً زاخراً، وغيثاً مدراراً، وله في الفرائض والحساب اليد الطولى، وله فيها مؤلفات سنية.

مولده باستراباذ، في غرة رجب، سنة عشر بعد الألف، وقرأ بخراسان، على السـيد أبي القاسم الرازي الفندرشـكي، نسـبة إلى فنـدركش[١]، قرية باستراباذ، والملا محمد باقر اليزدي، والسيد محمد باقر الشهير بالداماد[٢]، والسيد قاسم القهباي، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء، منهم: ولده شيخنا العلامة محمد شفيع، والمنلا محمد الباقر المجلسي[٣] محدث أصفهان ومفتيها.

وتوفي بأصفهان في غرة رجب، سنة أربع وتسعين وألف، وبني عليه

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: فندرشك.

(٢) في الأصل: بالرماد.

(٣) في الأصل: المحلسي.

قبةٌ عظيمةٌ بأمرٍ من الشاه، هكذا نقل لي من ترجمته ولدُه، صاحبنا الفاضل كمال الدين حسين، لما كان مجاوراً بمكة، مع أخيه شيخنا محمد شفيع، سنة أربع ومائة وألف.

[٤٢٠] محمد بن أحمد بن عيسى بن جميل الكلبي المالكي[1].

شيخ المحيَّا النبوي بالأزهر، الإمام العلامة، المفيد الفهامة، كان عالماً جليلاً، حسن الأخلاق، سمح النفس، كثير الإحسان، لا يفتر ـ خصوصاً ليلة المحيا، بالجامع الأزهر ـ عن الصلاة على النبي ﷺ وصنوف الخير والعبادة، ذكياً محصلاً، كثير التقييد للفوائد العلمية[2].

أخذ عن والده، وبه تخرج، ولازم علماء عصره بالجامع الأزهر، وأجازه كثيرٌ منهم، وشهدوا له بالتقدم في الفضيلة، وصار شيخ المحيا بعد والده، ووالده جلس بعد الشيخ محمد البلقيني، وهو جلس بعد والده القطب الرباني الشيخ صالح، وهو جلس بعد والده شيخ الإسلام والمسلمين شهاب الدين البلقيني، وهو جلس بعد الأستاذ العارف بالله الشيخ نور الدين الشوني، المدفون بمصر بزاوية سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن إذن من النبي ﷺ.

وله وقائع مشهورة مشهودة مع النبي ﷺ، غالب المجالس المعدة للنبي ﷺ، بمصر والروم والشام والحرمين، فهي من طريقه ـ نفع الله به ـ، وله صلواتٌ مشهورةٌ مشروحةٌ، ظاهرة النفع لملازمها في الدين والدنيا.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٨).

(٢) وهي العادات الشنيعة التي أنشأها أهل البدع من المتصوفة في بلاد المسلمين، ورسموا لها مشيخةً وطقوساً ما أنزل بها من سلطان، وليست من الدين في شيء.

وكان المترجم ناظر وقف الإمامين: الشافعي، والليث بن سعد بالقرافة، وسار في ذلك بأحسن سيرة، مع الإحسان لخدمة المكانين، ولم يزل على أحسن حال، إلى أن توفي يوم الثلاثاء، رابع ذي الحجة، سنة سبع وخمسين وألف، وصُلي عليه في الجامع الأزهر، في مشهدٍ حافلٍ، ودفن بالقرافة الكبرى.

ورثاه الشيخ علي العامري، رئيس العدول بمحكمة باب الشعرية بقوله:

مات قطبُ الأنامِ مفتي البرايا ... أحمدُ الزاهدُ الرفيعُ المقامِ

عالمُ الأزهر الذي كان حبراً ... عابداً ذاكراً بطول الدوام

نسلُ من كان للأمين شبيهاً ... شيخُ محيًّا الرسول خيرِ الأنامِ

فعليه من السلام سلامٌ ... ما سقى قبره بسحب الغمامِ

من قضى للجنان قد أرخوه ... (مات قطب الورى جنان السلام)

والكلبي نسبة إلى دحية الكلبي؛ لأنهم من ذريته.

[٤٢١] محمد بن محمد بن سلامة الشافعي الأحمدي البصير، الشهير بسيبويه[(١)].

كان إماماً عالماً، نحريراً نحوياً محققاً، عارفاً بالعلوم النقلية والعقلية، لكنه اشتهر بالعربية؛ لغلبتها عليه، وكثرة إقرائه لها، وكان في عصره مرجعاً لحل المشكلات العلمية، وإذا قرر المسائل، تظهر للطلبة بأدنى إشارة، وتنطبع في قلوبهم، وذلك لأنه جمع الله له بين العلم والولاية، والتقرير والتحرير،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٧٥).

وكل من قرأ عليه، أو أخذ عنه، نفعه الله، ومن خدمه خدمةً ما، أسعده الله ديناً ودنيا، وما بشَّرَ أحداً بشيء، إلا ناله ألبتة.

وكان عزباً، مقيماً بالجامع الأزهر، لا يخرج منه إلا إذا تعطلت الفسقية المعدة لقضاء الحاجة، فيخرج منه حينئذ لقضائها، وملبسه في الصيف والشتاء جبةٌ حمراء، وكان زاهداً في الدنيا، ولا يأخذ من أحدٍ شيئاً إلا إذا اضطر، ومأكله من الشربة المرتبة في الجامع الأزهر لمجاوريه، ظهراً وعصراً.

وكان يعتريه في بعض الأحيان سكوت، فلا يقدر أحدٌ أن يبتدئه الكلام، حتى يكون هو المبتدي، وعرف ذلك عند غالب الناس، فكانوا يتحاشون ذلك حال جلاله، وكان الغالب عليه الجمال، لا يُرى متكدراً، بل منشرح الصدر، متبلجاً مداعباً، ولا تذكر الدنيا عنده بحال، ولا يعرفها، ولا يعرف أحوال أهلها، سالم الصدر، لا يظن بالناس إلا الخير، وإذا قرأ عليه أحدٌ درساً واحداً، سأله عن اسمه واسم أبيه، ولا يزال يذكره، ويسأل عنه إذا غاب، وإذا جاءه بعد مدةٍ، يعرفه بمجرد تكلمه معه، ولا يغيب عنه ذهنه.

وإذا فرغ من الدرس، اشتغل بتلاوة القرآن، ولا يفارق صلاة الجماعة في الصف الأول، في الخمسة الأوقات، بالجامع الأزهر، ويقوم من نصف الليل الآخر، ويستمر يتهجد حتى يصلي الصبح، وبعدها يجلس لقراءة القرآن عليه بالروايات إلى طلوع الشمس، ثم يذهب إلى فسقية الجامع فيتوضأ، ويجلس للتدريس إلى قبيل الظهر، هذا دأبه طول عمره.

إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته في نصف جمادى الأول، سنة أربع وخمسين وألف، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، إلا الجبة التي عليه،

فغسلت، وقطعت قطعاً كثيرةً، وتقاسمها الناس، وأبقوها عندهم تبركاً بآثاره.

وكان له مشهدٌ حافلٌ، ودفن بتربة المجاورين، ولما مات، سمع الناس قائلاً يقول وهم في جنازته: مات العلم الخالص لوجه الله، وذهب الناس فيما عند الناس بعد محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، فضج الناس بالبكاء.

وقال عنه شيخنا محمد البابلي: ما رأينا في شيوخنا أثبت قدماً منه في الزهد، وجميعُ ما نحن فيه من بركاته.

وقال لي بعض شيوخنا ـ وقد تذاكرنا في شأنه ـ: إنه أُمَّة قد خلت.

قـرأ في بدايتـه على شيوخٍ كثيرين، منهم: الشهاب أحمد القاسمي، والشمس محمد الرملي، والنور الزيادي، وأبو بكر الشنواني.

وعنه أخذ شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، ومحمد المنزلاوي، ومنصور الطوخي، ومحمد بن عتيق الحمصي الشافعيون، ويحيى الشهاوي، وشاهين الأرمناوي الحنفيان، وغيرهم، ولم يمت أحدٌ ممن أخذ عنه إلا بخير وفي خير، وكراماته كثيرة ـ رحمه الله، ونفع به ـ.

[٤٢٢] محمد المهـدي بن أحمد بن علي بن يوسف أبي المحاسـن ابن محمد بن يوسف الفاسي القَصْري.

الشيخ الإمام العلامة، المحدث الصوفي، المنفرد بعلو الإسناد، المشهور بالمغرب بين العلماء الأمجاد، **ولد** ليلة السبت، التاسع والعشرين من رجب، سنة ثلاث وثلاثين وألف بمدينة القصر الكبير، قصر كتامة بالقطانين منه، ثم بدار جده الشيخ أبي المحاسن.

وقرأ بفاس على شـيوخ كثيرين، من أجلهم: عمُّه علامة المغرب في

عصـره غير مدافع، عبد القادر بن علي الفاسـي، وأجازه كثير من شيوخه، وتصدر للإقراء والإفتاء بفاس، وألف الكتب المفيدة، منها: «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات»، وهو من أنفس شروحه المتداولة، مقبولٌ خصوصاً بمصر والحرمين، توفي بفاس سنة عشر ومائة وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٢٣] محمد صاحب الخال بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد ابن عمر بن أحمد بن موسـى بن أبي بكر صـاحب الخال الأكبر بن محمد ابن عيسى بن سـلطان العارفين بالله الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي صاحب «اللحية» بن حسين بن ملكاي بن عقيل بن حسين بن طَلَلَه بن علي بن أحمد ابن حسين بن عمر بن أحمد بن جبرائيل بن عبد الرحمن بن حسين بن سليمان ابن حسن بن أبي بكر بن علي بن محمد بن زكريا بن إبراهيم بن محمد بن جبرائيل بن محمد بن سراج الدين بن حامد بن عبدالله بن صالح بن أحمد بن حسين بن زين العابدين بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، الشـافعي العقيلي، شـيخنا الإمام العلامة، الفقيه المتبحر، قاضي «للحية» بعد والده، وشيخ الشافعية بالديار اليمنية[١].

ولد ـ كما أخبرني من لفظه ـ عام أربعة عشر وألف باللحية، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، و«الإرشاد»، و«الملحة»، «و«الرحبية»، وغيرها من المتون النافعة، وأخذ عن والده، وكرع من مشـاربه، وتأدب بآدابه، ولازم العلامة الشهير جمالَ الدين محمد بن عمر حُشَيْبر، والشيخَ العارف بالله أبا بكر بن محمد القُمـري، والشـيخ العالم محمد باوزير الحضرمي، والإمام

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٤).

الجليل محمد بن الطاهر قَحْم.

وقدم للحج سنة أربعين بعد الألف، وأخذ عن أكابر علماء الحرمين، منهم: السيد العارف بالله أحمد الهادي باعلوي، والحافظ المحدث محمد علي بن علان، والشيخ الفقيه محمد بن عبد المنعم الطائفي، وأجازه كثيرٌ من شيوخه، وعنه أخذ كثيرٌ من الشيوخ؛ كأخيه الولي العلامة أبي بكر بن أحمد، والعلامة إسماعيل بن محمد بن عمر حُشَيْبِر، وشيخنا الفاضل الدُّهَل ابن علي الحشيبري.

كان ـ رحمه الله تعالى ـ أعلم أهل قطره ـ فيما أحسب ـ بعلم الفقه، متبحراً فيه، متحرياً في الأحكام الشرعية، مع الزهد في الأمور الدنيوية، والقناعة باليسير من الدنيا الدنية، والانعكاف عن الناس، والرضا بالوحشية من الإيناس، إلى خلقٍ عظيم، وطبع أرق من النسيم، وجلالة عند الخاص والعام، ونفوذ كلمة عند الأمراء والحكام، وتثبتٍ في الأحكام الدينية، والصدق في المقال، وحسن الطوية، وملازمة لقراءة القرآن، والتهجد في الليل والصيام، وبُعد عن الريب، وتنزهٍ عما يشان به.

ولقد حلف لي بالله العظيم: أنه منذ تقلد قضاء اللحية وأعمالها، ما ارتشى، ولا أكل مال وقف، ولا مال يتيم، ولا تعمد حكماً باطلاً، وتالله! إنه لصادق، فقد بلي من أناس كثيرين، فلم يُر فيه ما يزنُّ به، ولا يجد عائبُه فيه ما يقول.

وكان الغرباء الوافدون للحج؛ من أهل مليبار، وديبه محل، وما والى أهل تلك الأقطار، إذا مروا عليه، يضعون عنده ـ على سبيل الأمانة ـ جميع ما يخافون عليه من مال، حتى يرجعوا، ويغيب الوافد منهم سنين عديدة،

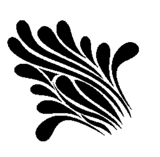
حتى ييأس من خبره، فيكتب إلى أهل بلده، أو يسأل عنه الوفدين إليه، فإن أخبروا بموته، سأل عمن له من الأهل ثمة، وأرسل إليهم يعرفهم بما له عنده؛ حتى يوكِّلوا بقبض ما عنده من الأمانة.

مع شدة الفقر والحاجة، والقناعة باليسير من الرزق؛ بحيث إنه كان في رياضة من حيث لا يشعر، كما شاهدته من أحواله في معاشه، وكان ـ مع كبره، وضعف قوته ـ لا يصلي إلا قائماً، ويطيل الوقوف والقراءة؛ بحيث إن الشاب يعجز عن فعل مثله، وكذلك إذا وقف لزيارة جده العارفِ بالله الشيخ أحمدَ ابن عمر الزيلعي، يطيل الوقوف؛ بحيث يتعاقب عليه زائرون متعددون، وهو واقف، وقد منّ الله عليّ بصحبته، والأخذِ عنه، عام رحلتي لليمن الميمون، سنة أربع وستين وألف، وكتب لي إجازةً بمروياته، وحصلت لي بركة دعواته، ورأيت له كرامات خارقة، لا أحصي عدّها.

وبالجملة: هو من أفضل من لقيته باليمن بعلم الحلال والحرام، ومحاسنه تربو على غيرها، وكنت يوماً عنده، فاستشير من بعض عمال الدولة في ولاية شخصٍ عملاً من الأعمال، فلم يرضَهُ لذلك، فقيل له: لو وُلِّي قليلاً حتى يُختبر، فإن وافق، وإلا فالعزل قريب، فقال: لا، الدفع أسهل من الرفع، وهذه من فوائده.

توفي ليلة السبت، لعله سادس وعشري صفر، سنة مائة وألف، باللحية، ودفن بتربتهم المعروفة ثمة، عند صاحب القَصَب، وصُلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد صلاة الجمعة، خامس جمادى الأولى من السنة المذكورة ـ رحمه الله وإيانا ـ.

❑ ❑ ❑




ٱلْأَحْمَدُونَ[١]

[٤٢٤] أحمد ابن العلامة الولي محمد بن عبد الرحيم باجابر الجابري، نسبةً لبني جابر، قبيلةٍ مشهورةٍ بالشحر الشحري[٢].

الفـرد الجامـع لأشتات الأدب من شعاب مواده، والبليغ الذي بلغت سيول بلاغته الربى، فوقفت عند مراده، الأديب الباهر في جمعه وتصنيفه، الأريب الماهـر في ترتيبه وترصـيعه، والإمام الذي إذا فاه، انقاد الكلام له بسلاسـل سلاسة تأديته وبيانه، وخضعت له المعاني طائعةً تحت علم جنانه وعلم لسانه، والمشار إليه بالبنان، في البيان بين الأنام، والمنقاد له صعاب القوافي، والمذلل له سبل الكلام:

إذا ارتجـلَ الخطـابَ بـدا خلـيجٌ　　　بفيـــه كأنـــه بحـــرُ الكـــلامِ

---

(١) ورد في الحاشية: «سبق ذكر بعضها».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧٤)، وذكر وفاته، فقال: «وكانت وفاته ببلدة لاهور من الديار الهندية في ليلة الثلاثاء، رابع عشر شوال سنة إحدى بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ»، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٠٢) (٢٤٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥).

كــــلامٌ أم مُـــــدامٌ أم نظـــــامٌ   مـــن اليــاقوت أم حـــبُّ الغمـــامِ

سبق من تقدمه من أئمة الأدب، حتى أذعن له كل من اشتغل ودأب، فلله درُّه من متأخرٍ أظهر ما انزوى عن كثير من المتقدمين من نفائس الجواهر، فهو المشار إليه: بـ: كم ترك الأول للآخر!

والفاضل الذي يرجع إليه في هذا الفن إذ كان عماده، والواصل بمقاطيعه في مراقي الحسن الحسنى وزياده، والفصيح الذي أضحى قسَّ الفصاحة لديه باقِل، والخريتُ الساحبُ ذيلَ البلاغة على سحبان، فمن ذا يناظره أو يناضل؟! والسابح في بحار الأدب، بفكره الثاقب الصارم، والفاتح الذي ختمت به رسالة الأدب، وغير عجيب لأحمد كونُه الفاتح الخاتم.

له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «الروضة الفائقة في الأشعار الرائقة»، وهو كتاب صدّق اسمُه مسمَّاه، وحقق شرف أصله ومنتماه، وأودعه جواهر النظم ودرَرِه، ونفائس لباب الحكم وفقرَه، وذكر فيه كثيراً من نظمه.

ومما اخترت منه قوله:

قــــد تعـــــشَّقتُ غـــــزالاً   فيــــه لـــي قـــولٌ ومـــذهَبْ
طـــــال منهـــــاج غرامـــــي   فـــي هـــوى الظبــيِ المهـــذَّبْ

وهو كقول تقي الدين السروجي:

تفقهت في عشقي لمن قـد هويتـه   ولي فيه بـالتحرير قـولٌ ومـذهبُ
وللعـين تنبيـهٌ بـه طـال شـرحُه   وللقلـب منـه صـدقُ ودٍّ مهـذبُ

ومثل قول بعضهم:

الـــروضُ والبهجـــةُ يـــا ســـيدي   فـــي الخـــدِّ مجمـــوع لـــه حـــاوي
وقـــد غـــوى ســـالكُ منهاجِـــه   فـــامنن بإرشـــادك للغـــاوي

وله:

كتبتُ على الخدود لفـرطِ شـوقي   ســطوراً مـــن دمـــوع مـــستهلَّهْ
فـلا تعجـبْ لخـطٍّ فـاقَ حـسناً   وحقِّـــكَ إنـــه خَـــطُّ ابـــنِ مُقْلَـــهْ

وله:

ما هب نـشرُ صَبًا لنحـوي منهمُ   إلا وأحيـــا المـــستهامَ عليلُـــهْ
فالقلبُ مصرٌ وهـو منـزلُ يوسـفِ   والحـسنُ روضـتُه ودمعـيَ نيلُـهْ

وله:

شـــــادنٌ جـــــاورَ واقتـــــدْر   ورمـــى فـــي القلـــب ذا الكـــدرْ
دَرّ دمعـــــــــــي فليتَـــــــــــه   جـــاد بالوصـــل وقـــت دَرّ

وله:

زارنــــــي البــــــدر ليلــــــةً   وحبـــــاني بكـــــل مـــــا
وبجـــــسمٍ أبـــــاح لـــــي   مثـــــلَ خَـــــزٍّ وأنعَمـــــا

وله:

بروحي بدرٌ فـي المحاسـن مفـردٌ   إذا مـا تثنـى للغـصون قـد انتمـى
أجـاد بخـدٍّ إذ أتـاني زائـراً   له مثلُ روضٍ في الربيـع وأنعمـا

قلت: هو ثقة في استعمال وصف الروض بالنعومة، المفضل عليها نعومة الخد.

وله مضمناً:

فديتُ من الملاح غزالَ حسنٍ ... لـه قَـدٌّ تثَّنى بالرياحِ
وخدٌّ رائقٌ يزهو كوردٍ ... وثغرٌ زانه حسنُ الأقاحِ
وإن فخرَ النهارُ بضوءِ صبحٍ ... فإني بالثلاثةِ ذو انشراحِ
جبين والمقلة والثنايا ... صباحٌ في صباحٍ في صباحِ

وله:

ومليحٍ بمقلته سباني ... وسبى الشمسَ إذ بَدتْ بمحيَّا
سُلب القلبُ في هوى ناظريه ... وضعيفان يغلبان قويَّا

وهو من قول ابن نباتة:

ومليحٍ قد أخجل الغصنَ والبد ... رَ قواماً رطباً ووجهاً جلياً
غلب الصبر في لقا ناظريهِ ... وضعيفانِ يغلبان قويَّا

وله:

ريمٌ رماني من ظِبا الفَلا ... سهمَ لحظٍ قد أتى مرسَلا
فالشمسُ تروي عن سنا وجهه ... عن نورِه عن خدِّه المجتَلَى
وقد روى مكحولُ عن طرفِه ... لكنَّ ضعفَ الجفنِ قد أعضلا

وله:

بـــأبي أفـــدي غـــزالاً لـــم يـــزل بـــاللحظ نائـــلْ

أزهـــري اللـــون يـــروي ســـيف لحـــظ عـــن مقاتِـــلْ

وله:

لـو لـم يكـن مـن بابـل لحظُـه مـا هـيّم الـصبَّ ولا بَلْـبَلا

أو لـم يكـنْ كالبـدر فـي طلعـةٍ مـا كـان ذا القلـبُ لـه منـزلا

وله:

بي ساحر الألحاظ أطلـق مـدمعي والقلـبُ منـه مقيـدٌ فـي حبسِهِ

لا غروَ إن هملَتْ عيـوني إذ رنـا فلكـلِّ شـيءٍ آفـةٌ مـن جنـسه

والأصل فيه قول القاضي أمين الدين الطرابلسي:

إن كان شرعُ هواك أطلقَ مـدمعي فوكيلُ شـوقي عـاجزٌ عـن حبسِهِ

أو كان منك الطرفُ أسهرَ نـاظري فلكـلِّ شـيء آفـةٌ مـن جنسِهِ

وقول الشمس النواجي:

ظبـي إذا لمـح الغـزال بطرفـه فـالرأيُ أن ينجـو الغـزالُ بنفسِهِ

وتَفُـلُّ بـيضَ الهنـدِ سـودُ عيونـه ولكـل شـيء آفـة مـن جنـسه

وله مكتفياً:

قـد سـلبَ الأغـصانَ مـن لينهـا قَـدُّ غـزالٍ فـاقَ ريـمَ الفـلا

قالـت مِـلاحُ العـصرِ لمـا انثنـى ذا مفردٌ في الحسن بين المـلا(ح)

وله:

وبروحـي مهفهـفُ القـدِّ ألمـى ليـتَ بالوصـلِ لكئيـب أعانـا

قد خفَى الـصدر منـه نهـدٌ ولكـن مـذ تبـدَّى ومـاس بالقـدِّ بانـا

وله:

بروحـي رشـيقٌ لـه قامـةٌ يميـلُ بهـا الـريح مـن لطفِـهِ

فلـولا جـوارحُ ألحاظِـهِ لغنَّـى الحَمـام علـى عِطفِـهِ

وله في معناه:

أفديه من رشـأ فـي حـسن طلعتـه كأنـه البـدرُ يـسري فـي غمامتِـهِ

لولا جوارحُ ألحـاظٍ لـه صـدحَتْ وُرْقُ الحمـامِ علـى مَيَّـادِ قامتِـهِ

وله:

إن مـاسَ حِبـيٍّ أو بـدا خـدُّه أظهـرتُ فيـه كـلَّ معنًـى دقيـقْ

فقـدُّه لابـنِ رشـيقٍ روى وخـدُّه الزهـري روى عـن شَـقيقْ

وله:

يا صاحِ إن جزتَ أعلامَ العقيقِ فرِدْ دموعَ عينـيَ منهـا المـاءُ ينـسكبُ

وإن مررتَ بأردافِ الحبيب دُجـىً قفْ بي عليها وقلْ لي هذه الكُثُبُ

وله:

تبـدَّى العـذارُ بخـدِّ الحبيـبِ فقلـتُ ولـم أخـشَ مـن لائمـي

أمـولايَ سَـدْتَ مِـلاحَ الـورى　　فأنـتَ الُمَـسَّودُ فـي العـالمِ

وله:

أفديه غضناً وبدراً إن بـدا ومـشى　　حـذارِ منه إذا مـا مـاسَ أو سَـفَرا
بنورِ شمسٍ جبينٍ صـادَ كـلَّ فتّـى　　ونمـلِ زخـرفِ ليـلٍ هَـيَّمَ الـشُّعرا

وله:

أفدي حبيباً عزيـزَ الوصـل تيَّمني　　فـي كـلِّ ليلـى منـه موعـدٌ ونبـا
بزخرفِ النملِ صاد الصبَّ عارِضُه　　وهامَتِ الشعرا في هل أتى وسـبا

وله:

بـأبي مليـحٌ لـم أزل فـي أَسْـره　　مُـذِ ارتـشفْتُ سـلافةً مـن ثغـرِه
وسبى القلوبَ بنملِ عارضِ زخرفٍ　　من فوق شمسٍ ضحى الجبين وعصرِه

وله:

وحبـةِ خـالٍ بخـدِّ الحبيـبِ　　تلـوذُ بعارضِـهِ الـسائلِ
تفـانى الرجـالُ علـى حبِّهـا　　فمـا يحـصلون علـى طائِـلِ

وله:

بثغـرِه الـدرُّ شِـبْهُهُ ووجْنَتُـهُ　　حَمَّالـةُ الـوردِ لا حمالـةُ الحطـبِ
رشفتُ ريقَتَه فازددتُ من عجبٍ　　إذ بان لي جوهراً قد حُفَّ بالذهب

وله:

إذا تبـسَّم مـن أهـوى فأنـشده　　يا مطلباً ليس لـي فـي غيره أربُ

وقل لبرقِ الحمى إن لاح معترضاً   لقد حكيتَ ولكن فاتك الشَّنَبُ

وله:

يا شادناً ملكَ الفؤادَ بطلعةٍ   شاهدتُ منها البدرَ ليلَ تمامِ

عجباً لثغرك باردٌ في طعمه   وله عِذارُ من سيفِ لحظِك حامي

وله:

ثغر الذي أهوى له بارقٌ   قد لاح للصادرِ والواردِ

مبردٌ في الثغر عنه روى   وخدُّه يروي عن الواقد

وله في مثله:

هام الفؤادُ بظبيٍ فاقَ كلَّ فتًى   بنورِ طلعته الغراءِ والأدبِ

ثغرُ له عن صحاحِ الجوهريِّ روى   وحسنُ خدٍّ له يروي عن الذهب

وأصله من قول ابن الوردي:

ومليحٍ إذا النحاةُ رأوه   فضَّلوه على بديع الزمان

برضابٍ عن المبرّدِ يروي   ونهودٍ تروي عن الرماني

وله أيضاً:

وربَّ ساقٍ كبدر التمِّ طلعتُه   قد ضَنَّ بالراح لما غاب من عشقا

ولم يزل عفيف الذيل يمطلنا   بالراح واللثمِ حتى زاره فسقا

أخذه من قول الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني:

وســـــاقٍ منـــــع الــــــسقيا وقـــد غـــاب الـــذي عـــشقا
ومـــــا زال عفيــــف الذيـــــ ـــــل حتـــــى زاره فــــسقا

وله:

بـــــالروحِ أفــــدي مغـــــنّ فيــــه تزايـــــدَ عـــــشقي
ملكتُـــــــــه بــــــــشراءٍ فـــــصار مالِـــــكَ رقّـــــي

وله مكتفياً:

قــال لــي فــي الــدوح حِبّـي وبـــه الأنهـــارُ تجـــري
قــم بنــا فــي الــروض نغــدو بـــين ريحـــانٍ ونَـــسْرِ(يـــن)

أخذه من قول البدر الدماميني:

يقــول مــصاحبي والــروضُ زاهٍ وقــد بــسط الربيــعُ بــساطَ زهــرِ
تعــالَ بنــا إلــى الــروض المفــدَّى وقم نـسعى إلـى وردٍ ونـسرِ(يـن)

وله فيمن أضاف أصحابه برجله:

ضــــاف أقوامــــاً ببقلَــــهْ مَــن غــدا فــي البخــل مُثْلَــهُ
مـــا كفـــاهُ اللـــؤمُ حتـــى مَـــدَّ للأضـــيافِ رِجْلَـــهُ

وله:

يــا غــائبين ســرى لنحــوي مــنكمُ ذاك النـــسيمُ وذيلُـــه مبلـــولُ
فــأتى إلــيَّ مــع الــصباحِ بَعْــرفكم وشفى سـقامَ الـصبِّ وهـو عليـلُ

أخذه من قول ابن نباته:

يداوي أسى العشاقِ من نحوِ أرضكم	نسيمُ صَباً أضحى عليه قبول
بروحيَ ذياكَ النسيم إذا سرى	طبيبٌ يداوي الناس وهو عليلُ

وله وأجاد:

يا صاحِ إن هبَّ النسيم من الحمى	وغدا يجرُّ من الحياء ذُيولا
فأشتمَّ أنفاساً مملكةَ الشذى	مهما تأرَّجَ بكرة وأصيلا
ولقد تكفَّل للسقيم بصحةٍ	لمَّا سرى سَحَراً وجاء عليلا
لا غَرْوَ إن أجرى الدموعَ فإنه	دَنِفٌ حكاني رقَّة ونُحولا
فهي الرسولُ من الأحبة ليتني	كنت اتخذتُ مع الرسولِ سبيلا

قلت: ورأيت بخط بعض الفضلاء. . .(1).

[٤٢٥] السيد السند أحمد بن مكي الحسني الحموي الحنفي(2).

شهاب علمٍ يهتدي به أهل البصائر في المشكلات، ويرجع إليه في المعضلات، مشهورٌ بمدينة مصر بين العلماء بالتحقيق، وسعة العلم والتدقيق، **ولد** بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن كثير من علمائها؛ كالشهاب الخفاجي، والسري الدروري، وأخيه أحمد، وحسن الشرنبلالي، وسلطان المزاحي، ومحمد علاء الدين البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم من شيوخ عصرنا.

---

(1) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الفضلاء» ثلثا الصفحة بياض بالأصل».

(2) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٩)، «هدية العارفين» (١/ ١٦٤).

واشتهر صيته في الآفاق، وأخذ عنه جمعٌ، وأفاد وأجاد، ودرس بالأزهر، وألف كتباً عديدةً، منها: «شرحه على الأشباه والنظائر لابن نجيم»، ومنها: «شرحه على الملتقى»، و«شرح البسملة»، و«رسالة في الاستعارات»، وغير ذلك من الرسائل في غالب الفنون.

توفي ليلة الجمعة، سابع وعشري شهر صفر، سنة ألف ومائة وواحد، ودفن يومها بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

وله شعرٌ في غاية الرقة والانسجام، منه: قوله يمدح الأستاذ سيدي زين العابدين بن الأستاذ محمد بن زين العابدين البكري ـ نفعنا الله به ـ:

ورقيقِ خصرٍ بالنحولِ ممنطقٍ ... قد ريشتْ بالهدب في أجفانُهْ

غصن على دعصٍ يميل مع الصَّبا ... سكرانُ من خمر الصبا نشوانُه

مكحولُ أطراف الجفون غضيضُها ... قد خُضِّبت بدم القلوب بنانُه

ما السحرُ إلا ما حوته جفونُه ... والطيبُ إلا ما حوت أردانُه

ما الوردُ إلا ما حوته خدودُه ... وعذارُه ريحانُه سوسانُه

ما الصَّعدةُ السمراءُ تشبه قَدَّه ... كلاَّ ولا غصنُ النقا فَيْنانُه

سلطانُ حسنٍ بالجمالِ متوَّجٌ ... شاكي السلاح سهامُه أجفانُه

قد حَجَّبوه بالأسنةِ والظُّبا ... كالبدرِ حُجِّب بالغمام عيانُه

فهو العزيزُ ومصرُه قلبُ الشجي ... وسوادُ ناظره به إيوانُه

مبذولُ ما فوق اللثامِ لناظرٍ ... ممنوعُ ما تحت الإزار مصانُه

قد زارني والليلُ قلَّصَ ذيلَهُ ... والصبحُ قد طعن الظلامَ سنانُه

والـوُرق تبكيـه وتنـدب فقـدَه ... والديكُ صاح وقـد علـت أحزانُـه

فـي منـزلٍ عـمّ الـسرورُ رحابَـه ... والعـودُ يفـصح بالـسرور لـسانُه

والـوردُ والمنشـورُ يعبـق نـشرُه ... والنَّـدُّ يـسطع إذ عـلاه دخانُـه

وحـديثُنا قِطَـعُ الريـاض أظلَّهـا ... أنـدى الربيـع ومـا أطـلَّ زمانُـه

جاذبتـه هُـدْبَ الحـديثِ مورِّيـاً ... عن فرط شـوق قـد ذكـتْ نيرانُـه

فأبـاحَ مـا تحـت اللثـامِ لنـاظري ... وأبـاحني الثغـرَ النـضيدَ جمانُـه

فلثمتُـه ورشـفتُ صَـهْبا ريقـهِ ... وشـفيتُ قلبـاً شـفني خفقانُـه

وضـممتُه وهـصرتُ بانَـةَ قَـدِّه ... وعففـتُ عمـا ضـمَّه هميانُـه

وغفرتُ ذنبَ الدهر مما قد جنى ... وشـكرتُ مـولًى عمنـي إحـسانُه

ومدحتُ قطبَ الوقت عارفَ عصرِه ... مَنْ قد عـلا الفلـكَ الأثيـرَ مكانُـه

زيـنَ العبـاد وزينـةَ الـدنيا التـي ... شَـرُفت بـه وهـو الأخيـرُ زمانُـه

وله أيضاً:

وغضيضِ جفنٍ بالنعـاسِ مكحَّـلٍ ... سـلبت حـشاشةَ مهجتـي عينـاهُ

لا شيء أطيـبُ مـن أقـاحي خـدِّه ... والـورد أخـضلَه النـدى خـداهُ

ما الـدرُّ يـشبه لحظَـه والـدرُّ يـشـ ... ـبه لفظَـه سـبحانَ مـن أنـشاهُ

قد بـانَ عـذري مـذ أطـلَّ عِـذارُه ... وازدادَ بـي وجـدي وطـاب هـواهُ

وله:

تبـدَّى ذا العـذارُ شـبيهَ لامٍ ... علـى ورد بـه زهـتِ الخـدودُ

غـدتْ كـلُّ البرايـا منـه سَـكْرى ... لـدى لاميـةِ الـوردي شـهودُ

وله:

بـأبي وغيـرِ أبـي عـذارٌ سـائلٌ　　كالمسك سالَ على بيـاضِ العـاجِ
أبـداً أَديـنُ بحبـه وبمدحِـه　　فلْيَلْحَني اللاحي ويهجـو الهـاجي

وله يرثي شيخيه الشهابين: أحمد الخفاجي، وأحمد الشوبري ـ رحمهما الله ـ مضمناً:

مضى الإمامان في فقهٍ وفـي أدب　　الشوبري والخفاجي زينـةُ العـربِ
وكنت أبكـي لفقـد الفقـهِ منفـرداً　　فصرتُ أبكي لفقد الفقـه والأدبِ

[٤٢٦] مولاي أحمد المعروف بالذهبي، أبو العباس المنصور بالله ابن أبي عبدالله المهدي القائم بأمر الله الشريف الحسني، سلطان المغرب وابن سلطانه[١].

تفرع من جرثومـة الفضـل والنبوة، وتـدرع جلباب الشـرف والمجد والفتوة، فطلع من المغرب بدرَ علا مشرقاً، وراح لعداته بماء حسامه مُغِصّاً مُشرِقاً، فهو كما قال بعضهم فيه، لما بلغه من احتفاله بالفضل وتحفيه:

بدر عُلاً مشرقُه المغرب، ومُبدع في مجده مغرِب، له مزايا لا تناهى ولا يعرب عن تبيانها معرِب، لم يزل على سرير الملك سامياً، وغيث نواله

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٢)، وذكر وفاته فقال: «وتوفي في سنة اثنتي عشرة بعد الألف»، «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٦٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢٨٩) (٤٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١١٢٤).

هامياً، لا يرفع قصب المجد إلا بدعائم الرماح، ولا يسقي رياض الفضل إلا بغمام السماح، وليس لِبيضه أغماد سوى الطلى، ولا لسُمره مراكز غير الكلى، تسعد به الأصحاب والشيع، وتشقى به الروم والصلبان والبِيَع.

لا يدانيه في سمو قدره مدان، حتى أنزله عنه منزل سيف ذي يزن من رأس غمدان، فدجت بعد إشـراقها مغاربـه، وفلت بعد مضائها مضاربه، فبكت عليه ممالكه وجنوده، وخفقت قلوب أوليائه كما خفقت بنوده، وهذه غاية كل ملك ومملوك، ونهاية كل غني وصعلوك

قال العلامة أحمد المقري وقد أطنب الكلام على ترجمة الوزير الكبير عبد العزيز الفشتالي في كتابه المسمى بـ: «مناهل الصفا في فضائل الشرفا»، وعهدي به أكمل منه ثمان مجلدات، وهو مقصور على دولته وذويه، وألف كاتب أسـراره الرئيس أبو عبدالله محمد بن عيسى فيه كتاباً سماه: «الممدود والمقصور في سناء السلطان المنصور»، وهذه التسمية وحدها مطربة.

ومن شعره قوله:

تبدى وزندُ الشوق تقدحـه النـوى	فتوقــد أنفاســي لظــاه وتُــضرِمُ
وهشَّ لتوديعي فأعرضـتُ مـشفقاً	علـى كبـدٍ حَـرَّى وقلـبٍ يقـسّمُ
ولــولا ثــواهُ بالحــشا لأهنتُهــا	ولكنهــا تعــزى إليــه فتكَــرمُ
فأعجب لآساد الشرى كيف أحجمتْ	علـى أنـه ظبـيُ الكنـاس ويقـدمُ

وقوله مورياً:

إن يومــاً لنــاظري قــد تبــدَّى	فتملّــى مــن حــسنه تكحــيلا

قال جفني لصنوه لا تلاقي ... إن بيني وبين لقياكَ مِيلا

وقوله في وردة مقلوبة بين يدي محبوبه:

ووردةٍ شفعت لي عند مرتهني ... وافتْ وقد سجدتْ للفاترِ الحَدَقِ

كأن خضرتَها من فوقِ حمرتِها ... خالٌ على خدِّه من عنبرٍ عبقِ

وقوله مورياً:

لله تمرٌ طيبٌ ... وافى على البشر انطوى

يا حسَنهُ مجتمعاً ... يحلو لنا بلا نوى

وقوله مورياً بمصانعة الثلاثة: البديع، والمسرة، والمنتهى:

بستانُ حسنك أينعت زهراتُه ... ولكم نهيت القلبَ عنه فما انتهى

وقوامُ غصنك بالمسرة ينثني ... يا حسنَ مائسه البديع المشتهى

[٤٢٧] أحمد السطيحة بن المقبول بن عبد الغفار بن أبي بكر بن المقبول قعيش الصائم رمضان في المهد ابن أبي بكر صاحب الخال الأكبر ابن محمد ابن عيسى بن أبي الأولياء سلطان العارفين بالله أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي، صاحب اللحية(١).

الذي قال في شأنه الولي الكبير أبو الغيث بن جميل، حين زاره وتعاطى خدمته بنفسه، وقد سأله تلامذته عنه، وعن سبب تعاطيه خدمته بنفسه، دون غيره من أتباعه: إنه ما على وجه الأرض أكرم على الله منه، وإن له لواء يُعرف

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٦٤).

به يوم القيامة، وأكون أنا وأنتم تحت لوائه.

أحد أولياء الله الكبار، العارفين الأخيار، الذين اشتهروا في سائر الأقطار، بعجابة الشأن وعلو المقدار، وممن اشتهرت كراماته، وعمت بركاته، وحُمدت صفاته، وعمرت بالخير أوقاته، وعظمت عبارته، وكثرت إشارته.

مولده «اللحَيَّة»، وبها نشأ، وأُقعد وهو صغير، وأخذ عن الأكابر، الذين ليس لهم في عصره مشابه ومناظر، وعنه أخذ كثيرون من العارفين، والأئمة الصالحين، منهم: الختم الإلهي أحمد بن محمد القشاشي، والولي الشهير المقبول بن أحمد المحجب الزيلعي، وغيرهما.

وكانت **وفاته** ـ نفع الله به ـ نصف ليلة الأحد، ثامن شهر ربيع الثاني، سنة اثنتي عشرة بعد الألف باللحية، ودفن بقرب تربة جده الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

ومن كراماته: أن بعض أكابر السادة جاءه وهو مقعد، وكان يتعلم القرآن وهو صغير قبل البلوغ، فقال له في أذنه لما رأى الأطفال قاموا يتمشوا ويلعبوا بعد انفضاضهم من القراءة: نقيمك يا سطيحة تمشي معهم؟ فقال له مجيباً: إن أقمتنا، أقعدناك، فصاح، وخرج هارباً. انتهى.

ومنها: أنه قبل موته بأيام كان يقول لزوجته: إذا مت، فلا تصيحوا، ولا تنوحوا عليّ؛ فإني متوجه من مكان إلى مكان آخر، وهي تقول له، وكانت أيضاً من أولياء الله: ما يمكن نخالف أهل بلدنا؛ فإنا إذا لم نفعل ذلك، يعيبونا، ويقولون: إنك عندنا ممتَهن، فقال لها: إن كنتم تفعلوا ذلك، تفتشوا عليّ ما تجدوني.

فلما مات، ناحوا عليه وبكوا، فلما جهزوه، وأتوا به إلى المسجد ليلاً ليصلوا عليه، فبينما هم ينتظرون أمام المسجد ليصلَّى عليه، جاء بعض الناس ومسّه ليتبرك ببدنه، على عادة أهل اليمن في تسليمهم على الميت عند الصلاة، فلما وضع يده على الساتر الذي يضعوه فوق التابوت، لم يجده في التابوت، فأخبر الناس، فضجوا وتحيروا، وصاروا يفتشوا، ويظنوا أنه سقط، حتى جاء بعض أكابر بني الزيلعي، وأمرهم أن يقرؤوا سورة ياسين أربعين مرةً، فلما أتموها، وجدوه مكانه. انتهى(١).

[٤٢٨] أحمد بن إبراهيم الضوّي(٢).

الشيخ العارف بالله، كان مقيماً بـ «قلمة»: قرية بقرب «قليوب»، من شرقية مصر، لا يأوي غالباً إلا الكيمان، وكان بينه وبين النور بن العَظْمَة ما يكون بين الأقران، حتى إنه لم يدخل مصر مدة حياته؛ مهابةً له.

وله كراماتٌ كثيرةٌ، وأحوالٌ غزيرةٌ:

منها: أنه دخل على زوجة الحمصاني، وقال لها: هل عندك شيء آكله؟ فقالت: ما عندي إلا جبن، فقال: بل عندك لبن ادخرتيه لزوجك، وكانت ادخرته، ولم يعلم به أحد.

وكان له اطلاع على الخواطر، وما وقف إنسان تجاهه إلا وكاشفه بما عنده.

---

(١) هذه الحكايات والأباطيل من صناعة أهل الخرافات، ومن تلاعب الشياطين بعقول أهل الجهل.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٨).

ومنها: أنه وجد رجلاً معه عنز، فقال: بعني هذه العنز، فقال له: أعطيت فيها خمسين نصفاً، فقال: خذ هذا ثمنها، فوضع في كفه خمسة أنصاف، فأعادها له، وقال: أقول لك: خمسين، فما زال يدفعها له بعينها، وهي كل مرة تزيد، إلى أن صارت خمسين نصفاً.

وأخبر الحمصاني: أن ولده كان جالساً في قبة الشافعي ضحوة نهار، وإذا بجمعٍ قادمين ركباناً ومشاة، فلما أشرفوا على القبة، وضعوا سلاحهم ودوابهم بفنائها، ووقفوا تجاه الباب، وعرضوا عليه أن صاحب الترجمة محتضر، وأنه يدفن من الغد، فأشار الإمام بحضور الولد ودفنه، فلما كان الغد، أرسلت الولد إلى «قليوب» لبعض أصحابي، فوجدوه توجه إلى «قلمة»، فتبعه، فوجد أحمد المذكور محمولاً على الأعناق، ولا يدرون أين يدفنونه فيه، فبمجرد وصول الولد، وضع، ودفن في المحل الذي وقف فيه.

وكانت **وفاته** سنة سبع عشرة ـ بتقديم السين ـ وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٢٩] أحمد بن معوضة الجربي(١).

منسوب إلى الجربيين، بالقرب من بلاد آل عابس، أقرب إلى شرقي الجهة الذمارية، كان عالماً عاملاً عابداً، ورعاً إلى الغاية، إماماً في الفقه، قرأ عليه السيد العلامة عبدالله بن أحمد المؤيدي، استقر بذمار، ثم دخل صنعاء، واشتهر مقامه، وصيّر إليه الناس واجباتهم؛ ليصرفها في أربابها، فكان لا يقبل ذلك، ولا يتولى قبضه، بل يتركه عند أربابه، ثم يفعل للمستحقين

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٠٩) (١٠٤).

ورقاً بأيديهم، وكان لا يجعل لنفسه ـ مع فقره ـ إلا ما يفعل لرجل من ضعفاء المسلمين.

وعمي في آخر عمره، فتوجه لعبادة ربه بمسجد داود بصنعاء، وله ولدان عالمان، الأكبر منهما محمد بن أحمد، كان على طريقة أبيه، في الورع والتقشف، مبارك العلم، من قرأ عليه، منحه الله، وكان إماماً لمسجد داود، وكان لا يفارق المسجد إلا عند مبيته، متواضعاً يقضي حوائجه بنفسه، ولا يسأل أحداً شيئاً، وله من وظيفة المسجد شيء يسير يكتفي به.

والثاني عبدُالله بن أحمد، كان عالماً يتوقد ذكاءً، وله في علم الكلام جليلهِ ودقيقهِ اليدُ الطولى، وفي الفقه ترجيحات، وهما حريَّان بإفراد الترجمة لهما، فإن أمكن، فهو ذكر نعمان، وانتقلا جميعاً إلى «الروضة» من أعمال صنعاء، واستفاض عند كثيرٍ من أهل بيوته رؤيةُ النور من قبورهما.

وكانت وفاة المترجم سنة خمس عشرة بعد الألف، وقبره بجرية الروض بصنعاء ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٣٠] أحمد شهاب الدين بن علي بن الملا قاسم بن نعمة الله الشيرازي محتداً، المكي مولداً[1].

قال السيد في «سلافته»: شهابٌ طلع في سماء المكارم بدراً، وشرح لاقتناء المعالي والمآثر صدراً، بفلك أعنة المحاسن، وورد من مناهلها عذباً غير آسن، إلى أدبٍ لم يقصر في مداه من غاية، ونظمٍ رفع به للقريض راية.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٣١) (٣٠٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٨٢).

منه: قوله مادحاً للوالد، وقد قصده بالديار الهندية، سنة أربع وسبعين بعد الألف:

سقى الله ربعاً بالأجارع من نجدِ ... وحَيَّا الحَيا وادي الأراكة والرَّنْدِ
مغانٍ بها كان الزمانُ مساعدي ... بأفنانِ بشرٍ من أَسِرَّته تُبدي
وريمٍ إذا ما لاح ضوءُ جبينه ... بفرع حكى ليلَ التباعدِ من هندِ
أرانا محيًّا كالغزالةِ في الضحى ... أو البدرِ في برج التكامل والسعدِ
له مقلةٌ وسناءُ ترشُق أسهماً ... تُصيب الحشا قبلَ الجوارح والجلدِ
وثغرٌ إذا ما ضاء في جنحِ دامسٍ ... توهمت دُرّاً قد تنضَّدَ في عقدِ
يدير بها ظَلْماً كأن مذاقَه ... جنى الطلعِ أو صِرْفَ السلافِ أو الشهدِ
وتالعُ جيدٍ ما الغزالةُ إن عطَتْ ... بمنعرج الجرعاء طالبة الوردِ
وصعدةُ قَدٍّ إن تقُل غصن النقا ... بقول لها هيهاتَ ما ذاك من نِدِّ
وردفٌ تشكى الخصر إعياء ثقلِهِ ... فناءَ به حتى تضاءل عن جهدِ

ومنها:

فلله هاتيك الليالي التي خلت ... وعرضت عنها بالقطيعة والبعدِ
وأصبحتُ والأحشاءُ يذكو لهيبُها ... أليفَ النوى حلفَ الجوى دائمَ السهدِ
أروح وأغدو واجداً بين أضلعي ... لهيبَ جَوًى لم يخلُ يوماً من الوقدِ
أعضُّ سناني حسرةً وتأسفاً ... وأندب عصراً لم أبت خالياً وحدي
وأرسل دمعاً كالغمام إذا همى ... فهيهاتَ أن يغني التأسفُ أو يُجدي
إلى الله أشكو جَوْرَ دهر إذا عدا ... على المرءِ حاجاتٍ بألسنةٍ لُدِّ

وقائلـةٍ والعـيشُ يزعجُهـا النـوى ... وعبرتُها كالطلِّ يـسقط فـي الـوردِ

لبئس المنى أن تقطعَ البيدَ بالسرى ... وترحلَ عن وادي المحصَّبِ للهندِ

فقلـت لهـا واللهِ مـا القـصدُ منيـةٌ ... ولا نيلُ سُؤْلٍ من عُروض ومن نقدِ

ولكنْ لأقضي شكرَ سـالفِ نعمـةٍ ... مـشيدةِ الأركـان بـالأبِ والجَـدِّ

لأكرمِ مـولًى ألبـستْ يـدُه الـورى ... مطـارفَ نعمـاءَ تجـلُّ عـن الحـدِّ

مبيدِ العدا ربِّ الندى غوثِ صارخٍ ... ملاذٍ لأهل الأرض بل غاية القصدِ

مليكٍ غُـذى دَرَّ المكـارِم والنهـى ... ونيطت به العلياءُ وهو على المهدِ

مليكٍ إذا ما جال في حَوْمَةِ الوغى ... تدرَّعَ جلبـابَ البـسالةِ عـن سـردِ

منها:

به افتخرت آباؤه الصِّيدُ في العـلا ... إذا افتخـر الأبنـاء بالحَـسَبِ العـدِّ

ومنها:

فـدونكها يـا نجـلَ طـه خريـدةً ... تميس اختيالاً من مديحك في بُرْدِ

تُهني بعيد الـيمن والـسعد والعـلا ... ونحر عدوٍّ لم يـزل واغـلَ الحقـدِ

فلا زلتَ منصوراً مدى الدهر ناصراً ... كريمَ المساعي في وعيدٍ وفي وعدِ

تحفـك أبطـالٌ إذا شـبّت الـوغى ... يؤماك نجـلاك المؤيـدُ والمهـدي

ويتلـوهم مـن آلِ خاقـانَ زمـرةٌ ... تخوض غمارَ الموت حاسرةَ الزندِ

وإن كنتُ لم أكملْ مـديحَك حقَّـه ... فذلك عـبء لا يقـوم بـه جهـدي

وقد أوجبَ التطفيل ما ليس خافياً ... عليك من الإخلاص والصدق والودِّ

فلستُ كشخصٍ ودُّه في لسانه ... وفي طيِّ أحشاهُ الذي يبدي[1]

ودمْ راقياً من أرفعِ المجدِ رتبةً ... تؤمُّ فِناها الصِّيدُ طالبةَ المدِّ

وله من قصيدة:

يا أخلائي بجرعاءِ الحمى ... ما لصافي ودِّنا عاد أُجاجا

وليال بمنًى قضَّيتها ... مع نديمٍ لم يكن في الحبِّ داجَى

ومليحٍ كغزالٍ ناعسٍ ... يُخجل الأقمار حسناً وانبلاجا

فسعى في شتنا دهرٌ بنى ... بيننا من فادح البين رِتاجا

فتناءَوا وتبدلْتُ بهم ... فتنةً حادت عن الحق اعوجاجا

ومن شعره مجيباً للسيد علي صاحب «السلافة» عن أبيات كتبها إليه، لغَرضٍ عرَض:

أبا حسنٍ لا زالَ سعدُك غالباً ... وجدُّك مسعوداً ونجمُك ثابتا[2]

ولا زالتِ العلياءُ تجني ثمارها ... لديك وتحوي في المعالي الأطايبا

أنا في قريضٍ منك قد جرّ ذيلَه ... على الأطلسِ الأعلى وفاق الكواكبا

يشير إلى خِلٍّ تغيرَ ودُّه ... وأصبح من بعدِ التصافي محارِبا

أبى الله أن يَثني عنانَ ودادِه ... ولو مَطرتْ سُحْبُ الغوادي قواضِبا

ولكنه يا مفخرَ العرب امرؤ ... يُجَرَّعُ من هذا الزمانِ مصائبا

---

(١) كذا في الأصل، الشطر الثاني غير موزون.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: ثائباً.

فجرَّد[1] عزماً للتجافي عن الورى وأصبح منحازاً عن الخلق جانبا

ومنها:

فصبراً لهذا الدهر إن صُروفَه لعمرُكَ تبدي من قضاها عجائبا

سيصفو شرابٌ مرَّ دهراً مكدَّراً ويرضى محبٌّ ظلَّ حيناً مُغاضِبا

فإنَّ ضميري لا يزال منازعي بأنك ترقى في المعالي مراتبا

مراتبَ تسمو للسِّماكين رفعةً تقود بها خيلَ الفخار جنائبا

فذلك عندي عن تقيٍّ مكرمٍ صدوقٍ إذا ما قال لم يُلْفَ كاذبا

وما زلتُ أرعى قولَه في مواطن فألفيتُه ثبتَ المقالة صائبا

ودمْ راقياً للمجدِ أرفعَ رتبةٍ تبيدُ الأعادي أو تُنيلُ الرغائبا

[٤٣١] السيد أحمد بن نهشل بن داود بن جعفر بن قاسم بن يحيى ابن جعفر بن الحسين ابن الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر ابن الإمام القاسم ابن علي بن عبدالله [بن][2] محمد بن محمد بن القاسم بن إبراهيم[3].

كان سيداً جليلاً، عالماً نبيلاً، من تلامذة الإمام يحيى شرف الدين، وقرأ عليه شيخُ الأئمة الحسن بن شرف الدين الحَمْزي، وكانت وفاته سنة عشرة وألف، ودفن بقبة الحويت، في الظفير.

وفي هذه القبة جدُّه جعفر بن قاسم، وبجنبه الفقيه مسعود بن محمد

---

(١) في الأصل: فتجرد، والصواب ما أثبت.

(٢) كلمة [ابن] سقطت من الأصل.

(٣) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٨٧) (٨٤).

الحويت صاحبُ المدرسة، والفقيه ناجي، وبعد ذلك دفن فيها السيد يحيى ابن أحمد بن محمد بن المنتصر ـ رحمهم الله ـ، كذا ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

[٤٣٢] أحمد بن صلاح بن حسن بن محمد بن علي بن مهدي بن علي ابن حسن بن عطية بن محمد المؤيد الدوّاري، المعروف بالقصعة(١).

كان من كبار العلماء الأخيار، زاهداً في الدنيا، كثير الإحسان، لا ينظر إلى الظلمة، ولا يتردد عليهم، وكان كريماً، إذا حضر طعامه بصعدة، أمر رسولاً يأتي بمن في الجامع من الغرباء.

وكان بحراً في العلوم لا يجارى، وصنف كتاباً في أنواع الحديث مبسوطاً، وله كتابات متفرقة، في علوم متعددة، وأمه جاريةٌ هنديةٌ؛ لأن والده كان كثير السفر إلى الهند، ومولدُه بـ «كنبايه».

ومن شيوخه: الحسين المسوري، والسيد محمد بن عز الدين المفتي، مؤلف «الحاشية على الكافية»، قرأ عليه «الحاجبية»، وحاشية عليها، والسيد علي ابن الإمام شرف الدين، والسيد فخر الإسلام مظهر بن تاج الدين، **توفي** ليلة الثلاثاء، ثالث وعشري شوال، سنة ثمان عشرة وألف، وقبره بصعدة.

[٤٣٣] أحمد بن عبد الرحمن الناشري الزبيدي الشافعي.

كان إماماً ورعاً، زاهداً عابداً، **توفي** يوم الخميس، في شهر رجب، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٤٨) (٥٥).

[٤٣٤] أحمد بن مسعود الحسني.

مترجم في المجموع، الذي أوله رسالة الأشخر.

[٤٣٥] السيد أحمد بن شيخ بن عبدالله بن شيخ العيدروس[١].

الشيخ العارف بالله، الولي المجذوب، **وُلد** بـ «تريم»، سنة تسع وأربعين وتسعمائة، وجاء تاريخ مولده: (ولي الله شمس الشموس)، ونشأ بها، وقرأ القرآن، ودخل أرض الهند مرتين، آخرهما سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، واستمر مقيماً بأحمد آباد، عند والده، ولازمه إلى أن توفي، ثم انتقل إلى مدينة «بروج».

وحصل عليه غيبة عن إحساسه، فكانت ترد عليه الواردات العوال، التي لا يحملها إلا فحول الرجال، وكان يظهر عليه آثارها؛ من دهش وانزعاج، وقلق واهتياج، وكان يعتقده أهل الهند اعتقاداً تاماً، وظهرت منه كراماتٌ كثيرة.

وكانت **وفاته** يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة أربع وعشرين بعد الألف ببندر بروج من الديار الهندية، وقبره معروف يزار، ويلتجأ إليه، ويتبرك به ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٣٦] أحمد بن يحيى بن سالم بن علي بن محمد بن موسى الذويد الصعدي[٢].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١١١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤١).

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٣٣) (١١٦).

كان عالماً غريب الصفات، قليل النظير في وقته، جمع أنواعاً من العلم، أما الشرعيات، فكان إمامها على الإطلاق، وأما المعقولات، فكذلك، له «شرح على تلخيص المفتاح» بسط فيه، وله في كل علمٍ قدمٌ راسخة، خصوصاً الطب؛ فإنه بلغ فيه الغاية، وكذلك الرمل ولواحقه، والزيجات، وحل السحر، وقرأ التوراة.

وكان آية من آيات الله، مع مكارم الأخلاق تفضح النسيم العبور لطفاً، وتخجل شـميم العبير عَرْفاً، وكان كلفاً بالكتب وتحصيلها، وبعض إخوانه يتعاطـى التجـارة، ووالدهم إذ ذاك حي، وأثرى، وكثر ماله، وجمع خزانةً من الكتـب لم تجتمـع في عصـره لغيـره، **توفي** يوم الاثنين، خامـس عشر جمادى الأولى، سنة ست وعشرين وألف.

[٤٣٧] أحمد ابن الفقيه عبـد الرحمن بن سـراج باجمال الحضرمي الشافعي[١].

كان من الفقهاء المحققيـن المبرزين، والعلماء المتضلعين، قرأ على والده، وتولى الجامع ببلدة «الغرفة»، وأضيفت إليه الأحكام، وقصده الناس بالفتوى، وكانت له اليد الطولى في تحقيق المشكلات، والاطلاع على المسائل العويصات.

وكان غزير العقل، قوي الذهن، كريم النفس، له القريحة الوقادة، والعبارة المنقـادة، سريع الحفظ لما يعانيه، وله النظم الرائق، والأجوبة المحققة الواضحة المرضية، جمعها ولده الفقيه محمد، وقد فات منها لطول الوقت

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٣).

كثيراً[1]، واختصر «فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن حجر الكبرى» في مجلد، والتقط فتاوى كثير من المتأخرين.

توفي سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن شرقي ضريح العارف بالله تعالى عبدِالله بنِ عمر باجمال، ببلدة الغرفة، من حضرموت.

[٤٣٨] أحمد أبو المواهب بن علي بن عبد القدوس ابن الشيخ العارف الولي المشهور محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله الشناوي القرشي الشافعي العباسي، الشهير بالحامي الشافعي، وينتهي نسبه إلى سيدي عمر الأشعث، تلميذِ سيدي أحمد البدوي، الفرد الأكمل، والد الكمّل، ترجمان القدم والأزل بالوراثة، ملحق الأواخر بالأوائل، غوث الإغاثة[2].

كان ـ قدس الله سره ـ إماماً في العلمين: علم الشريعة، والحقيقة، وشيخ أكابر أهل الوحدة والطريقة، كنز العلوم والدقائق، ومركز مدار الحقائق، سبحَ في أبحرالمعارف بباعه الواسعَ، وجمعَ إليه من كل فنٍّ بديع شاسع.

ولد في سابع شوال، سنة خمس وسبعين وتسعمائة، بمحلة روح، من غربية مصر، وأخذ عن القطب الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، وحسن الدُّنْجيهي، وأحمد المعرِّي، وعن الشمس محمد الرملي، والشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وغيرهم من علماء القاهرة.

وأخذ الطريقة الأحمدية عن والده، حتى بلغ الغاية في الطريق، وانتهت

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٨١).

إليه في عصره بمصر الرياسة في علم القوم والتحقيق، وفي تلقين الذكر، ولبس الخرقـة، وأخذ عنه أكابر، منهم: الشيخ الشمس محمد الشوبري، وأخوه أحمد، وشيخنا سلطان المزاحي، وكمال الدين السوداني، وأبو بكر القعود، والعارف بالله حسن البدوي، ومحمد بن علي الشبراملسي.

ثم توجه إلى مكة، ومكث بها سـنين، ووقعت له وقائع مشهورة، ثم استقر بالمدينة، وأخذ بها عن السيد غضنفر بن جعفر البخاري، وصحب بها السيد العارف بالله صبغة الله بن روح الله الحسني، وأخذ عنه طريق الغوثين، وتلقن الذكر، ولبـس منه الخرقة، وبه تخرج في التحقيق، وعلوم الطريق، وأرضعه من دَرَّ ضرعه لِبان المعاني والبيان، ورباه بعد أن فطمه عن شائبة الغير في حِجر حَجْره، إلى أن فاز بالكشف والعيان.

وقام بعده مقامه للناس، في التربية والتلقين والإلباس، وتمكن حاله، واشتهر مقاله، وصارت له اليد الطولى في الطريق والكرامات، التي لا يحصرها عدّ لبلوغها النهايات، ومن أجلّها: أنه عاهد روحاني، أن لا يؤذوا مريديه بشيء من المخوِّفات، وتعهد بعدم الرجعة لمن صدق من مريديه، في إخلاص النيات.

وكان يقول ـ كما أخبرني شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي ـ: لو كان الشعراني حياً، ما وسعه إلا اتباعي، وكان يقول: لا يدخل النار من رآني، أو رأى من رآني، إلى يوم القيامة[1]، ونقل عنه أنه قال: عهدنا يحفظ، وإن لم يحفظ، واشتهرت تلامذته وخلفاؤه في كل أرض، وسلمت له أهل عصره،

---

(١) غفر الله للمصنف ورحمه إذ نقل هذه الأباطيل، وإلا فمن يستطيع أن يدعي هذه الدعوى من أهل العقل والدين.

وأنه لا يتكلم إلا عن إذن الهي، ونفث روعي.

وجمع ما تشتت في طرق القوم، وظفر فيها بما غلا في السوم، فكم له من منّة على من سلكها، وكم التقط من الكنوز جواهر ومعادن، وبمعرفته في كل مشكل سبكها، فجزاه الله خيراً بما هو أهله، فكم أتحف مريديه بكف يشكر بها فضله.

منها: أنه قال: أجزت لكل مسلم تبرأ إلى الله من الشرك الظاهر والباطن؛ كخدع نفسه وهواه، أن يتوب إلى الله، ويلقن الذكر، ويصافح، ويلبس الخرقة، بشرطي هذا، على وفق أهل السنة، من سنة ألف إلى قيام الساعة، بإجازة قوله ﷺ: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، وقوله ﷺ: «من كثَّرَ سوادَ قومٍ، فهو منهم»، وبإجازة: قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[التغابن: ١٦].

ولم يسقط الحكم بوجود العذر، كما ورد: «سيأتي على أمتي زمان، العامل فيه بِعُشر ما أُمِر به، مثلُ أبي بكر وعمر فيكم»؛ إذ المرض لا يسقط الطلب، والميسور لا يسقط المعسور.

ثم قال: وأجزت بلبس الخرقة أيضاً، لتنوير الباطن بزيّ القوم؛ لخبر: «من تزيا بزيّ قوم، فهو منهم»، فإذا ثبت أنه منهم، يكون له ما لهم، وعليه ما عليهم، فيحسن الظن بالله، ويقوي يقينه لخبر: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»، وخبر: «تعلموا اليقين[1]؛ فإني أتعلمه»، ثم قال: فعليك بنسبة التوبة، ونسبة الخرقة؛ لخبر يوم القيامة: «ينقطع كل نسب إلا نسبي وحسبي».

---

(١) في الأصل: التفتي.

ثم قال: وأصحُّ طرقنا ما أخذه المخبر أحمد بن علي عن والده، وكل عن الذي بعده، وعبدالله عن جده لأبيه سيدي عمر الأشعث عن سيدي أحمد البدوي، وهو وسيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي علي الشناوي، الثلاثة عن السيد الشريف عبد السلام بن بشيش ـ نفع الله بهم ـ.

ومنها: أنه قـال ـ كما رأيته بخطه ـ: إذا تحيّرتم في الأمور، فعليكم بزيارة القبور، قال: وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا، ولكنه كلام حقّ، فقد ردّ عليّ بصري من سيدي أحمد البدوي، وفتحت لي البلاد إلى قبرس، ولي مع الحضرة النبوية وقائع لا تحصى.

والحاصل: أنه كان آية من آيات الله، لا تفي عبارة بنعته، وصفة كماله، فالغاية الاختصار، والأولى الاقتصار.

وله المؤلفات العظيمة، ومن أجلِّها: شرحه على جواهر الغوث، في مجلدين ضخمين، سماه: «ضمائر الأسرار الإلهية في شرح الجواهر الغوثية»، ومن وقف عليه، عرف مكانته في المعارف الذوقية، وفن الدعوة الأسمائية، وشرح آخر مختصر سماه: «تحلية البصائر بالتمشية على الجواهر»، ومنها: «التأصيل والتفصيل»، و«السطعات الأحمدية»، و«فواتح الصلوات الأحمدية في لوائح مدائح الذات المحمدية»، و«بيعة الإطلاق».

و«رسالة في الوحدة الوجودية التي عليها إجماع أكابر الصوفية»، وكتاب «خلاصة الاختصاص وما للكمل من الخواص»، و«موجبات الرحمة وموثقات العصمة»، و«نظم الزورا»، و«مناهج التأصيل»، ومنظومة سماها: «صادحة الأزل»، و«شـرحها»، وغيرها من التصانيف، التي لم ينسج على منوالها،

وتحير الألباب بحسن طلاوتها وإدلالها.

وتلامذته في الحرمين أعظم الناس، وعليهم المدار في علوم الطريق والإلباس، ومنهم: السيد سالم بن أحمد شيخان باعلوي؛ فإنه خِرّيجه، الذي عليه تعويله، ومنهم: العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، وغيرهما، وناهيك بهما.

توفي قبيل مغرب يوم الأربعاء، رابع أو سادس ذي الحجة، ودفن صبيحة يوم الخميس، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، ودفن ببقيع الغرقد، خلف قبة سيدنا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، في جوار شيخه السيد صبغة الله ـ رحمهما الله تعالى ـ، وجاء تاريخه: (خير المنزلين).

وله الشعر البليغ البطين، الذي بجودته لجلالته يبين، جمعه في ديوان كبير.

من ذلك: قوله مخمساً قصيدة العارف بالله الشيخ عبد الهادي السُّودي المدفون بمدينة تعز ـ نفع الله به ـ:

كيف يبدو العينُ بالأثَرِ ... وهي تأبى العيبَ كالحَصَرِ
صحَّ فيها قولُ معتبرِ ... ليس عند الخلق من خَبَرِ
عنكَ يا أغلوطةَ الفِكَرِ

صارت الأنباءُ عنك عما ... وشهودُ الكشف فيك دما
وعليمُ القوم مصطلما ... حارت الألبابُ فيك وما
ميزت وِرداً من الصَّدَرِ

وحـــدة عــــزتْ مهيمنـــة جمعـــتْ للـــصدر مرتبـــة

وجلـــت للعـــين تعميـــة حيـــرة عمّـــت فـــأيُّ فتـــى

رام عِرفانـــاً ولـــم يَحـــرِ

فجـــلا لاهوتُـــه ظلـــلا فبـــدا ناســـوتُه مـــثلا

وعـــلا إطلاقـــه أزلا عميـــتْ أنبـــاء ذاك علـــى

كلِّهـــم فـــي البـــدوِ والحـــضر

فحكـــى القيـــوم نـــزلهم وجـــلا فـــي العـــين ريمهـــم

فبـــدا عـــنهم وهـــم وهـــم وغـــدا يـــسأل بعـــضهم

عنـــكَ بعـــضاً عَـــلَّ مـــن ظفـــرِ

قـــصدوا جمعـــاً بـــه صُـــدِعوا فرقـــوا فـــي الجمـــع وانقطعـــوا

وهـــمُ عـــنهم بـــه منعـــوا فـــانثنوا والله مـــا وقعـــوا

لا علـــى عـــينٍ ولا أثـــرِ

فمحـــيطٌ كيـــف يحجبـــه فأبـــت عـــنهم مذاهُبـــه

وضـــيا الإمكـــان واجبـــه بـــل عظـــيمُ القـــوم مطلبُـــه

شـــدةُ التحبيـــرِ والحـــصرِ

إن دون الحـــق لـــيس نبـــا فـــسوى القيـــوم منـــه هَبـــا

وجمـــالُ الوجـــه مـــا احتجبـــا كيـــف حـــاروا فيـــك واعَجَبـــا

يـــا مُنـــى ســـمعي ويـــا بـــصري

حكمـــه مـــاء بمنعقـــدِ وقيـــام الفـــرد فـــي عـــددِ

قمـــت فـــيهم غيـــر متحـــدِ أنـــت لا تخفـــى علـــى أحـــدِ

غيـــر أعـــشى الفكـــر والنظـــرِ

أو علـــى رســـمي لـــه شُـــبَه أو علـــى وســـمي بـــهَ ولَـــهُ

أو علـــى مـــن فَرْقُـــه عَمَـــهٌ أو علـــى شـــخصٍ بـــه كَمَـــهُ

لـــم يـــشاهدْ صـــورةَ القمـــرِ

فـــالوجودُ الحـــقُّ ذا رتبـــا وعلـــى التحويـــل فيـــه أبـــا

وعلـــى التنزيـــل مـــا ســـلبا بـــالظهور الـــصرف محتجبـــا

أنـــت هـــذا صـــحَّ فـــي الأثـــرِ

فعلـــى تحقيـــق رتبـــتهمْ أنـــت فـــي إطـــلاقِ نـــسبتهمْ

وعلـــى تعيـــين وجهـــتهمْ أنـــتَ فـــيهم ظـــاهرٌ وبهـــم

ولهـــمْ لـــولا بقـــا الأثـــرِ

فهـــمُ مـــنهم بهـــم عـــدم ولهـــم فـــي علمـــه قـــدم

وهـــم مـــن وجهـــه الأمـــم لـــو تلاشـــت عـــنهم ظلـــم

وانمحـــوا عـــن عـــالَم الـــصورِ

فهـــمُ خلـــقٌ ببـــسط وطـــا وهـــم حـــقٌّ بكـــشفِ غِطـــا

فلـــو انهلـــوا هـــدى وســـطا شـــاهدوا معنـــاك منبـــسِطا

ســـارياً فـــي ســـائر القطـــر

ورأوا واللهِ مـــا حكمـــوا وبعـــين الله مـــا علمـــوا

وبوجـــه الحـــق قـــد عُـــصِموا ودَرَوْا أن الحِجـــابَ هُمـــوا

عــن شــهود المنظــر النَّــضِـرِ

فجــلا فــي العــين غايَتَــهُ وحكـــى للوجـــه هالَتَـــهُ

فـــأدار البـــدءُ غايتـــه وقـــضى يعقـــوبُ حاجتَـــهُ

وانتهـــى زيـــدٌ إلـــى الـــوطر

وقوله ﷺ مادحاً للسادة آل أبي علوي ـ نفع الله بهم ـ، وشارحاً لألفاظ جدهم الفقيه محمد بن علي المقدم ﷺ في كلماته المشهورة، في قوله: «لا حاجة لي بمحمد ولا بمحمدة»، وقوله، «والله إني الله» وهو تلخيص مفيد.

تقطعــتِ الأســبابُ دونَ جنــابِكم فعروتُكم وُثْقى هي المجدُ والكرمْ

فكم آيةٍ كبرى وكم عـصمةٍ بـدت وكم همةٍ عليـا بهـا تُـدفع الـدهمْ

جُعلتم على المجـد الأثيـلِ أهلَّـةً بإقليدِ مجدِ العزِّ والطَّولِ والعـصمْ

فحطت بكم ذاتُ المكـارم سَّـرها ولم تَعد بعد السُّوحِ وجها ولا أممْ

أقمتم لواءَ الحمـد فـي كـل ذروة وكنتم ولاةَ الدين بالعلمِ والحكـمْ

وخضتم بحاراً أغرقت كلَّ ساحل فلا دونها مَرْمى ولا خلفَها عَـصم

وعُـدتم علينـا بـالجواهر حـسبةً ومن دون هذا الجودِ ما تم من كـرمْ

بــذلتم نفوســاً للإلـــه كريمـــةً لأعــداءِ ديــنِ الله إذ قــامَ وانحـتمْ

وتمت بكم آياتُ وحي بهـا تلـتْ بأخباركم أحكام رسلٍ مـع الأمـمْ

وقد جاء وحـيُ الله عهـداً مؤكـداً بتطهير أهلِ البيتِ حقاً فذا الكـرمْ

فكـلُّ المــلا والأنبيــا وملائــكٌ لمجدِ أبيكم كيف كانوا هم الخدمْ

فأنت وجـوهُ العـالمين بـلا امْتِـرا وكيف ووحيُ الله في ذاك قد حكمْ

محبٌّ لهم في كلِّ وجه أتوا به ... فحبُّهم ديني به العهدُ ملتزمْ

فحبِّي لهم فخراً إذا أنا أحمد ... وكم لي شملٌ من ولاء الدين منتظمْ

وقد عهد الآباء أنا نحبُّهم ... أجبنا بما قد كان في سابق القدمْ

وقمنا بفضل الله ديناً نودهم ... ولم نعدُ عنهم قط في عهدهم قدمْ

ولِم لا وهم في الناس في كل موكبٍ ... هم الوجهُ في العلياء وجهاً ومختتمْ

وقد سبقت كل القرون قريشهم ... على الدرة البيضاء تعبد باللزمْ

وقدوتهم منى عليٌّ فحبذا ... إمامُ الملا من قبل أن يخلق النسمْ

وعترتُه للعالمين أولو النهى ... أئمتُنا في الدين في كل مُدلهمْ

وأكبرُهم حوزاً وأكثرهم ندًى ... وأطولُهم باعاً عليُّ المجدِ والكرمْ

بنو العَلَوي بالله ِوافوا عليَّهم ... بأعظمِ عهدٍ في المعارفِ والحكمْ

فسادوا النهى من كل فضلٍ قد انتهى ... مقدمهم من حيث لا حيث وانبهمْ

لذا قال لِمْ أفتى ولستُ كمثلكم ... لتحقيقه في العين بالعين والقدمْ

وليس يضاف الشيءُ منه لعينه ... وليس يُجامَع أو يرافع فما انضمْ

وليس له وصفُ افتقارٍ ولا غِنًى ... فقد حاطَ وجه الجمع بالمعهد الأعَمْ

ولا حاجة لي عند طه حميدة ... لطيِّ جهاتي فيه بالذات واللزمْ

ففي الوجهةِ الكبرى أتى وجهُ نزلها ... وفي النزلةِ الغرا فلا حكمَ للعدمْ

فمن كان في الإمكان لم تقض ذاتُه ... وجوداً له منه، ولا يقتضى عدمْ

فقد حقَّ أن الوجهَ منه بذاتُه ... بواجهه بالذات في رتبة يومْ

وليس لها إلا الموت رتبةً ... يقوم بها في العالمين لهم أممْ

إذا كانت الأشجارُ فيها تكلم ... بآية موسى فالمرادُ هنا أتمْ
وفي عمر قال العلي بلسانه ... وفي سمع الله الحديث به استقمْ
على أن هذا الوجهَ دون تحققٍ ... فذا الذكر والاشغالُ يأتي لمن تأمْ
ومن كان معلوماً برؤية ممكنٍ ... تحكم فيه العاد واقتحمَ الدهمْ
فليس له تغني أحاديثُ قومه ... ولا الآيُ والإنذار بل صفقةُ الندمْ
وأقسم لهو الله بالله صادقاً ... ولا كان سكراناً ولكن على قدمْ
فمن صحوه المعلومِ محوُ هويه ... فلم يك إلا الله قد قال ما حكمْ
فليس سوى وجهِ المحيط انية ... فواصل تنزيل على العين تحتكمْ
فليس لها قلبُ الحقيقة فهي في ... وجودٍ لها في الطيِّ في أسفل العدمْ
وإقليدُ حكم الذات ما لواؤه ... فلم تخفِه تلك التماويهُ والشيمْ
وأصلُ أصولِ الحقِّ في جمع جمعِه ... فما الفرقُ إلا حكم مرتبة تومْ
وعند استواء الشمس يعدَمُ ظلُّها ... وتطوى الجهاتُ الستُّ في وجهة الأممْ
وقد حملت منا الأمانات رتبةً ... فوفَّتْ بما قال المحيطُ بها فتمْ
فرتبةُ صحوِ العلمِ في نحوِ وهمِه ... يقيمُ على التحقيق مرتبةَ القدمْ
وقد حمل الأميُّ ابنُ عليّنا ... بما قال عنه اللهُ فهو على عصمْ
ومنك الوفا فيهم لهم عنهم اقتفى ... دواماً على التأييد من فضلك الأعمْ
ورتبتهم عينُ الوجود عليُّهم ... أنله بك العَليا افتتاحاً ومختتَمْ
ووالِه وُدًّا كلَّ وقتٍ برفعةٍ ... تنلْه من الآباء ما عنه معتظمْ
وقابلْ به منكَ الرضا فهو مرتَضَى ... لِما إن له من نيلِ أنبائك اللممْ

وقوله نفع الله به موالياً:

إذا ما اللفظُ لحظ العين جالت ... بخال الوجه في دورٍ مسلسل
فقل للأقربِ الأدنى هلمّا ... وقل لك بعد الأقصى تسلسلْ

وقوله ـ رحمه الله تعالى ـ:

إياك تصحبك في مجلاه أو مسراك ... بل كنْ بلا كونٍ واحذر فيه من إشراك
فالفرقُ والجمعُ والأسما له إشراكُ ... والعينُ للعين تحكي الوجهَ في مرآك

وقوله ـ قدس سره ـ:

العرشُ والفرشُ والمشهورُ تَمْثيلُكُ ... والصورُ والطورُ والمنظورُ تحويلُكْ
والخلقُ بالخلقِ بالتأصيلِ تفصيلُك ... والعينُ بالعينِ أو بالنفسِ تحوي لكْ

وقوله ﷺ:

جلا وجودك به المشهود في شاهد ... حتى أقام بفرض العين لك شاهدْ
أنت الشهيدُ فما المشهودُ للشاهدْ ... شيئاً سواه بما يُبديه من شاهدْ

ومن فوائده ـ أمدنا الله بمدده ـ: مقاله في شرح «الجواهر الغوثية الصغير» الذي سماه: «تجلية البصائر بالتمشية على الجواهر» عند قول الغوث ـ قدس سره ـ في أعمال الدعوة، وترك الحيوانات الجمالية والجلالية. . . إلخ.

أقول: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[إبراهيم: ٤]، وفي الشرع اختلاف المطالع في الصوم والفطر مؤثر، فلا يهولنك طوية هذا الأمر؛ فإن الدين يسر، وقد أخذ ﷺ العهد على من لم يصل إلا العصر والصبح فقط، فنظر إليه أبو بكر ﷺ، فقال ﷺ: «سيصليها كلها».

وفي مبادئ الأمر وقعت مسامحة، وحكمه بإيمان الجارية، ومن القواعد الفقهية: الضرورات تبيح المحظورات، وإذا ضاق الأمر، اتسع، وصحّ: «ما شادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه»، و«من شق على أمتي، فاشقق اللهم عليه»، و«مَن أمَّ، فليخفِّفْ»، و«أفتانٌ أنتَ يا معاذ؟!»، والسنة مشحونةٌ بالرحمة، والقياس جار بهذه الحكمة، مما لا مطمع في إحصائه، ولا سبيل إلى استقصائه.

وقد أخذت مرة على نفسي بِكد في التجريد بولاية الرياضات، حتى شق ذلك على والدتي، فرأيت ببركتها واحتراقها عليّ النبي ﷺ في المعاملة، فإني أجد على نفسي بحسم مادة النوم، وسمعت منه بعض آية في المعاملة، وبعضها في النوم اليقظة، قائلاً يقول بأعلى صوته الشريف: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨]، فأفضت امتثالاً لأمره ﷺ، في الأخذ بالرحمة، وقطعت الحبل الذي جعلته سبباً لمنع النوم، ونمت مستلقياً، فرأيته ﷺ ثانياً، وهو يتلو عليّ الآية، وسألته عن أسماء الخلوة، فأقرأنيها، وكأنه كتبها في كفي.

وكنت إذ ذاك مشتغلاً بطريق الخلوة، فعاملت قومي فيها بالرُّخص، وكنت أُجلس الجمَّ الغفيرَ منهم في قبةٍ واحدةٍ، ويأكلون المعتاد، ويصومون، ويفطر بعضهم، ويذكرون فيها، ويخرج بعضهم إلى السبب، وربما سافر نحو مسافة القصر، وربما يأتي أحدٌ آخر ليلة، ويدرك ما أدركه القوم، ويرى ما يرون من أنوارٍ وأقمارٍ وشموس، وهو لم يصم يوماً واحداً، ولما تأهبوا له مشاهداً وشاهداً، ولموصولهم عائداً.

كل ذلك ببركة إذنه ﷺ، وأخذها عنه بالرحمة، التي هي شأنه بإشارة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وحكم «أنا جليس من

ذكرني»، فلا بدع أن تصب الرحمة العظمى بعطائه الذاتي الذي لا يتوقف على شرط، ولا زوال مانع، فهو الفياض على الدوام، الكريم الذي لا تتعداه الآمال، المعطي لوصفه، لا لتلاوة اسم، ولا لرقم حرف، فلا تزعجه الأذكار، ولا تلحقه الأفكار، وما في الأزل لا يكون بعمل، والوهب الذاتي لا يعلل بعلل.

وكيف يتعدى فيض الرحموت همم الآمال، وهي له من جملة الأمثال، حاش لله أن يتعدى القديم الحادث أو يقارنه، ويخرج من الغيث باعث أو يصادره، هذا مع أن الدعاء ليس إلا فتح باب المكالمة، والفوز من الحق بلبّيك عبدي.

وذلك لا يتوقف على شرط؛ فإن ما في العلم لا يتخلف، والدعاء بما هو كائن تحصيل حاصل، وبما لم يكنْ محالٌ باطل؛ لانقلاب العلم جهلاً، وكيف بما في الأزل يعلَّل بالمعلل، لكن إذا جرى على عبد سيما العمل، فهو علامة أنه سعيد الأزل، ومن شعر الصديق الأكبر ﵁:

لو لم ترد نيلَ ما أرجو وأطلُبه   من فيضِ جودك ما علَّمْتَني الطلبا

وصح: «من أعطي الدعاء، لم يُحرم الإجابة»، وقد أجاب الله إبليس وفرعون، وصح: «اتقوا دعوة المظلوم، ولو كافراً»، ونحن لا نقول ببطلان هذه الشروط، لكنها إذا لم تتيسر، فبعضها، قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[التغابن: ١٦]، وصح: «إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم، إن الله يحب أن تؤتى رُخصه كما يحب أن تجتنب معاصيه».

وربَّ طبعٍ لا يقبل ترك الحيوان، والأطعمة الجلالية، وبلادٍ لا تقبل

ترك المخيط ولا العراء، فضلاً عن الجبة، فيخاطب كل قومٍ بحسب مزاجهم، كما ينظر ذلك طبعاً في علاجهم، فإياك وسوء فهم المقلد المحض، فمن لم يجعلِ الله له نوراً، فما له من نور. انتهى.

ثم قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٧]، ومفهوم الدين قاضٍ أن العسر غير الدين، وقد حقق الله تعالى على مَن رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، وأن عيسى عبدالله، بأن يدخل الجنة على ما كان منه من عمل، وعمن رضي بالدِّين، فآمن، واخترم، أو عجز عن النطق بالشهادتين؛ كالأخرس، مؤمن.

وفي الطهر: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[النساء: ٤٣]، ويسوون بين فقيد الماء والتراب، ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة: ٦]، وفي صلاة الخوف: كيف يصلي ضارباً ورائحاً ومتضمخاً بالدم ومستدبرَ القبلة، والعاجز يصلي قاعداً ومستلقياً، فإن لم يستطع، فيومئ، أو يمر الصلاة بقلبه، وفي الزكاة: يزكي الخليطين زكاة الواحد، ولو ذهب، أو نهب، سقطت، والحج يسقط بعد الاستطاعة، والمعضوب يحج عنه غيره.

فإذا شرع التخفيف في أركان الدِّين، فأولى ما بني عليها. على أنك إذا تأملت، تحققت هذه الشرائط والرياضات الشاقات كلها لنيل أعراضٍ هي حظوظ نفسانية؛ كولايةٍ، وغيرها في سائر الأحوال والمقامات، والتوجه إلى الله تعالى بريء من كل اعتبار، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ

دَآئِمُونَ﴾[المعارج: ٢٣]، وصح أنه ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه، ومن جملة الأحيان: نومه، ومقتضى طبيعته، فعُلم أن جميع ما كان عليه ذكرٌ مخصوصٌ؛ لحضوره مع الله تعالى في كل أحواله.

وفي المحمديين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم والإبراهيمي، وليس ذلك المقام إلا رؤية القيومية، وبراءة البشرية عن الأثرية، بحكم: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾[الأنعام: ١٦٢] الشاملة لكل ميل وصلة ﴿وَمَحْيَايَ﴾[الأنعام: ١٦٢] بمقتضى لوازم الطبيعة ﴿وَمَمَاتِي﴾[الأنعام: ١٦٢] بجميع أحكامه ومقتضياته ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢] ذكراً أو شأناً، واسماً وحكماً، والمحمدي ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾[النمل: ٩١] بلدة بنية الطبيعة الشاملة للحضرات الخمس، وهي التي حرمها عن ظهورها، وفيها، ولها بل، هي تحولاته وتنزلاته، بل جميعها آياته.

وتأمل ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ إلى ﴿بِأَمْرِهِ﴾[الروم: ٢٠ ـ ٢٥]، فأي شيء غيره إلا به، فهو الذي حرمها، وله كل شيء، فالمحقق ذاكر الله تعالى أبداً حتى بنسيانه قائم بطلانه، دائم الطاعة حتى بعصيانه، لدفع بينونته، وزوال ثنويته ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[الطلاق: ٢]، و﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٤].

قال بعض الأكابر: لو لقيت إبراهيم الأدهمي ﷺ، لأوصلته إلى الله، وهو على كرسيه.

وقال السابري ﷺ، حين استقرت به الحقائق: لو درينا، ما جاهدنا، فإياك والانحرافَ بإجحاف حاق التجريد؛ فإنه ـ ولو أنتج علوماً ـ لا يعتدّ بها؛ لشهرتها بضعف الطبيعة، وانحراف القوابل.

وإياك تسمع قول الإمام محمد بن علي الترمذي ﷺ، وقد وقع له: أنه كبل نفسه، وألقاها من سفينة في الدجلة؛ كرامة وتجاوزاً إلى أعلى مقام. ونحوه عن الشبلي ﷺ، وفي إلقاء الشيخ بهاء الدين النقشبندي ﷺ نفسه سبعة أيام كالميت لا يتحرك، حتى فتح عليه.

وسيدي أبو العباس الحُرَيْثي ﷺ سد خلوته عليه، فجاءه ملك بصحن أرز، وقال: كُلْ، فأبى، فأراد أن يطعمه، فأبى، فقال: إن الله أمرني بوصول هذا الطعام جوفك، فإن أكلت، وإلا شققت بطنك، فتأدبَ وأكلَ.

وأخذ الأجعدي ﷺ الاطراح مسجًّى كالميت، ثلاثة أيام طريقاً.

وكل تلك الخرافات ظهرت منهم بمقتضى سكر الأحوال، وغلبة الحال، فلا تتخذ سبباً، ولا تجعل ديدناً، وأنت خبير بأن السنة جاءت على معيار الاعتدال، والخطاب بما أمكن، والعمل على ذلك هو الهداية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٩٩]. انتهى.

[٤٣٩] أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقْيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كُذَالَة بن مكي بن يَنَق بن لف بن يحيى بن تَشَت بن تنفر بن حيراى ابن أكنجر بن أنصر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني السوداني، يعرف ببابا[1].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٠)، «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» (٢/ ٣٠٢) (٢٣٢)، «شجرة النور الزكية» (٢٩٨) (١١٥٧)، «فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور» (٣١) (٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٠٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٧٧).

قد ترجـم نفسـه في آخر كتابه «كفاية المحتاج»، فقال: مولدي ـ كما وجدته بخط والدي رحمه الله ـ ليلة الأحد، الحادي والعشرين من ذي الحجة، ختام عام ثلاثة وستين وتسعمائة، ونشأت على طلب العلم، فحفظت بعض الأمهات.

وقرأت النحو على عمي أبي بكر الرجل الصالح، والتفسير والحديث، والفقه والأصول، والعربية والبيان، والتصوف، وغيرها على شيخنا العلامة محمد بَغْيَع، ولازمته سنين، وقرأت عليه جميع ما تقدم عني في ترجمته، وأخذت على والدي الحديث سماعاً، والمنطق، وقرأت «الرسالة»، و«مقامات الحريري» تفقهاً على غيرهم، واشتهرت بين الطلبة بالمهارة على كلال وملل في الطلب.

وألفت عدة كتب، تزيد على أربعين تأليفاً؛ «كشرحي على مختصر خليل» من أول الزكاة إلى أثناء النكاح، ممزوجاً محرراً، وحواشي على مواضع منه، والحاشية المسماة: «منن الرب الجليل في تحرير مهمات خليل» تكون في سفرين، و«درر الوشاح بفوائد النكاح»، و«مختصر كتاب الوشاح» للسيوطي، وغيرها.

قال صاحب «الثقة» أبو عبدالله محمد بن يعقوب الأديب المراكشي، في «فهرسته» في ترجمته: كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم، والإدراك التام الحسن، حسن التصانيف، كامل الحظ من العلوم؛ فقهاً وحديثاً وعربيةً وأصلين وتاريخاً، مليحَ الاهتداء لمقاصد الناس، مثابراً على التقييد والمطالعة، مطبوعاً على التأليف.

ألف تآليف مفيدة جامعة، فيها أبحاثٌ عنديات ونقلية، وهي كثيرةٌ؛

كوضعه على «مختصر خليل» من الزكاة إلى أثناء النكاح في سفرين، و«تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف» في كراس، وتعليق على أوائل الألفية سماه: «النكت الوفية على شرح الألفية»، وآخر سماه: «النكت الزكية» لم يكملا، و«نيل الأمل في تفضيل النية على العمل» في شرح حديث: «نية المؤمن أبلغُ من عمله»، وآخر سماه: «غاية الأمل في تفضيل النية على العمل».

و«غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة» في كراستين، وآخر سماه: «النكت المستجادة في مساواتهما في شرط الإفادة»، و«التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس» يريد: بألفاظه العربية، في ورقات، و«جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الظلمة أولي الظلمة» في كراسين، و«شرح الصغرى للسنوسي» في ثلاثة كراريس.

و«نيل الابتهاج بالذيل على الديباج»، و«المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب» تعالى في كراسة، و«ترتيب جامع المعيار» للونشريسي، كتبت منه كراريس، وله مسائل وأسئلة في المشكلات وقفت على بعضها، ومن تآليف المترجم: «إسماع الصم في ثبوت الشرف من الأم».

قلت: وله مختصر سماه: «كفاية المحتاج لذيل الديباج»، وهو مقدار الثلث من الأصل كما ذكره في أوله.

ثم امتحن في طائفة من أهل بيته، بثقافهم في بلدهم، في محرم، عام اثنين وألف، على يد محمود بن زرقون، لما استولى على بلادهم، وجاء بهم أسارى في القيود، فوصلوا مراكش أول رمضان من العام، واستقروا مع

عيالهم في حكم الثقاف، إلى أن انصرم أمر المحنة، فسرحوا يوم الأحد، الحادي والعشرين لرمضان، عام أربعة وألف، ففرحت قلوب المؤمنين بذلك ـ جعلها الله لهم كفارة لذنوبهم ـ.

ثم ذكر مقروءاته على صاحب الترجمة، وقال: وكان من أوعية العلم ـ صان الله مهجته ـ. انتهى.

قال المترجم، ولم ألق بالغرب أثبتَ منه، ولا أوثق ولا أصدق، ولا أعرف بطرق العلم منه ـ رحمه الله تعالى ـ: ولما خرجنا من المحنة، طلبوني للإقراء، فجلست بعد الإباءة بجامع الشرفا بمراكش، من أنوه جوامعها، أقرأ كتباً، وسردها، ثم قال: وازدحم الخلق عليّ، وأعيان طلبتها، ولازموني.

بل قرأ عليّ قضاتُها؛ كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبي القاسم بن أبي إبراهيم الغساني، وهو كبير ينيف على ستين، وكذا قاضي مكناسة، الرحلةُ المؤلف، صاحُبنا أبو العباس ابن القاضي المكناسي، له رحلة للشرق، لقي فيها الناس، وهو أسنُّ مني، ومفتي مراكش الرجراجي، وغيرهم.

وأفتيت فيها لفظاً وكتباً؛ بحيث لا تتوجه الفتوى فيها ـ غالباً ـ إلا إلي، وعُينت لي مراراً، فابتهلت إلى الله تعالى أن يصرفها عني، واشتهر اسمي في البلاد، من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها، وقد قال لي بعض طلبة الجزائر، لما قدم علينا مراكش: لا نسمع في بلادنا إلا باسمك فقط، وأنك وأنك. انتهى.

هذا مع قلة التحصيل، وعدم المعرفة، وإنما ذلك كله مصداق قوله ﷺ: «إن الله لينزع العلم»، وقد ناهزت الآن خمسين سنة، بتاريخ يوم الجمعة،

مستهل صفر، عام اثني عشر وألف. انتهى كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ.

قلت: ووفاته ببلدة تُنْبُكْتُو، ودفن بتربة أجداده المعروفة هناك، في سابع شعبان، سنة اثنتين وثلاثين وألف، كذا ذكره الشيخ عبد الرحمن ابن العلامة عبد القادر الفاسي، في الكتاب الذي أفرده لترجمة والده ـ رحمه الله ـ.

ومن لطائف ما نقله عنه بعض شيوخنا: إذا حضر طالب العلم مجلس الدرس غدوةً، ولم يفطر، نادى مناد من قعر جوفه: الصلاة على الميت الحاضر.

[٤٤٠] الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد، الشهير بابن عبد الغني البنا الدمياطي[1].

أحد الرجال الجامعين بين الشريعة والحقيقة، **ولد** بدمياط في ثالث عشر رمضان، سنة ست وثلاثين وألف، ونشأ بها، وحفظ القرآن، ثم ورد إلى مصر، واشتغل في بدايته بالعلم اشتغالاً تاماً مُرضياً، وقرأ بالروايات على الشيخين: الأمين سلطان العلماء في عصره، الشيخ سلطان المزاحي، والشيخ المحقق نور الملة والدين علي الشبراملسي ـ رحمهما الله تعالى ـ، ولازمهما في بقية العلوم ملازمةً كليةً سنين عديدة.

وقرأ على الشيخ علي الشبراملسي جميع القرآن، من طريق «الطيبة»، وختم له بالجامع الأزهر ختماً حافلاً، حضره أكابر العلماء، ورؤساء الأمراء، وأخذ عن الشيخ محمد الشوبري، وعن الشيخ شهاب الدين القليوبي، وعن

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٧)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٧٣٧)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٤١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٤٠).

غالب مشايخ الأزهر في عصره، وأجازوه.

وأفـاد وأجاد، وكتب بخطه كتباً جليلةً، منها: «النشر»، و«التحفة»، و«النهاية»، و«تفسير البيضاوي»، وغيرها من الكتب المعتبرة، ودرس وأفتى، واشتهر بدمياط بالعلم والعمل، وألف كتاباً حافلاً سماه: «إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر»، و«منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات»، لخص فيه ما صح وتواتر من القراءات العشر، حسبما تضمنته الكتب المعتمدة، المعول عليها في هذا الشـأن، على وجه سهلٍ ممكنٍ، ويتيسر معه الوصول إلى دقائق هذا الفن لكل طالبٍ، مع الاختصار الغير مخل، وزاد فيه فوائد وتحريرات، تحصلت له حال قراءته على الشيخين السابقين.

ثم غلبت عليه العبادة، وإيثار الخلوة، وانتقل من دمياط إلى البُغاز المعروف بها، وحج مراتٍ عديدة، وجاور بالمدينة سنة خمس وستين وألف، وأخذ بها الطريق، وتلقين الذكر، ولبس الخرقة، من الختم الإلهي، الشيخ صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي، ولازمه مدة.

ثم توجه لليمن، ورحل إلى زَبيد، وأخـذ بها عن وحيـد دهره الشيخ عبد الباقي بن الزين المزجاجـي الزبيدي طريقَ القوم، وتلقـن منه الذكر، ولبس الخرقة، ولازمه ملازمةً كليةً، وتخرج به، وانتفع به انتفاعاً عاماً، ثم رجـع إلى مصـر، ومكث بدمياط مدةً، على خيرٍ وعبادةٍ ورياضةٍ، سالكاً طريقة السلف الصالح، معتزلاً عن الناس.

ثم رجع للمدينة، وجاور بها مدةً، ولازم شيخنا الإمام المحقق برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني ـ متع الله المسـلمين ببقائه ـ، وشاركته ـ على شيخنا المذكور ـ في قراءة: «مواقع النجوم» للشيخ الأكبر، وقرأ عليه

طرفاً من «الفتوحات المكية»، وغيرها من كتب الشيخ الأكبر، وكتب الشيخ القونوي، وحضره في الحديث، وأجازه شيخنا بمروياته، وسمعت شيخنا يثني عليه كثيراً، وهو حري بذلك، وبيني وبينه مودةٌ صادقةٌ، ومحبةٌ أكيدةٌ.

وله ـ حفظه الله ـ وقائع غريبة، وكرامات عجيبةٌ:

منها: ما أخبرني به، قال: حججت سنةً بوالدتي، وكانت سنةً مجدبةً، وكان معي بعيران، اشتريتهما من مصر، وحججنا عليهما، فلما قضينا الحج، وقصدنا التوجه للمدينة، مات البعيران في المدينة، ولم يكن معنا مال لنشتري به غيرهما، أو نستأجر مع أحد.

فضقت ذرعاً لذلك، وذهبت لشيخنا صفي الدين أحمد القشاشي ـ قدس الله روحه ـ، فأخبرته بحالي، وقلت له: إني عزمت على المجاورة بالمدينة؛ لعجزي عن السفر، حتى يفرج الله تعالى، فسكت هنيهةً، ثم قال: اذهب في هذه الساعة إلى قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب عمِّ رسول الله ﷺ، واقرأ ما تيسر من القرآن، وأخبره بحالك من أوله إلى آخره كما أخبرتني، وأنت واقفٌ على قبره الشريف.

فامتثلت أمره، وذهبت على الفور ضُحًى إلى قبره، وقرأت ما تيسر من القرآن، وأخبرته بحالي، على ما أمرني به شيخنا، ورجعت فوراً قبل الظهر، فدخلت إلى مِطْهرة باب الرحمة، فتوضأت، ودخلت إلى المسجد، وإذا بوالدتي في المسجد، تقول لي: ها هنا رجلٌ يسأل عنك، فاذهب إليه، فقلت لها: أين هو؟ فقالت: انظره في مؤخر الحرم، فذهبت إليه، فلما أقبلت عليه، رأيته رجلاً ذا لحيةٍ بيضاء مهاباً، فقال لي: مرحباً بالشيخ أحمد، فقبلت يده، فقال لي: تسافر إلى مصر؟ فقلت: يا سيدي! مع مَن أسافر؟ فقال: قم معي

حتى أستأجر لك مع رجل.

فذهبت معه إلى أن وصلنا إلى المناخة مَحَطِّ الحاج المصري بالمدينة، فدخل خباءً لبعض أهل مصر، ودخلت معه، فلما سلم على صاحب الخباء، قام له، وقبل يده، وبالغ في إكرامه، فقال له: مرادي تأخذ الشيخ أحمد ووالدته معك إلى مصر، وكانت الجمال في تلك السنة عزيزةً؛ لكثرة الموت بها، والكراء متعسر، فامتثل أمره، فقال له: كم تحسب عليه؟ فقال: يا سيدي! مهما تريد، فقال له: كذا، فأجاب بالقبول لذلك.

ودفع غالب الكراء من عنده، وقال: قم اذهب هات والدتك ومتاعك، فقمت وهو جالسٌ عنده، وأتيت بهما، وشرط عليه أن أدفع له بقية الكراء بعد وصولنا، فقبل ذلك، وقرأ له الفاتحة، وأوصاه بي خيراً، وقام من عنده، فذهبت معه، فلما وصلنا إلى المسجد، قال لي: ادخل فاسبقني، فدخلت وانتظرته حين حضرت الصلاة، فلم أره.

وكررت الطلب عليه، فلم أجده، فرجعت إلى الرجل الذي استأجر لي معه، فسألته عنه وأين مكانه؟ فقال: إني لا أعرفه، ولم أره قبل اليوم، ولكني لما دخل عليّ، حصل لي من الخوف والهيبة منه ما لم يحصل لي قط في عمري، ثم رجعت وكررت الطلب، فلم تقع عيني عليه، فذهبت لشيخنا صفي الدين أحمد رضي الله عنه، فأخبرته بذلك كله، وسألته، عنه فقال: هذه روحانية السيد حمزة تجسَّدَت لك[1].

---

(١) وهذه جرأة عجيبة على مقام الصحابة رضي الله عنهم، نسأل الله سبحانه السلامة، ونعوذ به تعالى من الخذلان.

ورجعت إلى صاحبي الذي استأجر لي معه، وتوجهت معه صحبة الحج إلى مصر، ورأيت منه من المودة والإكرام وحسن الخلق ما لم أجده من مثله في سفر ولا حضر، كل ذلك ببركته ﷺ، والحمد لله على ذلك.

ثم بعد سنين قدم مكة سنة ألف ومائة وخمس عشرة للحج مع أهله وأولاده، واجتمعتُ به، وعرض له فالج عطله عن الحركة والكلام، وتوجه وهو على هذا الحال إلى المدينة الشريفة، وزاد به الفالج، وأراد أهله أخذه معهم إلى مصر، فلما أتوا بالجمل ليركبوه إياه، لم يقدروا على رفعه من الأرض، فأبقوه عند بعض تلامذته.

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد خروج الحاج من المدينة في شهر المحرم سنة ست عشرة ومائة وألف، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله تعالى، ونفعنا به ـ آمين.

[٤٤١] أحمد بن محمد بن أبي اليمن بن أبي السعادات بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني، الشافعي الطبري المكي، إمام المقام الإبراهيمي الشريف[١].

وُلد يوم السبت، تاسع عشر رمضان، سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين ـ وتسعمائة، وحفظ القرآن، وصلى به التراويح مرات بالمقام، وحفظ عدة متون، منها «متن بهجة ابن الوردي» بتمامها، و«الشاطبية» بكمالها، وعرض محفوظاته معنا على المشايخ، سنة تسعين وتسعمائة، وأمّ بالناس مدةً، وكان

(١) «المؤلفين العثمانيين» (١/ ٢٢٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥).

حسن القراءة، طيب النغمة.

ومات في حياة أبيه شاباً، ليلة السبت، ثامن شعبان، سنة اثنتين بعد الألف، ودفن في تربة جماعة الطبريين بالمعلاة، ذكره الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبريين، الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[٤٤٢] أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزي الشافعي الدمشقي[1].

ذكره في «ذيل الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة»، فقال: الشاب الفاضل، **مولده** بعد عصر يوم الجمعة، ثالث وعشري رجب، سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، ومات والده وعمره أربعة أشهر وتسعة أيام، ورباه النجم، وقرأ القرآن العظيم، ثم اشتغل بالعلم، وأكب على تحصيله.

وقرأ في الفقه والعربية على القاضي محب الدين الحموي، وفي الفرائض والحساب على محمد التنوري، ومهر في العلوم، وكان منوراً، نظيفَ الثياب حسَنها، ورعاً متقشفاً، اختطفته المنية، **فمات** شهيداً في طاعون سنة اثنتين بعد الألف، في ثامن عشر رمضان، وكان عمه أبو الطيب يومئذٍ بمصر، فلما بلغه موته، قال يرثيه:

إن الخطوب على ممرِّ مذاقها	وعلى تعاوُرِ فتكها وشقاقِها
ليستْ على نسقٍ يلمُّ ويغتدي	هذا بذلك في عناء لحاقِها
لو كانت الأرزاء قسماً واحداً	كان التأسي منتهى درياقِها

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٥) (١٠٢)، ووردت ترجمته ضمن ترجمة والده في «الكواكب السائرة» (٣/ ١٨٠).

لكنهــا تــسعى بأحكــام القــضا | متفاوتاتِ الخطـوِ فـي استطراقِها
هــذا يزيــغُ وذا يريــع وذاك يــر | شُق فـي الحـشا أوّاه مـن رشـاقِها
ومـــصيبة جلّـــى ورزء وقيعـــةٍ | صدعَ القلوبَ وجدَّ فـي إحراقِهـا
وبليـــة مـــا إن لهـــا مـــن دافـــع | يُرجـى ولا ينحـلُّ شـدُّ وثاقِهـا
ورزّيـة كـم أورثـتْ نكـداً وكـم | أبـدتْ لنـا غُصـصاً بمـر مـذاقِها
هي هـازمُ اللـذاتِ يـا ويـلاهُ مـن | نفـسِ الـشهابِ لنعيِهـا لرفاقِهـا
بلغتــه عنهــا بمــصرَ فأظلمــتْ | أرجاؤهـا والـشمسُ فـي آفاقِهـا
جانبتهــا فرأيــت علمــاً باذخــاً | وهجرتُهـــا لا بغيـــةً لفراقِهـــا
كانـت علـى تقـوى الإلـه قـصيرة | برياضـــةٍ تـــزداد فـــي أخلاقهـــا
يـا أيهـا الـنفسُ الرضـيةُ فـادخلي | فـي جنـةٍ تـشتاق مـن مـشتاقِها
وروى فـسادَ فـشاعَ حـسنُ ذكائـه | فغـدا شـبيهَ ذُكـاءَ فـي إشـراقِها
يـــا طالمـــا ســـامرتَني بمباحـــثٍ | بـرزتْ لنـا تنجـابُ عـن أعلاقِهـا
ولأنتَ هذا الآن ترتـعُ فـي الجِنـا | نِ مشاهد الإحـسانِ مـن خلاقِهـا
وأنا الذي أُذري الـدموعَ فيغتـدى | حـرُّ الفـؤاد يـصونُ عـن إغراقِهـا

[٤٤٣] أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن جمال الدين عبدالله ابن عمر، القطب الشهير، الشيخ الكبير إبراهيم المتبولي الشافعي[١].

إمام علامة أشهر من أن يُنبه عليه، وأجل من أن يُعرف بالإشارة إليه، لا يجاذَب رداءُ فضله، ولا تدور العين في أصحابه على مثله، كبير علماء عصره

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧٤).

بلا مدافـع، وحامـل لوائهم من غير منازع، مبرز في حلبة العلوم الشرعية، حائز قصبات السبق في الفنون العقلية، وسعةُ اطلاعه على السنة سارت بها الركبان، من قاص ودان.

أخذ عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، وعن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشـعراني، والشمـس محمـد الرملي، وغيرهـم، وله «شـرح حافل على الجامع الصغير للسيوطي» في مجلدات، و«نيل الاهتداء في فضل الارتداء»، و«مؤلف في عرض الأعمال»، ورأيت شرحه للجامع الصغير مجلداً بالقاهرة ذكر فيه انه شرح الهمزة في ثلاثة عشر مجلداً، والسفر الذي رأيته كبير، وليس فيه إلا الكلام على حديث: «إنما الأعمال بالنيات»، وكان شيخنا خاتمة المحققين إبراهيم الكوراني شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات، في نحو سبع كراريس، وأهداني منه نسخة، فذكرت له ما رأيته بالقاهرة، فقال لي: التطويل في مثل هذا إنما هو بأمور خارجة عن معنى الحديث المشروح، أو بأمور ليست من التحقيق في شيء؛ كالاشتغال بجلب الأقوال عن النية، والاسترسال في جلب الفروع الفقهية المتعلقة بذلك، واختلاف الفقهاء في ذلك، وأما تحقيق معنى النيـة، وزبـدة الأقوال المقولـة في معناها، وكيفية انطباقها وشمولها لسائر الأعمال، هو ما أودعته في رسالتي المؤلفة في ذلك، ولقد صدق في دعواه.

قال: ولقد أطلعني شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي على رسالة القرافي المسماة بـ: «الأمنية»، فأحكمت مطالعتها، فلم أجد فيها زيادة على ما ذكرت.

قال: وحين أطلعته على رسالتي، حكم بأن رسالتي أتم تحقيقاً، وأوجز لفظاً. انتهى.

توفي يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر سنة ثلاث بعد الألف.

ومن فوائده: أنه سئل عما ورد فيمن مات بطريق مكة أو المدينة ذاهباً أو راجعاً، فأجاب: روى الأزرقي في «تاريخ مكة» مرفوعاً: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً، لم يعرض، ولم يحاسب، وكتب له في كل سنة حجة وعمرة، إلى يوم القيامة».

قلت: ولم يذكر المدينة، ولعلها مقيسة على مكة؛ بجامع أنهما يقصدان للزيارة، فليحرر.

[٤٤٤] أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف بن حسين بن يوسف بن موسى الحصكفي الأصل، الحلبي المولد والدار، الشافعي، المعروف بابن المنلا، جده لأبيه كان قاضي قضاة تبريز، وشهرته ملا جامي، وشرح المحرر، وجده لأمه من بني أجا[1].

مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، ونشأ في كنف أبيه، واشتغل بالعلم، فقرأ على ابن الحنبلي في «مغني اللبيب»، وغيره من كتب النحو، وفي «شرح المفتاح»، وفي المنطق، والقراءات، والحديث، وفي مؤلفاته، وصحب سيدي الشيخ محمد بن علوان الحموي، وهو بحلب، سنة أربع وخمسين، وسمع منه نحو ثلث «البخاري»، وحضر دروسه ومواعيده، وسمع المسلسل بالأولية من البرهان العمادي، وأجاز له، وقرأ في التجويد على إبراهيم الضرير الدمشقي،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦٥٥) (١٣٨)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٨٩) (١٠٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ١٣٥) (٩٣٦).

نزيل حلب كثيراً، وأجاز له سنة خمس وستين.

ورحل إلى دمشق رحلتين، وأخذ بها عن البدر الغزي، وحضر دروسه بالشامية، وبحث فيها بحوثاً حسنةً مفيدةً، أبان فيها عن يد في الفنون طولى، وكلما انتقل من مسألة إلى غيرها، قال لسان حاله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[الضحى: ٤]؛ كما شهد بذلك السيد في إجازته له، وقرأ على النور السنفي، قطعةً من «البخاري»، و«مسلم»، وحضره في دروس من «المحلى»، و«شرح البهجة»، وأجاز له، وقرأ بها: «شرح ملا زاده على هداية الحكمة» على محب الدين التبريزي، مع سماعه عليه في التفسير، وقرأ قطعتين صالحتين من «المطول»، والأصفهاني على أبي الفتح الشبستري، ورحل سنة ثمان وخمسين إلى القسطنطينية، فأخذ «رسالة الإصطرلاب» عن نزيلها غرس الدين الحلبي، واجتمع بالسيد عبد الرحيم العباسي، واستجاز منه رواية البخاري، فأجاز له، ومدحه بقوله:

لك الشرفُ العالي على قادةِ الناسِ	ولِمْ لا وأنت الصدرُ من آل عباسِ
حويتَ علوماً أنت فيها مقدَّمٌ	وفي نثرها أصبحتَ ذا قدمٍ راسي
فيا بدرَ أفقِ الفضل يا زاهرَ السنا	ويا عالمَ الدنيا ويا واحدَ الناسِ
إلى بابك العالي أتاك ميمماً	كليمٌ بعضبٍ عدتَ أنت له آسي
فتى عاري الآداب يا ذا الحجى فما	سواك لعارٍ من سنا الفضل من كاسي
فأقبسْه من مشكاةِ نورك جذوةً	وعلله من وِرْدِ الفضائل بالكاسِ
وسامحْه في تقصيره ومديحه	فمدحُك بحرٌ فيه من كل أجناسِ
فلا زلتَ محمودَ المفاخرِ حاوي الـ	ـمفاخر مخصوصاً بأطيبِ أنفاسِ

مدى الدهر ما احمرَّتْ خدودُ شقائقٍ وما قام غصنُ الورد في خدمة الآسِ

ودرَّس وأفاد، وصنَّف وأجاد، وله شرحٌ عظيمٌ في أربع مجلدات، على «مغني اللبيب»، جمع فيه بين حاشيتي الدماميني، والشمني، وشرح شواهده للسيوطي، وهو المشهور الآن بـ: «الشرح الجديد»، وهو من أنفس شروحه وأحسنها، ونظم الشعر الحسن.

ومن شعره في مليحٍ لابس أسود قوله:

ماسَ في أسودِ اللباسِ حبيبي ورمى القلبَ في ضِرام بعادِهْ
لم يمس في السواد يوماً ولكن حلَّ في الطرفِ فاكتسى من سوادِهْ

وله مضمناً:

ظبيٌ كساني حلةً وأدار لي كأسَ الرحيق على رياضِ الآسِ
وغدا يقولُ عذارُه اشربْ يا فتى واجعلْ حديثك كلَّه في الكاسِ

توفي شهيداً، قتله الفلاحون في قرية باتنتا، من أعمال المعرة ظلماً وعدواناً، سنة ثلاث بعد الألف، ودفن في الجبل، بالقرب من تربة جده إسكندر ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٤٥] أحمد بن محمد بن مفلح الحنبلي[(١)].

القاضي شهاب الدين، كان رئيس الكتبة بمحكمة قناة العوني بدمشق، ثم صار قاضياً بها وبغيرها، وكان فاضلاً، محمود السيرة في القضاء، صَيِّنَ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٧) (٩٦).

العرض في طريقه، فقيراً عفيفاً تقياً، مات في عشري ذي الحجة، سنة ست بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٤٦] أحمد بن محمد المغربي المجذوب.

كان من أكابر الصالحين، وكان غالب إقامته بقصبة البندقانيين: سوقٍ معروف بمصر، وصحوُه أكثرُ من سُكره، ويتكلم بما لا يفهم له معنى، وكان أهل الطريق يعظمونه، ويعرفون مكانه.

اجتمع بالخضر[1] ـ عليه السلام ـ، فقال له: اذهب إلى زين العابدين المناوي، وأقرئه مني السلام؛ فإن قدمه تحت النجوم، وفوق الغمام، وأعطي سبعين ألف مقام، وسدانة المقام المصطفوي ودار السلام، توفي سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف. انتهى.

ذكره الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «طبقات الصوفية».

[٤٤٧] أحمد بن محمد القاضي العلامة شهاب الدين الشُّويكي، نسبةً إلى شُوَيْكة ـ مصغراً ـ: محلةٌ معروفةٌ بدمشق، الحنبلي[2].

كان من أفضل الحنابلة وأذكاهم بدمشق، وله طيب محاورةٍ، وفيه مزاح لطيف وتواضع، وكان يرد الزوجة إلى زوجها بعد الطلقات الثلاث، على مذهب ابن تيمية خفيةً، ثم صار يُظهر أمره، فأنكر عليه شيخ الإسلام أحمد

---

(١) دعوى رؤية الخضر عليه السلام في اليقظة والمنام، دعوى متكررة عند أهل التصوف، يجدون فيها وسيلة لإثبات أباطيلهم، وطريقة لنشر خرافاتهم.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٧) (٩٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٨٠).

ابن أبي الوفا مفتي الحنابلة، وغيره من علمائهم.

قال النجم الغزي في «الذيل»: وكان يحضر مجالسي بجامع دمشق، فذكرت له مرةً: أنه لا يجوز أن يرد الرجل زوجته بعد وقوع الطلقات الثلاث، على مذهب أحد من المسلمين، إلا ما كان من رأي ابن تيمية، الذي لا يجوز تقليده فيه؛ لشذوذه، وأنَّ الذي يفتي بمذهب ابن تيمية...[1].

[٤٤٨] أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين[2].

وتقدم رفع نسبه، السيدُ الفاضل، عالم الأدباء، وأديب العلماء، وتحية البيت الذي ارتفع قدره وسما، وذو الخلق الذي تستعِر من نشره الأزهار وتعبق، والفضيلة التي تجري الألسن إلى محامدها وتطلق، شهاب الملة الساطع، وبدر الكمال الطالع، وواحد الزمن علماً ونظراً، وحامل لواء المعارف النقلية حديثاً وأثراً، ومحقق الغلوم العقلية، وجامع الفنون الأدبية.

أما ملكة التعبير، فلا يتطاول ابن زيدون أن يزيد عليه؛ في سعة

---

(١) جاء في الحاشية ما نصه: «بعد هذا بياض ربع صفحة في الأصل»، وفي «ذيل الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» عند البدر الغزي المسمى: «قطف الثمر في الطبقة الأولى من أعيان القرن الحادي عشر» تتمة الخبر، والذي جاء فيه: «يجب تعزيره، وأن شبهة خلافه لا تسقط الحد عمن جامع المردودة إليه، ولا عنها، وشددت النكير وهو يسمع، وكان من قَرب منه من الناس ينظرون إليه، وربما تكلموا بما أخجله»، «قطف الثمر» (١/ ٢٦٧) (٩٧).

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٣١) (٢٠٦)، وسماه: أحمد بن الحسين، «البدر الطالع» (١/ ٤٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١١٢)، ووفاته في ١٠٨٠هـ.

العبارات، وأما مباحث التنقير، فما سلك الرئيس مسالكه في دقائق الإشارات، وأما المناظرة، فقد رقى فيها على درج، وأما حسن المحاضرة، فناهيك به، وكأنه أبو الفرج، وأما الترسل، فله على الفاضل فضل، وأما صناعة التجنيس والترصيع، فبينه وبين العماد ضمير فصل. شعر:

هـــذا أرقُّ محاســناً والفــرقُ مثــلُ الــصبح ظــاهِرْ

وأما تاريخ مَنْ غبر، فهو بحر سعدٍ يبدي أصدافه، وأما حفظ الأثر، فهو ذو المنزلة التي فاقت، وما اتفقت لأسلافه، مع ما هم عليه من الفضل والجلالة، والمجد والبسالة، وأما الشعر، فهو أدنى منازله، وأيسر فضائله:

فقد وجدتُ معاني الفـضلِ بـاهرةً فإن قدرتَ علـى أوصـافِه فَـصِفِ

ولد بكوكبان، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر العلماء الأعيان؛ كالسيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل، والقاضي المحقق عبد الرحمن بن محمد الحيمي، قرأ عليه: جميع «شرح الكافية» للرضي، وأجازه إجازاتٍ عديدةً حافلةً، أشار فيها إلى علو مقداره، ووقفتُ عليها.

وله شيوخٌ كثيرون، ومؤلفاتٌ منها: «ترويح المشوق في تلويح البروق»، وهو كتاب إن نظرت إلى حسن سياقه، هز منك الأعطاف ذلك السياق، أو إلى بديع اتساقه، ثملت سكراً من صناعة ذلك الاتساق، أو تأملت عجيب استطراده، وتصيده الشوارد بقوة استمداده، قلتَ: سبحان المانح، ما أقوى ملكة مؤلفه على اقتياد الجوامح، إلى عباراتٍ حلوةٍ، وبلاغةٍ هي من الكمال في الذروة، ولطائف فِقر، وبنات فكر، تورث الحليم صبوة، وغرائب مسائل علمية، ونكاتٍ أدبية، تزهى بفنون حلاها القراطيس، وتجذب بعيون محاسنها

الأرواح، فكأنها مغناطيس، وقد قرظ له عليه علماء عصره، ومنهم: السيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل، فقال في مدحه:

مـا صـبا قلبـي لتـأليفٍ حـوى غـررَ الحـسنِ كتـرويحِ المـشوقْ

كتـبُ الآداب عـن آخِرهـا قـدرُه يعلـو عليهـا ويفـوقْ

صاغه شمسُ المعالي مَـنْ غـدت تستمدُّ الشمسُ منه فـي الـشروقْ

سـابقُ طِـرِف عـلاه نطقـتْ بلـسان الحـال هيهـاتَ اللَّحـوقْ

دامَ فـي منـصب علـمٍ شـامخٍ مـا صـبا صـبٌّ لتلـويح البـروقْ

ومن شعره القاضي بأنه إمامُ فنونه، ومالكُ أبكاره وعيونِه، قوله...[1].

توفي - رحمه الله - بداره بروضة خاتم، سنة...، وحمل إلى روضة خزيمة... ولهذا اتفقت هذه اللطيفة لبديع الزمان الفقيه حسن بن علي بن جابر الهَبَل؛ حيث قال بيتين، وهما:

يـا قبـرَ أحمـدَ كـمْ حويـ ـتَ مكارمـاً ومحامـداً

شـهدَتْ بـذاكَ خزيمـةٌ وكفـى خزيمـةُ شـاهَدا

ورثاه القاضي العلامة محمد بن إبراهيم السحولي، فقال:

جزعي عليكَ مـدى الحيـاة معـي حتى أُوارى فـي الـضريح البلقَـعِ

ويقلُّ أن تجري عليـك حُـشاشتي وتفيضَ بعدَك مهجتي في أدمعـي

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض نصف صفحة في الأصل، كذلك لم يذكر التاريخ بعد كلمة «سنة»».

ويقلُّ فيك إذا هجرتُ مشاربي ومطامعي وهجرت بعدك مضجعي
ويقل أني لا يمرّ بخاطري أحدٌ سواك ولا يمر بمسمعي
لو أنني وفَّيتُ حقك كان في ميعادِ مصرعِك المروِّعِ مصرعي
ليتَ المنون تريدُ منا فديةً حتى بمثنى أو ثلاث ومربعِ
أو ليتَها طوعي فكنتُ أمرتُها ليقال تنزع مهجتي من أضلعي
فجع على فجع ولا مثل الذي ألقى لعذرك من فظيع تفجعي
لولا التيقن أنني بك لاحقٌ وكَرَبْعِك الخالي سيخلو مربعي
لقتلت نفسي. . . [1] الوحو ش العُصْمُ[2] في شمِّ الشوامخِ أربعِ
سحقاً ليوم جا بأشأم طالعٍ ولليلةٍ طلعتْ بأبخسِ مطلعِ
ما مثل يوم رحلتَ نحو خزيمةٍ وعلى سريرك رحتَ خيرَ مشيَّعِ
قد شيعتك صواهلٌ وذوابلٌ ومناصِلٌ مثلُ البروق اللمَّعِ
وأئمةٌ من آل أحمدَ سلسلوا لحديث يومك من سلاب الأدمعِ
فارقتنا كرهاً برغم أنوفِنا وبرغم كم من أَصْيَدٍ وسَمَيْدَعِ
ما كنتُ أخشى أن أودِّعَ مالكي هذا الوداعَ ولا أراه مودِّعي
هذا وداعي لا تلاقيَ بعدَه إلا إذا ما حانَ يومُ المفزعِ
يا خيرةَ الأطهار يابنَ مطهرٍ وابنَ الإمام الحبرِ يحيى الأذرعِ
يا أحمدَ المسعود وقتَ حياتهِ ومماتِه حقّاً وذاكي المنبعِ

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) في الأصل: الفظم، ولعل الصواب ما أثبت.

ما قبلَ لحدِك ملحدٌ شمسُ الضحى هبطتْ إليه من المحلِّ الأرفعِ
ما متَّ أنتَ وإنما مات التقى حقّاً وكلُّ تحرُّجٍ وتورعِ
والعلمُ والعملُ الذي هو صالحٌ والعلمُ مشفوعٌ بخلقٍ أوسعِ
يا قادرَ الدنيا الدنيّة قدرَها يا داخرَ الحسنى ليومِ المرجعِ
لله درُّك من إمامٍ عاملٍ علاَّمةٍ ندسٍ ذكيٍّ ألمعي
كم قد رأيتَ بلطفِ ذهنِكَ مرةً ما لا يُرى وسمعَت ما لا يُسمعِ
مَن للمعارف والعوارف والمعالي والمعاني والبيانِ الأبدعِ
من للبلاغاتِ التي عرباؤها وصلتْ إليك عن البطينِ الأنزَعِ
من للعلومِ دقيقِها وجليلِها ولحلِّ مشكلِها بفهمٍ مسرعِ
جَمَّتْ مناقبك التي لم يؤتَها أحدٌ سواك ولا دعاها من يعي
طابتْ وطبت ورقتها كل الورى في منظر أبدَ الزمان ومسمعِ
طُوي البساطُ بساطُ كلِّ فضيلةٍ لا يدعيها بعدَ يومك مُدَّعي
وعليكَ لا برحت عن عَزالي رحمةٍ تسقي عبيرَ تربِك المتضَّوعِ
واللهُ ندعوه بجبر مصابِنا بكَ فهو أَولى من أجابَ ومن دُعي
وهو الذي نرجوه يجمع شملَنا في جنة الفردوس أسنى المطمعِ
وإلى هنا أرثيك واعلمْ أنني جزعي عليك مدَى الحياة معي معي

[٤٤٩] أحمد بن محمد بن علي بن عبد القادر المالكي المدني.

الأديب الماهر، الأريب الباهر، أحد الخطباء بالحرم الشريف النبوي ـ على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ـ، ومتولي خطة الفتوى على مذهب مالك

بالمدينة المشرفة، أصلُ سلفه من بلاد المغرب، ولأسلافه بالمدينة صيت، وبيتهم مشهورٌ بالعلم والتقدم في مذهب مالك، إلى أن تشعبت بهم الآراء، فانتقل بعضهم إلى مذهب الحنفية، وصار اليوم أمثل من فيهم من تمذهب بمذهب مالك، صاحب الترجمة، وأخوه صاحبنا الخطيب عبد الرحمن.

إلا أن صاحب الترجمة مع ما أُعطي من فرط الذكاء، وجودة القريحة، ألهاه عن الاشتغال بالعلم الولوعُ بالفلاحة والزراعة، وتثمير المكاسب بالقيام على ضياعه ورباعه، فيغيب في العوالي أياماً عديدةً، فلا يكاد يرى في المسجد، إلا أيام الجمعة، أو ما ضاهاها.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، ولْتذكر من نظمه، ليستدل به على قدر نبله؛ فإن كلام المرء ميزان عقله.

فمنه: قوله يمدح النبي ﷺ:

بشراكِ يا عينُ هذا منتهى الأملِ ... وذا الجوادُ الذي بالمكرمات مُلي
هذا الرسولُ الذي ما خاب سائلُه ... فاستمطري من ندى إحسانه وسَلي
هذا الذي قد رقى فوقَ البراق إلى ... أدنى من الْقَاب فضلاً غير منتحل
هذا الذي قد براه الله جلَّ ثنا ... نعمةً للورى يُنجي من الخَطَلِ
محمودُ أحمدُ المحمودُ أفضلُ مَن ... هدى سواه طريقاً واضحَ السبلِ
محمد أحمد الماحي ببعثته ... ريبَ الطغاة بغاية الزيغ والزللِ
محمدٌ سيد الكونين أكرمُ من ... مشى على الأرض من حافٍ ومنتعلِ
ولا تُعد ولا تُحصى فضائُله ... فكلُّ فضل له من سابقِ الأزلِ
فكم له معجزاتٍ ليس ينكرُها ... إلا الجحودُ بزورِ الإفك والجدلِ

نطقَ الغـزالُ وضَـبٌ والـذراعُ ورا … د الشمس منها ومنها منطقُ الجملِ

والجـذعُ حـنّ إليـه حـين فارقَـه … حنينَ ثكلى شـجتنا لوعـة الثكـلِ

ومنبـعُ المـاء عـذباً مـن أصـابعه … أروى به الجيشَ بعد الريِّ بالنَّهَـلِ

وكـم أفـاد مريـضاً لمـسُ راحتـه … برءاً أزالَ الذي يـشكو مـن العلـلِ

وكـم شـواهد صـدقٍ للنبـي أتـتْ … كالشمسِ ما إن يراها غيرُ ذي مُقلِ

توراةُ موسى وإنجيلُ ابن مريم قـد … جاءا بتصديق وحيٍ في الزبور تُلي

بأنـه خـاتمُ الرسـل الكـرام وخيـ … ـرُ الخلق طَراً من الإتيـانِ والأُوَلِ

وحـسبُ طـه كـلامُ الله معجـزةً … وحـيٌ مـن الله غيُـر مفتعَـلِ

يتُلى ويُعجـز عنـه أن يعـارَض أو … يُؤتى بمثلٍ لـهُ والحـقُّ فيـه جَلـي

فيـا نبـيَّ الهـدى إنـي ببابـك لا … أرجو سواكَ لما أَلقى مـن الوجـلِ

وقفـتُ بالبـاب مـالي سـواه وإن … كنتُ المسيءَ بما كُلِّفت من عمـل

ولـيس يـأوي الفتـى إلا لـسادتهِ … إن نابه خطبُ سوءٍ كان فـي جلـلِ

يا صاحبَ النجدة العظمى أغثْ دَنِفـاً … أودى به الحالُ في حـل ومرتَحَـلِ

لا تتركَنْه لأيـدي الحادثـات ففـي … جميل جودك ما يغني عـن الحِيَـلِ

وكـنْ لـه ولأسـلافٍ لـه سـلفوا … واشفعْ له ولهم يـا أسـعَد الرسـلِ

عليـك منـي صـلاةُ الله يـصحبُها … أزكى سلام لدى الإشراق والطَّفَلِ

وآلكِ الطهرِ والصحبِ الكرام ومَـن … دانَـى سـبيلَهُمُ وكـلِّ وَلـي

[٤٥٠] أحمد بن عمر الحُبيشي ـ بالتصغير ـ الشافعي التعزي.

شيخ الإسلام في اليمن بلا نزاع، وإمام الشافعية من غير دفاع، الذي

أظهر من العلوم فوائدها، وأحكم فرائدها، وأجاد نسق نظامها، وأفاد ملح أحكامها، المحقق لدقائقها وغوامضها، القائم بأحكام سننها وفرائضها، العالم بمدلولاتها، العامل بمنقولاتها ومعقولاتها، المشار إليه في تصحيحها وتحقيقها، المعول عليه في إيضاح منهاجها وطريقها.

ولد بتعز، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وأخذ عن محمد بن عبد العزيز المفتي، ومحمد القصيعي، والعلامة أحمد القرواني المغربي، والمحقق الملا محمد شريف الكوراني، وآخرين، وأجازه شيوخه، وتصدر للتدريس ببلده، وأخذ عنه خلق لا يحصون، منهم: العلامة عبد العزيز بن محمد المفتي، وانتهت إليه في بلده الرياسة، وهو الآن بها مقيم...[1]، توفي سنة خمس ومائة وألف بتعز المحروسة.

[٤٥١] أحمد بن إبراهيم المزجاجي الزبيدي، المعروف بالخَيِّر ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر التحتية المشددة، وربما أشبعت، وبعده راء ـ.

كان شيخاً صالحاً، حصلت له عنايةٌ ربانيةٌ جذبته عن أهله ووطنه، فتركهما، وفرّ إلى موضع من الجبل، شرقي بلده السلامة، على دون مرحلة منها، فلزم موضعاً لا يخرج عنه، واعتزل الناس ولم يخالطهم نحو تسع سنين، فصار معتقداً يُقصد للزيارة والتبرك، ونقل عنه كثيرٌ من الكرامات.

ثم رجع إلى السلامة، وعقب رجوعه احتفر بئراً عند قبر جده، واستمر على حالةٍ مرضيةٍ؛ من إيثار الخمول والتقشف، ومحبة أهل العلم والتواضع،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «مقيم» سطر ونصف بياض بالأصل».

والبعد عما عليه غالب متصوفة الوقت؛ من الدعاوى العريضة التي لا طائل تحتها[١]، ثم بنى مسجداً عند بئره، وهي خارج القرية من قبليها، ونقل مسكنه إلى هناك، ولم يزل ملازماً لبيته، لا يخرج عنه قط، بل من قصد زيارته، والتماس دعائه، دخل عليه في مكانه، حتى توفي يوم النحر، عام ثمان وثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٥٢] السيد أحمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى[٢].

قال ابن أبي الرجال: كان محققاً في العلوم الشرعية، معقولاتها ومنقولاتها، وصدراً في العصابة الهاشمية، وأما أصول الفقه، فروى عنه القاضي العلامة أبو القاسم السني: أنه قال: هو عندي بمثابة الفاتحة، ووصفه السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم بالاجتهاد، وناهيك به! ومن شهد له خزيمةُ فهو حسبهُ، وكان استقراره بـ «شهارة» إماماً بجامعها ويدرس بالجامع في غالب الأوقات، ومع ذلك، فإنه كان فقير العيش إلى الغاية، وما زاده ذلك إلا كلفاً بالعلم، وحرصاً عليه.

وألف كتباً منها: «شرح الأساس»، و«شرح الكامل»، وكان ينهى أن تكتب الصلاة على النبي ﷺ بصورة «صلعم» ونحوها، ويأمر بإثبات الترضية على الصحابة إذا ذكروا؛ لأنهم مع الاجتماع معصومون، و«شرح تهذيب

---

(١) لاحظ قول المصنف رحمه الله في وصف متصوفة عصره.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٠٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٨٣) (٨٢)، «البدر الطالع» (١/ ١١٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧).

المنطق» و«حشّى على المفصل»، و«الفصول اللؤلئية»، وأوائل «المنهاج» لجده، و«نظم الشافية»، ولم يزل بشهارة حتى كانت الفتوحات الإمامية في الأقاليم جميعها، فاقتضى نظر الإمام المؤيد أن يرسله إلى الطويلة، فتوجه إليها، وكان على يديه فتحٌ، وانضاف إليه العساكر من وجوه أصحاب الدولة بكوكبان؛ لأنه جليل القدر نسباً وحسباً.

وكان له سعيٌ صالحٌ، وعزيمةٌ صادقةٌ بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويتولى الخطبة بنفسه، وكان عنده من العلماء أعيانٌ كثيرون، ثم لما اقتضى نظر الإمام المؤيد التوجه إلى مكة المشرفة، بعد دخول الجلالية إليها، وجهه بعسكر كثيف، وبلغ مرحلة الليث، وكان بينه وبين جيوش الجلالية هناك حرب، حصره الشريف زيد بن محسن، وروي عن الشريف زيد: أنه كان يقول: ما رأيت أشجع منه، وكان في الحرب يحث الشريف على الثبات، فثبت ثبات مثله، ولما كانت الدائرة على أصحابهما، وكذلك عادات الحرب، لا تزال دولاً، أبى المترجم الفرار، واستقر في محل يرمي بالبندق:

وأثبتَ في مستنقَعِ الخيلِ رجلَه وقال لها من تحتِ أخمصِكِ الحشرُ

فجاء بعض أهل تهامة فحمله، ثم رجع إلى بلاد تهامة المخلاف السليماني، وتولى أعماله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأزال كثيراً من بدع الجهال، ومن أعظم ذلك: قضية مرجانة، وذلك أنه كان بجهة بيس، أو قريباً منه رجلٌ يدعي أنه امرأة، وتسمَّى بمرجانة، وكان الناس يأتون إليه بالحريم، لمداواة الحبل يظنونه امرأة، ومن عجيب الامتحان: أنه قد يتفق ذلك، فلبث الأمر على اللبس، حتى جاء بعض أشراف تهامة بامرأته إلى محل

المذكور، يريد المداواة، وكانت شريفةً من الطاهرات، فعرفت حقيقة الحال، فدافعت حتى اتصلت بزوجها، وأخبرته بالحقيقة، فعرّف السيد، فاستجلى السيد ذلك، فاتضح، فقتله.

وكان من العجائب أن الله تعالى كشف ستره، ورمى به السيل إلى موضع عال، وانتفخ ذكره وكبر.

ومن عنايات السيد مسألة: الختان؛ فإنهم بتهامة، وأطراف الحجاز، يسلخون الجلد عن الذكر والعانة، إلى قريب من السرة، كما يسلخ أديم الكبش، فيفنى بذلك من يفنى، وإنما السلامة مظنونة، ويمقتون من لم يفعل ذلك، وينسبونه إلى الجور في طبعه، فأزال ذلك.

واستقر أياماً، فعرض له مرضٌ اقتضى طلوعه إلى قلعة عمار، فجلس فيها أياماً حتى نقله الله إلى دار كرامته وقت الفجر، يوم الخميس، تاسع شهر رجب، سنة تسع وثلاثين وألف، ودفن عند مسجد عمار بالقبة التي فيها السيد العلامة أحمد بن المهدي، وولده صلاح الدين.

ووفاة السيد صلاح الدين ووالده في ذي الحجة، عام أربعة وأربعين وألف، وموت السيد أحمد بن المهدي قبل ولده السيد أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، كان من العلماء الأخيار، أهل الهمة في تحصيل العلوم، فضله كلمة إجماع، قال فيه بعض علماء زمنه: إنه منقطع القرين، وإنه رجل اليمن، كان ورعاً لا يأكل إلا من الحلال الطيب، وكان إذا خرج بالعساكر إلى البلاد الشامية، يفعل بالجنود الموائد الواسعة، وتوضع بين يديه قطعةٌ من خبز الشعير يأكلها ـ أعاد الله من بركته ـ.

وله شعر بديع، منه قوله. . .[1].

توفي بصعدة في حدود سنة أربعين بعد الألف، ورثاه أخوه السيد إبراهيم ابن محمد بقصيدةٍ مطلعها:

صبٌّ بأهل الحمى هاجتْ صبابتُه ودمعــــه لا تُــرى إلا صُـــبابته

وأخوه إبراهيم كان زين الوجود، وعين الموجود، ترجمان الشريعة، متبحـراً في العلوم، له شـرحٌ على الهداية سـماه: «تنقيح الأنظار» في ثلاثة مجلدات، وله «الروض الحافل شرح الكافل»، وله «كتاب في صناعة خط المصاحف»، وله «القصص الحق المبين بالبغي على أمير المؤمنين»، وغير ذلك، وله شعرٌ بديعٌ، وكان والدهما السيد محمد رئيساً من أعيان آل محمد، مملوءاً بالوقار، وهو الذي فتح «صعدة» للإمام القاسم.

[٤٥٣] أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المَقَّري التَّلمسِاني ـ بكسـر أوله وثالثه: بلدٌ بالمغرب بين الجزائر وفاس ـ الأصل والمولد، والفاسي الدار، المالكي[2].

نزيل القاهرة، الشيخ الإمام العلامة، الحافظ السند الفهامة، رحلة الدنيا، شهاب علم، روض فضله نضير، ماله في سعة الحفظ نظير، جنى من ثمرات العلوم العقلية والنقلية، فواكه شهدت له بها البرية، إن حاكته الشمس، كانت

---

(١) ورد في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض ربع صفحة بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٠٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٨١)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ١٧٤) (١٣٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٢٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٩٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧).

سراجاً، أو فاخره البدر، يزيد عليه ابتهاجاً، أما الفضائل، فهو من السابقين في حلبة ميدانها، وأما الفصاحة، فهو من الغر المحجلين يوم رهانها، وأما فقه مالك، فهو أجل سيد مالك، وأما الحديث، فقد بوأه الله فيه تكرمة بين العلياء والسند، وجد في إرث المجد من غير كلالة عن أكرم أب وجَدّ:

مضتِ الدهورُ وما أتينَ بمثلهِ ... ولقد أتى ففخَرنْ عن نُظرائِهِ

وُلد هو وأبوه وجده وجد جده بمدينة تلمسان، ونشأ بها وقرأ القرآن، وارتحل عنها في زمن الصبا إلى مدينة فاس سنة تسع بعد الألف، ثم رجع إلى بلده آخر عام عشرة بعد الألف، ثم عاود الرجوع إلى فاس سنة ثلاث عشرة بعد الألف.

وقرأ بالروايات على جمع من شيوخ المغرب، ولازم في الفقه والحديث وبقية العلوم النقلية والعقلية شيخهَ وعمه سعيد بن أحمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة، وأخذ عن مفتي فاس أبي عبدالله محمد بن قاسم القصار القيسي الغرناطي، وعن العلامة أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المكناسي، وعن غيرهم من مشايخ عصره، وعلماء قطره، وأجازوه، وتصدر للقراءة وإملاء الحديث النبوي وغيره من العلوم بمدينة فاس، وأخذ عنه جمع من أكابر العلماء، منهم: الشيخ العلامة أحمد بن عمران الفاسي، وعالم المغرب عبد القادر بن محمد الفاسي، وحظي عند ملوك المغرب وكبرائها، واشتهر في الأقطار المغربية، ثم ارتحل من فاس للمشرق أواخر شهر رمضان عام سبعة وعشرين وألف، **وقال عند خروجه منها:**

قطرٌ كأن نسيمَه ... نفحاتُ كافورٍ ومسكِ

وكــــأن زهــــرَ رياضـــــه دُرٌّ هـــوى مـــن نَظْـــمِ سِـــلكِ

ودخل مصر بعد أن طاف غالب المغرب الأدنى، وأخذ عنه أكابر علمائه في شهر رجب عام ثمانية وعشرين بعد الألف، وحج في تلك السنة بيت الله الحرام، وزار قبر النبي ﷺ، ثم عاد إلى فاس، وتولى الخطابة والإمامة، ثم رجع إلى المشرق، فحج أيضاً، ثم عاد إلى مصر، ثم توجه إلى دمشق الشام في شعبان عام سبعة وثلاثين وألف، فحل من أهلها محل الروح من الجسد، وتنافسوا في خدمته ومدحه ما لم يعهد مثله لأحد، وفرحوا به كما فرح بالعافية أيوب، وكان كل لفظ منه في مسامعهم قميص يوسف في أجفان يعقوب، وآب منها أواخر شوال من العام المذكور إلى القاهرة، وكرر منها الذهاب إلى البلاد الطاهرة.

وتوجه عام تسعة وثلاثين وألف إلى مكة، وجاور بالحرمين، وحصلت له بالمجاورة فيها المسرات، وحج خمس مرات، وأملى فيها دروساً عديدة، ووفد في تلك المجاورة على طيبة المعظمة سبع مرات ميمماً مناهجها السديدة، وأطفأ بعوده إليها ما بالأكباد الحِرار، واستضاء بتلك الأنوار، وألف بحضرته ﷺ ما منّ الله به عليه في ذلك الجوار، وأملى الحديث النبوي، ثم رجع إلى مصر مفوضاً لله في جميع الأمور، ملازماً خدمةَ العلم الشريف بالأزهر المعمور، فتلقاه أهلها بصدر رحيب[1]، ما بين إكرام وترحيب، وألقى بها عصا التسيار، ونفض عن برد همته غبار الأسفار، وأصبح طراز العلوم به مذهباً، ودرَّس بالجامع الأزهر فنون العلم وتربع واحتبى:

---

(١) في الأصل: رجب، والصواب ما أثبت.

وصار فيهم غريبَ الفضل منفـرداً كبيتِ حسانَ فـي ديـوانِ سَـحْنونِ

والعصر إذ ذاك بالأفاضل مشحون من جميع الفنون، وأناخ بها ركائبه، وقضى منها مآربـه حتى أدركه أجله، فتوفي بها يوم السبت خامس وعشري جمادى الأول، سنة إحدى وأربعين بعد الألف، ودفن بتربة الأثلة قريباً من تربة المجاورين ـ سـقاه الله رحيق غفرانه بين روح وريحان، وأسكنه فسيح الجنان ـ.

وأما مؤلفاته، **فمنها**: «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب»، وهو في ثلاث مجلدات ضخام، قال في آخرها: وكفى أنه لم يوجد مثله في فنه.

ومنها: «أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض».

ومنها: «فتح المتعـال في مدح النعال»، واختصره في كتاب سماه: «النفحات العنبرية في وصف نعال خير البرية»، وكتاب «الشفا في بديع الاكتفا»، و«قطف المعتصـر من أفنان المختصر»، و«حاشيتان على شرح أم البراهين للسنوسي»، وأرجوزة في العقائد بديعة سماها: «إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة»، و«أرجوزة في الوفق المخمس الخالي الوسط»، و«روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيتـه من أعلام مراكـش وفاس»، و«الجنابذ»، المعدة لسكنى من لقيت من الجهابذ وهو أعم مما قبله، و«أزهار الكمامة في اختيار العمامة»، ولم يخرجه من مسودته، و«الدر الثمين في أسماء الهادي رسول رب العالمين».

والمقري ضبط على وجهين:

أحدهما: بفتح الميم وسكون القاف، وعلى هذا الوجه سمى ابن مرزوق كتابه الذي ألفه في التعريف بالشيخ محمد بن أحمد المقري جدِّ صاحب الترجمة بـ «النور البدري في التعريف بالفقيه المقري».

والوجه الثاني، وهو الذي عليه الأكثرون: أنه بفتح الميم وتشديد القاف، وهم لغتان في البلدة التي نسب إليها، وهي مَقَّرة من قرى زاب أفريقية.

ومن شعره قوله مادحاً للأمير منجك:

كــــرر حـــديثَك يـــا نـــديمي	عـــن حـــسن معهـــدِنا القـــديِم
واذكــــــر ليـــــالي أُنـــــسنا	بـــالغرب فـــي ظـــل النعـــيمِ
ومواســـــمَ العمـــــر التـــــي	راقـــتْ بمرآهـــا الوســـيمِ
أيـــــامَ أنجـــــزت الـــــسعو	دُ وُعـــود مطلـــوبٍ عظـــيمِ
ورســـائل الأحبـــاب فـــي	عنوانهـــا بـــردُ الـــسقيمِ
لـــم أقـــض واجـــبَ حقهـــا	جهـــلاً بمربعهـــا الـــسليمِ
لا دَرَّ دَرُّ البـــــينِ كْـــــم	للبـــينِ مـــن مَرْعًـــى وخـــيمٍ
وســـقاكَ يـــا مغنـــى الغـــرام	مـــضاعَفُ الغيـــث العمـــيمِ
أرضـــي التـــي غادرتهـــا	مـــن أجـــل زمـــزمِ والحطـــيمِ
ونأيـــتُ لا عـــن جفـــوةٍ	عـــن أفقهـــا غيـــرِ الـــذميمِ
وأدلـــتْ عـــن دعـــة لهـــا	حركـــاتِ وَخْـــدٍ أو رَســـيمِ
وأثـــار تـــذكارُ الخليـــ	ـــلِ بهـــا جَـــوى قلبـــي الكلـــيمِ

يا قلبُ لا تشكُ[1] الجَفا إلا لمولاكَ الرحيمِ
واصبرْ على حكم القَضا وذاك أمرٌ من حكيمِ
فالحال منتقلٌ وقس حالَ الرضيع على الفطيمِ
والدهر ألوانٌ وكم قصر المدى بالمستديمِ
فغدا يمزِّق شملَه ويقدُّه قَدَّ الأديمِ
والدهرُ يوقظ غافلاً من هجعة الغمر المتيمِ
ويُصيِّر الندبَ الكريـ ـمَ مؤملاً بابَ اللئيمِ
ويُزيل أنوارَ النها ر بظلمةِ الليل البهيمِ
يا من لناءٍ أقعدتْـ ـهُ عزيمةُ الشوق المقيمِ
يهفو إلى بانِ الحمى ويهيم في ريم الصَّريمِ
حيرانَ حالفَه السها دُ فليلُه ليلُ السليمِ
ويدُ النوى عبثتْ به لعبَ التكاسلِ بالغريمِ
ورجا يخلِّص شجوَه من باعث العظمِ الرميمِ
وحدا الركاب بجلَّقٍ ميلاً لمنهجها القويمِ
فانزاحتِ الظلماءُ عنـ ـه وأجفلتْ مثلَ الظليمِ
حيثُ التقديس[2] ضامنٌ نُجحاً وحسبُك من زعيمِ
حيث الرياضُ السندسيْـ ـيَةُ تستفزُّ نُهى الحليمِ

---

(١) في الأصل: تشكو، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل.

والـــوُرق يُطـــرِب لحنُهـــا	فـي الجنـكِ بالـصوتِ الـرخيمِ

وربـى البطـاح تمـيسُ فـي	حُلـلٍ مـن الوشـي الـرقيمِ

والـــروحُ قلَّـــده النـــدى	والزهـــر بالـــدِّر النظـــيمِ

والجـــوُّ ذاكٍ عَرفـــهُ	كثنـاءِ ذي القـدرِ الجـسيمِ

المنجكـــيُّ المرتقـــي	فـي ذروة الحَـسَب الـصميم

فهـــو الأميـــرُ ابـــنُ الأميـــ	ـــرِ والكـريمُ ابـنُ الكـريمِ

خُلُـــقٌ كمـــا شـــاء الكمـــا	لُ ورقـــةٌ مثـــلُ النـــسيمِ

يُـــسْلي غريـــبَ الـــدار عـــن	أهـــلٍ وعـــن خِـــلٍّ حَمـــيمِ

وينيـــف ســـؤددُه علـــى	مـــن ينتمـــي لزكـــيٍّ خِـــيمِ

فـــابنُ العميـــدِ مقـــصرٌ	عـــن شـــأوه وابـــنُ العـــديمِ

وأبـــو فـــراسٍ لا يُجـــا	ريـــهِ ببيـــتٍ أو قـــسيمِ

يـــا نـــاظمَ الكلـــمِ التـــي	أربـــتْ علـــى الـــدرَّ اليتـــيمِ

مـــن للحـــسامِ الحـــاجريْ	يَ بمثـــلِ نظمـــكَ أو تمـــيمِ

وإليكَهـــا عـــذراءَ تُبـــ	ـــدي العـذرَ عـن وسـمٍ بـريمِ

لـــم ينـــتج الإبـــداعُ منْـــ	ـــطقَها مـــنَ الـــشكلِ العقـــيمِ

فاســـلمْ ودمْ متحريـــاً	صـــونَ الـــصراطِ المـــستقيمِ

ومنه قوله:

يـا شـفيعَ العـصاةِ أنـت رجـائي	كيف يخشى الرجـاء عنـدك خيبَـهْ

وإذا كنـت حاضـراً فـي فـؤادي	غيبةُ الجسم عنـك ليـستْ بغيبَـهْ

لـيس بـالعيشِ فـي الـبلاد انتفـاعٌ أطيـبُ العـيش مـا يكـونُ بطيّبَـهْ

ولما أراد السفر إلى المشرق خاطبه بعض أهل المغرب بقوله:

أمفتـي الغـرب حقّـاً قـد سـمعنا بأنــك قــد سـئمت بــه إقامَــهْ
وأنـك قـد عزمـتَ علـى ارتحـالٍ لـشرقٍ قـد سَـمَوْت بـه علامَـهْ
لقــد زعــزتَ منــا كــلَّ قلــبٍ أقــمْ بــاللهِ لا تقــم القيامَــهْ

ومن شعره قوله:

تركـتُ رسـومَ عـزِّي فـي بـلادي وصـرت بمـصر منـسيَّ الرسـومِ
ونفــسي رُضْــتُها بالــذلِّ فيهــا وقلــتُ لهــا عــن العليــاء قــومي
ولـي عـزمٌ كحـدِّ الـسيفِ مـاضٍ ولكــنَّ الليــاليَ مــن خــصومي

وقوله:

وبــي ولهــا إذا الكاســات دارَتْ محادثــةٌ تَحُــلُّ حُبَــا الهمــومِ
ألــذُّ مــن المدُامــة للنــدامى وبــثُّ هــوى أَرَقّ مــن النــسيمِ

وكتب وهو بمصر لشيخ الإسلام عبد الرحمن العمادي مفتي دمشق كتاباً منه قوله:

يـا حـاديَ الأظعـانِ نحـوَ الـشامِ أبلــغْ تحيــاتي لتلــك الفئــامِ
وابـدأ بمفتيهـا العمـادي الرضـى وأم بـه[1] شـمل الهنـا فـي الـشَّام

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وأُمُمْ به.

فأجابه بقوله:

إلى أهالي مصرَ أُهدي السلامْ مبتدئاً بالمَقَّريِّ الهمامْ

من ضاعَ نشرُ العلم من عَرْفه ولم يضعْ منه الوفا للذمامْ

أهدي تحف التحية، إلى حضرته العلية، وذاته ذات الفضائل السنية الأحمدية، التي من صحبها، لم يزل موصولاً بطرائف الصلات والعوائد، الأوحدية الجامعة التي لها منها عليها شواهد:

وليسَ على اللِه بمستنكَرٍ أن يجمعَ العالَمَ في واحدِ

فيا من جذب قلوب أهل عصره إلى مصره، وأعجز عن وصف فضله كل بليغ، ولو وصل إلى النثرة بنثره، أو إلى الشعرى بشعره، ومن زرع حب حبه في القلوب فاستوى على سوقه، وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من حر شوقه، وظهرت شمس فضله من الجانب الغربي فبهرت بالشروق، وأصبح كل صب وهو إلى بهجتها مَشوق، زار الشام، ثم ما سلم حتى ودَّع، بعد أن فرع بروضها أفنانَ الفنون فأبدع، وأسهم لكل من أهلها بنصيب من وداده، فكان أوفرهم سهماً هذا المحب الذي رفع بمحبته سماك عماده، وعلق لمحبته شغاف فؤاده، فإنه دلَّى، من قلبه فتدلَّى وفاز من حبه بالسهم المعلَّى، أدام الله لك البقاء، وأحسن لنا بك الملتقى، ومنّ علينا منك بنعمة قرب اللقاء، آمين بمنّه ويمنه.

هذا وقد وصل من ذلك الخِل الوفي كتاب كريم، وهو اللطف الخفي، بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفي، جاء به البشير ذو الفضل الأسنى السني، الخل الأعز الأجل التاج المحاسني، مشتملاً على عقود الجواهر،

بل النجوم الزواهر، بل الآيات البواهر، تكاد تقطر البلاغة من حواشيه، ويشهد بالوصول إلى طرفها الأعلى لموشِّيه، فليت شعري فبأي لسان أثني على فصوله الحسان، العالية البيان، الغالية الأثمان، التي هي أنفس من قلائد العقيان، وأبدع من مقامات بديع الزمان، فطفقت أرتعُ من معانيها في أمتع رياض، وأقطع أن منشئها به اعتياضاً لهذا الدهر عن عياض. **شعر**:

ليتَ الكواكبَ تـدنو لـي فانظِمهـا　　　عقودَ مدحٍ فلا أرضى لكم كلمـي

ولا سيما فصل التعزية والتسلية، المشتمل على عقيد التخلية، بل عقود التحلية، لتلميذكم الولد إبراهيم؛ فإنه له كرقية السليم، بعد أن كاد يهيم، فجاء والله درة في أحسـن المَحالِّ، ووقـع الموقع حتى كأن الولد أنشط من عِقال:

وإذا الـشيءُ أتـى فـي وقتـه　　　زاد فـي العـين جمـالاً لجمـالِ

فجزاكم الله عنا أحسن الجزاء، ثم أحسن جميل العزاء، فيمن ذكرتم من كريمي الأصل والفرع، وأبقى منكم ما كثاً في الأرض من به للناس أعمُّ النفع، وأما مصيبة من كان وليِّي وسميِّي ومنجدي، الشهيد السعيد عبد الرحمن المرشدي، فإنها وإن أصابت منا ومنكم الأخوين، فقد عمتَّ العربينَ، بل طمَّث الثقلين، ولقد عد مصـاب في الإسلام ثلمة، وفقد به في حرم الله من كان يدعى للملمة، ولم يبق بعده الآن من يدعى إذا يحاس الحيس واستحق أن ينشد في حقه وإن لم يقس به قيس:

وما كان قيسٌ هُلْكُه هلـكَ واحـدٍ　　　ولكنـه بنيـانُ قـومٍ تهـدَّما

فالله تعالى يرفع درجاته في عليين، ويبقي وجودكم للإسلام والمسلمين،

وتلامذتكم الأولاد، يرجون من بركة أدعيتكم الإمداد، ويهدون أكرم التحية، إلى حضرتكم العلية، ونبلغكم دعاء صاحب السعادة، أدام الله إسعادكم وإسعاده، ونحن في صحبته الشهية، في رياض فنون أدبية، أبهاها لمعات محاضرة في ذكر شمائلكم الجميلة، تنور المجالس، وأشهاها نسمات محاورة بنشر فضائلكم الجميلة تعطر المجالس، وسلام جملة الأصحاب من أهل الشام، وعامة الخواص والعوام، والدعاء على الدوام، من المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي، مفتي الحنفية بدمشق المحمية.

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

محاسنُ الشام جلَّت ... عن أن تُقاس بحِدِّ
لولا حمى الشرعِ قلنا ... ولم نجاوزْ لحدِّ
كأنها معجزاتٌ ... مقرونةٌ بالتحدِّي

وتبعه النجم الغزي فقال:

محاسنُ الشام جلَّت ... عن أن تحد بحدِّ
عن حسنِها فحدِّثْ ... وعن سواها فعَدِّ
واللهِ لولا فَناها ... لقلتُ جنة خلدِ

وتبعهما عبد الباقي الحنبلي البعلي، فقال:

محاسنُ الشام قالتْ ... كلُّ المدائن جُندي
فلا تَقِسني بغيري ... واترك لثوم[1] التعدِّي

---

(١) كذا في الأصل.

ومثله لصاحبنا علي البجع:

محاسنُ الشام نادت	أنا الفريدةُ وحدي
وكلُّ حسن لغيري	فإنما هو بعدي

ومن شعر صاحب الترجمة أيضاً قوله:

أما دمشقٌ فخضرةٌ	لعبت بألبابِ الخلائقْ
هي بهجةُ الدنيا التي	منها بديعُ الحسن رائقْ
منها الصالحية فاخرتْ	بذوي الحقائق
والروضةُ الغناء حَيْـ	ـيَتْ بالورود وبالشقائقْ
والنهرُ صافٍ والنسيـ	ـم اللَّدْن للأشواقِ شائقْ
والطيرُ بالعيدانِ أبـ	ـدى في الغِنا أحلى الطرائقْ
ولآليُ الأغصان حَلَّتْ	جيدَ ظبيٍ راحَ فائقْ
ومَراوِدُ الأمطار قد	كحلت بها حدق الحدائقْ
لا زال مغناها مصو	ناً آمناً كلَّ البوائِقْ

...[1].

[٤٥٤] أحمد الزجاجي.

نزيل المدينة الشريفة، كان سخياً جليلاً، صاحب زاوية، وخُلق حسن، يسير بقافلة إلى المدينة كل عام للحج، توفي في شوال، سنة اثنتين وأربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاث صفحات بياض».

[٤٥٥] السيد أحمد بن الهادي بن علي بن مهدي بن محمد بن الهادي ابن محمد بن حسن بن أبي الفتح بن مدافع بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن الإمام الناصر أبي الفتح الديلمي المدافعي[1].

كان عالماً بالفقه وفنونه، قرأ على القاضي عامر بن محمد الذماري، وكان القاضي يثني عليه، واشتهر على ألسنة الفقهاء تسميته بالباقر؛ لبقره في العلم، وقد كان يضرب به المثل، وكانت له خصالٌ حميدةٌ، وخرج للجهاد بالبلاد الصنعانية.

وكان له تلامذةٌ رحلوا إليه، منهم: الفقيه محمد بن الهادي بن أبي الرجال، وتخرج به، ووقف عند الهجرة اليحيوية مدةً، وعلق كل منهما بصاحبه لعلاقة الفقه، حتى إنه أخبرني الفقيه محمد الحسن، من ملازمي خدمة السيد: أنه لما وصل السيد هجرة سناع، تمنى الانقطاع إلى العلم، والسكون في تلك الهجرة، بشرط كان الفقيه من بني الهادي عنده.

واتفق أنه أُمليت في حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم مسألةٌ في الطمأنينة بعد تكبيرة الإحرام، في سجود السهو، هل تثبت أولا؟ فقال الإمام: هذه مسألةٌ كان الفقهاء يختبرون فقه الرجل بها، ولما وصل المترجم إلى شهارة، رصده الطلب في هذه المسألة، ففعل ما هو الصواب، فعرفوا، فقهه.

توفي في شهر ربيع الثاني، سنة اثنتين وأربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٥٦] أحمد بن موسى بن مُقبل بن سُهيْل، العلامة شهابُ الدين.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٢٥) (١١٤).

كان شيخاً معمراً، حضر بيعة الإمام الحسن بن علي، وكان يلي قبض الزكـوات بصـعدة، وعملُه أكثر من علمـه، كان وافر العقل إلى الغاية، فهو مصداق قول الفقهاء: أزهدُ الناس أعقلُهم، وكان من شيوخ الطريقة، يداخل الأعمال، وغذاؤه خبزُ قفار بغير إدام، يُدخلـه في كمه، ولا يزال ينزع نفسه إلى الأكل، فيمنعها، ويقول لها: الصـدقة أفضل، فإذا تمكن منها، تصدق بقوته، وقد يؤثر الأكل لمصالحه.

وكان عالماً بالطب، ومن عالجه، فعلى يديه الشفاء، وله مسائل أوردها على الإمام القاسم، وكان بنو الإمام الهادي بالصيغة يرونه أباً لهم.

واتفقت له غريبة: وهو أنه كان ليلةً في مضجعه، وليس عنده شكٌّ في صحة عمارة البيت الذي هو فيه، فرأى أمير المؤمنين علياً ـ كرم الله وجهه ـ يقول له: قم؛ فإن بيتك سيخرب، فاستيقظ، واستعاذ بالله من شر تلك الرؤيا، وعاد إلى نومه، وظن أن ذلك عبارة عن أمر دينه، فـرأى أمير المؤمنين ثانياً يناجيه بمثل ذلك، فاستعاذ أيضاً، ثم نام فرأى أمير المؤمنين جذب بيده حتى لم يستيقظ إلا وهو قائم، فخرج من المكان، ثم انهدم سريعاً.

توفي بصعدة، سنة خمس وأربعين وألف، ودفن بموضعٍ، ثم نقله ولده يحيى إلى محل آخر، بعد سبعة أشهر، فوجده على صفته، لم يتغير منه شيء.

[٤٥٧] أحمد بن عامر بن محمد الذماري الصباحي.

كان من أهل العلم بالفروع، والثبات في الأصول، مقداماً رأساً، صادعاً بالحق، جواداً متلافاً، له ـ مع علمه بمعالم الدين ـ علمٌ بمعالم الرمي بالبندق، فكان يضرب به المثل، وله في البسالة آثار، وحسبه أنه لما غزا الأروام هجرة

شـوكان، ووقـع في أيديهم، وكتفوه، خرج من بينهم هرباً، مع وجود أهل النجدة فيهم والقوة، وتولى القضاء للسيد الحسن بن القاسم، **توفي** قبل والده، بعد أن طلع من الحمى، ليلة الأحد، من شهر رجب، سنة خمس وأربعين وألف، ودفن بقبة التهامي بعاشر.

[٤٥٨] أحمد بن عيسى المرشدي المكي الحنفي[1].

رب البراعة والبلاغة، ومالكُ أزمَّة الصـناعة والصياغة، مَنْ ألقت إليه الفصاحة مقاليدها، وصغرت جهابذها وصناديها، واعترف له لتقدمه الأقران، وشهد له بالفضل القاصي والدان.

ولد بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره، وكان يضرب بحذقه المثل، ومعرفتُه بالفقه وأبوابه، أشهرُ من نار على جبل، فهو صدر الشريعة، المتسنم في ذروتها الرفيعة، ومجمع بحري المنطوق والمفهوم، ومنبع نهري المنثور والمنظوم، وكان قد ولي القضاء بمكة المشرفة، فنال من أمله ما طمح إليه نظره واستشرفه.

ولما حصل أخوه شيخ الإسلام عبد الرحمن، في قبضة الشريف أحمد ابن عبد المطلب، ومُني منه بذلك الفادح الذي قهر به وغلب، حصل هو أيضاً في القبض والأسر، وأردف معه على ذلك الأدهم بالقسر، حتى جرع أخوه تلك الكأس، وأنعـم عليه بالخلاص بعد اليأس، فراش الدهرُ حاله، وأعاد منها ما غيره وأحالَه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٦٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٨) (٢٧٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٩٢).

ولم يزل فارغ البال، من شواغل النكد والبلبال، إلى أن انقضت أيامه، وتنبه له من دواعي المنون نيامه، **فتوفي** سحر يوم الأحد، رابع ذي الحجة، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وأربعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

وقد وقفت له على شعرٍ وإنشا، بهما طراز المجد موشَّى.

فمن شعره قوله يمدح الشريف مسعود بن إدريس:

عوجا قليلاً كذا عن أيمنِ الـوادي ... واستوقفا العِيسَ لا يحدو بها الحادي

وعَرِّجا علـى ربـعٍ صـحبتُ بـه ... شـرخَ الـشبيبة فـي أكنـافِ أجيـادِ

واستعطفا جيرةً بالشِّعْب قد نزلـوا ... أعلى الكثيب فهم غيّي وإرشـادي

وسـائلا عـن فـؤادي تبلغـا أملـي ... إن التعلـل يـشفي غُلَّـةَ الـصادي

واستشفِعا تشفعا تـسآلكم فعـسى ... بقــدر الله إســعافي وإســعادي

واحملاني وحطا عـن قَلوصِـكما ... في سرحِ مردي الأعادي الضيغم العادي

مسعود عين العلا المسعود طالعُه ... قلبُ الكتيبة صدرُ الحفل والنادي

رأسُ الملوك يمينُ الملك سـاعدُه ... زندُ المعالي جبينُ الجحفل البادي

شهم السراةِ الأُولى سارت عوارفُهم ... شــرقاً وغربـاً بـأغوارٍ وأنجـادِ

تَرِدْ غمار العلا في سوحه وتُـرِحْ ... أيدي الركائـب مـن وخـدٍ وآسـادِ

فـلا مناخَ لنـا فـي غيـر سـاحتِه ... وجـودُ كفيـه فيهـا رائـحٌ غـادي

يعشوشبُ العزُّ في أكنـافِ غفوتـه ... يا حبذا الشعبُ في الـدنيا لمرتـادِ

ويجتنــي ثمــر الآمــال يانعــةً ... من روض معروفهِ من قبـل ميعـادِ

فـأيُّ سـوحٍ يُرَجَّـى بعـد سـاحته ... وأيُّ قــصدٍ لمقــصودٍ وقــصَّادِ

ليهنِ ذا الملكَ إن ألبست حُلَّته ... تحيي مآثرَ آباءٍ وأجدادِ

لبستُها فكسوت الفخر مرسلها ... مشهَّرا يبهر المصبوغَ بالجادي

علوْتَ بيتاً ففاخرتَ النجوم عُلاً ... والشهبَ فخراً بأسبابٍ وأوتادِ

ولُحتَ بدراً بأفْق الملك تحسُدُه ... شمسُ النهار وهذا حَرُّها بادي

وصنت مكةَ إذ طَهَّرتَ حوزتَها ... من ثُلَّةِ أهلِ تثليثٍ وأنجادِ

قد غَرَّ بعضَهم الإهمالُ يحسبُه ... عفواً فعادَ لإتلافٍ وإفسادِ

فذدتَهم عن حمى البيت الحرام وهمْ ... من السلاسلِ في أطواق أجيادِ

كأنهم عنَد رفع الزندِ أيدهم ... يدعون حباً لمولانا بإمداد

وما ارعووا فشهرتَ السيفَ محتسباً ... يا بردَ حَرِّهِمُ في حرِّ أكبادِ

غادرتَهم جَزَراً من كلِّ منجدِلٍ ... كأن أثوابه مُجَّتْ بفِرصْادِ

وأثمرَ السدرُ من أجسامهم ثمراً ... حَلُّوا بأفواهِ أجداث وألحاد

سعيتَ سعياً حثيثاً من خمائله ... نورُ الأمانِ لأرواحٍ بأجسادِ

فهمْ بمكةَ من داعٍ ومبتهلٍ ... ومن محبٍّ ومن مُثنٍ ومن فادي

وعاد كلُّ عصيٍّ مصلحاً وغدت ... أيامُنا بالهنا أيامَ أعيادِ

وقاد كلَّ قصيٍّ ذلةً وَهَلاً ... وكان من قبلُ صعباً غيرَ منقادِ

نفى لذيذَ الكرى عنهم تذكُّرُهم ... وقائعاً لك بين الخَرْج والوادي

أباح سرحك أن يرعى منازلهم ... مهمَّلاً كل معوجٍّ ومُنآدِ

من كلِّ أبيضَ قد صلت مضاربُه ... لما ترقى خطيباً منبر الهادي

وكلِّ أسمر نظام الطّلا وله ... إلى العِدا طفرةُ النظامِ ميّادِ

وصان وسمك في حاش مخالطه　　　عن ربِّ غز وتنضاه بأحشاد
أسكنْتَ قلبَهم رعباً تذكُّره　　　يُنسي الشفوقَ الموالي ذكرَ أولادِ
أقبلتهم كل مِرقالٍ وسابحة　　　يُسرعْنَ عَدْواً إلى الأعدا بأطوادِ
من كل شهمٍ إلى العَلياءِ منتسبٍ　　　بسادةٍ قادةٍ للخيل أجوادِ
فهاك يابنَ رسولِ الله مِدحةَ مَن　　　أورت قريحتُه من بعد إخمادِ
فأحكمتْ فيك نظماً كلُّه غُرر　　　ما أحرزت مثلَه أقيالُ بغدادِ
أضحتْ قوافيه والآمالُ يُسرحها　　　روضُ البديع لإرصادٍ بمرصادِ
يرويه عني الثريا وهي هازئةٌ　　　بالأصمعيِّ وما يروي وحَمَّادِ
وتستحثُّ مطاي الزهر إن ركدتْ　　　كأنها إبلٌ يحدو بها الحادي
وتوقظ الركبَ ميلاً من خُمارِ كَرًى　　　والليل من طول تدآب السرى هادي
أمَّتْك تشفع إدلالاً لمنشئها　　　فاقبل تدلُّلَها يا نسلَ أمجادِ
وأسبلِ الصفحَ ستراً إن بدا خللٌ　　　تهتكْ به ستبرَ أعداءٍ وحسادٍ
وقلْ تقرَّبْ إلينا تستعزَّ بنا　　　ما حقُّ مثلك أن يُقصى بإبعادِ
لا زلتَ يا عزَّ آلِ البيت في دَعَةٍ　　　تحفُّ منهم بأنصارٍ وأنجادِ
مسعودُ جدّ سعيد الفال طالعُه　　　سعدُ السعود ملقّى كلَّ إسعادِ
بحقِّ طه وسِبْطيه وأمِّهما　　　والمرتضى والمثنى الطهر والهادي
صلَّى عليهم إله العرشِ ما سجعت　　　قُمريةٌ أو شدا في أيكةٍ شادي

وكتب إلى الفاضل محمد بن حسن دراز يستدعيه:

رقَّ النسيمُ وذيلُ الغيمِ منسدلٌ　　　على الوجودِ وظرف الدهر قد طُرِفا

فاغنمْ معـاقرةَ الآدابِ واغْـنَ بهـا ... عن المُدامِ وخذْ من صفوِها طُرَفا

وله أيضاً يصف بركةً:

ألا انظر إلـى هـذا الـصفاء لبركـة ... تقول لمن غاب عنها من الصَّحبِ

لئن غبتَ عن عيني وكدَّرتَ مشربي ... تأملْ تجدْ تِمثال شخْصِك في قلبـي

ومثله قول الإمام علي الطبري:

وبركـةِ مـاء قـد صـفا سلـسبيلُها ... ومن حولها روضٌ تكلَّـلَ بـالزهر

تُخـالُ إذا مـا لاح رونـقُ حـسنِها ... كبدرِ سماءٍ حُـفَّ بـالأنجم الزُّهـرِ

وله في الفوارة:

وفـوارةٍ مــن مــروةٍ قــام ماؤهــا ... كبزبـوز إبريـقٍ ولـيس لـه عُـرْوَهْ

بـدا لـي لمـا أن وردتُ صـفاءها ... ولا غروَ أن يبدُ الصفاءُ من المَرْوَهْ

ومثله قول الفخر الخاتوني:

ألا مِل إلى روضٍ به بركـةٌ زهـتْ ... بفـوارةٍ فيهـا كفـصٍ مـن المْـاسِ

إذا مـا أتاهـا زائـرٌ قـام ماؤهـا ... فأجلَسَه منها على العـين والـراسِ

والأصل في ذلك قول ابن المعتز:

وقاذفـةٍ بالمـاء فـي وسـطِ جنـةٍ ... قد التحفت كِماً من الظل سَجْسَجا

إذا انبعثـتْ بالمـاء ردتـه منـصلاً ... وعاد عليها ذلـك النـصل هَوْدَجـا

تحـاولَ إدراك النجـومِ بقـذفِها ... كأن لها قلبـاً علـى الجـوِّ مُحْرَجـا

لدى روضة جاد السحابُ ربوَعها ... فزخرفَهـا بـين الريـاض ودبَّجـا

على نرجس غَضٍّ يلاحظ سوسناً وآسٍ ربيعيٍّ يناغي بنفسجا

كأن غصونُ الأقحوان زمردٌ تَعَمَّمَ بالكافور ثم تَتَوَّجا

ونوارُ نسرينٍ كأن نسيمَه من المسكِ في جوٍّ السماء تأَرَّجا

وكتب الفخر الخاتوني إلى صاحب الترجمة، وقد سقط، فانزعجت رجله:

مولايَ إن تألمْ لعارضِ سقطةٍ حلف الزمان بمثله لا يغلطُ

فلذاتك العليا بمثلك أسوةٌ الشمسُ تكسفُ والكواكبُ تسقطُ

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

فيروزَجٌ أم وشامُ الغادةِ الرودِ يبدو على سلكِ درٍّ فيه منضودِ

وقامةٌ أو قضيبٌ في كثيبِ نقًا عليه بدرٌ بدا في جُنح تجعيدِ

وظبيةٌ أم مهاةٌ ما أَرى فلقد وقفتُ في اللبس من لحظٍ ومن جيدِ

يا ظبيةً ما رأينا قبلها أسداً يُراع بالبِيضِ من أجفانها السودِ

بل يا مهاة على البيض الصفاحِ بألـ ـحاظ أرعت بها أسدَ الشّرى سُودي

جردْتِ لحظَكِ لمَّا أن تجرد في حُبك قلبي أتجريد لتجريدِ

جالَ الوشاحُ بخصرٍ لا شبيهَ له وهل يشبَّهُ معدومٌ بموجودِ

أشكو من الحبِّ شكوى الخَصْرِ من كَفَلٍ كِلا النحيلين يشكو ضعفَ مجهودِ

قالت وقد أسقَمتْ جسمي لواحظُها عديتَنا بسَقامٍ منكَ مشهودِ

ومذ تنهدتُ أبدتْ لي نواهدَها كي ما تقابلَ تنهيداً بتنهيدِ

فقلتُ رفقاً بصَبٍّ صب أدمعَه حتى جرت فوقُ خَدِّيهِ بأخدودِ

يحـنُّ إن نـاح قُمـريٌّ علـى فـننٍ بـالرقمتين وإن أشـجى بتغريـدِ
وبرتجـي عـود أيـام اللِّقـا طمعـاً وهل زمـانٌ مـضى يومـاً بمـردودِ
نعم متى وصلتْ ذاتُ الوشاح يعُدْ وحُسنُ ظنـيَ فيهـا غيـرُ مجحـودِ
كم بتُّ بالوهم أحسو خمرَ ريقَتِها لما جفَتْني وعـاق الطيـف تـسهيد
صـهباءُ مـا مـسَّها دنٌّ لا نزلـتْ بالعـصر كـلاً ولا شِـيبتْ بعنقـودِ
قول المعزِّ بخمرٍ الدنِّ قد عُصرت مـن الثريـا وهبـه غيـرَ مـردودِ
صـهباءُ لـو فنّـد اللاحي ليوتمَهـا صَهْ باءَ بـالإثمِ مـن جهـلٍ بتفنيـدِ
صهبا أرقُّ من الشكوى وأعذبُ من عِـذارِ الحبيـب بترجيـعٍ وترديـدِ
صـهباءُ تفعـل بالألبـاب سـورتُها فعل السخي بشهوانَ بـنِ مـسعودِ
الضيغمُ الشهمُ مـن لاذت بعقوتـه شمُّ الأنوف من الشوشِ الصناديدِ
والحـاتم الجـودِ والأيـامُ مخفقـةٌ رأيَ الكـرام فهـذا حـاتمُ الجـودِ
والمجتني الحمدَ من غرسِ الجميل ولن يَـشينَ وجـهَ عطـاهُ بالمواعيـد
مهذبِ الخلق مأمونِ البوادر مـشـ ـكورِ الأناة صحيحِ الرأي محمـودِ
أغـرَّ تهـتشُّ للجـدوى شـمائلُه مثلَ اهتشاشِ رقيقِ القلـبِ للغيـدِ
تـأوي إليـه شـكاةُ الـدهر واثقـةً منه بتفـصيلِ حكـمٍ منه مقـصودِ
فيـستعزُّ بـه مـن مـسّه صـرعٌ من الخطوب ومن أخدانِها الـسودِ
وتجتديـه بنـو الآمـال مدركـةً مـا ترتجيـه بـلا مـنّ وتنكيـدِ
يـا آلَ مـسعود آلَ المجـد إنكـمُ مجدٌ له وهـو مجـدٌ غيـرُ محـدودِ
لا مجدَ للمجد لـولاكمْ ولا كـرمٌ للمكرمـات ولا حمـدٌ لتحميـدِ

ولا علاءٌ لمن لـم تلحظـوه ومَـن يُلْحَظْ ينلْ فوق ما يرجـو بتـسديدِ

ففضلكمْ بهـر الأعـدا وأحمـدُكم منه المحامـدُ لا تُحـصلى بتعديـدِ

عَفَفْـتُمُ وعفيـفُ الـدين عنـدَكم من يعف عن قدرةٍ عن كل مردودِ

وسعدُكمْ سعدُ أهل الأرض قاطبةً قـضى لـه الله فـي الـدنيا بتخليـدِ

فابقَوا وسائطَ عقدِ الملك تنضدُكم يــدُ الخلافــة فيهــا أيَّ تنــضيدِ

مهنـأً بكـم العيـد الـسعيدُ نعـمْ لـولاكمُ مـا حظـي عبـدٌ بتعييـدِ

ثم الصلاةُ على المختار ما افتخرتْ غلب الرفاق بشهوانَ بـنِ مـسعودِ

والآلِ والصحبِ ما غنتْ بمِدْحَتـه صوادحُ الفضل في أفنـانِ تمجيـدِ

[٤٥٩] أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري، الشهير بمصر بالوارث(١).

فرع شجرة الصديق، وفخر آل بيت عتيق، جمعَ نسبةَ الأصالة من كل جهة وصاله، وذكر السخاوي في «الضوء اللامع» جده الشيخ بدر الدين، وذكر فيه اتصال نسبه، وأمُّه بنت الشيخ أبي الحسن البكري، فالشمس البكري خاله، وأم جده لأمه، شريفة النسب، وله من جهة والده إلى سيدي يوسف العجمي انتساب.

قد انتهت إليه الرياسة في علم التفسير، مع ما انضم إليه من علم البلاغة النضير، واشتهرت أحاديث فضائله، فأصبحت رونق السير والأسمار، وظهرت أعلام علمه، فلا تخفى إلا على أكمه لا يعرف الشموس والأقمار، وكان من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٧).

الأدب في مرتبة سنامه وكاهله، تحوم الآراء حول موارده فترتوي من مناهله، وله مؤلفات منها: «أجوبة على أسئلة العز بن عبد السلام التفسيرية»، وفسر بعض سور من المفصل، وله رسائل في التفسير، واختصر «المواهب اللدنية»، وكتب على «متن التهذيب في المنطق»، ونظم عقيدة لها حسن أسلوب، **توفي** سنة ثمان وأربعين وألف.

وله نظم ونثر كما انتظمت الأنوار بعدما انتثرت عليها الأمطار، أو كما انتظمت الأطوار بعدما انتثرت من تشتت المآرب والأوطار.

فمن ذلك قوله:

وإنـي لـصبٌّ بـالقوافي ومـدحها ... ويبلـغ بـي حـدَّ الـسرور بليغُهـا

وأطيـبُ أوقـاتي مـن الـدهر ليلـةٌ ... تريـغُ القـوافي خـاطري وأريغُهـا

وكم بلغتْ بـي همتـي بُعْـدَ غايـة ... يعزُّ على الشِّعرى العَبورِ طلوعُهـا

فمـا سـرني الأكـل أسـيغه[1] ... بمـسمع واعٍ أو معـانٍ أَصـوغُها

وله فيمن اسمه بدر:

سـمَّوه بـدراً وذاك لمـا ... أن فـاق فـي حـسنه ونمَّـا

فـأجمعَ النـاسُ مـذْ رأوه ... بأنـه اسـمٌ علـى مـسمَّى

وله:

وكـم للهِ مـن نعـمٍ ... يعـمُّ الكـونَ ماطرُهـا

---

(١) كذا في الأصل.

تـــــــذكِّرنا أوائلُهـــــــا بمــــا تــــؤتي أواخرُهـــــا

وله:

رمــت حــالَ الوصــل إنــي لا أرى للوصـــــل آخِـــــرْ
فحرمـــت الوصـــل رأســـاً زاد بـــي الوجـــدُ فحــاذِرْ

وله:

مــاذا تقــولين فــيمن شــفَّه ســقمٌ من فرط حبكِ حتى صار حيرانـا
قد لان في الحب حتى صار مكتئباً والعـشقُ أضـرمَ فيـه اليـومَ نيرانـا
هل يشتفي منكِ بالثغر الرحيقِ إذا وتتركيــه علــى الأدنــين أزمانــا

[٤٦٠] السيد أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن أحمد ابن محمد بن القاسم بن يحيى ابن الأمير داود بن المبرجم بن يحيى بن عبدالله ابن القاسم بن سليمان بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن القاسم الحراري، نسبة إلى حرارة: قرية بالبون، ابن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن سلامة الشرفي[1].

كان خاتمة المحققين في العلوم، فصيحاً بليغاً، زكي الفهم، له عناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جليل القدر في صدور العامة والخاصة، وكان من أصحاب الإمام القاسم، وتولى له، ثم صحب الإمام المؤيد، وانتقل في أيامه من شهارة إلى مَعْمَرَة، من بلاد هَنْوَم، وكان مقصوداً بالنذور، وكان

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٧٩) (٨١)، «البدر الطالع» (١/ ١١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٨).

من التقشف والورع بمكان عظيم.

وصنف: «شرح الأساس الكبير»، و«شرحه الصغير»، وشرح الأزهار وسماه: «ضياء الأبصار»، وله رسائل كثيرة، و«شرح البسامة» في أربع مجلدات كبار، وتمم البسامة أيضاً.

وله أشعارٌ، **منها**: ما كتبه إلى صنوه السيد الحسن بن محمد الشرفي، وذلك أن السيد الحسن نزل إلى الشرف، وتزوج فيه، ولم يرجع لما هو بصدده، فكتب إليه يحثه على الرجوع:

أيا صاحِ كمْ بين امرئٍ ذي شهامةٍ	له هممٌ تعلو على الكوكب العالي
عـشيقِ حـسانِ المعـالي متـيمٍ	بأبكارها صَـبٍّ بهـا غيـرِ مكـسالِ
ترى حلـقَ التـدريس جنـةَ روحـه	يقطفُ من حافاتها الثمـرَ الحـالي
يحكم عقلاً قـد أنـار علـى هـوى	خـذولٍ غـرورٍ للمطيعـينَ قتـالِ
وآخرَ أعشاهُ امرؤُ القيس إذ عـشى	بعشق هوى نفسٍ لربـاتِ أحجـالِ
فقـالَ يمـينَ الله أبـرحُ قاعـداً	ولو قطَّعوا رأسي هناكَ وأوصـالي

توفي ثلث الليل الأخير، من ليلة الأربعاء، ثالث وعشري ذي القعدة، عام خمسـ[ـة] وخمسين وألف بمعمرة، من جبل هَنْوَم، **ومولده** سنة خمس وسبعين وتسعمائة.

[٤٦١] أحمد بن يحيى بن حنش.

كان فاضلاً تقياً صالحاً، مرضيَّ الحال، ولي القضاء للإمام أحمد بن الحسن، وكان له عنده مقام رفيع، وفوض إليه أعمالاً، وكان أهلاً لذلك،

وتولى للإمام المؤيد «تريم»، و«الشحر»، وحضر فتح «عدن» مع السيد أحمد ابن الحسن بأمر من الإمام المتوكل.

ثم سكن القاضي بظفار، ونقله الله إلى جواره في مشاهد سلفه، ودفن بالقرب من المشهد المنصوري، وكان مولده في شهر شعبان، سنة سبع وألف، في شهر شوال، وتوفي وقت الظهر، من يوم الخميس، سادس عشر ربيع الآخر، سنة ست وخمسين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٦٢] أحمد بن يحيى بن أحمد بن حابس[1].

عالمٌ كبيرٌ، وإمامٌ شهيرُ، تولى القضاء بصعدة بعد موت أبيه، وولي الخطابة بجامع الهادي والإمامة، ونشر العلوم للطالبين، منظومها ومعلومها، وكان من صغره سريع البادرة، يلتهب ذكاءً، مع كثرة العبادة، والانقطاع عن الناس، وآوى إلى كهفه بجهة واص.

و«شرح تكملة الأحكام» شرحاً معروفاً بالفائدة، وعمره ثمان عشرة سنة، وهو الذي ينقل عنه شيخ الشيوخ السيد محمد المفتي، ويسميه: الشارح المحقق، و«شرح شافية ابن الحاجب»، ولم يتمه، وكان إماماً في العربية، ورحل إلى الإمام القاسم، وجرى بينهما محاورات.

من جملتها: جواب الإمام على العلامة ابن الصلاح الشافعي بتعديل الصحابة جميعاً، وهو الذي نقله القاضي شمس الدين في «شرحه على الكافل»، وله «التكميل» كتابٌ جامعٌ حافلٌ في الفقه، كمل شرح ابن مفتاح بفوائد

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٣٤) (١١٧)، «البدر الطالع» (١/ ١٢٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٧٠).

وضوابط وتقريرات، وهذا الكتاب مغنٍ على سواه.

وله كتاب «المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن»، وكتاب «سلوة الخاطر» لا يستغني عنه فقيه، سيما من علقت به أمراس القضاء، وولاية الأحكام، جمع فيه غرائب، وابتدأه بطبقات الدعاة من آل محمد، وأدخل فيه شطراً من المساحة، وما يحتاج إليه المنتدية من معرفة الطالع والغارب، وقد علق به الفضلاء، وصار عمدتهم، وله «شرحٌ على الثلاثين مسألة» جمع فيه فأوعى، وكان يُضرب به المثل في سعة الصدر، والاحتمال والإغضاء.

توفي قبيل فجر يوم الاثنين، رابع عشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وألف، ودفن عند قبور سلفه ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٤٦٣] أحمد بن أحمد الخطيب الشوبري الحنفي[١].

شهاب الملة والدين، وحُجَّة المناظرين، وشيخ الإسلام والمسلمين، وبقية الفقهاء المحققين، وخاتمة العلماء العاملين، **ولد** ببلده، وقرأ القرآن، ورحل مع أخيه الشيخ محمد إلى الشيخ أحمد بن علي الشناوي، وأخذا بـ «مُنْية روح» عنه علوم الطريق، وبه تخرج في علوم القوم ـ نفع الله بهم ـ.

ثم قدم مصر، وجاور بالجامع الأزهر سنين، وروى الفقه وغيره عن عالم مصر علي بن غانم المقدسي، وعبدالله النحريري، وعمر بن نجيم صاحب «النهر»، وأخبرني شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي: أنه أخبره: أنه سمع جميع «صحيح البخاري» على شيخ الإسلام الشمس محمد المحبي الحنفي، وكان إذا فاته سماعُ درسٍ منه، يذهب إليه لبيته يقرؤه عليه،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٨).

وأجازه كثير من شيوخه.

وتصدر للإقراء والتدريس، وعم نفعه لأهل عصره؛ بحيث إن جميع علماء الحنفية من أهل مصر والشام، ما منهم إلا وأخذ عنه، وكان يلقب بمصر بأبي حنيفة الصغير، وتقدم أن أخاه محمداً كان يلقب بالشافعي الصغير، فلله درُّهما من أخوين نجيبين!

وكان ﷺ مشهوراً بالخير والصلاح والبركة لمن قرأ عليه، منعكفاً في بيته، معتزلاً عن جميع الناس، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، معتقداً للصوفية ـ نفع الله بهم ـ، وجيهاً مهاباً، لا يتردد إلى أحد، مجللاً عند جميع الناس معتقداً، كثير البكاء والخشية من ـ الله سبحانه وتعالى ـ، وكان صاحب أحوال وكرامات.

منها: ما أخبرني به شيخنا شاهين الأرمناوي: أن العلامة سري الدين الدروري، كان ينتقصه، وينكر فضله، وينكت عليه في مجالسه، فبلغه ذلك، فقال لبعض أصحابه: قل له: يقول لك أحمد الشوبري: المشاهد بيننا، فبلغه ذلك، فضحك منه، وقال: ما معنى هذه الكلمة؟ ولم يفهم مراده منها، فاتفق أنهما ماتا في شهر واحد، فكانت جنازة صاحب الترجمة حافلةً، لم يُر في عصره مثلُها؛ بحيث إن وزير مصر وقاضيها، وجميع علمائها وأمرائها، وخواصها وعوامها ومن فيها من الغرباء، اجتمعوا في مشهده، وحصل عليه جزعٌ كبيرٌ، وكان مشهداً عظيماً من مشاهد الأولياء، ولكثرة الناس فيها، لم يسعهم الصلاة عليه في الجامع الأزهر؛ كعادة أهل مصر، بل صلوا عليه خارج مصر، بسبيل المؤمنين، وكانت جنازة العلامة سري الدين كجنازة عوام الناس.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عام ستة وستين بعد الألف، وعمره ثلاث وتسعون سنة، وصلى عليه بالرُّمَيْلَة، إماماً بالناس، صنوُه شيخ الإسلام الشمس محمد الشوبري الشافعي ـ رحمهما الله تعالى ـ، ودفن بتربة السيدة سُكينة، بقرب محلة طيلون.

[٤٦٤] أحمد بن محمد الأسدي الشافعي المكي[1].

كان إماماً عالماً، وأديباً بارعاً جامعاً، جمع بين علوم جمة: فقه، وعربية، ولغة، وغير ذلك، وكان عارفاً بمذهب الإمام الشافعي، كثير الاطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة.

مولده عصر يوم الخميس، حادي عشر ذي القعدة، سنة تسع وعشرين وألف، خامس عشر درجة في الميزان بمكة، وبها نشأ.

ولازم في العلوم الشرعية ـ الفقه والتفسير والحديث ـ الشيخ العلامة المسند الرحلة، محمد علي بن علان الصديقي المكي، وكان شديد المحبةِ له من بين طلبته؛ لحذقه ونجابته، وقرأ على شيوخ كثيرين في فنون، وأجازوه.

وتصدر للإقراء بالمسجد الحرام، وانتفع به طلبة العلم، ونظم «شذور الذهب» لابن هشام في أرجوزةٍ عذبةٍ الألفاظ، سهلة المعاني، سماها: «قلائد النحور بنظم الشذور»، وقفتُ عليها عند ولده الفاضل محمد ـ أيده الله، وبارك فيه ـ، ثم لم يزل ملازماً للعبادة والإفادة، حتى اخترمته المنية، وهو شابٌّ، سنة ست وستين وألف بمكة، ودفن بالشبيكة.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٠٧) (٣٠٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٨).

وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: **قوله متغزلاً:**

دع المدامـة يعلـو فوقهـا الحَبَبُ ... رضـــابهُ وثنايـــاه لنـــا أربُ
نزّه فؤادك من راح الكؤوس وخذْ ... راحاً من الثغر عنها يعجـز العنـبُ
شـتانَ بـين حـلالٍ طيـبٍ وحـرا ... مٍ حامض يزدريـه العقـلُ والأدبُ
إذا تغزلـتُ فـي خمـر وفـي قـدح ... فمـا مـرادي إلا الثغـرُ والـشنبُ
لله درُّ مـــدامٍ بـــتُّ أرشـــفُها ... من في غزالٍ إلى الأتـراك ينتسبُ
مهندِ اللحظِ زنجيِّ الـسوالف لـم ... تحوما قد حـواه العجـمُ والعـربُ
أباحني وردَ خـدٍّ لـو يـشاهده الـ ... ـوردُ النصيبيُّ لاستولى به النَّصَبُ
قولوا لمن قال أن البـدر مكتسبٌ ... سَنًا من الشمس هذا باطـلٌ كـذبُ
قالت مباسمُه للبـرق حـين سـرى ... لقد حكيتَ ولكـن فاتـكَ الـشنبُ
وبتُّ أشدو على الغصن الرطيب لذا ... بيني وبينكِ يا وُرْقَ الحِمى نـسبُ
أفديـه مـن رشـأ نفـسٌ بـه تلفَـتْ ... من أجل شاماتٍ في الخدين تلتهبُ
يقول لما رأى دمعـي جـرى ذهبـاً ... يا مطلباً ليس لـي فـي غيـره أربُ
تَبَّـتْ يـدا عـاذلي عمَّـن أُعـوذه ... بالناس من نافثٍ أو غاسـقٍ يقـبُ
إن المحـــرمَ ســـلواني لطلعتـــه ... فقـلْ لـشعبانَ عنـي إننـي رجـبُ
كيف السلوُّ وعينـي كلمـا نظـرتْ ... لوامعَ البرق قالتْ زالت الحجـبُ
أم كيف أخلص والقلب الكئيب غدا ... عليـه طيـراً وفـي أجفانـه حنـبُ
يا عاذلي لا تُطِلْ بل إن رحمتَ فسا ... عْدني على وَصَبي لامَسَّكَ الوَصَبُ
هذي دموعي جرتْ من طول هجرته ... وما جرى في سبيل الحبَّ محتَسبُ

وقوله ـ عفا الله عنه ـ في مليح اسمه بلال:

ومليحٍ تكاملَ الحسنُ فيه ... لشقاء المحبِّ سُمِّي بِلالا
كلما رامَ منه نيلَ وصالٍ ... لا تراه يجيب إلاَّ بلا لا

وقوله ـ رحمه الله ـ مادحاً شيخه الإمام العلامة علي بن عبد القادر الطبري الشافعي الحسيني، ومستجيزه:

من أين للبدر جزءٌ من محياكِ ... أم للصباح نصيبٌ من ثناياكِ
والبدرُ يزريه ما يعلوه من كَلَفٍ ... والصبحُ يكفيه أن يدعى بأناكِ
وهل حوى الكأسُ ما يحويه ثغرُكِ من ... نفائسٍ لم ينلها غيرُ سواكِ
قد عزَّه عند ما يعلوه من حَبَبٍ ... قولُ الذي قال إلا خلية فاكِ
أنتِ البريئةُ من نقصٍ تُشان به ... حاشاكِ من وصمةٍ حاشاكِ حاشاكِ
كلُّ المحاسن في مرآك قد جُمعت ... فجلَّ من بجَليِّ الحسنِ حَلاَّكِ
من علَّم الظبيَ أن يرنو بناظره ... وعلَّم الغصنَ أن يهتز إلاَّكِ
والبيضُ عن لحظك الفتان راويةٌ ... والسُّمر تنقل ما يُمليه عِطْفاكِ
يا كعبةَ الحسن بل يا ركنَ كعبته ... تبارَكَ اللهُ من أنشا وسَوَّاكِ
رِقِّي لصبٍّ فقيرٍ من تصبّره ... بحقِّ من بكنوز الحسنِ أغناكِ
مُنِّي عليه بوصلٍ بات يرقبُهُ ... فطرفُه ساهرٌ مذ صار يهواكِ
أقسمتُ بالميم من طائيّ مبسمِها ... أو نونِ حاجبِ ذاكَ الناظرِ الشاكي
أنْ لا مليحَ سواها فهي واحدةٌ ... وما لها في المها شِبْهٌ ولا حاكي

أملى العذولُ سلُوي وهو مؤتفكٌ ... وعنكِ شيع هجري بعد إملاكِ
كيف السلوُّ وقلبي ما له شُغُلٌ ... إلا التفكرُ في تحقيق معناكِ
نعم بحضرةِ ذي الآلاءِ قدوتِنا ... ربِّ المكارم مولانا ومولاكِ
المفردِ العلمِ النحريرِ سيدنا ... الجوهرِ الفردِ في فهمٍ وإدراكِ
عليٍّ بنِ الإمامِ البحرِ مَن خُتِمت ... به الفضائلُ عبدِ القادر الزاكي
من حلَّ فوق الثريا منزلاً وسَمَا ... على السِّماكِ مَحَلاً فوقَ إدراكِ
حامي حمى الدين بالهنديِّ من لسنٍ ... عن شُبهة يفتريها كلُّ أفّاكِ

ومنها:

قالت لهمَّتِهِ الجوزاءُ حين رمتْ ... أطنابَها فوقَها أبعدْتِ مرماكِ
سرتْ معانيه في الآفاق ساطعةً ... فقال بدُر الدجى لله مسراكِ
من ذا يحاكيه في علمٍ وفي كرمٍ ... هيهاتَ ما شرفُ المحكيِّ كالحاكي
هنئتِ أُمَّ القرى بالحبر إذ طلعتْ ... شموسُ أنواره في أفقِ مسعاكِ
لقد فخرتِ على الأقطار قاطبةً ... بمن به اللهُ ذو الإحسان أولاكِ

ومنها:

يا أيها الحبرُ يا بحرَ العلوم ويا ... رحبَ العطاء وربحَ السائل الشاكي
إليكَ نظماً غدا كالدرِّ منتظماً ... لكنه فاقَه في حسنِ أسلاكِ
قصدي به دمتَ في عزٍّ وفي دعةٍ ... إجازةً منكَ يا ذا النائلِ الزاكي
بكلِّ ما لكمُ حقّاً روايتُهُ ... فجدْ بها منعِماً من غير إمساكِ

ثم الصلاةُ على أزكى الورى حَسَباً محمـــدٍ خيـــرِ أوّاهٍ ونَـــسَّاكِ
والآلِ والصحبِ والأتباع ما رُويـت من أيـن للبـدرِ جـزءٌ مـن محيـاكِ

[٤٦٥] أحمد بن محمد علي الجوهري المكي(١).

قال في «السلافة»: جوهري النثر والنظام، أزهري السجايا العظام، حلَّى بعقود نظمه عواطلَ الأجياد، وسبق بجواد فكره الصافناتِ الجياد، وتضلع من فنون العلوم، واطلع على خفايا المنطوق والمفهوم.

مولده بمكة، وبها نشـأ وترعرع، ورحل إلى الهند في عنفوان عمره، وابتداء حاله وأمره، فقطن بها خمساً وعشرين سنة، وعاد إلى مكة ـ شرفها الله ـ، فأنكـر تقلب أمورها، فانتقل منها إلى فارس، فطنب بها خيامه، ولـم يتم له مرامه، فرجع إلى الهند، ولـم يزل بها حتى دعاه أجله فلبّى، وقضى من الحياة نحبا، **فتوفي** ليلة الأربعاء، لثمان بقين من جمادى الآخر، سنة تسع وتسعين بعد الألف.

ومن رقيق شعره:

ما شِمْتُ برقاً سرى في جنحِ معتكرٍ إلا تـذكرتُ بـرقَ المبـسم العطـرِ
ولا صـبوْتُ إلـى خِـلٍّ أسـامرُه إلا بكيـتُ زمـانَ اللهـو والـسمَرِ
شَلَّتْ يـدُ النـوى مـا كـان ضـائرَه لو غادرتنا نقضِّي العيشَ بـالوطر
في خلسةٍ من ليالي الوصل مسرعةٍ كأنمـا هـي بـين الـوهنِ والـسحرِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٥٧) (٢٩١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٩٢).

لا نرقب النجمَ من فقدِ النديم ولا نستعجل الخطوَ من خوفٍ ومن حذر

وأهيـفُ القـدِّ سـاقينا براحتِـه كأنـه صـنمٌ فـي هيكـل البـشرِ

منعمـين وشـملُ الأنـس منـتظمٌ يربو على نظم عقـدٍ فـاخرِ الـدررِ

فمـا انتهينـا لأمـر قـد ألـمّ بنـا إلا وبـدّل ذاك الـصفوُ بالكـدرِ

لا درَّ درُّ زمـان راح مختلـساً مـن بيننـا قمـراً ناهيـكَ مـن قمـرِ

غزالُ أنسٍ إن تحلَّى في حُلَى بشر وبدرُ حسنٍ تجلَّى في دُجى شَعَرِ

وغـصنُ بـانٍ تثنـى فـي نقَـا كَفَـلٍ لا غصنُ بانٍ تثنى فـي نقَـا سَـدَرِ

كـأن ليلـي نهـارٌ بعـد فرقتـه مما أقاسـي بـه مـن شـدة الـسهرِ

يا ليت شعري هل حالتْ محاسنُه وهل تغير مـا بـاللحظ مـن حَـوَرِ

فإن تكنْ في جنان الخلد مبتهجـاً فاذكر معنَّى الأماني ضـائعَ النظـرِ

وإن تأنست بالحورِ الحـسانِ فـلا تنـسى الليـالي مـرّت مـع القـصرِ

وقوله:

كيـف أسـلو مَـن مهجتـي بيديـه وفــؤادي وإن رحلــتُ لديــه

إن طلبـتُ الـشفاء مـن شـفتيه جـادَ لـي بالـسَّقام مـن جفنيـهِ

إن حِلْـفَ الـسهادِ عـينٌ رأتْـه وجنــةُ وردِ وجنتــي خديــه

كلمـا رمـتُ سُـلُوَّهُ قـال قلبـي لا تلمْنـي علـى العكـوفِ عليـهِ

لـستُ وحـدي سـيّما فـي هـواه كـلُّ أهـل الغـرام تـصبو إليـه

وله مقاطيعُ سماها: لآلي الجوهري، **منها قوله:**

كيف يرجو العرفانَ بـالله مـن قـدْ قيدتـه الـذنوبُ طـولَ حياتِـهْ

لا لعمري أم كيف يُشرق قلبٌ ... صور الكائنات في مرآتِهْ

وقوله:

إذا مضت الأوقاتُ في غير طاعة ... ولم تك محزوناً فذا أعظم الخطبِ

علامةُ موت القلب أن لا ترى به ... حراكاً إلى تقوى وميلاً عن الذنبِ

وقوله:

إن حزت علماً فاتخذ حرفةً ... تصنْ ماء الوجه لا يبذَلُ

ولا تُهنه أن تُرى سائلاً ... فشأنُ أهل العلم أن يُسألوا

وقوله:

جانبِ اللهو والبطالة واحذر ... من هوى النفس إن أردتَ السعادهْ

واعبدِ الله ما استطعت بصدقٍ ... مطلبُ العارفين صدقُ العبادهْ

وقوله:

قل للذي يبتغي دليلاً ... من غير طولٍ على المهيمِنْ

ما ذرةٌ في الوجود إلا ... فيها دليلٌ عليه بيّن

ومنها في الغزل قوله:

ولقد سقتنا البابلية إذ رأتْ ... أنا نحدثها لننشر حسنَها

خمراً إذا رأتها العيون ما ذهبت ... منا العقول ولم تفارق دَنَّها

وقوله:

لما بدا البدر يجلو ... دجى الظلام وأسفرْ

ذكـــرتُ وجـــه حبيبـــي والـــشيءُ بالـــشيء يـــذكرْ

وقوله:

وأَســـمحُ النـــاس كفًّـــا مـــن لا يقـــول ويفعـــلْ
وأعـــذبُ الـــشعرِ بيـــتٌ يرويـــه عـــذبُ المُقَبَّـــلْ

وقوله:

لا تعذلوني في وقـت الـسماع إذا طربتُ وجداً فخيرُ الناس من عَذَرا
حتى الجمـادُ إذا غنـت لـه طـربٌ أما ترى العودَ طوراً يقطـع الـوترا

[٤٦٦] أحمد بن عبدالله بن أبي اللطف البري المدني الحنفي الخطيب[١].

أحد أعيان المدينة الشريفة، ورؤسائها المشهورين فيها بالبراعة وحسن العبارة من بين علمائها، رئيس الخطباء، وجمال الأدباء، الآخذ من العلوم بطرف كبير، مع بديع الشعر الرائق، والنثر الفائق، وحفظ أحاسن المحاسن من أخبار المتقدمين، ولطائف المتأخرين.

وُلد ـ كما أخبرني الثقة من أصحابنا، نقلاً عنـه ـ سنة أربع عشرة بعد الألف، بطيبة الطيبة، وبها نشأ، وقرأ القرآن بالروايات، وأخذ عن علمائها، ورحل إلى مكة، وأخذ بها عن جمع، وأجازوه، منهم: الشيخ العلامة عبد الملك العصـامي، صـاحب التصانيف الفائقة المفيدة، التي منها «شرح الشذور»، وغيـره، ومنهم: العلامـة عبد الرحمن بن عيسـى المرشدي، «شارح عقود

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٦٢) (٣٢٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٥٨).

الجمان في المعاني والبيان» للسيوطي، وعنه أروي مصنفاتهما ومروياتهما إجازة منه عامة.

ولما رحلت إلى المدينة الشريفة سنة ثلاث وثمانين وألف، اجتمعت به كثيراً، وكان ـ رحمه الله ـ بديع المحاضرة، عالماً بوضع كل شيء من فنون المحاضرة في موضعه، ويتولى الخطبة في المحافل الكبيرة فيجيد، وهو من بني عم الخطيب أحمد المالكي، إلا أنه تمذهب بمذهب أبي حنيفة، وصار رئيس الحنفية بالمدينة في عصره ـ رحمه الله ـ، وكان بينه وبين شيخنا الشيخ محمد مرزا بن محمد الدمشقي ثم المدني مودة أكيدة، وكان يوم الجمعة ـ غالباً ـ يأتيه إلى بيته، ويتذاكر ببديع الفوائد، وفرائد القلائد، وكنت ـ في الغالب ـ أحضر معهما؛ لما كان بيني وبين الشيخ محمد مرزا من المحبة والمودة الأكيدة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وله أشعارٌ حسانٌ، ونثرٌ أحسن، لا سيما خطبته التي كان ينشئها حال مباشرته للخطابة بالمسجد النبوي ـ على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ـ؛ فإنها فائقة بليغة.

ولما وصل القاضي الفاضل تاج الدين المالكي المكي للمدينة الشريفة، سنة أربع وخمسين وألف، **مدح أهلها بهذه الأبيات:**

يا ساكني طَيبةٍ فخراً فقد ... طابت فروعٌ منكمُ والأصولْ
وآيةُ الأنصار فيكم سرتْ ... كأنما المقصودُ منها الشمولْ
تُصفون محضَ الودِّ من جاءكُم ... فما عسى مادُحكم أن يقول
وليهنِكُم ما قد خُصصتم به ... فيا لها خصيصةً لا تزولْ

جـاورتمُ المختـارَ خيـرَ الـورى | وفــزتُم فــي ســوحه بــالحلولْ
وســـدتُم النـــاسَ ولا بـــدع أن | يـسود كـلَّ النـاس جـارُ الرسـولْ

فأجابه صاحب الترجمة:

أعظـمْ بأهـل الـركنِ مـن سـادةٍ | في مفـرق العليـاء جَرُّوا الـذيولْ
جيـرانُ بيـتِ الله مَـن قـدرُهم | تحـارُ فـي دَرْكِ مـداه العقـولْ
بمكَّـــةٍ حلُّـــوا فحلَّـــوْا بهـــا | جيـدَ المعـاني حليـةً لا تـزولْ
مَـنْ مـثلُهم والفـضلُ حقّـاً لهـم | ومـــنهمُ التـــاجُ إمـــامُ النُّقـــولْ
رئـيسُ هـذا العـصر مـن جلَّـةٍ | ســـمادعٍ غُـــرٍّ كـــرامٍ فحـــولْ
أخلاقـهُ كـالروض مـن لطفِهـا | ولطفُهـا يخجـل منـه الـشمولْ

ومنها:

أكـــرمْ بـــه إذ قـــال مـــن أجلنـــا | طابــتْ فــروعٌ مــنكمُ والأصــولْ
وآيـــةُ الأنـــصار فـــيكم ســـرتْ | لكننـــي بـــالإذن مـــنكم أقـــولْ
يـــا نخبـــةَ الأنـــصار مـــنكم لنـــا | حتى شـهدتُم وصـفكم لا يحـولْ
وأنـــتمُ جيـــرانُ ذاك الحمـــى | والآن أنـتمْ فـي جـوار الرسـولْ
جمعـــتمُ فـــضلاً إلـــى فـــضلكم | فـسُدتمُ النـاس وحَـقَّ المقـولْ

ومنها:

فـــالله ربُّ العـــرش ســـبحانه | يوليكُم الحسنى وحسَن القَبـولْ
حتـى توافـوا القـصدَ فـي نعمـة | تتـرى وعمـرٍ فـي سـرور يطـولْ

ودولــةُ الإفــضال تــسمو بكــم وتزدهــي طــوراً وطــوراً تــصولْ

مــا غــدت ورقــاءُ فــي روضــةٍ غَنًا وغنــتْ حــين طــابَ الــدخولْ

ومن لطيف ما اتفق للمترجم: أنه حضر خطبة بعض أعيان العلماء من أهل مكة، فأعجب لخطبته، وقال له: ما رأيت في الحرمين أخطبَ منك، فأجابه بديهاً، متمثلاً بقول يحيى بن سلامة الحصكفي:

إنــي لأســتحيي مــن الله كلَّمــا رأونــي خطيبــاً واعظــاً فــوقَ منبــرِ

ولــست بريّــاً بيــنهم فأفيــدهم ألا إنما يشفي المواعظ مَـنْ بـري

ومن لطيف ما اتفق لصاحب الترجمة مع تاج الدين المذكور: أنه رأى في العام الذي زار فيه التاج، كأنه في مجلس الدرس بالروضة النبوية، وإذا بالقاضي داخل من باب السلامة(١)، وهو قاصد الحضرة الشريفة، فلما قضى الوطر من التحية والزيارة، جاء بفضله إلى المجلس، وقعد، بعد تلقيه وتقبيل يديه، وأشار باستمرار القراءة، فألقى صاحب الترجمة الكراريس من يده، وأنشد:

أمولايَ تاجَ الدين لا زلتَ ذا عُـلاً على الهام والأوهام ليست لذا فِطَنْ

إذا كنـتمُ فـي مجلـس كـان أهلُـه بأجمعهم خُرْساً وأنت لك اللَّسَنْ

ثم انتبه وهو حافظ البيتين، ثم لم تكن عشرة أيام من هذه الرؤية، حتى وصل القاضي، فكان دخوله المسجد الشريف من باب السلام، وصاحب الترجمة في مجلس درسه، على الصفة التي كانت في الرؤيا، ثم لم ينشب أن

---

(١) كذا في الأصل.

تفضل وجاء إلى المجلس، فتلقاه في الموضع الذي جلس فيه، وأشار باستمرار القراءة، جرياً على عادته في التفضل والإحسان والجبر، فألقى الكراريس، وأنشده البيتين، ثم أخبره الرؤيا، فقضى العجب واستبشر، ثم بعد قيامه من المجلس، أنشده قوله معتذراً متشكراً:

لئن كان قدري مثلَ ما قلتَ عندما ... تواضعت إذ طبقتَ كتبك في الوسَنْ
فقد صحَّ بالأحرى اتصافُك بالذي ... وصفتَ به المملوكَ من ظنك الحسنْ
لأنـــي وإن أحـــرزت ذاك فـــإنني ... لديك أخا صمتٍ وأنت لك الّلَسنْ

ولم يزل ـ رحمه الله ـ يقرئ ويدَّرس بالمسـجد الحـرام النبوي، في فنونٍ شتى، حتى توفي رابع عشر شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وتسعين وألف، بالمدينة الشـريفة، ودفن بالبقيع الغرقـد ـ سـقى الله ضـريحه صيب الرحمة والرضوان، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان ـ.

ورثاه جمعٌ، منهم: الأديب البارع، أحمد بن إبراهيم ابن الشيخ العلامة عبد الرحمن الخياري الشافعي ـ رحمه الله ـ بقوله:

فَجَـــأَ الأنـــامَ جمـــيعَهم ... خطـــبٌ ألـــمّ بهـــم عجيـــبْ
ومـــصيبةٌ قـــد أوجبـــتْ ... للطفـــل فيهـــا أن يـــشيبْ
ورزيـــةٌ عظمـــتْ بـــدا ... ر المـــصطفى طـــه الحبيـــبْ
فقـــدَ الأنـــامُ الحـــافظَ الـــ ... ـــعلامةَ الـــشهمَ الأريـــبْ
فهّامـــةُ العـــصر المُليـــ ... ـــنُ بوعظـــه القلـــبَ الـــصليبْ
كنـــزُ الحقيقـــة مجمـــعُ الـــ ... ـــبحرين ذو الـــرأي المـــصيبْ

بـــدرٌ لليـــلِ المـــشكلا ت إذا ادْلَهَـمّ علـى الأريـبْ

شـمسُ المعـارف والعـوا رف قـد تـوارتْ للمغيـبْ

بحـرٌ مفـيضٌ للعلـو م فَبَـرٌّ ناديـه خـصيبْ

فلفقـدِ هـذا البحـرِ يـا عـين امطـري دمعـاً صَـبيبْ

تبكـي عليـكَ مجـالسُ التْـ ـتَدريس لـو يُغنـي النحيـبْ

وكـذا المنـابرُ والمحـا فـلُ والبعيـدُ مـع القريـبْ

وبكتْـكَ خـلانُ الوفـا وبكـاك وِلـدانٌ وشِـيبْ

وعلـومُ آدابٍ بكـتْ إذا مـا لـداعيها مُجيـبْ

وكـذاك ربـعُ الفـضل مـذ فارقْتَـه مثـلَ الغريـبْ

نفـديك أنفـسنا ولـو يُجـدي الفِـدا فُـدي الحبيـبْ

كـلٌّ يعـزي نفَـسه إذ فـي جنابـك قـد أُصيـبْ

فَلِهَـوْلِ هـذا الخطـب جيـ ـشُ الهـمِّ منهـزمٌ رغيـبْ

والـصبرُ يُحْمَـد دائمـاً إلا عليـكَ هـو المعيـبْ

مـولايَ فـاهْنَ بجنـة الـ ـفردوس والمـأوى الرحيـبْ

اختـارك المـولى لـدا ر الخلـد كـي فيهـا تَطيـبْ

مـذ قيـلَ لـي مـا ضـبطُ هـ ـذا الأمـرِ والخطـبِ العجيـبْ

فأجبتـهُ متأوهـاً بلـسان محـزون كئيـبْ

زِل أول الأعـداد مـن تاريخـه تكـنِ المـصيبْ

واسـمع فقـد وافـى لنـا تاريخـه (مـات الخطيـبْ)

وخلف المترجم ـ رحمه الله تعالى ـ ولدين فاضلين، أكبرهما الخطيب عبد البر، والثاني الخطيب إبراهيم، ولهما أشعارٌ حسنةٌ، والحمد لله وحده.

[٤٦٧] السيد أحمد بن محمد بن صلاح القطايري.

كان من أجلاء العلماء، وفي العربية إماماً محققاً، وعمّر كثيراً، اتصل أولاً بالإمام القاسم. وكان من المناضلين عن منصبه، والقائمين معه، وله قصيدة جواب على السيد العلامة عبدالله بن علي بن الحسين، المتعارض هو والإمام القاسم.

فمن جواب السيد أحمد المترجم له قوله:

وتقول في الأشعار أحدثَ قاسمٌ ... سواءً وما حدثتْ بدولة قاسمِ
إلا الحروبُ المصرمات على العدا ... الناقماتُ بكل عادٍ ظالمِ
من جَرَّعَ الأعداء سماً ناقعاً ... في كل حطٍّ مصرمٍ متلاحمِ
بأسنةٍ عند اللقا وصوارمٍ ... ورداةِ حربٍ مقدمين بقاصمِ
وبنادقٍ تحكي الرعودَ قواصفاً ... ورصاصُها حتفُ العدو اللاحمِ
وشواربٍ كالشهب تهوي في الهوا ... رصداً يحافظ خطفه من راحمِ
يحملْنَ كلَّ فتى هزبرٍ أرْوَعٍ ... ثبتِ الجنان لدى الوقائعِ باسمِ
سل عنه ذاتَ السود أو أسافهم ... وثلا وذا مدعٍ ودارَ مرازمِ
تخبرْك عن نبأ يقينٍ أنها ... سقتِ العدا بها كؤوسَ علاقمِ

وهي طويلة ختمها بقوله:

والله يرعى للشرائع حقَّه ... ويديمُ بهجته بعزٍّ دائمِ

مـا دام فهـو حتـوفُ كـلِّ معانـد وسـحاكُ أفئـدةٍ وسـحقُ حلاقـمِ

واللهُ يخـتـم بالرضـا أعمالَنـا والمـؤمنين وتوبـةً للنـادمِ

ثـم الـصلاةُ علـى النبـيِّ وآلِـه ما غردَتْ في الأَيْك وُرق حمائم

وله مرثيةٌ في الإمام القاسم، جمع فيها الرثاء، والتهنئة بقيام ولده الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسـم، وكان في أيامه من عيون أهل بيته، وتولى جهة آنس، ثم استقر ببلاده، وأعمالها منوطةٌ به، إلى دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وأخذ منها بشطر صالح، واتفق أنه زار السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال إلى رعافة، فقال السيد ـ رحمه الله ـ:

فـأهلاً بأقـدامٍ حَبَتْنـي زيـارةً وما كنتُ أهلاً للنهوض إلى عندي

ولا غـروَ إن زار العظـيمُ محقَّـراً فقد ينهضُ المولى إلى ساحة العبدِ

فأجابه المترجم بقوله:

بـل أنـتمُ النفـرُ المـستوجبون لأَن نمشي إليكم ولو مشينا على الخَدِّ

لأنكـمْ مـن سُـلالاتِ النبـيِّ وقـد حزتمْ بفضلكم مجداً إلـى مجـد

توفي في شهر ربيع الأول، سنة ست وتسعين وألف، في وادي قراصى، من بلاد أبي الحطاب، وقبره بصرح المسجد، بقرية آل يعيش، مشهور مزور ـ رحمه الله ـ.

[٤٦٨] شـهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي نسبةً إلى قليوب: قرية بشرقية مصر الشافعي[١].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢).

الشيخ الإمام، العالم العامل، شيخ الإسلام، ومرجع العلماء الأعلام، في مشكلات المسائل العلمية العظام، وعالم الجامع الأزهر، الذي أشرق بنوره وأزهر، والقائم بأعباء تبليغ العلم النافع، وبثه بقلمه ولسانه، والمرشد الداعي على بصيرةٍ إلى الله في سره وإعلانه، والقانع من الدنيا باليسير، والزاهد عن الكثير، الذي اشتهرت مناقبه وفضائله، وعمت في الخافقين فواضله.

أخذ الفقه والحديث عن العلامة الشمس محمد الرملي، ولازمه ثلاث سنين، وهو منقطع ببيته، ولازم العلامة النور الزيادي، وسالماً الشبشيري، وعلياً الحلبي، وأحمد بن خليل السبكي، والشيخ محمد بن الطحان، وغيرهم من مشاهير الشيوخ، وعنه: شيخنا منصور الطوخي، وإبراهيم البرماوي، وشيخنا شعبان الفيومي، وغيرهم من أكابر الشيوخ.

وكان ـ رحمه الله تعالى[1] ـ مهاباً، لا يستطيع أحد أن يتكلم بين يديه، إلا وهو مطرق رأسه؛ وَجَلاً منه وخوفاً، لا يتردد إلى أحد من الكبراء، ويحب الفقراء، ولا يقبل من أحد صدقة مطلقاً، بل كان في غالب أوقاته يُرى متصدقاً، وليس له وظائف ولا معاليم، ومع ذلك كان في أرغد عيش، وأطيب نعيم.

وكان متقشفاً، ملازماً للطاعات، وصنوف العبادات، ولا يترك الدرس في غالب الأوقات، جامعاً للعلوم الشرعية، متضلعاً من العلوم العقلية، وأما معرفته بالحساب والميقات والرمل، فأشهر من نار على جبل، وإمامته في العلوم الحرفية، والأوفاق، والزايرجة السنية، وغير ذلك من الفنون العلمية، والمعارف الخفية، مشهورةٌ عند البرية.

---

(١) في الأصل: ﷺ.

وكان في الطب ماهراً خبيراً، وبفنونه عارفاً بصيراً، واتفق أنه دخل على والدي ـ رحمه الله ـ، وكان من أعز أصحابه، يعوده في مرض موته، فدخل عليه الطبيب، وهو عنده، فأمره أن يحتقن، وذهب الطبيب من عنده، فقال له: اصبر أياماً، ولا تحتقن اليوم، ثم لما خرج من عنده، نادى جماعة والدي حاضرين، وقال لهم: لا تعالجوه بشيءٍ، ولا تمنعوه عن شيءٍ؛ فإنه يموت في الساعة الثالثة، من الليلة الثانية، فكان كما قال، وتوفي إلى رحمة الملك المتعال.

وكان حسن التقرير، ويبالغ في تفهيم الطلبة، ويكرر لهم تصوير المسائل، والناس في درسه كأن على رؤوسهم الطير، وألف مؤلفاتٍ كثيرةً عمَّ نفعها، وعظم عند أهل الفضل وقعُها، منها: «حاشية على شرح المنهاج» للجلال المحلي، و«حاشية على شرح التحرير» لشيخ الإسلام، و«حاشية على شرح أبي شجاع» لابن قاسم الغزي والخطيب الشربيني، و«حاشية على شرح الأزهرية»، و«حاشية على شرح الشيخ خالد على الآجرومية»، و«حاشية على شرح إيساغوجي» لشيخ الإسلام، و«رسالة في معرفة القبلة بغير آلة»، و«كتاب في الطب جامع»، و«مناسك الحج»، وغير ذلك من الرسائل والتحريرات المفيدة.

توفي بمصر، سابع عشري شوال، سنة تسع وستين وألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله ـ.

[٤٦٩] أحمد بن محمد المدني ابن يونس المدعو عبد النبي، الملقب نفسه: القشاشي، ابن الشيخ الكبير أحمد بن علي بن محمد بن يوسف بن

حسن بن ياسين الدجاني ـ بتخفيف الجيم ـ؛ نسبة إلى دجانة: قرية من قرى بيت المقدس[1].

الشيخ الإمام، مقتدى الأعلام، الأستاذ الكبير، العارف الشهير، ذو التصرف التام في العالمين، ومرشد السالكين، وإمام الحرمين، وغوث زمانه، وقطب أوانه، كان ـ روّح الله روحه ـ من المصطفين الذين أورثوا الكتاب، إذا تكلم في الحقائق، أيدها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

حاملُ راية الهداية لسبل الولاية، بكف العناية، لأهل البداية والنهاية، الباذل لطلاب الإفادات موائد التوضيح والبيان، والناشر لهم من ذخيرة التنقيح ومعونة التلقين الطراز المعلم بجواهر التبيان، ناظورة ديوان المعارف في فك رموزها، وإزاحة إشكالها، والواقف من مقاصد مواقفها ومواقف مقاصدها على عين الإصابة من نتائج أشكالها.

شيخ المشايخ الأعلام، والآية المأثورة بأقلام الألسنة وألسنة الأقلام، ملحِقُ الأصاغر بالأكابر، ووارث أعلاق السيادة كابراً عن كابر، مسند الدنيا على الإطلاق، وبركة الوقت المنتجع إليها من أعماق الآفاق، وشيخ الشيوخ العارفين بالله في زمانه، وفريد وقته في علوم الشريعة والحقيقة وأصول الطريقة في أوانه.

الذي انتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله سبحانه وتعالى، وظهرت بركة أنفاسه على خلقٍ من العصاة فتابوا، ووصل به خلقٌ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٤٩٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٩).

إلى الله، وصار له أصحابه كالنجوم، وأقعد في آخر عمره، ولم يخل بشيء من أوراده على العموم، وكان جده الشيخ أحمد الدجاني، شريفاً حسيني النسب؛ فإنه كما وجد في وثائق القضاة ببلده: أحمد ابن السيد الشريف علاء الدين علي ابن السيد الحسيب النسيب محمد بن يوسف بن حسن بن ياسين البدري، نسبةً إلى السيد بدر الولي المشهور، المدفون بزاويته، بوادي النسور، ظاهر القدس الشريف، وله ذريةٌ لا يحصون كثرةً.

قال صاحب «أنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»: ومناقبهم لا تحصى، وذكر منهم جماعةً، وساق نسب السيد بدر، فقال: بدر بن محمد بن يوسف ابن بدر بن يعقوب بن مظفر بن سالم بن محمد بن محمد بن زيد بن علي ابن الحسن بن العريض الأكبر بن زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إلا أن الشيخ الدجاني، كان يخفي نسبه؛ اكتفاءً بنسب التقوى، المقتضي للتنصل عن أسباب الفخر والجاه في الدنيا، فتبعته على ذلك ذريته.

وكانت والدة الشيخ محمد المدني من ذرية سيدنا تميم الداري، وهم كثيرون ببيت المقدس، ووالدة صاحب الترجمة من بيت الأنصاري، ولهذا كان يكتب بخطه تارةً: أحمد المدني الأنصاري، وتارة: سبط الأنصار، وجده الشيخ يونس هو الذي خرج من القدس، وسكن المدينة، وجد أبيه الشيخ أحمد الدجاني مشهورٌ في القدس، يستنجد به.

ولد رضي الله عنه بالمدينة، في ثاني عشر ربيع الأول، سنة إحدى وتسعين ـ بتقديم التاء ـ وتسعمائة بالمدينة، وبها نشأ، وحفظ القرآن، ورباه والده، وأقرأه بعض المقدمات الفقهية على مذهب الإمام مالك؛ لأن والده تمذهب

بمذهب شيخه الشيخ محمد بن عيسى التلمساني، وكان من كبار العلماء الأولياء بالمدينة، ورحل به والده إلى اليمن سنة إحدى عشرة بعد الألف؛ فأخذ عن أكثر علمائه وأوليائه، خصوصاً شيوخ والده الموجودون إذ ذاك؛ كالشيخ الأمين بن الصديقي المرواحي، والسيد محمد الغرب، والشيخ أحمد السطيحة الزيلعي، والسيد علي القبع، والشيخ علي بن مطير، ومكث عند والده مدةً.

ثم حدث له وارد مزعج، فخرج سائحاً من اليمن حتى وصل إلى مكة، فمكث بها مدةً، وصحب فيها جماعةً من الأكابر؛ كالسيد أبي الغيث شجر، والشيخ سلطان المجذوب، وعاد إلى المدينة، وصحب بها الشيخ أحمد بن الفضل بن عبد النافع ابن الشيخ الكبير محمد بن عراق، والشيخ الولي عمر بن القطب بدر الدين العادلي، والشيخ شهاب الدين الملكائي، وغيرهم.

ثم لازم خدمة الشيخ الكبير أحمد بن علي الشناوي، الشهير بالخامي الشافعي الصوفي، وتمذهب بمذهبه، وسلك طريقته، وقرأ عليه كتباً في مشربه، وأخذ عنه الحديث والأصول، وكتب الفقه، و«الجواهر» للشيخ محمد الغوث وغيره، ولا زال ملازماً له، حتى اختص به، وزوجه ابنته واستخلفه، ثم أخذ عن رفيق شيخه في الإرادة السيد أسعد البلخي، ولازمه حتى مات، وورث أحواله.

ثم صحب خلقاً يطول تعداد أسمائهم، وكان جملة من أخذ عنهم في طريق الله نحو مائة شيخ، منهم: الشيخ عبد الحليم الكجراتي، خاتمة أصحاب الغوث مؤلف «الجواهر الخمس»، ومنهم: العلامة الملا شيخ الكردي، قرأ عليه في العربية وغيرها.

ولم يزل على كماله، وقوة حاله، حتى انتفع الناس به، على اختلاف طبقاتهم، وانتشـر صيته، وكثرت أتباعه في أقطار الأرض، وشهد له أولياء وقته بأنه الإمام المفرد؛ كالشيخ أيوب الخلوتي؛ فإنه كتب إليه كتباً يقول في بعضها: إني لأعلم أن لكل وقت صمداً يصمد إليه في الأمور، وإنك والله صمد هذا الوقت، ثم ساق الكلام على هذا النمط، إلى آخر الكتاب.

قال شيخنا الملا إبراهيم: فلما قرأ الشيخ الكتاب، أمرني بكتب الجواب؛ كما هو عادته معي آخر أمره، فقلت: يا سيدي! إن هذا لا أقدر أن أجيب عليه، إنما يجيب عليه أنت، ولكن إذا كتب سيدي الجواب، فليطلعني عليه، قال: وإنما امتنعت عن الجواب؛ لأن المرء لا يخبر أحد عن حاله إلا نفسُه، وهذا عارفٌ يكاتب عارفاً، ويصفه بالصمدانية، التي هي القطبانية العظمى، فمن أين لمثلي أن يجيب عن ذلك بنفي أو إثبات؟

قال: فلما كتب الجواب، وأطلعني، وجدته قد افتتحه بقوله: الحمد لله على ذلك كذلك، فقلت في نفسي: هذه البغية، فلا أعظم من شهادة هذا العارف له بالقطبانية، وتصديقه هو له في ذلك بحمد الله على ذلك، والإقرار أنه كذلك.

ومنهم: المولى العارف بالله مقبول المحجب الزيلعي، والسيد عبدالله بن شيخ العيدروس؛ بحيث إنه أخذ عنه في أيام زيارته المدينة، ومنهم: السيد العلامة الولي بركات التونسي، والسيد عبد الخالق الهندي.

بل أخذ عنه كبار الشيوخ؛ كالسيد العارف بالله عبد الرحمن المغربي الإدريسي، والشيخ عيسى الجعفري المغربي، والشيخ مهنا بن عوض بامزروع، والسيد عبدالله بلفقيه، وجماعةٌ من علماء السادة بني علوي، ومن فقهاء اليمن

من بني جعمان وغيرهم.

ومنهم: نتيجة الجلّ، وزبدة الكل، شيخُنا العارف الصمداني، والعالم الرباني، وخليفته الروحاني، إبراهيم بن حسن الكوراني الشهراني ـ متع الله بحياته القاصي والداني ـ؛ فإنه به تخرج، وبعلومه انتفع، ولازمه مدة حياته، وصار خليفته في التربية والإرشاد بعد مماته.

وكان ﷺ إمام القائلين بوحدة الوجود، التي عليها محققو أهل الكشف والشهود، حافظاً للمراتب الشرعية، متضلعاً من أذواق السنة النبوية، كثير النوافل والصيام، كامل العقل والوقار والاحتشام، وصل ـ نفع الله به ـ إلى مقام الختمية في عصره.

فقد قال ـ فيما أخبرني به إجازةً شيخُنا إبراهيم المذكور، وسماعاً شيخنا حسن العجيمي ـ، قال: وجدت بخطه ـ قدس الله سره ـ على هامش رسالة السيد العارف بالله سالم بن أحمد شيخان باعلوي المسماة بـ: «شق الجيب في معرفة رجال الغيب» عند قوله: والختم، وهو واحد لا في كل زمان، يختم الله به الولاية الخاصة، وهو الشيخ الأكبر. انتهى ما نصه الذي يتحقق وجدانه: أن الختمية الخاصة مرتبةٌ إلهيةٌ، ينزل بها كل واجد لها حسب وقته وزمانه، غير منقطعة أبد الآباد، إلى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول: الله الله، بعدم خلو المراتب الإلهية عن القائمين بها، حتى يصير القائم بها كالصفر الحافظ لمرتبة العدد فيما قبله وبعده، بأنفاسه تتم المصالح، وتقضى الحاجات، لو أنهم ألف ألف في عديدهم، عادوا إلى واحد فرد بلا صمد، وقد تحققنا بذلك حقاً، ونزلناه منازله وصدقاً؛ ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

ومِمن رأيته من مشايخي، من أهل الختمية المذكورة، سنداً متصلاً منا إليهم، من غير انقطاع بإذن الله تعالى، سادسهم كلبهم لا رجماً بالغيب، وربه. . .[1]، ثم قال بعدها: قاله عبد الجميع أحمد بن محمد المدني، ومثله رضي الله عنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام، إلا عن إذن إلهي، ونفث روعي.

وكانت **وفاته** بالمدينة، يوم الاثنين، تاسع عشر ذي الحجة، سنة إحدى وسبعين ـ بتقديم السين ـ مريضاً بالحصر، ودفن بالبقيع الفرقد، شرقي قبة السيدة حليمة السعدية ـ رضي الله عنها، ونفع به ـ.

كذا أخبرني شيخنا إبراهيم الكوراني، إلا أنه عبّر عن الوفاة بالعرس، فقال: عرسه كان يوم كذا إلى آخره، وسألته عن ذلك، فقال: إن هذا اصطلاح مشايخ الهند، وقد صدقوا؛ فإن اجتماع العارف بربه، وخروجه من سجن الطينة الدنيوية، إلى فضاء الأرواح القدسية، خير أيامه وأسعدها وألذها، فتسميته عرساً أنسب. انتهى.

وله ديوان شعرٍ سافر المحيا، لمن طاف به وحيّا.

فمن شعره قوله:

إليك أخا وجدٍ فإن مصابنا ... بعين بها كأس المدامة أوّاها

تحسَّسْت ضيعَ الراح حتى أدارها ... بمثيلة وجد داؤها عين أدواها

فلما ترقَّت خمرةُ الحب وانتشت ... وهزَّتْ بها عطفي سناها فأبداها

مهللة تغشى أسرة وجهها ... بواعث نور العشق تهيا بمأتاها

ألاحتْ لعشاق الجمال بنابلٍ ... نزير يسير فضله من ضمناها

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «وربه» بياض يسع كلمة».

شـراباً طهـوراً مـن لـدنها مـدارُه بكلتـا يـديها نحلـةٌ مـا تمناهـا
فما بلغوا المعشار من سؤر كاسِها وما برحوا طـولَ الـدوام أسـاراها
فلمـا بـدت بالوجـد شـوقاً لهـم وقد تغشتهم بالنور في حي أضواها
أقاموا بـه يبغونـه وهـو مـنهم الـ ـمشيئةُ ما شاؤوه والكلُّ مـسعاها
فـأبقتهُمُ صـرعى الغـرام بـدرها مدى الدهرِ لاَ يْحَيْون إلا بمحياها
فعيـشهمُ العـيشُ الرغيـدُ وحبـذا النعـيمُ المقـيمُ المـستمرُّ بمأواهـا
علـى كـلِّ حـال بـالنوال مفيـضة بإمدادها والكلُّ فـي بعـضها تاهـا
فـدونَكُم أهـلَ الغرامـة وارغبـوا فـأنتم لهـا عـينُ المـراد ومرعاهـا
وأنـتمْ لهـا كـل البواعـث حيثمـا تولَّت فواخر الستر فالكشف يأباها
فاسـمُكمُ اسـمُ المليحـة أنـتم حجابٌ عليكم مـا تبـدَّى محيَّاهـا

وقوله ﷺ :

أضاءت لنا بـالرقمتين علـى نجـد لوامعُ أنـوارٍ فهـيَّجنَ بـي وَجـدي
وذكَّرْنَنـي العهـدَ القـديم ورامـةً وأوقاتِ أنسٍ ما برحتُ بها أسدي
وكـأسَ مُـدام أدهقَتْـه كريمـةٌ تسمَّت بأسماها الرباب معـا هنـدِ
فلما تحسّى القـومُ كـأس غرامهـا غـدو لهـا يـشدون بـالعلَم الفـردِ
فهم فتيـةٌ صـرف الغـرام قـوامهم بمشهدها الأهنى لدى صفوةِ الجندِ
فساروا بها نحـو الإضـاءة يبتغـوا خلاصاً إليها والبنـودُ لهـم تهـدي
أَذِلاَّ لـسلطان المليحـة صـبوةً وذلُّ الهوى مستعذَبُ الصدرِ والورْدِ
فلما اجتلوا للإسـم جـالَ بوسـمِه فأبـدى مـسمَّاه بزينـبَ والدَّعْـدِ

وجار وما جار في الدور سائرٌ		إليه به حيث ابتداهُ إلى العَودْ

وقوله:

يا قرةَ العين إن العين فيك جلت		مخضَ العيان بمسموعٍ ومبصورِ
فامنعْ قواك على علم بذاك		فذا الغيثُ شاهدنا في كل منظورِ
هذي صلاةُ الذي دامت صلاتهم		مذ حافظوا بدوام النفخ في الصور

وقوله:

وفي مهجتي من نار وجدك فارضٌ		يقسِّمُ مرآةَ الصبابة للكلِّ
يُعَشِّقني فيه إليه بوجهه		بوحي وتكليفٍ على ملة الرسْلِ
ويدعو إلى صرف اللقاء بموت ما		تراءاه وهمي مذ تعَّينَ بالشكلِ
فهل من سبيلٍ والكفاح مصرحٌ		بوجهِ محيًا طالعِ البدر في نزلِ
ففي الفرقِ تعذيبٌ عذوبةَ مائه		مجاذبةَ الأسماء في شاخصِ الظلِّ
وإنيَ ذا المجذوبُ والكلُّ جاذبٌ		وقبَلتُنا الشطرُ الحرام مع الكلِّ

وقوله:

لا تُعِرْ عقلَك لغيرِكْ		فترى من بعدُ تندمْ
إنما العقلُ ضياءٌ		يهدي للتي هي أقومْ

وذكر الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: أن سبب تلقيب جده يونس بعبد النبي أنه كان يجمع الفقراء، ويأتي بهم إلى المسجد، ويدفع لهم الأجرة؛ ليصلوا على النبي ﷺ يومهم، فسمي لذلك عبد النبي، وكان يبيع بالمدينة القشاشة، وهي سقطُ المتاع من الأشياء التي تُسترخص من أي نوع؛ من نعال،

وخرق، ومحابـر، وإبر، وغير ذلك مما يحتاج إليه الفقراء، فسمي لذلك: القُشاشي ـ بضم القاف وتخفيف الشين ـ.

أخبرنا شيخنا الملا إبراهيم: أنه قدم رجل من اليمن، يقال له: القَشَّاشي ـ بفتح القاف والشين المعجمة المشددة ـ، فجاء إلى الشيخ، وقال: يا سيدي! أنت منا ـ يعني: في النسـبة ـ، فقال: لا، نحن قُشاشـتنا سـماوية، وأنـت قُشاشتكم أرضية، يشير ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الرفع والخفة في الأولى، وإلى النصب والثقل في الأخرى، ويشير أيضاً، إلى: أن نسبتنا اكتسبناها من الفرار إلى الله، والتعلق به، وهضم النفس، ونسبتكم اكتسبتموها من الأسباب الدنيوية، والاستكثار منها.

لأن القَشَّاش في العرف: هو التاجر الذي يبيع أصنافاً كثيرةً، من التجارة المطلوبـة لكل أحـد، بخـلاف القُشاشة المتقدمة، فلا يشتريها إلا الفقراء، ولا يشتغل ببيعها، سيما إن كان ذلك عن اختيار، لا عن ضرورة، إلا من ذلت نفسه، وقصد بذلك نفع الفقراء؛ كهذا الشيخ.

وكانت طريقة أسلافه في السلوك قادرية، ومذهبهم في الفروع مالكية، فنشأ المترجَم سالكاً على طريقتهم، متمذهباً بمذهبهم، إلى أن اتصل بالأستاذ الشيخ أحمد بن علي الشناوي، فاقتضت محبته له، وشدة اتباعه له، واقتداؤه به في سائر تقلباته؛ كما هو شأن المريد الصادق، مع شيخه الحاذق إلى أن تمذهب بمذهب شيخه في الفروع أيضاً، وكان الشناوي شافعياً.

وكان الشيخ يقول: تشفَّعت بالشيخ، وهو كلامٌ بليغٌ موجّهٌ كما ترى، أن يحتمل التشفع به إلى الله تعالى؛ لأن شيخ المريد شفيعه، أو تصيّره شافعياً بسببه، وكلاهما حاصل.

وكان الشيخ أولاً قد قرأ في المذهب المالكي عدة مؤلفات، فلما انتقل إلى مذهب الشافعي، وقرأ كتب أصحابه، صار يفتي في المذهبين.

وقد أخبرني شيخنا الملا إبراهيم عنه: أنه قال: قرأت «المقدمة العشماوية» في مذهب مالك على النبي في المنام كلها.

ورأيت بخط صاحبنا الشيخ حسن بن علي العجيمي، في رسالةٍ له: أن الشيخ أخبر أنه قرأ على النبي ﷺ في النوم القرآن كله من أوله إلى آخره، وهذه منقبةٌ عظيمةٌ لهذا الإمام؛ فإن المشايخ قديماً وحديثاً كانوا يتباهون بقراءة آيةٍ، أو سورةٍ، أو بعضها على النبي ﷺ في النوم، وينقلون ذلك مسلسلاً بأسانيدهم، وهم يروون ذلك من أجل المفاخِر، وإن كثرت فيه الوسائط، فكيف بمن قرأ القرآن كله على رسول الله ﷺ![1]

ولا يذهبن بك الوهم الكاسد، والتخيّل الفاسد، إلى أن الشيخ انتقل عن مذهبه، ومذهب أسلافه المالكي إلى مذهب الشافعي؛ لهوى نفسٍ، أو تحصيل رياسةٍ، أو ولاية منصب؛ كما هو شأن كثير من أرباب النفوس في هذه الأزمنة، خصوصاً مذهب الحنفية؛ فقد كثر المتقلون إليه في هذه الأزمنة لأغراضٍ فاسدةٍ، حداهم على ذلك وجوه الملك والرياسة في أهل ذلك المذهب، وهذا شأن من لا خَلاق له ولا دين، وإنما الحامل للشيخ على

---

(١) يكثر في دعاوى المتصوفة وأدعياء الطريق، أخبار المنامات وما وقع لهم فيها، فلا يستطيع أحدٌ نفي أو إثبات ما يقع في المنام، ولهم في ذلك قصص وخرافات ملئوا بها كراماتهم وخوارقهم، ومن ذلك رؤيا الأنبياء والصالحين والكشوف الغيبية، وما يدعونه من مراتب ومقامات، نسأل الله سبحانه السلامة في الدين والعقل، ونبرأ إليه عز وجل من كل زيف وكذب.

التمذهب بمذهب الشافعي: ما ذكرنا أولاً من إقتدائه بالشيخ الشناوي، وسلوكه على يديه في الحقائق.

وكان ذلك في زمن تعطشه إلى موارد الحقيقة، في عنفوان إقباله على السلوك بكليته، فوجد عند الشيخ الشناوي ﷺ منهلاً بارداً، وماءً مَعيناً، وزلالاً صافياً، لا يظمأ من شرب منه أبداً، ولا يروَى منه مع تتابع السقي مُجدَّداً.

فاستولت بذلك عليه روحانية الشيخ، وغاب كله في كله، فلم يبق له حيئذٍ مذهبٌ ولا رأي إلا مذهبه ورأيه في مصادره وموارده، حتى في العادات، فضلاً عن العبادات؛ بحيث لو أن الشيخ انحرف طبعه ومزاجه عن أكل طعامٍ مّا، أو فاكهةٍ مّا، لما وجد المريد في حال اتحاده بالشيخ مساغاً لذلك، وغُصَّ ريقه عند تناوله.

وفي هذه الحال، وتمكنها من المريد، يتهيأ سريان جميع ما أودع الله من المعارف في قلب الشيخ إلى قلب المريد، بسهولةٍ من غير تكلفٍ ولا تعمّل، ويتخلق جنين المعرفة في قلب المريد ويتكون، ولا يزال مع شدة الاتصال ينمو، إلى أن يصير بشراً سوياً، فيكمل خلقه وولادته وفطامه، في الأمر الذي قدر الله، فإذا بلغ أشده، فحينئذٍ يتمكن انفصاله عن الشيخ، وتمايزه عنه؛ كانفصال الولد الحسيِّ عن والده، مع أن أصله منه، ومبدأ نشأته منه.

ولولا شدة الاتصال الكائن بين الأبوين، في مبدأ نشأة الولد، وتمازج مائهما في حال لا يمكن في الحس أن يقع أكثر منها اتصالاً، تكون الولد وتخلق من النطفة، فلو وقع أدنى انفصال بين النطفتين يتمكن معه من دخول ريحٍ بينهما، لفسدت النطفة، واستحالت إلى شيء آخر.

فكذلك الولادة المعنوية، ما لم تمازج الأسرار الأسرار، والقلوب

القلوب، وتتحد الأوصاف بالأوصاف، وتغيب الأرواح في الأرواح، حتى لا يبقى تمايز إلا في الأشباح، لا يتخلق جنين المعرفة في باطن المريد، فإن فارقه بعد تخلقه أيضاً قبل تمام الولادة، وإكمال التربية، قلّما يكون منه شيء.

إلا أن هذه الولادة المعنوية، قد تكون على نعت توالد أهل الجنة؛ كما ورد في الحديث: «إن الرجل ليشتهي الولد في الجنة، يكون حمله وولادته، ومبلغه مبلغ الرجال في ساعةٍ واحدةٍ»، فكذلك أيضاً هذه الولادة المعنوية، عند قوة الاستعداد من الجانبين، قد يحصل ذلك في آن واحد، وبقدر ضعفه يطول الأمر، ولقد أشار بعض العارفين بقوله: إن العقبات السبع التي ذكرها صاحب «المنهاج»، من الناس من قطعها في ساعةٍ، ومن الناس من قطعها في سبعين يوماً.

وإيضاح عذر المترجم في الانتقال إلى مذهب شيخه: أن الإنسان إذا صار إلى هذه الحال، لا يمكنه أن يكون له مذهب، ولشيخه مذهب، في الشريعة والحقيقة معاً، ظاهراً وباطناً.

قلت: إن هذا يقتضي أن كل من اقتدى بشيخ في المعارف والحقائق، يلزمه أن ينتقل إلى مذهبه في الفروع، وإلا، لم يُفتح له، مع أن الواقع خلاف ذلك، فقد اقتدى علماء أكابر محققون من المالكية، بأئمةٍ شافعيةٍ، وبالعكس، وحصل لهم النفع التام، مع بقاء كل واحدٍ على مذهبه في الفروع.

فنقول: لم نذكر ذلك إيذاناً بأنه ضرب لازب؛ بحيث لا يصح الاقتداء إلا مع ذلك، وإنما ذكرناه إظهاراً لعذر من انتقل، وإيضاحاً لبيان سببه، وأنه لم يكن عن هوى نفسٍ، وإنما هو لأرجحية ذلك المذهب عنده، بما استولى عليه من صحبة شيخه، وامتزاج روحانيته بروحانيته، حتى صار الراجح عند

الشيخ راجحاً عند المريد.

والإنسان لا يجوز له من المذاهب إلا ما اعتقد أرجحيته؛ كما هو مقرر عند الأصوليين، وأسباب الترجيح كثيرة، فقد يكون هذا أحدها، بَيْد أنّ المريد إن قويت في عارضته علوم الديانة، وسبقت له من الله هدايته، وتشعشت نورانيته، بحيث يكاد زيته يضيء، ولو لم تمسسه نار، فأقل اتصال بالشيخ يكفيه في توقد مصباح قلبه؛ كما ذكرنا فيمن قطع العقبات في ساعةٍ واحدةٍ.

فإذا نور الله بصيرته، وأتحف بمفاتيح الهداية سريرته، أدرك بعين قلبه، وإنسان عين بصيرته، توافق المذاهب في الأصل، وأنه لا اختلاف بينها في نفس الأمر، وإن كان يظنه ضعيف البصر، فلقصوره، ولا يضره مخالفة شيخه في المذهب؛ إذ لا يراه خلافاً؛ كما هو في نفس الأمر ليس بخلاف، ولو كان في نفس الأمر خلافاً، لضره، ولو اعتقد هو عدم الخلاف في المرافقة في الديانة، والعقيدة شرطٌ في الاتصال الحقيقي، وما ليس بخلاف حقيقي، فلا تضر المخالفة فيه، بل هو كالمخالفة في الخلق والألوان لا عبرة فيه؛ إذ اللطيفة التي كان بها الإنسان إنساناً تتحد، وإن تغايرت الأجسام، نعم، إذا كان المريد من المتوسمة الذين غلب على قلوبهم حب التعصب؛ بحيث يعتقد خطأ أهل مذهب شيخه في أشياء يفعلها، ويرى أن شيخه لم يصادف في فعلها، وأنه أخطأ فيها الصواب، فهذا يضره مخالفة شيخه في المذهب؛ لأن اعتقاد المخالفة يضر، ولو لم تكن مخالفة في نفس الأمر؛ كما أن اعتقاد الموافقة لا ينفع، إذا لم تكن موافقة في نفس الأمر؛ فمتى ينتفع المريد بشيخٍ يعتقد خطأه، وعدم إصابته في فروع من الديانة؟!

وإذا شاهد بنور العلم، أو بصفاء البصيرة، اتفاق المذاهب في أصلها،

وأنها دينٌ واحـدٌ من ربٍّ واحـدٍ، على لسان رسولٍ واحدٍ، لإنسانٍ واحدٍ؛ لأن الإنسـان واحدٌ من حيث التكليف، إذ لم يكلف إنسانٌ بما لم يكلف به إنسانٌ آخر، والخلاف بين أهل المذاهب إنما هو في الصورة، فلا يرى بينه وبين شـيخه اختـلاف، ولو اختلفت المذاهب، بل يرى بينها كل الموافقة، فهذا لا يلزمه الانتقال، ولذلك لا يأمره الشيخ مريده بالانتقال إلى مذهب؛ لأن المذاهب شيءٌ واحدٌ.

وقد ألـف في اتفاق المذاهب علماءُ من أهل الظاهر والباطن، وأجل تأليفٍ في ذلك جمعَ بين كلام أهل الظاهر والباطن كتاب «الميزان» لسيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني ﷺ؛ فقد بيّن أولاً اتفاق المذاهب، من حيث الحقيقة، وذكر ما بنيت عليه من مقاصد الشريعة، من طريق الكشف، ثم تتبّع الفروع التي وقع فيها الخلاف بين أرباب المذاهب، فنزلها على تلك المذاهب كلِّها جاريةً على نهجٍ واحدٍ.

وسأضرب لك مثلاً واضحاً لذلك، لم أر مَن ذكره، ويتضح لك به اتفاقُ المذاهب كل الوضوح، وذلك مثل قومٍ نبعت لهم عين ماء زلال، من حضرة في جبل، فاجتمعوا للورود منها، وكان كل واحدٍ يتناول منها على قدر حاجته، من غير واسطة، وذلك مثل الهدى الذي جاء به النبي ﷺ، ومثل الصحابة الذين تلقوه منه بلا واسطة.

ثم تكاثر الناس، بعد ما سمعوا بتلك العين، ولم يقدروا على أن يتناولوا كلهم من العين، بلا واسطة، فاتخذت لماء العين بركةٌ عظيمةٌ يجتمع فيها الماء، فيتناول الناس من جوانب تلك البركة، ولا يصلون إلى العين، وذلك مثل ما اجتمع من دلائل الكتاب والسُّـنة، في زمان التابعين وتابعيهم، حتى

دونت السُّنة، وجُمعت من حملَتها المتفرقين في البلاد من الصحابة وتابعيهم، وصار الناس يأخذون الأحكام من الكتاب والسنة، فمن صح عنده حديثٌ، عمل به، ومن فهم آيةً من كتاب الله، اقتدى بها.

ثم تكاثر الناس تكاثراً أكثر من الأول، وفيهم أعجميٌّ وعربيٌّ، وذكيٌّ وبليدٌ، وصغيرٌ وكبيرٌ، وحرٌ وعبدٌ فوقع الازدحام العظيم على البركة المذكورة، وليس كل الناس يقدر على التناول منها، ولا جميعهم يحسن السباحة فيها؛ لعمقها وعظمتها وسعة جوانبها، فصار بعض الناس ممن لا يحسن التناول منها، [و]لا يقدر على العوم فيها، يقع في وسطها فيهلك، وبعضهم يقف على جانبها، حتى يموت عطشاً، ولا يصل إليه إلا بآلة المتناولين.

فلما رأى أهلها ذلك، اتخذوا لماء البركة المستمد من ماء العين مشاربَ من تحت الأرض، وخدُّوا له أخاديد، ودرجوه بلطيف صنعهم، وحسن احتيالهم، حتى أجروه على وجه الأرض، وجعلوه أنهاراً عظيمةً، من عين يمين البركة ويسارها، ذاهبةٍ في عامر الأرض وغامرها، طولاً وعرضاً، وقسموا تلك الأنهار جداول عظيمةً كثيرةً، تستمد من الأنهار المستمدة من البركة المستمدة من العين، فعظم النفع بذلك لكل أحدٍ من قويٍّ وضعيفٍ.

فصار كل واحدٍ يتناول حاجته، على حسب قوته، فإن كان المحتاج إلى تناول الماء واستعماله ضعيفاً جداً، تناول من الجدول الصغير الجاري على وجه الأرض، فيغترف بيديه، أو يكرع بفيه، وذلك مثل العاميّ الذي لم يفقه شيئاً من العلم، فيتناول من العالم العارف بمذهبه المقلد لإمامه، وهو مثل الجدول المستمد من النهر العظيم، الذي هو الإمام المجتهد المستمد من البركة العظيمة، التي هي مثل دلائل الكتاب والسُّنة، المستمدة من العين

الحدّارة الغزيرة العذبة الباردة الصافية، التي هي مثل النبوة التي أوتيها سيدنا ومولانا ﷺ.

وإن كان المحتاج لتناول الماء واستعماله له فضلُ قوة، وعنده آلةٌ يقدر بها على التناول من النهر، تناول منه من غير احتياج إلى الجدول، وذلك مثل من له فقهٌ في الدين، وقدرةٌ على فهم كلام الأئمة المجتهدين؛ كالعلماء المقلدين لأئمتهم، من أهل كل مذهب، العارفين بنصوص أهل مذهبهم، المتفقهين فيها، فيأخذون الأحكام من نصوص الأئمة المجتهدين؛ وأقوالهم، من غير احتياج إلى تقليد مقلد آخر؛ لقدرة أخذهم على فهم كلام الإمام المجتهد، الذي قلده هو وغيره.

وإن كان هذا المحتاج لتناول الماء قد تمهّرَ وتدرّب، ولطف ذكاؤه، وحسن استعداده، وقويت عارضته، وجمع من كل الآلات التي يحتاج إليها الغواصون في البحار العظيمة لاستخراج الدرر النفيسة، حتى حصلت لهم ملكةٌ تامةٌ، وقدرةٌ نافذةٌ على أن يتناول من أصل البركة، من غير احتياج إلى جدول ولا نهر، فهذا يسوغ له الأخذ من ماء البركة قبل انقسامه إلى أنهار وجداول، وهذا مثل المجتهد الذي كملت فيه أوصاف الاجتهاد التي ذكرها الأصوليون، وذكروا أنه لا يجوز له أن يقلد غيره، بل يأخذ أحكام دينه من دلائل الكتاب والسُّنة، على حسب ما أداه إليه اجتهاده، وافق ذلك قول مجتهدٍ آخر أو خالف.

وليس بعد هذه الرتبة رتبة، على نزاعٍ في بقاء أحدٍ من أهلها في هذه الأعصار؛ إذ لا يجترئ أحدٌ أن يقول اليوم: أخذت الأحكام من رسول الله ﷺ،

وكرعت من أصل العين، من غير احتياج إلى الماء المجتمع في البركة العظيمة، التي هي مثل الكتاب والسُّـنة، ومن قال ذلك، وهو سالم العقل والإدراك، ضربنا ـ معشر المسـلمين ـ الذي فيه عيناه، وإن كان في عقله خللٌ، صفعنا قفاه، بالإعراض عنه وتركناه.

نعم، إن قال عارفٌ محققٌ ذو كشفٍ صحيح، وذوقٍ صريح: أنا قد منّ الله عليّ بمشاهدة نبع الماء من أصل العين، وشاهدت دخول جريته الصافية في البركة، فاستقيت منه على بصيرةٍ أنه ماء العين، لم يخالطه غيره من ماء مطرٍ أو غيره، ولا دنسـته الأيدي، فيسـلَّم له حاله؛ إذ لم يأت بما يخالف كتاباً ولا سُنةً، وإنما ادعى أنه أخذهما من أصلهما بلا واسطة.

وذلك مثل ما قال الشيخ محيي الدين ﷺ: أنه صحح أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ من طريق الكشف، وإن لم تصح عند أهل الصناعة الحديثية، ومثل من يقول من العارفين: إنه سمع القرآن، أو آياتٍ منه من النبي ﷺ، فيسلم له ذلك، ولو ادعى مدعٍ أنه سمع قرآناً غير هذا، أو حديثاً مخالفاً لما ثبت بوجهٍ صحيحٍ، لضرب بذلك وجه صاحبه، وعُدَّ من مثالبه لا من مناقبه.

فقد استبان لك مما قررنا في هذا المثال، وقريباً من المنال: أنه لا اختلاف بين أرباب المذاهب في الحقيقة، وأنه ماءٌ واحدٌ، من بركةٍ واحدةٍ، من عينٍ واحـدةٍ، وإن اختلفـت مجاريـه، وكثـرت جداوله وأنهاره، وتغيرت بعض أوصافه؛ لاختلاف محالّه؛ فإن الماء عند المحققين لا لون له، وإنما لونه لون إنائه، ولون حصباء نهره، وطعمه ورائحته لا يختلفان باختلاف الأواني، إلا أن يكون في أرضـه عفونةٌ، أو في إنائه دسومةٌ ودهنيةٌ، فيغتفر من ذلك

الشيء القليل؛ لأن الماء لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه، وذلك ما يقع في آراء بعض المجتهدين مخالفة بعض ظواهر الكتاب والسُّنة؛ مما يظن به ضعف نظر في المجتهدين في تلك المسألة، وذلك في بعض الصور النادرة، فلا يضر ذلك، وله أجرٌ واحدٌ، ولا يخرجه ذلك عن كون قوله ديناً؛ بخلاف ما خالف صريح الكتاب والسُّنة، أو خرق إجماع الأمة، فهذا مثل التغير الفاحش المخرج عن خلقية الماء، فيلغى، ولا يعتبر، ولا يعد ديناً، فليتأمل.

والأقسام التي ذكرنا في المثال؛ من مجتهدٍ، ومقلد، وعامي، يمكن أن يزاد فيها، وتتقسم إلى أكثر من ذلك؛ بحسب المجتهد والمقلد الذي له قدرة على الترجيح، وغير ذلك من أقسام المقلدين، إلى أن يصل إلى العاميّ الصرف، الذي لا يفهم إلا ما يشوبه به مع المبالغة في التبيين.

فيقسم المثل إلى ذلك بعد الجداول إلى مذنبٍ صغيرةٍ، ثم إلى الغرب، والأداوة، إلى أن يصل إلى صاحب الآنية التي ليس فيها إلا قدر ما يشبه، ولكن اقتصرنا على الأقسام الثلاثة؛ إيثاراً للإختصار.

وقد أطلت الكلام في هذه المسألة، ولا بأس بذلك؛ لأنها من غرر المسائل، وقد ساق إليها ذكر انتقال الشيخ المترجم إلى مذهب شيخه الشناوي.

وكان سبب اتصال المترجم بشيخه الشناوي ـ على ما أخبرنا به شيخنا إبراهيم الكوراني، عن حكاية الشيخ له ـ: أنه كان بمكة في بعض سياحاته، بعد ما لقي مشايخ كثيرين بمكة واليمن والمدينة، فرأى في المنام ـ وهو بمكة ـ الشيخَ الشناوي كأنه واقفٌ، وذكرُه يسيل منياً قد تلطخت به رجلاه وثيابه، فلما استيقظ من النوم، قال: علمت من الرؤيا: أن الشيخ الشناوي

واصلٌ إلى مقام تربية المريدين، وأنه ذكرٌ مستعدٌّ للولادة، ولكنه لم يجد مريداً يتلقن منه علومه، فذهبت ضائعةً، كما أن الفحل الذكر إذا لم يجد أنثى تقبل الولادة، ذهب منيّه ضائعاً.

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى لطف هذا التعبير، وخفاء مدركه، الذي لا يشك عاقلٌ في صدقه، بعد وضوح معناه، فلو أن أحداً من ضعفاء العقول أمثالنا، هو الذي رأى هذه الرؤيا، لعدّها من أضغاث الأحلام، أو أولها على حمق المربي وسفهه، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده.

قال الشيخ رضي الله عنه: فلما أصبحت، وظهر لي تأويل الرؤيا، عزمت على السفر إلى المدينة المشرفة، وكان الشيخ الشناوي إذ ذاك ساكناً بالمدينة، قال: فلما دخلت المدينة، كان أول من لقيت الشيخ الشناوي، فصافحني، وأخذ بيدي، وقال: مرحباً بمن جاء يقتبس منا علومنا ـ أو كلاماً هذا معناه ـ، فذهب بي إلى محل زاويته، وكاشفني بجميع أحوالي، وتيقنت صدق رؤياي، فلزمته من ذلك الوقت، ولم أفارقه إلى أن مات.

ولم يزل حال الشيخ المترجَم يترقى عند الشيخ الشناوي، حتى صار عنده أخص أصحابه، وزوجه ابنته، وصار هو الخليفة من بعده؛ كما وقع لشيخنا الملا إبراهيم الكوراني مع شيخه المترجم؛ إذ زوجه ابنته، وصار خليفته.

وكان الشيخ المترجم ـ مع لقائه لمشايخ كثيرين ـ لا ينتسب آخراً إلا إلى الشيخ الشناوي؛ لأن كماله على يده، وهو الذي رقاه إلى منصة العرفان، وبلغه مبلغ الرجال، وأفاض عليه المعارف فيضاً، ولم يخلف الشيخ الشناوي أحداً من أصحابه يساوي المترجم في مقامه، ولا يحاكيه في مرامه.

فهو ـ من لدن وفاة شيخه ـ إمامٌ عارفٌ، سالكٌ مسلكه، يربي المريدين، ويرشـد المرادين، ويترقى في مقامات اليقين، ويؤم أولياء الله المتقين، إلى أن حاز الصديقية العظمى، والقطبانية التي هي المقام الأسمى، والله أعلم، ثم مكث فيه.

وأخبرنا شيخنا الملا إبراهيم: أن المترجم رأى الشيخ محيي الدين في منامه، وألبسه، وزوجه أخته، وهي رؤيةٌ حسنةٌ، تدل على وصلة بينه وبين الشيخ محيي الدين في عالم الأرواح، وإلباسُه إياه إشارةٌ إلى قيامه مقامه، وظهوره بحاله في شرح الحقائق العرفانية، فإنا لم نر ولم نسمع ـ في وقتنا هذا ـ بعارفٍ له لسـان الشيخ محيي الدين في الحقائق، كأنه ينطق بلسانه، إلا المترجم، فهو محيي طريقه، ومبين إشكالاتها، ومبرز خباياها.

وأما تزويجه أخته، فهو إشارةٌ إلى ما مُنِحه المترجم من التكلم في مسألة وحدة الصفات، وتأليفه فيها، وشرحه لها، واستدلاله عليها بما لم يتهيأ مثله لأحدٍ قبله، فقد كانت هذه المسـألة إنما توجد في كلام العارفين المتقدمين إشارةً ورمزاً، وإدراجاً في كلام آخر، ولم يفرد لها أحـدٌ بالكلام، ولا يبين عورها، وصيرها عرضةً للقول أو الرد، إلا المترجم، فله بها مزيد اختصاص.

وقد علم أن وحدة الصـفات هي أخـت وحـدة الوجود، التي لم يأت أحدٌ من المتقدمين والمتأخرين فيها بما أتى به الشيخ محيي الدين، حتى صار إمام كل قائلٍ بها، ومتبوع كل مصدقٍ بها، فأكثر فيها التأليف، وشرح وأوضح، ورمز وأشار، واستدل ودل، وضرب الأمثال، وأزاح الإشكال، فكل متكلم فيها إلى آخر الدهر عيالٌ على كلامه فيها، فهو أحق به، وأهلها، وإليه تنسب دون غيره ممن له فيها كلام.

حتى صار إذا قال المترسمون في أحدٍ يريدون صفته بالقول بها، فيقولون: فلان يقول بمذهب ابن عربي، أو ينتحل مذهب الحاتمي في الوجود، فإذا فهمت ذلك، فمعنى تزويج الشيخ محيي الدين أخته من المترجم: تمكينه من التصرف في وحدة الصفات، وهي أخت وحدة الوجود، التي هي علم الشيخ، وأصل معارفه، وأدقها وأرقها، والتمكين من الشيء: الإذن في التصرف فيه على وجهٍ سائغٍ شرعاً، إذا كان ممن هو أهل لمن هو أهل وكفء، [و]هو معنى التزويج.

وإظهار ذلك في عالم المثال على صورة التزويج، دون الهبة والعطية والبيع، إعلاماً بشدة الاتصال والإيلاف لذلك الأمر، والاغتباط به، وحصول النتيجة؛ كما هو شأن الزوجة، وإعلاماً بأنه أيضاً كفء؛ إذ التزويج لا يكون إلا من الكفء، بخلاف البيع والهبة، وإعلاماً أيضاً بكراهة هذه المسألة، وأنها ليست مما يباع ويوهب؛ لحريتها وكرامتها على أهلها، إلى غير ذلك من الأسرار، التي يدركها كل ذي ذوقٍ سليمٍ، وفوق كل من ذوي العلم عليم.

وكان المترجم له تصرفٌ تامٌّ بعلم الأسرار والحروف وأسرارها، ويعلم الدوائر والأوفاق وطبائع الأشياء، كل ذلك له فيه التصرف التام، وبفن الدعوات وأسرارها، كل ذلك يتصرف فيه تصرف ما هو؛ بحيث لا يتقيد بما يذكره أهل الفن، من الشروط والقيود لذلك، بل يزيد تارةً، ويُنقص أخرى، ويعتبر ما لم يعتبروا، ويلغي ما اعتبروا.

وكان كتاب «الجواهر الخمس» الذي هو من أسرار أصل سلسلته نصبَ عينيه، مع حاشية شيخه الشناوي عليه، وله أيضاً كلامٌ كثيرٌ، وتقاييد حسنة

في ذلك، إلا أنها متفرقةٌ في أيدي أصحابه لم تدوّن، ومع ذلك، فكان ـ لقوة كلامه، وتصرفه في المقامات ـ لا يرى هذا العلم هو الغاية؛ كما يراه من المتقدمين والمتأخرين من أربابه؛ كالبوني، والبسطامي، وغيرهما.

أخبرنا شيخنا الملا إبراهيم، قال: كان شيخنا المترجم يقول: نحن لا ننكر على أصحاب هذه العلوم الجادين فيها، الباحثين عنها، المشتغلين بها كل الاشتغال، من حيث إنها جزءٌ من أجزاء الكمال، إنما ننكر عليهم، من حيث ادعاؤهم أنها عين الكمال، وهو أمرٌ وراء ذلك، لا يتقيد صاحبه بعلمٍ ولا عملٍ ولا حالٍ ولا مقام؛ لأن له كل علمٍ وعملٍ، وحالٍ ومقام.

قال شيخنا الملا إبراهيم: وكان الشيخ الصفي المترجم، إذا جرى ذكر أرباب المقامات والأحوال، ربما يشير إلى نفسه، ويقول: نحن لا مقام لنا؛ لأننا من أهل يثرب، وقد قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾[الأحزاب: ١٣]، وما ذاك إلا أن لهم المقامات، فليس لهم مقام مخصوص، وكذلك كان النبي ﷺ وكُمَّل أصحابه، ليس لهم مقامٌ مخصوصٌ يستولي عليهم دون غيره من المقامات، بل يتصرفون في كل مقام بما يوافق مراد الحق، ويعطون كل ذي حق حقه.

فهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، ولم يقل ـ سبحانه وتعالى ـ: لا بيع لهم ولا تجارةٌ، بل كان لهم بيعٌ وتجارةٌ، وضياعٌ ومزارع، ولكنهم يتصرفون في كل ذلك تصرف من لم يغب عن شهود الله في كل ذلك، فيؤدون منه الحق الذي عليهم، ويتناولون منه الحق الذي لهم، كل ذلك بأمر الله، هذا هو مقام العارفين الكمل من أهل الله.

ولعل جاهلاً بإشارات العارفين يقول: إن حمل قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾[الأحزاب: ١٣] الآية، على هذا المعنى، إحالةٌ لكلام الله تعالى عن ظاهره، وتحريفٌ له عن مواضعه، وذلك لجهله بمذهب العارفين في إشاراتهم بالآيات والأحاديث؛ فإنهم لا ينفون المعاني الظاهرة للآية، بل يثبتونها، ويقرّون بها، ويستخرجون ـ بما أعطاهم الله تعالى من الفهم والنور ـ معانيَ أُخر تشير إليها الآية إشارةً خفيةً، يقتبسها العارف منها، وهذا المقدار من الدلالة لا ينكره إلا جاهل.

والشيخ ﷺ أشار بذلك إلى أنه من العارفين، الذين استولوا على سائر المقامات، ولم يستول عليهم مقام، وأنه في ذلك من خلفاء كمّل الصحابة، الذين لهم قدم صدق في الوراثة المحمدية، وهذا المقام ـ الذي هو كنايةٌ عن سائر المقامات ـ إنما يكون لقطب الوقت، فكأن الشيخ أشار بالقطبانية لنفسه، ولم يفهم ذلك إلا خواص أصحابه ﷺ.

وما رأينا كلام أحدٍ من عارفي زماننا، بل ومن قبله يساوي كلام الشيخ في مزج الحقائق بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية، حتى لا يكاد كلامٌ له يخلو من آيةٍ أو حديث، فكأن كتب الحديث جمعت له جمعاً، فهو يأخذ منها ما شاء متى شاء، مع زيادة عزو الحديث لراويه ومخرجه، وذلك قلما يوجد في غيره من أهل الحقائق، وإن أتوا بحديث، أطلقوه بلا نسبة؛ إذ ليس ذلك من وظيفتهم.

والشيخ ﷺ كما أخبر عن نفسه، لا مقام له، ولا وظائف مخصوصة، ولا اصطلاح مفرد، بل له كل المقامات والاصطلاحات والوظائف، والتصرف التام في غالب علوم الشريعة.

وكذلك كان ﷺ في هيئته المحسوسة، وأحواله الظاهرة، ليس على نمط الفقهاء المدرسين أهل المناصب، ولا على نمط الزهاد المتقشفين، يلبس الطيب ويأكله، ولا يأتي أبواب الأمراء، ولا يرغب في معرفتهم، وإن أتوا إلى بابه، لا يمنعهم من الدخول عليه، وإذا دخلوا عليه، لا ينهرهم، ولا يعبس في وجوههم، بل ينزلهم منازلهم التي أنزلهم الله فيها، ويكرم كريمهم؛ كما أمر بذلك ﷺ، ويقدم إليهم من الطعام ما حضر، ومع ذلك، فلا يُخليهم من نصيحةٍ برفق، ووعظ بلين، وأمر بمعروفٍ، ونهي عن منكرٍ، وإرشادٍ من جهالةٍ، وإنقاذٍ من ضلالة، فلا يخرجون من عنده حتى يظهر عليهم أثر الخير، والميل إليه، والحب له، وتصغر عندهم نفوسهم؛ لما يشاهدون من عظمة وعزة من اعتز بعزة الله وعظمته، وهذا لعَمري خلُقُ الكمّل العارفين.

ولم يكن ﷺ منقبضاً عن الناس، منزوياً عنهم، بل كان يجالسهم، ويكالمهم، ويتصرف فيما احتاج إليه من أموره الدنيوية، ويحسن القيام بأوقاف زاويته؛ بتولية من هو أهل، وصرف غيره، والأمر بإصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه، وإيصال الحقوق إلى أربابها، وذلك كله لا يشغله عن الله طرفة عين، فلا تكاد تسمع منه كلامين متناسبين، لم يتخللهما ذكر الله، أو دلالته عليه، أو وعظٌ، أو دعاءٌ بخيرٍ، أو إرشاد مسترشد.

قال الشيخ عيسى الثعالبي المغربي نزيل مكة: ما رأيت مثل شيخنا الصفي القشاشي، ما دخلت عليه قط، فأخرج إلا والدنيا بين عينيّ أحقر من كل حقير، ونفسي أذل من كل ذليل، ولو تكرر دخولي عليه مرات، وهذا شأن الذين إذا رُؤُوا، ذكر الله.

وأما مكاشفته بالأخبار عما في ضمائر أصحابه، وإشارته إليه في أثناء كلامه، فبحرٌ لا ساحل له.

قال شيخنا إبراهيم الكوراني ـ قدس الله سره ـ في كتابه «الأمم»: شاهدت له من ذلك ما لا أحصيه.

منها: أنه تكلم يوماً على خاطري، فقلت في نفسي: هلا كان هذا قبل هذا الوقت؟ فالتفت إليّ وقال: قل: ﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾[يونس: ١٦]، ففهمت أن التأخير كان بإذن الله تعالى.

ومنها: أن بعض المجاورين طلب أن أكتب له كتاباً إلى بعض أهل الشام، لغرضٍ دنيوي، فكتبته من غير استئذان الشيخ ـ قدس الله سره ـ، ثم دخلت عليه، فقال منكراً عليّ: هذا ثَلْم، فلم أتحقق الإشارة، وحصل لي القلق إلى الليل، وأردت أن أكتب جواب مكاتيب أهل الشام في الليل، ومع القلق، فتأملت في أمري، فإذا أنا لم أحدث شيئاً لا يرضاه، إلا كتابة هذا الكتاب بغير إذنه، فأحرقته بالسراج، فسكن القلق، فلما أصبحت، دخلت عليه، فتبسم في وجهي، وقال: عافية، فعلمت أنه المشار إليه بالثلم.

ومنها: أن بعض الفقراء قال لي: اطلب من الشيخ ما هو كذا، وعيّن له شيئاً، فقلت له: أنا لا أبتدئ بطلب هذا منه، فقال: بل اطلب؛ فقد قال بعضهم: إن مثل هذا يطلب، فدخلت عليه، وهو في مجلس الدرس، وأنا في هذا الخاطر، فالتفت إليّ وقال: إن كان فيه نصيبٌ ما يفوت، ثم التفت إلى الجماعة يقرر لهم.

قال: وأمثال هذه الوقائع يطول ذكرها.

ولقد أخبرنا الملا إبراهيم: أن الشيخ كان ـ مع تمكنه من الحقائق ـ إذا أراد أحدٌ من أصحابه أن يقرأ عليه شيئاً من المواضع المشكلة في «الفتوحات» أو غيرها، لا يأذن له حتى ينصرف الناس، ويخلو المكان، إلا من خواص أصحابه، ويأمر بغلق الأبواب، وهذه صفة العارفين؛ فقد كان الجنيد رضي الله عنه لا يتكلم في الحقائق إلا مع خواص أصحابه، ويقول: علمنا هذا إنما هو خاص الخاص.

وشاهدُ ذلك: قولُه ﷺ: «خاطبوا الناس بما يفهمون» الحديث، وقول أبي هريرة رضي الله عنه «ملأت من النبي ﷺ وعاءين، أما أحدهما، فها أنا أبثه إليكم، وأما الآخر، فلو بثثته، لقطع مني هذا البلعوم، وليس هذا الوعاء المدخر إلا علوم الحقائق، التي هي خاصة.

وقد أخطأ من زعم أنه علم الحدثان، إذ لا يكون ذلك وعاء يقابل به الوعاء الذي بيّنه في الناس من علوم الشريعة؛ لأن النبي ﷺ إنما ذكر لأصحابه من أمور الكائنات أشياء قليلة؛ لعدم تعلق علم ولا عمل بذلك، بخلاف علوم الحقائق، فقد كان النبي ﷺ مع أصحابه كالشيخ مع مريديه، يأمرهم بالتكاليف والأحكام العامة لسائر المؤمنين، ويخص من شاء منهم بما شاء من الحقائق والمعارف، ويأمر البعض بقيام الليل، ويترك البعض، وينهى البعض عن سرد الصوم، ويقرّ عليه آخر، كل ذلك منه ﷺ لطف تربية، وحسن تغذية بالأعمال والمعارف.

ومما ينسب لعلي بن الحسين رضي الله عنهما:

يا رُبَّ جوهرِ علمٍ لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبدُ الوثنا

ولاستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وأخبرنا شيخنا الملا إبراهيم، قال: أخبرني شيخنا الصفي القشاشي، عن شيخه الشناوي: أنه كان ذات يومٍ في خلوته مستلقياً، إذ رأى وزغاً، يمشي على الحائط، فأراد أن يضربه، وغلب عليه شهود الحقيقة، وأنه خلقٌ من خلق الله، موجودٌ بإيجاده، ومصرّفٌ بتصريفه، إلى غير ذلك مما تقتضيه الحقيقة، ثم تذكر أمر الشرع بقتله، وأنه لا ينبغي إهمال الأمر الشرعي نظراً إلى الحقيقة، فتردد في الشهودين، حتى غلب عليه امتثال أمر الشرع، فأخذ حجرا، فرماه به، فأخطأه، ففر، فضحك الشيخ وقهقه، وقال: الحمد لله الذي جمع بين الأمرين: امتثال الشرع بضربه، وعدم قتله المنافي بظاهره لحكمة الله في إيجاده وتصويره، وإحيائه وتصريفه فيما خلق له.

قال شيخنا الصفي إثرَ حكايته لذلك: أما إنه لوكنت أنا ذاك، لما توقفت، ولشدخت رأسه بالحجر من دون رميٍ؛ لأن ذلك هو عين الحكمة التي اقتضتها الحقيقة فإن كل ما أمر الشرع بفعله، فذلك هو عين الحكمة، الموافقة لمراد الله تعالى في ذلك الفعل؛ كذبح كل حيوان أبيح أكله، وقتل العدو الكافر، فلا يمنع من ذلك شهود الحقيقة؛ لأن ذلك هو عين الحق، الذي هو مقتضى الحقيقة ببيان الحق على لسان المشرع ﷺ.

وهذا ـ كما ترى ـ غاية في التحقيق، يدل على علو شأن هذا الشيخ، وكمال شهوده، حتى لا تغلب عليه حقيقةٌ ولا شريعة، بل انطوت عنده الحقيقة في الشريعة، والشريعة في الحقيقة، فصار الكل شيئاً واحداً، فما من شريعةٍ إلا وهي حقيقة؛ إذ هي مراد الحق، وما من حقيقةٍ إلا وهي[1] شريعة لإرشاد

---

(١) في الأصل: وهو.

الشـارع إلى مشـاهدته، ومن غلب عليه وصفٌ، كان بحكمه، ومن غلب على الأوصاف، كان بحكم الحق في كل وصف.

وأخبرنـا شـيخنا الملا إبراهيم ـ قدس سـره ـ: أنه كان في أول أمره يتعانى شهود الصلوات في الحرم النبوي؛ اغتناماً لفضل الصلاة فيه، وكانت نفسه لا تطيب أن تفوته الصلاة فيه، ومنزله كان خارج المدينة، فربما أغلقت دونه الأبواب، داخلاً أو خارجاً، فتحصل له المشقة في ذلك، فقال له الشيخ القشاشـي يوماً: لا تكلف نفسـك ما تتضـرر منه، وصلِّ هنا في مسجدنا، وإنا لنرجو من الله أن يحصل لك من الثواب ما يحصل لمن صلى في الحرم الشريف، فمن ذلك اليوم طابت نفسي، ولا أبالي إن تعذر عليّ الوصول إلى الحرم.

قلت: ربما سمع هذا قاصرٌ من المتفقهين، فيبادر إلى إنكاره، فيقول: كيف صح له التسوية بين مسجد محلةٍ، والمسجد النبوي، مع أن الصلاة فيه خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، وهل هذا إلا تشريع؟

فأقول: ليس في هذا ما ينكر، أما من جهة الحكم الظاهر، فقد ورد أن نية المؤمن خيرٌ من عمله، وأن الله تعالى يعطي العبد على قدر نيته، وورد أن من نوى أن يعمل صالحاً، فَعِيق عنه بعائقٍ، كُتب له أجره، كما ورد أنه يُكتب للمريض والمسافر أجر ما كان يعمل في الصحة والحضر، ويُكتب للنائم إذا نوى القيام، فغلبته عيناه أجُر قيامه، فكذلك هذا لما كانت بنية الصلاة في المسجد النبوي، ولازم ذلك حتى عِيق عنه في بعض الأوقات، بما يحصل له من المشـاق، التي يرخص الشـارع لأجلها في ترك كثيرٍ من المأمورات، فلا بُعْد في قولنا: إنه يحصل له أجر مَن صلى في المسجد لأجل نيته، سيّما

مع امتثال أمر شيخه، وعمارة مسجده، والصلاة بمن فيه من الفقراء، وعمارته بالذكر والقراءة، والصلاة مع الشيخ، وفضلاء أصحابه؛ فإن في هذه القربات، إذا خلصت فيها النية، ما ينجبر به ما فات من التضعيف، فرب قربةٍ وحسنةٍ تفوت ألف حسنة أو تساويها؛ لما حفت به من الأوصاف الجميلة، والفوائد الكثيرة؛ كهذه الصلاة التي يصليها في مسجد الشيخ، بحضور قلبٍ وسكونٍ وتؤدةٍ، مع جماعةٍ فيهم الشيخ، فيسري من بركته في صلاة الحاضرين؛ فإن من تحقق بحالةٍ، لم يخل حاضروه منها، وقد ورد: من صلى مع مغفور، له غفر له.

ولو ذهب إلى المسجد، لم يصل إليه حتى يتعب؛ لبعده وتشوش فكره بالرجوع، وتخييل غلق الأبواب دونه، سيما إن أبطأ الإمام شيئاً مّا، فبمجرد فراغه من الصلاة، يقوم بسرعةٍ من غير جلوسٍ لذكرٍ ودعاءٍ، فلا يبعد أن تكون الصلاة الأولى مساويةً لألف صلاة من أمثال هذه في غير الحرم.

هذا مع أن مسجد الشيخ داخل في حدود ما بين المصلى والحجرة، كما في بعض الأحاديث: «ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة» على قول بعض العلماء: أن المراد بالمصلى: مصلى العيد، فكان بعض السلف يرغب في سكنى الناحية التي بين المسجد النبوي ومصلى العيد، ويقول: إنه روضةٌ من رياض الجنة.

وأما توجيه ما ذكر الشيخ من حيث الباطن، فإن شرف الأمكنة ليس لذاتها، إنما هو لما اشتملت عليه، وأودعه الله تعالى فيها، وشرف المسجد النبوي؛ لمجاورته لقبره ﷺ، وبيته، وصلاته فيه مدة حياته، وغير ذلك، فإذا أكرم الله تعالى ولياً من أوليائه بحضور روحانيته ﷺ لديه، وشهوده من

محله دائماً، وإن كان بعيداً عن مسجده؛ لأن الأمكنة بالنسبة إلى الأرواح مستوية، فلا يبعد أن يكون لذلك المكان الذي حضرت فيه روحانيته ﷺ، وحصلت مشاهدته على الدوام، ما كان حاصلاً لمسجده من الفضل بالنسبة إلى ذلك الشخص الذي أكرمه الله بذلك، ولا يلزم من ذلك مشاركة ذلك المكان للمسجد النبوي في الفضل؛ لأن حصول ذلك الفضل للمسجد النبوي عامٌّ في الأزمان والأشخاص، وهذا خاصٌّ بهذا الشخص، والزمن الذي هو فيه.

ولا شك أن الشيخ رضي الله عنه كان من أهل هذا الشهود، فيكون لمسجده من الفضل بالنسبة إليه، وإلى خواص أصحابه القائمين فيه، المجدين به حباً وولاءً، مثلُ ما كان للمسجد النبوي بحضوره ﷺ بروحانيته فيه[1]، سيّما مع قرب المكان جداً؛ بحيث لا يكاد يغيب عن خيال المصلي شهودُ الروضة والحجرة، وما هناك من الآثار، حتى كأنه فيه، وإن كان من أهل الكشف، كشف له عن حقيقته حتى يراه وكأنه فيه، وإن بلغ إلى رتبة الأبدال، أمكن أن يكون فيه، مع أنه في محله، فكم من بعيد الدار وهو قريب!

وهذه المراتب الشريفة ليست بعيدةً من حال الشيخ، فإذا أُتحف بذلك، وصارت صلاته كمن صلى في الحرم النبوي، فلا بُعْد أن يُتحف الله بذلك جميع من صلى معه ببركته، سيمًّا إن كان هو إمامهم، وارتبطت صلاتهم بصلاته.

وأما تآليفه ـ قدس الله سره ـ فكثيرة تقارب السبعين: والذي تعلق بالي

---

(١) وهذه دعوى باطلةٌ وافتراءٌ عظيم من صنع الشيطان الرجيم.

منها: «شرحه على حكم ابن عطاء الله»، وهو في غاية الجودة، لولا صعوبة كلامه على القاصرين من أمثالنا؛ لدقة مغزاه فيه، ورقة منحاه، وغلبة الإشارة إلى حضور الوجود المطلق على كلامه، وانفرد من دون الشروح بخصيصـ[ـة] لا يعادله فيها غيره، ومأثرة لا يشارك فيها، وهي ختمه ﷺ كل حكمةٍ بحديثٍ يناسبها، وهذا مما يدل على سعة اطلاع الشيخ، وحفظه للأحاديث النبوية، وفهمه لها؛ بحيث يدرك المناسبة بين الحديث والحكمة، في بعض الحكم من وجه خفي، لا يكاد يتفطن له، وهذا شأن فِطن العارفين وأفهامهم.

وكان والده سيدي الشيخ محمد بن عبد النبي، كتب على «الحكم» شرحاً كبيراً، فأراد الشيخ اختصاره، فطلب منه السيد محمد بن علوي عندما ورد المدينة الشريفة، سنة سبع وأربعين وألف، أن يبتكر شرحاً غير مختصر من الذي قبله؛ لأن ذلك أجدر بإبداع الفوائد التي يفتح الله فيها، فقبل إشارته.

ومنها: «حاشيته على المواهب اللدنية للقسطلاني» مفيدةٌ مع صغرها.

ومنها: كتاب «بستان العابدين»، ذكر فيه أوراداً كثيرةً، بأدلتها وفضائلها، وفضائل آيات من القرآن وسور، وهو غايةٌ في بابه.

ومنها: كتاب «السمط المجيد»، ذكر فيه طرق رواياته وأسانيده من مشايخه، وأكثر في طريق القوم، فقد استوفى غالب طرقهم، وساق أسانيده إلى أصحابه، ثم أسانيدهم إلى منتهاها، مع ذكر شيء من حكاياتهم ومآثرهم.

ومنها: رسائله الثلاث في مسألة الكسب التي انتصر فيها لقول إمام الحرمين، والصغرى منها أتمُّها تحقيقاً، وأكثرها تدقيقاً.

ومنها: «شرح عقائد النسفي»، ذكر فيها نحو ورقتين، من فتوح ذكر هو الله من المكاشفات له ـ نفع الله به ـ.

ومنها: لرسالة المسماة: «ضوء الهالة في ذكر هو والجلالة».

ومنها: شرحه لرسالة السيد سالم شيخان، التي سماها: «منقذة الموهوم، من مزلقة الوهوم»، وهي صغيرة جداً، موجزةً لفظا، كبيرةً قدراً.

ومنها: حاشية سماها: «الإفاضة الرحمانية على الكمالات الإنسانية» للشيخ عبد الكريم الجيلي، وهو كتابٌ جليلٌ، نبيه القدر، جعل صاحبه الحقيقة المحمدية هي مظهر الكمالات الإلهية بأسرها، ومنها تفرعت إلى غيرها من المظاهر، ثم أخذ يفصل ذلك شيئاً فشيئاً، ولكنه قد يغلب عليه فيه شهود الحقيقة، فلا يعطي الشريعة حقها، وللشيخ فيه تعقباتٌ ظاهرةٌ عليه، ظهر فيها علو مقامه، وتمكنه من الشريعة والحقيقة، وهذه الحاشية مفيدةٌ جداً.

ومنها: «شرح عقيدة ابن خفيف خفيف»، وكتاب «النصوص»، و«الكنز الأسنى والصلاة والسلام على الذات المكملة الحسنى»، و«عقيدة منظومة»، و«حاشية على الإنسان الكامل».

ومنها: رسالة «نفحة اليقين وزلفة التمكين للموقنين»، وهي التي حقق القول فيها على كون الحقائق مجعولةً أو غير مجعولةً، على مذهب العارفين، أهل الكشف الصحيح.

ومنها: «رسالة في الذكر باسم الجلالة مفرداً»، وهي مسألةٌ كثر فيها البحث بين المتأخرين، فأجاز ذلك العارفون عن آخرهم، ومنع بعض المترسمة،

محتجاً بظواهر لا تجزي، وهي مفيدةٌ، مع صغر حجمها.

وله ﷺ «ديوان شعر»، أكثره على لسان أهل الحقائق، ونظمه فيه عذب المذاق، وإن كان يوجد فيه ما يستضعف عند أهل الأدب، وقد أوردنا نبذةً منه في صدر الترجمة.

وإنما لقب نفسه بصفي الدين، مع أن المشتهر في اصطلاح أهل المشرق تلقب أحمد بشهاب الدين؛ لأنه كان يكره هذا اللقب، ويقول: إن أحمد أشرف الأسماء، فكيف يلقب بالشهاب، الذي هو للعذاب، وما ألطف مناسبته لهذا الاسم الشريف، وإشارات العارفين واستنباطاتهم لها على هذا الأسلوب عند من فهم ذلك، والله سبحانه يجعلنا من أهل الفهم عنه وعنهم بمنّه وكرمه، آمين.

[٤٧٠] أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد ابن حبيب الله بن رفيع الله بن خواجة يوسف بن السلطان شهاب الدين علي المعروف بفروخ شاه الكابلي بن خواجه نصير الدين بن خواجه محمود بن خواجه سليمان بن خواجه مسعود بن خواجه عبدالله بن خواجه واعظ أصغر ابن خواجه واعظ أكبر بن خواجه أبي الفتح بن إسحاق بن إبراهيم بن ناصر ابن عبدالله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الفاروقيُّ السرهندي الحنفي(١).

أحد مشاهير أكابر أهل الطريقة بالديار الهندية، وله بها المكانة العظمى، خصوصاً عند ملوكها، والمنزلة العلية عند خاصة الناس وعامتهم، أخذ طريق

---

(١) «هدية العارفين» (١/ ١٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٢).

النقشبندية، والقادرية، والجشنية عن الخواجه محمد باقي، وعن الشاه ابن الشاه إسكندر، وعن عبد الرحمن البدخشي الشهير بجامي مرزا، وأجازوه، وتصدر للإقراء والإفادة، وتربية المريدين، وأخذ عنه خلق لا يحصون.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ومكاتيب شهيرةٌ كتبها لتلامذته في البلدان البعيدة، وغالبها باللغة الفارسية، ولما وصلت إلى الحرمين، ووقف عليها مشايخ عصرنا، أنكر جماعةٌ منهم عليه أشياء منها، ومنهم: شيخنا العلامة السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني الموسوي، ألف في تكفيره عشر رسائل.

ووافقه ـ على ما سمعت ـ من الثقات في بعضها، شيخُنا خاتمة المحققين إبراهيم الكردي، وجماعة، ثم تنازع في شأنها علماء الحرمين، وخطأ بعضهم بعضاً، وكان شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي مجاوراً تلك السنة بمكة، فسأل جماعة ممن يعرف الفارسية أن يعرف له المنكر على صاحب المكاتيب، فعرفها له جماعةٌ، منهم: شيخنا محمد بيك الهندي، نزيل الداودية بمكة، فلما وقف عليه شيخنا أحمد، أوّل ما فيها، ولم ينكره، فوقع بينه وبين شيخنا محمد البرزنجي كلامٌ طويلٌ.

وألف شيخنا أحمد رسالة في الاعتذار عنه، ومنع تكفيره وتكفير أمثاله في شطحاتهم، فلما وقف عليها شيخنا السيد محمد البرزنجي، شرحها، وسمى الشرح: «الناشرة الناجرة للفرقة الناصرة للكلمات الفاجرة»، وتكلم فيها كلاماً طويلاً على المترجم، وعلى شيخنا المعْتذر عنه.

وكتب علماء الحرمين خطوطهم، بعضهم على رسالة شيخنا أحمد؛

بأن كلامه هو الحق، وبعضهم على رسالة شيخنا السيد محمد؛ بأن كلامه هو الحق؛ بحيث إن بعضهم عادى الآخر، وطال كلام الفضلاء في ذلك. انتهى.

والحق أن ترك التكلم في ذلك هو اللائق بالأدب، والأسلم للعاقل الوقوف مع الحد، ولكن الوقوف على الحد عسيرٌ جداً، والله الموفق.

توفي المترجم في تاسع وعشري صفر، سنة إحدى وثلاثين وألف، وقد أفرد أحواله وكراماته بعض تلامذته، وذكر أن كثيراً من الناس نالوا من أثر صحبته الفوز العظيم، وصاروا من أهل الكشف والذوق، وملأ الأرضَ ذكرهم شرقاً وغرباً، وكان يخبر بالأمور قبل وقوعها[1]، فتقع كما يخبر، وكم من مريضٍ عليلٍ أيس الناس منه، فبمجرد أن يأتوا به إليه يبرأ من وقته، وربما خطر ببال أحدٍ في مجلسه شيء، فيبينه له، وذكر المترجم له كثيراً من وقائعه الغريبة ـ نفع الله به ـ.

قلت: وقدم مرة حفيده إلى مكة حاجاً، وحصلت له بمكة الحظوة العظيمة، والكرامات الكثيرة، وانتفع به خلق من المريدين ـ نفع الله به ـ.

[٤٧١] أحمد شهاب الدين بن خليل بن إبراهيم بن ناصر الدين السبكي الشافعي[2].

نزيل المدرسة الباسطية بمصر، وَقْفِ المرحوم القاضي عبد الباسط، وخطيبها وإمامها، كان إماماً فاضلاً، إذا جمعت الفضائل، فهو منتهى الجموع،

---

(١) سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٢٢).

وعاملاً كاملاً، كثمر الجنة غير مقطوع ولا ممنوع، لم يمض له وقت في غير العبادة، ولا ساعة في غير الاستفادة والإفادة، بوجه أبلج وضاح، يلوح من غرته نور السداد والصلاح، كانت له مهارة في علم الحديث، والعلوم النظرية، وفقهه يتكلف فيه.

واتفق لتلميذه شيخِنا سلطان بن أحمد المزاحي معه: أنه حضر عنده يوماً في صلاة الجمعة، في الباسطية، وكان من عادة المترجم أن يقدم ولده للخطبة، ويصلي الجمعة بنفسه، فلما فرغ ولده من الخطبة، تقدم المترجم إماماً على عادته للجمعة، فأمسك بيده شيخنا سلطان، وقال له: يا سيدي! تقيدوا أن من شرط إمام الجمعة: أن يكون خطيباً، أو سمع الخطبة، وكان صاحب الترجمة ثقيل السمع، فقدم ولده حينئذٍ للصلاة بدله، وقال لشيخنا سلطان: جزاك الله خيراً.

مولده بمصر، وبها نشأ، وإن مشايخه[1] شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفوي المقدسي الشافعي، نزيل جامع الحاكم، والواعظ بالجامع الأزهر، تلميذ الشيخ محمد عراق، وهو الذي رباه من صغره، وزوجه بنته، واستمر ملازماً له، إلى حين وفاته، ثم بعد وفاته أخذ عن شيخ الإسلام محمد الرملي، وحج مرات براً وبحراً، وجاور بالحرمين.

وله من المؤلفات: «حاشية على الشفا للقاضي عياض»، وشرح على منظومة الجلال السيوطي التي تتعلق بالبرزخ سماه: «فتح المقيت في شرح التثبيت عند التبييت»، وهو قولان، وشرح آخر سماه: «فتح الغفور بشرح

---

(١) كذا في الأصل.

منظومة القبور»، وهو مزج، وله شرح على منظومة ابن العماد في النجاسات المعفو عنها سماه: «فتح المبين بشرح منظومة ابن عماد الدين»، ورسالة سماها: «هدية الإخوان في مسائل السلام والاستئذان»، وله: «مناسك حج كبير، وآخر صغير»، وله: «الفتاوى» التي جمعها من خط شيخه شيخ الإسلام الشمس محمد الرملي في مجلدٍ ضخم.

توفي في ثالث وعشري جمادى الآخرة، سنة اثنتين وثلاثين وألف، عن ثلاث وتسعين سنة، ودفن بفسقية أحدثها بجوار الإيوان الصغير الغربي من المدرسة المذكورة، وقبره ظاهر يزار ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٧٢] السيد أحمد بن الهادي بن هارون الهَدَوي.

كان سيداً سرياً، زكي القلب، ثابت الجنان، له فراسةٌ صادقةٌ، ينبغي أن يقال فيه: إنه من المحدثين بهذه الأمة، وله في العربية مسكةٌ حسنةٌ، وفي الفقه، واشتغل بأمور الإسلام العامة؛ فإنه كان من أهل الكمال والرياسة، ينوب في مقامات لا ينوب غيره فيها، ولو توفر على العلوم مع سعة ذكائه، أنسى الأوائل.

وكان جزل الطباع، مسدد الرأي، ليس فيه ولا في رأيه رعونة، واستفاد التجارب، ومن المشهور عنه في التروي: إذا شريت عيراً، سهرت ليلة، يريد: أنه لا يقدم على الأمور جزافاً، وكان الإمام المؤيد بالله يرعى مقامه، ويعده للمهمات الكبيرة، وولي صعدة شهوراً بالنيابة عن السيد محمد بن الحسن ابن القاسم بأمر الإمام، ووجهه الإمام في غزوة نجران، وجعله نائباً عن السيد محمد بن الحسن، ولكنه لم يكن له بدٌّ من توجه السيد محمد بن الحسن

بنفسه؛ لأن النصاب من العسكر ما اجتمع عند تجهز السيد، فاقتضى توجهه بنفسه.

وولي المترجمَ مدينة ذمار، عن أمر الإمام المتوكل على الله إسماعيل، ولبث مدة عاملاً ببلاد خولان، وسكن جيدان، وحضرته علماء لم يدخل في العمل إلا بهم، منهم: القاضي محمد بن الهادي بن أبي الرجال ولي القضاء، ومنهم: القاضي محمد بن علي بن جعفر ولي قبض بيوت الأموال، وكانت الأعمال ـ إذ ذاك ـ علويةً نبويةً، تتزين بها التواريخ.

وذكر الإمام المؤيد بالله: أنه لما ألحّ على السيد في هذا العمل، واستدناه، رأى ليلة وصول السيد إلى حضرته قائلاً يقول له:

بشراكَ يا بَنَ الطهرِ من هاشمٍ ... بماجدٍ دولتُه تُحمدُ
يا أحمدَ المنصورَ بن هاشم ... بورك من في اسمه أحمد

وكان هذا السيد لا يعرف أحدٌ كنه ما عنده من العلم؛ لذكائه؛ فإنه إذا توسط في المسألة مع أي عالم، فهم المقاصد والمتفرعات على البحث، فيمليها أخْذاً لها من كلام معارضه، وكان له في تعبير الرؤيا حظ.

فمن عجيب تأويله الرؤيا: أنه عرض عليه الفقيه محمد بن الهادي بن أبي الرجال رؤيا، فقال له: هذا الرائي في بيته خشبة انكسرت، فليتفقدها، فعزم الفقيه، فوجد الخشبة انكسرت، فأخبر السيد بذلك، فقال السيد ينبغي أن أصلح الخشبة أنا؛ لأني الذي عبرت الرؤيا.

ومن عجيب ما اتفق من وصفه بالفراسة: أنه كان القاضي العلامة الحسن بن أحمد الحيمي، وزير السيد أحمد بن الحسن بن القاسم، عند دخوله

بالجنود إلى بوصان وديار الشام، وكان السيد أحمد بن الحسن يعول على رأي القاضي، وحقَّ له أن يفعل؛ فإن القاضي كان عُذَيْقَها المُرَجَّب، وجُذَيلها المُحَكَّك، فرأى القاضي في النوم أنه والسيد أحمد بن الحسن تحت ثوب واحد، فأراد أن يعرض بالرؤيا، فقال للسيد أحمد: رجل رأى أنه وآخر، فقال له السيد: رأيت أنك والسيد أحمد بن الحسن بن القاسم تحت ثوب واحد، فقال القاضي: والله! ما غادرت منها شيئاً، وتعجب القاضي، فقال له السيد: لا تعجب، هذه رؤيا قد كنت رأيتها لنفسي، أنا وسيدي الحسن ابن الإمام القاسم، وأوّلها لي شيخي أحمد بن موسى سهيل بهذا التأويل، وكان مكاني من الحسن مكانك من أبيه.

وله من هذا القبيل شيءٌ كثير.

توفي بصنعاء سنة إحدى وسبعين وألف، ودفن بخزيمة، وقبره بها مشهورٌ ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٤٧٣] أحمد بن عبدالله بن أحمد ابن الشيخ العلامة عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ المكي الشافعي، تلميذ العلامة الشهاب أحمد بن حجر[١].

كان من أعيان الأفاضلُ وصدور الأماثل، **ولد** بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، و«الإرشاد»، و«ألفية العراقي»، و«ألفية ابن مالك»، و«جمع الجوامع» للتاج السبكي، وغيرها، واشتغل بالعلم على أكابر الشيوخ المكيين، فأخذ عن الشيخ عبدالله باقشير عدة علوم؛ كالفقه والأصول، والعربية، والعروض، والمعاني والبيان.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٨).

وتفقه بالشيخ عبد العزيز الزمزمي، ولازمه مدة حياته، وجلس للتدريس بالمسجد الحرام بعد وفاته، وأخذ عن الشيخ علي بن الجمال، ولازم شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي عدة سنين، وكان معيد درسه بالمسجد الحرام الأمين حتى برع، وفاق أقرانه، وأجازه كل من هؤلاء الشيوخ المذكورين.

وأخذ الطريق والتصوف عن السيد العارف بالله سالم بن أحمد شيخان، وتلقن منه الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عن السيد المحقق محمد ابن علوي، وعن السيد صاحب الأحوال عبد الرحمن الإدريسي المغربي، وعن السيد العارف عبد الواحد الغرب، صاحب القنفذة، وانتفع به، وأخذ عن جماعة.

وكانت الفتاوى ترد عليه، فيجيب عنها بأحسن جواب، وأعذب خطاب، وكان باذلاً نفسه لإصلاح ذات البين، وإذا تصدر في قضية، تمت على أحسن الأحوال، وذلك يدل على حسن نيته، وطيب طويته.

توفي بمكة ليلة الاثنين، سادس عشر شهر محرم الحرام، افتتاح سنة سبع وسبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن شعره: قوله مجيباً للفاضل محمد الدرا الدمشقي عن قصيدةٍ أرسلها إليه:

أعقودٌ من النظام الغالي … أم نسيبٌ في رقة الجِرْيالِ

أم غرامٌ مستودَعٌ في حشا الألـ … ـفاظ صوناً له عن التمثالِ

أم عقارٌ في أخذه اللبَّ والحسـ … ـن ولكن بمحض الأزجال

أمتعَ اللحظَ والمسامعَ واللمـ ... ـسَ وحلَّ اللسانَ عن اعتقالِ
هو ثوبُ البشيرِ وافى على حيـ ... ـن ترجّ لساعةِ الاتصالِ

ومنها:

أذكرتنا أسجاعُه مفصِحاتٍ ... ساجعاتِ الحمام في الآصالِ
فوحقِّ الهوى وطيبِ وصال ... لم ترغْه يدُ النوى بِمِطالِ

ومنها:

وصحابٍ عهدتُهم كنجوم ... قارنت بدرها بأفق الكمال

ومنها:

ما رأينا إلا الكمالَ وهل ... يصدر إلا من نفس أهل الكمالِ
ولقد صدق الفؤاد ولكنْ ... سمعُه عنك أجملُ الأفعالِ
فحظِينا بالقول منك وبالفعـ ... ـل ولا ريبَ في صفا الأحوالِ
وأتتنا لميّا تذهب باللبْ ... ـبِ ذهابَ النفوس في الآجالِ

ومنها:

فكأن الألى تقدم عصر ... لهم إذ أتيتَ ساعة حالِ
فابق في مَحْتِدِ المفاخر مولًى ... شأنهُ الوصلُ عند قطع الموالي
ناعمَ البال في مرابعِ أنسٍ ... أسعدتها يدُ الهنا بوصالِ
آخذاً في الفخار أكملَ حظٍّ ... ما تبدَّت طوالعُ الإقبالِ

وقوله مستغيثاً بالنبي ﷺ في مرض حصل له:

يـا صـاحبيّ حَقِّقـا ميعـادي وانطلِقـا لأخـصبِ الوهـادِ

ومنها:

ولاحظاني في السرعة فإنني[1] نِضْوُ هوًى مقرح الأكبادِ
قد ترك الجفن مفازة فلا يضوي إليه وافد الرقاد
وضلَّ شرخ العمر في بياضٍ أشرقَ من أشعةِ الأفوادِ
فعرِّجا بمسرح السِّرب الذي ليس له مرعًى سوى فؤادي
وخَفِّضا عليكما وخلِّيا دمعي السفيحَ رائحاً وغادي

ومنها:

يرملُ في جرعائها يعسفُها لا يعتريه وهنُ الوَخَّادِ
ويجعل الهبا عقيقاً أحمراً من النجيع الأحمر الفِرْصادِ
ويترك القاعَ لهم أعقةً يكرع منها كلُّ صبٍّ صادي
وزفرة قد غُرست بمهجتي وطلعُها في لِمَّتي بادي
تتابعتْ حتى يُخال أنني من فَرَقٍ لمنجِدٍ أنادي
أذابتِ القلبَ سوى ما أحرزوا لما أتوا من وسط السوادِ

ومنها:

وعاذل يعبثُ بي لو أنه يُجديه ما خطَّ بلا مدادِ

(١) كذا في الأصل.

يُنمِّــق العـــذلَ يخـــال أنـــه يمـــازجُ التـــشكيك باعتقـــادِ

كأنمـــا يـــرقُم فـــي كوثرهـــا أفــرغ فــي الفــؤاد مــن ودادِ

لا يقبل التعنيفَ في الهوى سوى مــن يقتنــي غيــرَ هــوى ســعادِ

واحَــرَّ قلبــاهُ وبــردَ المــشتهى هيهــاتَ كيــف مجمــعُ الأضــدادِ

ذادوا العيــونَ عــن ورد هــائمٍ زادت علـــى الأنـــواء للـــورَّادِ

ما حنَّ طرف جاد إذ قـد ضـنّ نـو ءُ الطرف أن يحمي عـن المبـرادِ

ومنها:

هيهــات لــم يبــرحْ يــرومُ نظــرةً مــن حــضرة الإســعاد والإمــدادِ

من حضرة المختارِ طه أصـلِ مبــ ـنى الكون في التعيين والإيجـادِ

من نور ذي العـرش الرفيـع كنهـه تـــواترٌ قـــد جـــاء بالآحـــادِ

فــي قــول لــولاك إشــارةٌ ولا جفــاءَ للمريــد فــي المــرادِ

يدريه من يـرى الـشؤون جُمعـتْ فـــي مفَـــردٍ مجتمـــعِ الإفـــرادِ

فـــأدم. . .[1] وغيـــره لـــه فــرعٌ علــى معنــى جلــيٍّ الــرادِ

وذاك معنــى أنــه أصــلُ الوجــو د أولٌ فـــي البـــسط بالأعـــداد

فاعجــبْ لــه ختمــاً نبيــاً أولاً قـد جـاء بـالتحقيق فـي الإسـنادِ

الواضح الحق الـصحيح حـسبما حَـــــرَّره أئمـــــةُ الإرشـــــاد

وبعــد أن زان جمــالُ وجهــه وجودَنــا جــاء الكمــال هــادي

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل وسكت هكذا: الاما.

فقـــام بالتوحيــــد داعيـــاً لـــه وراقـــب المـــدعَوْن بالمرصـــادِ

ومهَّــد الــشرعَ القــويم للــورى مبـــينَ الميعـــاد والإيعـــادِ

وشـــتَّ شـــمل الكفـــر بانتظامنـــا في سـلكه كالعقـد في الأجيـاد

ومنها:

فـــابتهج الكـــون نـــضارةً بـــه وصـدحت في دوحهـا الـشوادي

وخفقـــت ألويـــةُ النـــصر علـــى سـكون ريـح الكفـر والأعـادي

وزمزم الرعدُ على مسرى الـصَّبا وشـقت الـسحَب ظُبـا الغـؤادي

وأضحك الـروضَ بكاؤهـا على مـــسرة النتـــاجِ والإيـــلادِ

وأحيت الأنوا مواتَ الجدب من مرتـــع الـــتلال والوهـــادِ

ونُتِجـــت مـــن صـــلبه أئمـــةٌ قـادوا إلـى الإيمـان والرشـادِ

مـن مظهـر الزهـراء ذاتِ الفخـر في حضائر التقـديس والإسعاد

مـن حيـدرٍ علـي الطهـرٍ أميـــ ـــرِ المـؤمنين سـيدِ الأمجـادِ

ومنها:

قد أعرضوا عمَّـا بـه النـاسُ عُنـوا وصـــرفوا الوجـهَ إلـى المعـادِ

تزهَّـــدوا وذاك مـــن صـــفاتهم ذاتاً وهل يخفى شميمُ الجادي

قـد شـرفوا علـى الـورى فحبُّهم نصُّ الكتاب عـن حصى التعـدادِ

ومنها:

يـا سـيدَ الرسـل ويـا ختـامَ مـن قـد خُصِّـصوا بـوافر الأيـادي

يا خيرَ مبعوثٍ على ظهر الثرى ... بسببه أخصبت الأبادي
يا من هو الأَوْلى بكل مؤمنٍ ... من نفسه من سائر العبادِ

ومنها:

أخنتْ عليّ حوبةٌ جنيتها ... قد جرعتني غصصَ البعادِ
وعرَّضتني هدفاً لأسهم الـ ... إعراضِ لا أخلو من العوادي
وأخلقت صبري وجدَّ مطمعي ... في أن أُرى في هذه النوادي
وضاقَ ذرعي فذريعتي إلى ... رحابك الفيحاءِ شوقٌ حادي

ومنها:

فحُلَّ عقدي يا ملاذي مثلَما ... حللتَ عقدَ العسر بالإنقادِ
وأطلقِ القيدَ المحيطَ علّني ... في سوحكم أنفكُّ عن قيادي
فأنت كهفُ الملجِفين في الورى ... وغيرِهم من زمر القُصَّادِ
وأنت مقصودي وأنت موئلي ... وعمدتي في السهل والشدادِ
وأنت بابُ الله كلُّ من أتى ... من غيره يُسام بالإبعادِ

ومنها:

فمن دنا من سوحه ملتمساً ... بادره العفوُ إلى المرادِ
وعَمّه الفضلُ فقال شاكراً ... قد كثرت ذخائرُ الفؤاد

وقوله:

صلى عليك اللهُ ما تلألأت ... صفاتُك البيضُ على السوادِ

وهي عروض قصيدة الفتح بن النحاس، التي مطلعها:

قـــد نفـــدت ذخـــائر الفـــؤاد فكـــم أربـــى الـــدمع للـــسهادِ

وقوله متغزلاً...[1].

[٤٧٤] أحمد بن محمد بن مكي بن ولي الدين الحنفي المدني.

الفاضل الكامل الأريب، الشاعر المجيد اللبيب، النجيب ابن النجيب، الذي له في كل علم سهمٌ مصيب.

ولد بالمدينة في شهر ذي الحجة، سنة تسع وخمسين بعد الألف، وبها نشأ، وربي في حجر والده، وتأدب بآدابه، وأخذ عن الخطيب الفاضل أحمد البري، وغيره من علماء المدينة، ولما رحلتُ للمدينة، عام ثلاثة وثمانين بعد الألف، اجتمعت به، وحصل بيني وبينهٌ مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ.

وكان بعض الناس عذلني، على قصيدةٍ غزليةٍ، نظمتها لغرضٍ عرضَ، فبلغـه ذلك، فأتى إلى منزلي ذلك اليوم ليروحني، فلم يجدني، فكتب إلي ـ حفظه الله ورعاه، ومن كل سوء وقاه ـ قصيدةً منها:

أتيتُـك مـن شـوقي إليـك مـسلماً وقد صار قلبي في ودادك ذا شغلِ

فمن سوء حظي ما تملَّيـتُ سـاعة بمـرآكَ يـا ربَّ الفـصاحة والنُّبـلِ

فـــلا عتـــبَ إلا عليـــه فإنـــه[2] على نيل ما أهواه في الدهر ذو بُخلِ

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد ذلك ثلاث صفحات وثمن بياض».

(٢) الشطر الأول هكذا في الأصل، وهو غير مستقم موزون.

فيا من لـه لطـفٌ أرقُّ مـن الـصَّبا لقد ساءني ما قد لقيتَ من العـذلِ

فلا تـستمعْ قـولاً لـواشٍ وناصـحٍ ولا ترعوي عن حبِّ ذي الأعين النُّجْلِ

فمـا أنـت فـي حـبِّ الجِـآذرِ أولاً أشاع الهوى أسرارهَ يا أخا الفضلِ

بذا قد قـضى شـرعُ الغـرام بأهلـه فنصبرُ في حكم الحسانِ على القتلِ

إذا ما رنـا مـن يـشبه الظبـيَ لفتـةً وماس كغصن فوق دِعْصٍ من الرملِ

وأظهــر ورداً فــي شــقائق خــدِّهِ وسار يجرُّ الذيلَ تيهـاً علـى مَهْـلِ

وفاحَ شذاً خالٌ من المـسك عمَّـه محاسنُ أوصافٍ تجلُّ عـن المثـلِ

وأبـسمَ عـن دُرٍّ تـنظَّمَ فـي طـلاً ألذَّ وأحلى رشفُها من جنى النحلِ

فـأيُّ فـؤاد لـيس يـصبو لحـسّه ويشتاقُ من ذاك الغزال إلى الوصلِ

أيـا أيهـا العُـذَّالُ إن بنـي الهـوى رأوا اللومَ في حبِّ الحسان من الجهلِ

ففي معركِ الأحداق والمهج انظُروا ولوموا ولجُّوا بعد ذلك في العذلِ

تبـاركَ مـن حـبَّ الجميـلَ وأهلَـه ومن خلَق الإنسانَ في أحسنِ الشكلِ

إليك أخا الإفضالِ سارت شقاشقٌ مداعبـةٌ ترويـك بالجـدِّ والهـزلِ

فكنْ فاتحـاً بـابَ الرضـا لقبولهـا وأصلحْ معانيها من القول والفعـلِ

ودمتَ قريرَ العين في حفـظِ ربنـا ونسمعُ ما تروي ونكتب ما تُملـي

وصلَّى إلـهُ العـرش ربـي مـسلماً على المصطفى خيرِ الورى خاتمِ الرسْلِ

وأصــحابِه والآلِ مـا لاح بــارقٌ وغـرد قمـريٌّ علـى فَـنَنِ الأثـلِ

فأجبته بقولي:

أيـا أحمـدًا حـاز المحامـدَ كلَّهـا ويا فاضلاً من دونهِ كلُّ ذي فـضلِ

ويا ماجداً يسمو علـى كـل ماجـدٍ ويا من غدا في اللطف ممتنعَ المثلِ

ويا بنَ كـريمِ الطبـع مكـي الـذي ترفَّـع شـأناً عـن مقاربـة البخـلِ

على كل حالٍ لستُ محصٍ ثناءه ولكنَّ بعض القول يكفي عن الكـلِّ

بنفسيَ أفـدي منـكَ لفظـاً كلؤلـؤ وشعراً رقيقاً صار ذكراه لي نقلـي

بعثتَ بخَوْدٍ يُخجل البـدرَ حـسنُها عقيلةِ أترابٍ بها صـرتُ ذا شـغلِ

سـلافيةِ الألفـاظ شمـسيةِ الـسنا مُداميةِ الألمى بحال الشجي تملي

فأفرشتُها خـدِّي وأوسـدتُها يـدي وصـيرتها منـي بمنزلـة الخِـلِّ

وبِـتُّ أُعاطيهـا ثنـائي منظمـاً عليك وجادتْ عند ذلك بالوصـلِ

وقبلتهـا ألفـاً وألفـاً وضِـعْفَها فحيَّاك ربُّ العرش يا ذاكيَ الأصلِ

فلا زلتَ يا قُسَّ الفصاحة محسِنًا ودمتَ قريرَ العين مجتمعَ الـشملِ

وقد زرتَ عبداً صـادقاً فـي وداده وشأنُ الموالي هكذا يا مُنى السؤلِ

ولكـنْ حظـي العتـابُ وإنـه على جمعِ شملي بالأحبة ذو بُخلِ

وأعلمتَني أن قد شفقَت عليّ مـن مقالة عـذالٍ وليـسوا أُولـي عـدلِ

أبثك حالي يـا أخـا الـودِّ والـصفا ودهريَ أشكو وهو مني فـي حـلِّ

رمـاني زمـاني بالـصبابة والهـوى وذلك تقديرُ الذي جـلَّ عـن مثـلِ

وقد كان ظني الوصل من فاتِني الذي تحكَّمَ في بعض هـواه وفـي كلِّـي

فعـاملَني مـن غيـر ذنـب بهجـرةٍ فيا سيدي هل يستحقُّ الجفا مثلي

فمن أجل ذا قد ضاق صدري بما أرى ولم أتجَّرعْ بعد ذا غصصَ العـذلِ

على أنني لا أرتضي الذلَّ في الهوى وإن كان أولى لـي التحمُّـلُ للـذلِّ

ولكن أمرتَ العبدَ يصبُر للقضا — فصبراً على أحكام ذي الأعين النُّجل
ودمْ راقيا أوجَ الفضائل باقياً — وتخدمُك العلياءُ في الجِدِّ والهزلِ
وقابلْ جوابي بالقبول تكرماً — فإني مقرٌّ بالقصور مع الجهلِ
وحسنُ اختتامي بالصلاة مسلماً — على أحمدٍ خيرِ الخلائق والرسلِ
كذاك على الآلِ الكرامِ وصحبِه — نجومِ الهدى ما حنّ صبٌّ إلى الأهل

قولي: وإن كان أولى لي التحملُ للذل، أشير إلى قول لسان الدين ابن الخطيب التلمساني الأندلسي:

أيا ربّة الخالِ التي سلبتْ نُسكي — على أي حال أنتِ لا بد لي عنكِ
فإما بذلٍّ وهو أليقُ بالهوى — وإما بعزٍّ وهو أليقُ بالملكِ

وكتب إلى والده الأستاذ الشيخ محمد البكري من مصر، في صدر كتاب:

أُهدي التحايا والسلامَ الأسنى — لسيدٍ حاز الصفاتِ الحُسنى
العالمِ النحريرِ عينِ الكرُمَا — والماجدِ العظيمِ فخرِ العُظَما
من قد سما بالفضل والآدابِ — في رتبةٍ تعلو على السحابِ
حاكمِ شرعِ المصطفى بالحقِّ — أكرمْ به صديقَ آلِ الصدقِ
مكي أفندي عالي الجنابِ — وسيدِ الأحباب والأصحابِ
أبقاه ربِّي مع دوام الصحَّهْ — وزاده من المزيد منَحْه
مع أهلِه وجملةِ الأولاد — ما سحَّت السحبُ على البلادِ

واللهِ يــا إنــسانَ عــينِ الباصــرِ ... مــا غبــتُم سُــويعةً عــن خــاطري

أذكــركُم فــي كــلِّ وقــتٍ وزمــنْ ... بالمنقُبــات الغُــرِّ والفعــلِ الحــسنْ

لأنكــــم ملكتمــــو فــــؤادي ... بالحــبِّ والإخــلاصِ فــي ودادي

أســألُ ربَّ العــرش بالمختــارِ ... وجــدِّنا الــصديق ثــاني الغــارِ

وآلـــهِ وصـــحبه وشـــيعتِهْ ... وكـــلِّ شـــخص تــابع لُــسُنَّتِهْ

أن يجمعَ الــشملَ بكــم فــي طَيْبَــهْ ... عنــد مقــامٍ قــد شَــمَمْنا طيبَــهْ

دمــتُم مــدى أيــامكم فــي عافيــه ... ديــارُ مــن يَــشْنا هــواكُم عافيــهْ

وإننـــي محـــبُّكم محمـــدُ ... نجــلُ أبــي بكــرٍ وربــي يــشهدُ

سبطُ النبيِّ المصطفى خيرِ الــورى ... مختارِ ربِّ العرش مــن أم القُــرى

صـــلَّى عليـــه بالـــسلام ربِّـــي ... مــع آلــهِ أهــلِ التقــى والــصحبِ

مــا حــادي الركــبِ بمــدحي غنــىَّ ... أُهــدى التحايــا والــسلامَ الأســنى

فأجاب عن والده بقوله:

أقبـــل الأرضَ التـــي ثراهـــا ... فيــه جِــلا أبــصارِ مــن رآهــا

أرضاً سمت قــدراً علــى الــسماكِ ... وزاحمـــت مناكـــبَ الأفـــلاكِ

شمسُ الضحى تشتاق منها للقُبــلْ ... وتبتغيهـــا عوضـــاً عـــن الحمـــلْ

من سوحها ســالتْ ينــابيعُ الكــرم ... فأخجلَــتْ وســميَّ هَطَّــالِ الــديَمْ

بـــين يـــدي ســـلالةِ الـــصديقِ ... إمـــامِ أهـــلِ الفــضلِ والتحقيــقِ

الـــسيد البـــر الهمـــام العـــالِمْ ... مَـــنْ حبُّـــه فـــرضٌ علـــيّ لازمْ

قطبِ الوجودِ الوارثِ المحمــدي ... شمسِ الشهود ذي الكمال الأوحدِ

مِنِ امتطى من ذروةِ المجد القممْ　　　وخصَّه المولى بأعظمِ النعمْ

لا زالَ في حفظ الإله الباري　　　مبلَّغَ الآمالِ والأوطارِ

ونسأل الإلهَ جمعَ الشمل　　　في روضةِ المختار خيرِ الرسْلِ

صلَّى عليه ربُّنا وسلَّما　　　وآلهِ وصحبهِ أهلِ الحمى

ما غردتْ سواجعُ الحَمِام　　　واخضلَّتِ الأغصانُ بالغمامِ

وكتب مجيباً لبعض أصحابه، عن أبياتٍ أرسلها إليه:

هدت لآلي لفظكم للعيانِ　　　فقلدت سمعي عقودَ الجُمانِ

وحركتْ للقلب أشجانَه　　　كأنها الصهباءُ بنتُ الدنانِ

تفوق عقودَ الدرِّ في جيد ذات　　　الحسنِ مَنْ قامتُها غصنُ بانِ

كأنها روضٌ أريضٌ بدا　　　منه شذا النرجسِ والأقحوانِ

فأنت يا مولاي من معشرٍ　　　كانوا بلا ريب جمالَ الزمانِ

لا غَرْوَ إن نلتَ عُلا سؤددٍ　　　وأنت ربُّ الفضل والطيلسانِ

قد زرتَ قبرَ الهاشميِّ المصطفى　　　فلتهنِكَ البشرى ونيل الأماني

لا زلتَ يا مولاي في عزةٍ　　　دون عُلاك الشمسُ والفرقدانِ

شنف السمعَ نظماً غدا　　　شبه اللآلي مثقباً باللسانِ

ومن شعره قوله:

في طيبة كان لنا صاحبٌ　　　تظنه النفسُ شقيقاً لها

منحتُه صفوةَ ودِّ الإخاء　　　وخِلْتُه يمنحُ أمثالَها

فقابـــل الـــودَّ بهجـــرٍ بـــلا داعٍ لـــه يوجـــب فـــتحَ اللَّهـــا
وكـــم عقـــودٍ للوفـــا بيننـــا أطـــاعَ شـــانينا وقـــد حلَّهـــا
فقلـــتُ يـــا نفـــسُ دعيـــه فـــذا مثـــل التـــي قـــد نقـــضَتْ غزلَهـــا

وله من أبيات:

إيـاك والبغـيَ أن ترضـى بـه أبـداً واتركْ هوى النفسِ تنجو من الأعادي
وكـــنْ بنفـــسك مـــشغولاً تهـــذبها فالنفسُ أعـدى عـدو ذاتُ إفسادِ
ولا تكنْ بِمَساوي الناس مـشتغلاً وراقـبِ الله فـي خـافٍ وفـي بـادِ
قد قال واصفُهم حقـا أخـو فطـنٍ ممن يجيدُ فـصيحَ النطـقِ بالـضادِ
الناسُ أحلامُهم شـتَّى وإن جُبلـوا علـــى تـــشابه أرواحٍ وأجـــسادِ
للخيـر والـشرِّ أهـلٌ وكِّلـوا بهمـا كلٌّ لـه مـن دواعـي نفـسه هـادي

وكتب إليّ من المدينة، في صدر كتابٍ قوله:

بعثتُ على نُجُب النـسيم سـلامي إلـى أهـل ودِّي مـن أعـِّز كـرامِ
فوجدي بهم أضنى فؤادي وبعدَهم غدا نـاحلاً جـسمي بفـرطِ سَـقامِ
ترقـرق عينـاي الـدموع وتـسكبا ولـولا الـدِّما قلنـا كـسحِّ غمـامِ
أخـلايَ مـن جيـرانِ مكـةَ حـبُّكم مقـيمٌ بقلـبٍ قـد مُلـي بكُـلامِ
ألا إن أعـــوام الوصـــال كـــساعة وســـاعةَ أيـــام البعـــاد كعـــامِ
لكـم عنـديَ الـودُّ الأكيـدُ أصـونه ونـــشرُ ثنـــاء عنـــدَ كـــل مقـــامِ
فـلا زلـتمُ فـي صـحةٍ وسـلامةٍ مدى الدهر في العليا كبـدرِ تمـام

[٤٧٥] القاضي أحمد بن سعد الدين بن حسين بن محمد بن علي بن محمد بن غانم بن يوسف بن الهادي بن علي بن عبد العزيز بن عبد الواحد ابن عبد الحميد الأصغر بن عبد الحميد الأكبر المسْوري[1].

ذكره تلميذه القاضي أحمد بن أبي الرجال في تاريخه «مجمع البحور»، وأطال في ترجمته، فقال: شيخ الشيوخ، وأستاذ أهل الرسوخ، العلامة الذي تعطف له أعناق التحقيق، وتكشف بساحاته أنوار التدقيق، يَسَّر الله له العلم فصار جماعة، وهيأ له أسبابه فهو أستاذ الجماعة.

أما الحديث، فهو الحاكِم المستدرِك، وأما التفسير، فهو محمود الرواية والدراية المدرِك، وأما علوم المعقول، فهو المطلق التصرف فيها، فهي بين مقيد ومعقول، وأما الكتابة، فهو المعتقد لمعادها الوثير، وهو قاضيها الفاضل الأثير فيها وابن الأثير، رسائله المثل السائر في الأطراف، وأمرها ونواهيها الفلك الدائر القاطع لدائر أهل الخلاف، مقتبسة من أنوار الكتاب، ناطقة بالحكمة وفصل الخطاب، فكم من مرفوعٍ بالباطل خفضَتْه، ومخفوضٍ بعوامل النصب رفعَتْه.

نظر في العلوم الإسلامية، فاستخلص الزبد من لبنه، وأسس قواعدها بجواهر الشرع لا بآجرة ولَبِنه، ومع ذلك يقوم الليل إلا قليلا، ويقطع أيامه صلاةً وتلاوةً وتسبيحاً وتكبيراً وتهليلاً، وقد ظهرت عليه آثاره، وزهرت على جبينه أنواره.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٢٩) (٢٥٥)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٢١) (٤٨)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٣٠٩) (٢٤)، «البدر الطالع» (١/ ٥٨)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤١٨).

كان من خواص الإمـام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وأكبر وزرائه، وعمدته عليه في سائر شؤونه وآرائه، بل هو كان المدبر لمملكته، والمقوي لشـوكته، ثم من بعد صـار عنـد أخيـه الإمام المتوكل على الله تعالى أعظمَ الوزراء، فهو عُذَيقها المرجَّب، وجُذَيلها المحكَّك.

مولده في ثاني شعبان، سنة سبع وألـف، ورباه والده، وأقرأه العلوم النافعة، ثم لازم عدة من الشيوخ الجلة، حتى سبق في العلوم، وتخرج بـه علمـاء كمـلاء، ولم يزل على سيـرةٍ حسنـةٍ، وحالةٍ مستحسنةٍ، حتى **توفي** بـ «شهارة»، يوم الثلاثاء، سادس عشر محرم، سنة تسع وسبعين وألف، وقبره بجوار الإمام القاسم والمؤيد بالله ـ رحمهم الله ـ، ورثاه القاضي أحمد بن أبي الرجال بقصيدةٍ مطلعها:

رويـدكُما فالـصبر لا أسـتطيعهُ ... تمنَّـعَ قلبـي وكـان يطيعُـهُ
وقد كنتُ جَلْداً يألف الصبر خاطري ... يقولـون لـي رحـبُ الجنـانِ وَسـيعُهُ
فها أنا يرثي لي عدوي من الأسـى ... فـؤادي ثـوى بـالجحيم طلوعُـهُ
وذاب فـؤادي بالـدموع نجيعُـه ... فهذا فـؤادي فـي عيـوني جميعُـهُ
يحـق لمثلـي مـا لقيـتُ وإنـه ... ليخفى على غيـري فلسـت أذيعُـهُ
فلولا دموعُ العين أبدتْ سـرائري ... كتمتُ ولكن ضـرَّ سـري دموعُـهُ
وهـل ينبغـي لـي أَن أرى متبـسماً ... وقد هُدّ من حصن الكمـال منيعُـهُ
وقـد كـان بحـراً لا يجـف عُبابـهُ ... وقـد كـان بـدراً لا يـزال سـطوعُهُ
يتـرجم عـن آي الكتـاب بمنطـق ... يزيـد علـى نظـم البـديع بديعُـهُ
فيظهـر مـن سـرِّ الكتـاب عجائبـاً ... إذا مـا رآهـا الألمعـيُّ تروعُـهُ

ووالله ما أغرقتُ في وصف حالِه وذلك أدنى الوصل كيف رفيعُه

منها:

وتوفيق ربٍّ لم يفارقه ساعةً إذا نام فالتوفيقُ ذاك ضجيعُهُ

تنوح عليه الصالحاتُ جميعُها نُواحَ ذليل هدّ منه منيعُهُ

وتبكي عليه المَكرماتُ لأنها صنيعَتُه فليبك فيه صنيعُهُ

وتبكي محاريبٌ بها كان باكياً وكان بها جنحَ الظلام ركوعُهُ

وتبكيه أعوادُ المنابر كلُّها فما منبرٌ إلا بكته فروعُهُ

لعَمْريَ لم أسمع خطابةَ خاطبٍ تشابهه ألفاظُه وخشوعُهُ

دعوني وشأني فالبكاءُ بعضُ حقِّه ولم يقض حقاً من تفيض دموعُهُ

وما أنا والسلوان لو كان مُسعدي وأملكه ملكاً لكنت أبيعُهُ

ولكنَّ لي عند الحوادث أسوةً إذا ذكرت في الخطب هان قطيعُهُ

مماتُ صفيِّ الدين والآلِ بعدَه ولي أملٌ أن النبيَّ شفيعُهُ

عليه سلامُ الله ما عقب الضحى ظلاماً وما وافى بليل هَزيعُهُ

[٤٧٦] أحمد بن صالح العَنْس[١].

كان من أجلاء العلماء وخيارهم، وأهل الالتفات إلى الله، والحلم الكثير، والعقل الراجح، وشاهدُ ذلك: زهدُه في هذه العاجلة، وكان من خواص السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم، وعيبة سره، وقرينه في قراءته على الشيخ لطف الله بن الغياث.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١ / ١٤٧) (٥٣).

ثم انقطع للعبادة ببئر العزب، غربي صنعاء، واشتغل بجليل الكلام ودقيقه، وتذكر قول قاضي القضاة: إن الفقه قد يقرؤه أهله لمقاصد، وأما علوم التوحيد، فليست إلا لله، و«شرح كتاب الرياضة».

توفي في شهر صفر، سنة تسع وستين وألف، ودفن بخزيمة، قريباً من قبر السيد محمد المفتي ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٤٧٧] أحمد بن تاج الدين بن محمد بن أحمد الكفرسوسي الأصل، المدني المنشأ والمولد[1].

رئيس المؤذنين بالمسجد الحرام النبوي ـ على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ـ، ممن نشأ في حجر النباهة، ورضع ثدي الوجاهة، من لدن صباه إلى كبره، كان فاضلاً مفتياً، في علوم كثيرة، ومهر في علم الحساب، والميقات والتنجيم، وانفرد بمعرفة علم السيميا، والزيارج، والحدثان، بطرقٍ متعددةٍ، فنال بذلك وجاهة عند الأمراء، وأرباب المناصب، ذا فهمٍ ثاقبٍ، وحذقٍ عجيبٍ.

أخذ العلوم المذكورة، والأزياج والحرف والتقويم، وأكثر الرياضات عن والده، وعن الرئيس عبد السلام الزمزمي المكي، وأخذ علوم الحديث عن محمد بن علان، والطريق عن محمد القشاشي.

ذكر الشيخ عبدالله العياشي: أنه أخبره: أنه رأى في صغره في المنام: أنه دخل بستاناً، وقيل له: هذا بستان العلوم، فرأى فيه أشجاراً كثيرةً، كل شجرةٍ تنسب إلى علم من العلوم.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٩).

قال: فإذا شجرة لقيتني، وأنا داخل من باب البستان، شجرة علم النحو، فإذا ساقها الكلام، كأنه مكتوبٌ مستطيلاً مرتفعاً في الهواء، وتفرعت من ذلك الساق أغصانٌ ثلاثة، أحدها: اسمٌ، وثانيها: فعلٌ، وثالثها: حرفٌ، كأنها مكتوبةٌ أيضاً على هيئة الساق المتقدم، ثم تفرع ساق الاسم إلى فروعٍ كثيرةٍ، من معربٍ ومبني، ومعرفةٍ ونكرةٍ، ومشتقٍّ وجامدٍ، إلى غير ذلك، وكل فرعٍ ينقسم إلى فروع آخر العلوم، وهلم جراً، ثم الفعل كذلك، ثم الحرف، إلى أن كمل فن النحو كله، وكذا أشجار سائر العلوم.

قال: وبقيت صورة ذلك منقوشةً في خاطري، وإني أشاهدها الآن، قال: ولما استيقظت، قصصت الرؤيا على والدي، فاستبشر بها، قال: ولم أزل من ذلك الوقت يختلج في خاطري تصنيف كتابٍ جامعٍ للعلوم التي رأيت في الرؤيا، أسميه بالاسم الذي ذكر لي في الرؤيا، وأرتبه على ترتيب ما رأيت.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ونظمٌ ونثرٌ حسنٌ، منها: «شرحٌ حسنٌ على منية الحساب» لابن غازي، وهو حافلٌ، وتذكرةٌ جمع فيها فوائد كثيرة، وسماها: «السفينة»، قال: لأن السفينة تحمل أصناف المتاع، من دنيٍّ وسنيٍّ.

توفي بمكة، يوم الأحد، سادس عشري شعبان، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بالمعلاة.

ولما قدم المدينة الشيخ عبدالله العياشي، كتب إليه هذه الأبيات، يطلب منه عارية بعض الكتب، وكانت عنده خزانة كتبٍ كثيرة، وهي قوله:

شهاب الدين مولانا ابن تاجِهْ   فنعمَ التاجُ أنجب في نتاجِهْ

شهابٌ من سما العلوم يهوي ... لإحراق الجلالة باحتجاجِهْ

فكم من معضل قد حار فيه ... أساةُ الكلم زال لدى علاجِهْ

وكم من مهمهٍ كانت سلوكاً ... به العلماءُ خيم في فجاجِهْ

وكم علمٍ وحلم في حياء ... ولين القول رُكِّبَ في مزاجِهْ

له ذهنٌ توقد من ذكاء ... فكلُّ العلم يُقبس من سراجِهْ

غدا فرداً فسدَّ مسدَّ جمعٍ ... لمن قد أمّه في نيل حاجِهْ

عليكَ به إذا ما رمتَ علماً ... ودعْ عنك المعاندَ في لجاجِهْ

فنورُ علومه في ليلِ جهلٍ ... يضيء لمن قد توغَّل في إدلاجِهْ

قد احتجْنا لكُتبٍ منك تأتي ... ومثلُك أنت يوثر في احتياجِهْ

وعذراً في التخلفِ عن لقاكم ... وذلك للحشا أقصى ابتهاجِهْ

وللمعذور وقت. . .[1] لا ... يطيق المرء ذاك مع انزعاجِهْ

أيا من قد تفرَّد في علاه ... بخُلقٍ كالصباح لدى انبلاجِهْ

عليكَ تحيةٌ مني فقابلْ ... ثنائي بالقَبول على اعوجاجِهْ

[٤٧٨] أحمد بن صلاح بن الهادي.

ذو المكارم السائرة، والمحاسن الظاهرة، وله من بديع النظم ما يفوق الرياض البهية؛ كالأبيات الرائية، التي يعاتب بها العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المَهَلاَّ الشرفي، من تأخر المعاهدة، **وأولها**:

أما وجيشِ غرامٍ حلَّ ناصرهُ ... ما مِلتُ عن صدقِ وُدٍّ ملّ ناصرُهُ

(١) كلمة غير واضحة في الأصل رسمت على شكل قبله من دون فقط.

ولا صرمتُ حبال الودِّ مقتفياً ... آثارَ من حل بالسلوان خاطرُهُ
ولا تناسيتُ عهداً لم يحل أبداً ... ولا يحل وإن بانت مظاهرُهُ
وذاك من شيمتي لكنَّ من عجبي ... لناصرٍ عجزت عني مصادرُهُ

وهي طويلةٌ.

وأول جواب الناصر: قوله في خلال نزول الغيث، واستمر أياماً:

وافى النظام فما درٌّ يناظرُه ... ولا يدانيه زهرُ الروض ناضرُهُ
أزرى بمفتر زهر الروض باكره ... في تاسع الشهر شهرِ الخير ماطرُهُ
تراكم السحب فانهلت مواطرُه ... عمَّ البلاد ويتلو ذاك عاشرُهُ
ويوم حادي أتى في ليلة مطرٌ ... ثم استمر إلى أن جاء باكرُهُ
فاهتزت الأرضُ من وكّافِهِ وربتْ ... وأنبتت كلَّ زوج فاح ناشرُهُ
هذي الحدائقُ من أعنابنا رُويت ... لله أحلام من فاقت مساطرُهُ

ومنها:

هذا وعاتبت فيه من صَداقته ... صدقٌ ومن هو صافي الودِّ عامرُهُ
دَلَّ العتابُ على صافي ودادِكم ... والخِلُّ كالماء تبدو لي ضمائرُهُ

وهي طويلةٌ رائعةٌ بديعةٌ، ولولا خوف الإطالة، لأوردت من مجراته الدائرة بين أهل مودته شيئاً كثيراً.

ومن شعره: ما كتبه إلى شيخنا الحسين بن الناصر المهلا:

إليكَ اشتياقي لا إلى الربع والمَغْنَى ... شديدٌ وحقِّ الحقِّ ربي الذي أغنى

وأقنى ومن للكون كان مكوناً ... ومن هو حيٌّ دائمٌ قَطُّ لا يفنى

بأني على العهد الذي قد عهدتَه ... قديماً مقيمٌ ما تدومُ وما دمنا

أخي عمدتي خِلِّي خليلي الذي حوت ... خلائقُه الحُسنى إلى يُمنها يُمنا

إليك سلامي وهو لم يكن نافعي ... إذا لم أقبّل بعدَه كَفَّكَ اليُمنى

وإني لأرجو أن أراك بحضرتي ... وأشهدَ يوماً بالسنا وجهك الأسنى

ومنها:

فهاك حسين مثل ما قد رقمته ... .[1]

وأبلغ أباك البحر عني تحيةً ... فُرادى وَكرِّرْها على سمعِهِ مَثْنى

وقل إن شوقي أيّ شوقٍ غدا له ... وفرط التياعي بالأعنة لا يُثنى

[٤٧٩] أحمد نظام الدين الأمير ابن الأمير محمد معصوم بن نظام الدين أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن صدر الدين محمد بن غياث الدين منصور، وأمه الشريفة فاطمة بنت السيد العلامة نصير الدين إبراهيم ابن سلام الله بن مسعود بن صدر الدين محمد بن غياث الدين منصور، وتقدم رفع بقية النسب، في ترجمة جده أحمد نظام الدين بن إبراهيم، وأم فاطمة بنت سلطان بن إبراهيم مرزا الحسيني الصفوي الموسوي[2].

قال ولده السيد علي في كتاب «سلافة العصر في محاسن أخبار أهل

(١) جاء في الحاشية: «لم تذكر الشطرة الثانية بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٧٨) (٢٩٥)، «سلافة العصر» (١٠)، «البدر الطالع» (١/ ٩٨)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٣٢٧) (٢٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٠٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٩).

العصر»: ناشر علمٍ وعَلم، وشاهر سيفٍ وقلم، وراقي ربى نجد، من سامي علا ومجد، إمام بن إمام، وهمام بن همام، وكفى شاهداً على هذا المرام، قول بعض أجداده الكرام: ليس في نسبنا إلا ذو فضل وحلم، حتى تقف على باب مدينة العلم.

وهذا فرع طاب أصله، ومبرز أحرز فضله، طلع في الدهر غـرة، ملأ العيون قرة، فألقت إليـه الرياسة قيادها، وأقامت به السيادة منآدها، فأصبح ومرتبته العلياء، وعبده الدهـر، وأَمَتـه الدنيا، إلى علمٍ بهرت حجته كالبحر زخرت لجتـه قـذف دُرّاً، فكشف ضرّاً، وناهيك بمعرق أصل، وذي منطق فصل، وأنا متى نَعَتُّ حسبه، فإنما أنعتُ مجدي، ومتى وصفت نسبه، فإنما أصف أبي وجدي، بيد أن أقول، وإن رغم كل أبي: **شعر**:

هذا أبـي حين يُعـزى سـيدٌ لأبٍ ... هيهاتَ ما للورى يا دهرُ مثلُ أبـي

مولده ومنشؤه الطائف بالحجاز، والقطر الذي هو موطن الشرف على الحقيقة وسواه المجاز، سنة سبع وعشرين بعد الألف، وربي في حجر الحجر، وغذي بَدرِّ زمزم، فغرد طائرُ يمنـه على فَنَن سعـده وزمزم، ولما ضاع أرجُ ذكره نشرًا، وتهلل محيًا الوجـود بفضله بِشْرًا، وغار صيتـه وأنجد، وأذعن لمجده كل همام أمجد، عشقت أوصافَه الأسماع، وتطابق على نبله العيـانُ والسماع، فاستهداه مولانا السلطان إلى حضرته الشريفة، واستدعاه إلى سدته الوريفة، فدخل الديار الهندية عام خمسة وخمسين وألف، فأملكه من عامِهِ ابنتَه، وأمكنه من إنعامِه جنتَه.

وهناك امتـد في الدنيا باعُـه، وعمـرت بإقباله رباعُه، وقصده الغادي

والرائح، وخدمته القرائح بالمدائح، فهو يتجلى مع محتده الطاهر، ومفخره الباهر الظاهر، بفضلٍ تثني عليه الخناصر، وتثني عليه العناصر، وأدبٍ تشهد به الأقلام، وتشحذ به أسنة الإقدام.

قلت: قد ذكر ـ في كتابه المذكور ـ كثيراً من مدائح الشعراء فيه، وجملةً كافيةً من شعره، وقطعاً بديعـةً من نثره، ومراده بالسلطان الذي استدعاه إليه، وزوجه بنته، وضمه إليـه: شاهنشاه عبدالله بن محمـد قطب شاه، ملك حيدر آباد، وما والاها من البلاد، وقـد انتهت إليـه؛ بسبب تقربه إلى السلطان، بتلك الأرض الرياسة، ووفد إليه، وقصده الناس من أقصى البلاد النائية، وساس أحسن سياسة، حتى أدرك السلطان أجله، فتولى الملك بعده ـ في قصةٍ يطول شرحها ـ أبو الحسن قريب الملك المذكور، وصهره على ابنته الأخرى، فألزم صاحب الترجمة بيتـه إلى أن وافاه أجله، ولقي ما عمله، فكانت سنة **وفاته** سنة ست وثمانين بعد الألف، بحيدر آباد.

ومما اخترته من شعره: قوله:

مثيـــر غـــرام المـــستهام ووجـــدِه	وبيض سرى من غَور سَلْعٍ ونَجْدِهِ
وبـــات بـــأعلى الـــرقمتين التهابـــه	فظـــل كئيبـــاً مـــن تـــذكر عهـــدِهِ
يحـــنّ إلـــى نحـــو اللِّـــوَى وطُويلـــعٍ	وبانـــاتِ نجـــدِ والحجـــاز ورنـــدِهِ
وضالٍ بذات الضالِ مزح غـصونه	تفيـــأه ظبـــيٌ يمـــيس ببـــرده
يغارُ إذا مـا قـستَ بالبـدر وجَهـه	ويغـضبُ إن شـبهت ورداً بخِّـدهِ
كثيـرُ التجنـي ذو قـوام مهفهـفٍ	صبيحُ المحيا لـيس يـوفي بوعـدِهِ
ملـيحٌ تـسامى بالملاحـة مفـرداً	كشمسِ الضحى كالبدرِ في برج سعدِهِ

ثناياه برقٌ والصباحُ جبينهُ ... وأما الثريا فقد أُنيطت بعقدِهِ
فمن وصله سكنى الجنان وطيبُها ... ولكنْ لَظى النيران من نار صدِّهِ
تراءى لنا بالجيدِ كالظبي تالعاً ... أساري الهوى من حكمه بعضُ جندِهِ
روى حسنَه أهلُ الغرام وكلُّهم ... يتيه إذا ما شاهدوا ليل جَعْدِهِ
يُعنعن علمَ السحر هاروتُ لحظِه ... ويروي عن الرمان كاعبُ نهدِهِ
مضاءُ اليمانياتِ دون لِحاظه ... وقفلُ الردينياتِ من دون بعدِهِ
إذا ما نضاعن وجهه البدرِ حجبَه ... صبا كلُّ ذي نسكٍ ملازمُ زهدِهِ
ورأي محيّا قاصراً عنه كلُّ مَن ... أراد له نعتاً بتوصيف حدِّهِ
هو الحسنُ بل حسنُ الورى منه مُجتدًى ... وكلُّهم يعزى لجوهرِ فردِهِ
وما تفعل الراحُ العتيقةُ بعضَ ما ... بمبسمِه بالمحتسي صفوَ ودِّهِ

وقوله في مليحٍ اعتلّ طرفه:

يا جوهراً فرداً علا ... من أين جاءك ذا العَرَضْ
وعلامَ طرفُك ذا المريـ ... ـض أعلّه هذا المرضْ
عهدي به مما يصيـ ... ـب فكيف صارَ هو الغَرَضْ
ها قلبيَ المعمودُ نصـ ... ـبٌ للنوائب يرتكضْ
فاجعله ياكلَّ المُنَى ... بدلاً لما بكَ أو عِوَضْ
فاسلمْ مدى الأيام يا ... ذا الحسنِ ما برقٌ وَمَضْ
فمذِ اعتللتَ أخا المها ... في الطرفِ ما طرفي غَمَضْ
ونحيلُ جسمي مذ ونيـ ... ـتَ وحقِّ عينِك ما نهضْ

أنــــت المـــرادُ ولــــيس لـــــي　　　فــي غيــر وصــفِك مــن غــرضْ

[٤٨٠] أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن المعروف بأبي الرجال بن سرح بن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن أمير المؤمنين أبي حفص عمر ابن الخطاب ﷺ(١).

قد أفرد ترجمته في مؤلفٍ أخوه محمد بن صالح، قال فيه: كان مجده كلمـة إجمـاع، وفضله موصول السند بلا إعضال ولا انقطاع، جمع خصال الكمال، وكمال الخصال، على جلالة قدر، ونباهة شأن، وعلو كلمةٍ، مع صدق اللهجة، وطهارة المهجة، قلّما قعد في محفل، إلا وكان بـه صدراً، وقلّما برز في ليل مشكلات الأمـور، إلا وأضاء بـه بدراً، وله في العلم اليد الطولى، والسابقـة الأولى، فقـد جنى أزهـارَه وأثمـاره، وأفنى فيـه أصائله وأسحارَه، وحقق دقائق الفنون، ودقق معلومها والمظنون:

ما زال يـسبق حتـى قـال حاسـدُه　　　لـه طريـقٌ إلـى العليـاء مختـصَرُ

جمع أشتات المحامد، وقيد أوابـد الفوائد، ونقد الصحيح من أقوال العلمـاء وزيف الفاسد، يغرف من بحر لا تكـدره الدلاء، ويملي من سبب تتقاصر عنه الأنواء، مع عبادةٍ وزهادةٍ، وعنايـةٍ بالمسلمين وسعادة، اختص

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٠)، «البدر الطالع» (١/ ٥٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٣٧) (٥٢)، «هديـة العـارفين» (١/ ١٦٢)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٤٤٣).

بها من العزيز الرحيم، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[البقرة: ١٠٥]، وكان أحسن الناس خلقاً، وأسهلهم جانباً، وأكرمهم نفساً، صدقاته وأياديه تفيض على الأقارب والأباعد، صاحب حميةٍ على الإسلام، وحمايةٍ من كل معاند، فكم له من يدٍ في نصرة الحق، والتكلم بالصدق وإن شق! وكم حل بفطنته الوقادة من مشكل، وكم جلّى بحميد سعيه من خطب معضل:

قاضٍ إذا اشتبه الأمرانِ عَنَّ له رأيٌ يفرِّقُ بين الماء واللبنِ
القائلُ الصدقَ فيه ما يضر به والواحدُ الحالتين السرِّ والعلنِ

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ عذب الفكاهة، كريم السجية، حلو الحديث، حافظاً للأنساب والتاريخ، قديمها والحديث، إذا رويت له قصةٌ أو نكتةٌ من الماجريات، أتى لها بأمثالٍ من حفظه، ونظائرَ تعجب سامعه، ويحقق كم ترك الأولُ للآخر، محبوباً عند كل أحد، وإن لم يخل فاضل من حسد.

وكان محمود السيرة، ماضي الكلمة، شديد العزيمة، نافذ الفهم في الأمور والبصيرة، واسع الأخلاق، قلت ذلك والنقاد بصير، ولا ينبيك مثل خبير، وكان لكمال مجده يعدُّ في العلماء، ويعد من القادات الرؤساء، وفي أكابر الوزراء، أو أعيان الكتاب للإنشاء، مع أن أرباب الآداب لهم منه أوفر نصيب، وله اصطبار على مجاحمة الأمور الكبيرة، ومصاولة الأمور الخطيرة.

واختص بالإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان عَيبة سره، ووزيره في نهيه وأمره، وكان يعتمد عليه في الخطابة والكتابة، ويستعين به فيما يرد من السؤالات من الأقطار، لما تحقق منه الإصابة، فنصح له ولرسوله

ولإمامه، ونال من السعادة غاية سؤله ومنتهى مراده، وحفظه وذكاؤه ما لا يختلف فيه اثنان، وأما بلاغته، فقد عرفت في خطبه ورسائله، وفتاويه ومحاوراته، وعلى الجملة: فخلائقه غرر وحجول، وطرائقه مما يَعْرُض شرحُ محاسنها ويطول:

إن النســـاءَ بمثلـــهِ عُقْـــمُ عقــمَ النســاءُ فــلا يلــدْنَ كمثلــه

ولو استوعبت صفاته، لطال المجرى وتوسَّع، وإن كان ذلك ذكر نعمان الذي هو المسك الذي ما كررته يتضوَّع، ولكني أميل إلى الاختصار، وأجنح إلى الاقتصاد والاقصار.

مولده ليلة الجمعة، إحدى ليالي شعبان، سنة تسع وعشرين وألف، بالشبط من بلاد ذَرْى، من جهات الأهنوم.

وقرأ على مشايخ أجلاء، وسبق في العلوم وجلَّى، وأكثر الترحال إلى جهة اليمن ومدنه، ولازم حضرة الإمام المتوكل على الله، وكان مقامه مثابة للعلماء الشاسعين، فضلاً عن الأدنين.

فمن أجل شيوخه: الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، أقام بحضرته في «شهارة» مدة للقراءة عليه، وعلى غيره، ولازم مجلسه، وكان إذا غاب، عاتبه، فسمع عليه: «مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم»، و«أمالي المؤيد بالله»، و«أمالي أبي طالب»، و«تذكرة الفقه» للعلامة الحسن بن محمد النحوي، وكتاب «الثمرات» للعلامة يوسف بن أحمد، و«ذخائر القربى»، و«المدخل في أصول الفقه»، وغير ذلك.

ثم الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، لازمه من عام أربعة

وخمسين إلى أن فارق الدنيا، وقرأ عليه عـدة كتب، منها: كتاب «الأحكام للإمام الهادي»، و«شرح التجريد» للمؤيد بالله، و«أصول الأحكام» للإمـام أحمد بن سليمان، و«البحر» ثلاث مرات، و«الثمرات» للفقيه يوسف، و«الغيث» للإمام المهدي، و«البيان» لابن مظفر، و«شرح الأثمار» لابن بهران، و«شرح الفتح».

وسمع عليه من «الكشاف» من سورة الروم إلى آخره، مع إحضار جميع الحواشي الموجودة في اليمن، وفي بعضها يحضر «تفسير البيضاوي» وحواشيه أيضاً، وقرأ عليه «البخاري» مرتين، آخرهما إلى البيع، و«صحيح مسلم» بقراءة إبراهيـم بن الحسـن بن سـعيد العيزري، وسـمع عليـه «سلاح المؤمن» في الأدعية، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية، وكثيراً من «إغاثة اللهفان» له، في منزل الكتب الذي كان له بدرب الأمير، المعروف ببيت القابعي.

وسمع عليه كتاب ابن القيم في «الرد على المنجمين» بمحروس الدامغ بضوران، وكتاب الإمام يحيى شرف الدين، في «سد الأبواب إلا باب علي كرم ـ الله وجهه ـ»، و«الفصول اللؤلئية» وكثيراً من «المنهل الصافي»، و«نهج البلاغة» مرات، و«أمالي أبي طالب»، و«سلسلة الإبريز»، و«أمالي أحمد بن عيسى»، وكتاب «العلم» للقـاضي جعفـر، و«سيرة ابن هشام»، وكثيـراً من «مغني اللبيب» في النحو، وكتاب الإمام المنصور بالله، الذي صنفه في «الفرق بين الإمامية والزيدية»، و«التحذير من الانخداع»، و«التفصيل في التفضيل»، وغير ذلك من الكتب.

ثم السيد العلامة المحقق صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، قـرأ عليـه: «الخبيصي»، و«شرح التلخيص» للسعـد،

و«المعيار» للإمام المهدي، مع إملاء «المنهاج»، و«القسطاس»، ومن تفسير «جامع البيان» جميع تفسير الزهراوين بطهران من ناحيـة الحرجة، و«كتاب ابن هبـة الله في الناسخ والمنسوخ»، و«القصص الحق المبين في النعي على أمير المؤمنين»، وغير ذلك.

ثم العلامة السيد عز الدين بن ذريب.

ثم السيد المتأله الرباني المحقق جمال الدين الهادي بن عبد النبي بن حَطَبَة، وطالما أنهلَه وعلَّه من معين علومه، وكان ذكياً فريداً.

ثم السيد عضد الخلافة محمد بن الحسن بن القاسم، سمع عليه كتاب «ينابيع النصيحة» للأمير الحسين، بمدينة «أب»، وحضر عنده في «التذكرة»، و«أصول الأحكام»، وفي عدة كتب، في فنون.

ومن شيوخه: محمد بن عز الدين المفتي، والقاضي العلامة أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمـد المِسْوَري، لازمه سنين، وقرأ عليه كتباً كثيرةً يطول ذكرها.

ومنهم: العلامة إبراهيم بن يحيى الشحري، المعروف بالسحولي.

ومنهم: أحمـد بن سعيـد بن صلاح الهبل، وأخوه حافـظ المذهب، عبد القادر بن سعيد الهبل.

ومنهم: الإمام العلامة محمد بن الهادي بن محمد بن علي بن محمد ابن سليمان بن أبي الرجال، وكان هو المتولي تربيته، واشتهر على لسان أهل عصره بأنـه من الأبدال، وكان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، وقرأ عليه كتباً كثيرةً أيضاً.

ومن شيوخه في العربية: محمد بن يحيى الكليبي القضاعي، ومحمد ابن جعفر، ومحمد بن الحاج أحمد دعيش العشميّ، والسيد عز الدين بن علي العبالي، والقاضي العلامة محمد بن عبدالله بن المهلا النيساي، قرأ عليه كتباً منها: قصيدة الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش، وتخميسها للسيد العلامة صالح بن عبدالله بن مُفَل القاسمي، وأول القصيدة وتخميسها:

إن رمتَ أشرفَ ما تعلو بمطلبه　　وتكسبَ الحمدَ من مكنونِ مكسبهِ
وفيك للمجد نهجٌ غير مشتبهٍ　　فاجهد لكل الذي يرضى الإلهُ بهِ
وحبلُ عمرِك بالآمال موصولُ

ومنهم: العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، قرأ عليه في علوم القراءة، وكتب له إجازةً، قال في أولها:

سألتني يا بنَ أبي الرجال　　يا سامياً في رتبِ الكمالِ
وأنتَ في هذا السؤال عندي　　كسائلٍ كيف طريقُ نجدِ
أهلْ طويلٌ ذاكَ أم قصيرُ　　تعلّلاً وهو بها خبيرُ

وقرأ في علوم القراءات أيضاً على محمد بن صالح الأصابي، وعلي الحرازي، وعلى سعيد السريحي.

ومن شيوخه: محمد بن عيسى شجاع الشُّقَيقي - بضم الشين المعجمة بعدها قافان بينهما تحتية بصيغة التصغير - من أهل المخلاف السليماني، والعلامة حسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي، قرأ عليهما بصعدة، وأخذ «حزب النووي» عن الرئيس أحمد بن عامر الجماعي.

وأما شيوخه في الفقه، فكثيرون، منهم: العلامة محمد بن صالح بن عبدالله بن حنش، والعلامة الحسين بن محمد البشاري، والحسين بن علي الشركاني، وأحمد بن صالح الغوري، والسيد العلامة محمد بن يحيى الظفيري الغُرْباني، والعلامة إبراهيم بن الحسن الفيزري، وأحمد بن صالح الحري الشرفي، ومحمد بن عبدالله الآنسي، من علماء مسطح، والحسين بن يحيى السحولي، والسيد العلامة محمد بن الهادي بن حجاف الحبوري، وشرف الإسلام الحسن بن أحمد الحيمي، وكان لا يفارقه، والعلامة الحسن بن يحيى ابن أحمد بن حابس، قرأ عليه علوم العربية.

ومن شيوخه: الوجيه محمد بن أحمد الزبيدي، من ساكني صنعاء.

ومنهم: أستاذ العصر عبد الرحمن بن محمد الحيمي، كان لا يفارقه أيام إقامته بصنعاء، وقرأ عليه كتباً حافلةً.

ومنهم: العلامة أحمد بن صالح العنسي، تلميذ الشيخ لطف الله بن الغياث الظفيري.

ومنهم: العلامة جمال الدين علي بن محمد بن سلامة.

وقرأ بمدينة أب، على العلامة عبد القادر الجعشني.

ومنهم: العلامة الفاضل علي بن صلاح القلاصي.

ومنهم: العلامة محمد بن إسماعيل البخاري، قرأ عليه بمدينة «أب» أيضاً كتباً عديدةً، وكتب له إجازةً حافلةً، وقرأ على السيد العلامة الحسن بن شمس الدين الحجاف، خال الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان سيداً جليل القدر، متعففاً متقللاً من الدنيا، محله محطُّ رحال الفضلاء من الغرباء وغيرهم.

وأخذ عن العلامة أحمد بن أحمد الشابي المغربي القيرواني، وكان من أعجب الأسباب أن المترجم حج عام ثلاثة وخمسين، وحج تلك السنة الشيخ المذكور، فاتفقا بين منى والمزدلفة، قال المترجم: فرأيته ينظر إلي كثيراً، ويسمع مني شيئاً كنت أذكر به من أدعية الحج، وتوهم أني من المغرب، وأنا نظرته، فقطعت أنه يودُّني وأودُّه، ثم رجعت إلى صنعاء، فلم نلبث بها إلا شهوراً، حتى ورد إليها، وسكن مسجد عقيل، وحف به الفضلاء، فأخذت عنه، وقرأت عليه «شفاء القاضي عياض»، وكتباً أخرى.

ومنهم: العلامة علي بن محمد بن مرجان الشافعي، قرأ عليه بتعز: «تيسير الربيع».

ومنهم: العلامة أحمد بن محمد القلعي، نسبةً إلى قلعة مصر، قدم صنعاء، قرأ عليه «ألفية الحافظ العراقي في علوم الحديث».

وأخذ بمكة عن خاتمة الحفاظ، شيخِنا محمد بن علاء الدين البابلي القاهري، وعن العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي، والشيخ العلامة إبراهيم بن حسين بيري مفتي مكة، وأجازوه.

وله التصانيف النفيسة في فنون العلوم، نظماً ونثراً.

منها: «الموازين الرجيحة للبراهين الصريحة شرح العقيدة الصحيحة» للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

ومنها: تاريخه الذي لم يسبق إليه، وسماه: «مجمع البحور ومطالع البدور.

ومنها: «الهدية إلى من تحب والهداية إلى ما يحب».

ومنها: «تذكرة القلوب التي في الصدور في حياة الأجسام التي في القبور».

ومنها: «الجواب الشافي للصدي إلى عبد العزيز الضمدي».

ومنها: «بغية الطالب وسؤله في سبب نزول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]».

ومنها: «إعلام الموالي بكلام ساداته الأعلام الموالي».

ومنها: كتاب «مجالس التفهم».

ومنها: «إنباء الأبناء بطريقة تبلغهم الحسنى» جامع نسب آل أبي الرجال.

ومنها: «مجاز من أراد الحقيقة».

ومنها: «الوجه الأوجه في حكم الزوج الذي ضيع الزوجة».

ومنها: «تيسير الشريعة لوارد الشريعة».

ومنها: «تيسير الأعلام بتراجم تراجمة التفسير الأعلام».

ومنها: «حاشية على الأزهار».

وله رسائل مشتملةٌ على علوم أكثرها لم يسمها.

وله النظم الذي يزري بسلك الدر، والنثر الذي يهزأ بالنجوم الزهر، وقد قلدتُ جيدَ هذه الترجمة من عقود نظمه، ما يروق في العيون النواظر، ويفوق الرياض النواضر، ولم يمدح أحداً من أهل زمانه، وإنما شعره في الإلهيات، والوسائل والنبويات والإخوانيات.

فمنه قوله:

بنـــور توحيـــدي وإشـــراقهِ   أعـوذُ مـن ظلمـة ليـلِ الرمـوسْ

بحسن ظني عذتُ من خيبة ما بعدَها واللهِ في البؤسِ بوسْ

وقوله:

ولم أر كالخمول أراحَ قلبي وصيّر لي من الأعداء إلفا
وقد كانت أحبائي قليلاً وقد صاروا مع الإعراض ألفا
أقاموا السوقَ في ثلبي ونقصي وأخفوا في العلا ما ليس يَخْفى
كأعريةٍ على جملٍ صحيح يطلب فيه جرحاً وهو معفى
وقد طلبوا منازعتي وإني أُلَقّى زحفهم في الفَيّ زحفا
كأكلبة على ميتٍ خبيثٍ ترى أصواتَها يرجفْنَ رجفا
ويأبى ذاك لي نسبٌ صميم شمخْتُ به على الأعداء أنفا
وتجربتي فقد جربتُ دهري وقد ذقتُ المرنَّق والمصفَّى
فما الأعمارُ توجب ذي البلايا فكم قبسٍ لطول الليل يطفى
ولي نفسٌ إلى العلياء تسمو ولكن مركبي في الدهر عجفا
أطالبها تحوزُ مدى المعالي فتخطَفُ هامة العَيُّوقِ خَطْفا
فتشكو رِكّةً من ضعف مرعًى فعدتُ أسومُها هوناً وخسفا
إذا لم تسفف[1] الدنيا بسؤلٍ فلُذ بالصبر تُحْمَ إذاً وتُكفى

وقوله:

أنا أكرمُ الكرماء غيرَ مدافَع أعطي الذخائرَ والنفوسَ تبرُّعا

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: تُسعِف.

أو ما ترى عُمري النفيسَ ذهبتُه حتى غدا في الترَّهات موزَّعا
أعطيتُه من غير مسألة ولا لي شاكر هذا الضلال لمن وعى
يا ربِّ وفقني لحفظِ ودائعي يا من يجيب أخا الهموم إذا دعا

توفي - رحمه الله - ليلة الثلاثاء، خامس شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وتسعين وألف، بصنعاء، وعمره اثنان وستون سنة وسبعة أشهر، وقبره بروضة حاتم، شرقي داره - رحمه الله تعالى -، ورثاه جماعة من الفضلاء بقصائد طنانةٍ، ذكرها المترجم له[1].

[٤٨١] أحمد المهدي لدين الله بن الحسن بن القاسم[2].

وبقية نسبه مذكورٌ في ترجمة جده القاسم، العلم الشهير، والملك الكبير، الذي ألقت إليه الرياسة زمامها، وصيرته المحامد في محراب الأماجد إمامها، وخيمت مضارب النبلاء بأعتابه، وأناخت ركائب الفضلاء برحابه، واتفقت القلوب على وده، وقام الإجماع على طلوع كوكب سعده.

قطب منطقة فلك الشرف الأسنى، ونقطة مركز دارة السؤدد العظمى، خلاصة الفروع الطاهرة العلوية، ونتيجة الأصول المقدسة النبوية، وبدر أفق السعادة، وشمس فلك السيادة، ذو الرياسة المتأصلة، والسيادة المتأثلة، الذي عمت أياديه كل حاضر وغائب، وجلا بهباته دياجي الغياهب.

كان هو ووالده وأخوه محمد أعيان عصرهم، وأئمة مصرهم، إذا ركبوا،

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سبعة أثمان صفحة بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٠)، «البدر الطالع» (١/ ٤٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١١٢).

زانوا المواكب هيبةً، وإن جلسوا، كان صدور المجالس، وصاحب الترجمة من بينهم متقلب في النعم، مختال بين الخول والخدم، معقود عليه الخناصر، وكان يقال: إنه سيف آل القاسم الأكابر، ذو جـودٍ ونوال، وإجابة للسؤال، ومحاسن ومفاخـر، ومكارم ومآثر، وفعل خير موصوف، وميل إلى جهات البر والمعروف.

ولي الإمامة بعد عمه الإمام إسماعيل المتوكل، ولقب نفسه بالمهدي لدين الله، فقام بأمرها أحسن قيام، وانتظم به الأمر أحسن انتظام، وكان مهاباً عند الخاص والعام، وفي أثناء دعوته، دعا ابن عمه السيد القاسم ابن الإمام محمد المؤيد، وخطب له على منابر الشرفين والأهنوم وشهارة وظُلَيمة وحجة وأكثر التهايم، وبعد أمورٍ كثيرةٍ يطول شرحها، حصل الاتفاق على إمامة صاحب الترجمة، واجتماع كلمة اليمن إليه، ومن حينئذٍ نفذت كلمته، وعمت سطوته وهيبته، وأطاعته الأئمـة القاسميون، وصاروا إليـه من كل حـدب ينسلون، ووفدت إليه قبائل العرب الأعيان؛ كحاشد وبكيل وقحطان.

وقام بأعباء الإمامـة، وسلك طريق العدل والاستقامة، وتعهد أحوال الفُضَلاء، وعم برد ظل عدلـه المَلاَ، وسار سيرة الأئمـة الهادين؛ مِن تفقد الضعفاء والمساكين، وأمنت السبل، ووفدت السُّفّار، من سائر الأقطار.

وكان ـ مـع اشتغالـه بأمور الرعايـا ـ منهمكاً على مطالعـة كتب العلم والأدب، وله ميل إلى الفُنون العلميـة، ومحاضرةٍ بديعةٍ سنيـةٍ، ولـه أشعارٌ حسانٌ، تتعطر بها الأردان، ومُدح، ووُفـد إليـه، وأثنى جميع الناس عليه، وألف الأدباء في سيره وأحواله مؤلفات، وبالجملة: فإنه كان من الآيات.

ولم يزل عليّ المقام، في أنسٍ ونظامٍ، حتى وافاه الحِمام، في ثاني وعشري جمادى الثاني، سنة اثنتين وتسعين بعد الألف، بالغراس التي اختطها صاحب الترجمة، شرقي صنعاء، وبها دفن، وقبره فيها مشهورٌ مزورٌ ـ رحمه الله وإيانا ـ آمين.

[٤٨٢] أحمد بن لطف الله السنانيكي الرومي، المولوي الصديقي الحنفي، الشهير بالمنجم(١).

أحد الأذكياء المشهورين، والعلماء المحققين، له المهارة التامة في العلوم الرياضية، حلو المداعبة، عذب المصاحبة، حسن الخلق، كثير المحاسن، وله أيضاً مهارةٌ بالنحو والبيان، والأصول والمنطق، وله اليد الطولى في النحو، وحل الأزياج، والمعرفة التامة بالأدب والشعر والتاريخ.

قرأ العلوم ببلاده، وأخذ عن شيوخٍ كثيرين، منهم: السيد خليل الموسوي، وبه تخرج في علوم المادة، ومنهم: شيخ الإسلام يحيى المنقاري، ومن في طبقته، وكانت له الوجاهة، والرياسة العظيمة، والقبول التام عند السلطان محمد سلطان الروم، وصار رئيس المنجمين عنده، ولم يزل على ذلك، حتى خلع السلطان محمد، فتغير حاله، وصودر بمال كثير.

ثم قدم القاهرة، ومكث بها سنين، واجتمعت به فيها، ثم جاور الحرمين، ولم يزل مدةً بمكة، ومدةً بالمدينة، ومدةً بالطائف، وهو مكبٌّ على العلم وإفادته، وصحبتُه بمكة مدةً، ونعمَ الرجلُ كان.

حتى توفي يوم الأحد، تاسع وعشري رمضان، سنة ألف ومائة وثلاث

---

(١) «هدية العارفين» (١/ ١٦٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٩١).

عشرة، وصُلي عليه عصرها بالمسجد الحرام، وقد جاوز السبعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: تاريخ حافل، و«حاشية على حاشية شرح الاستعارات للزيناري»، ورسائل مفيدةٌ في البيان، و«رسالة في آداب المطالعة»، وآثارٌ كثيرةٌ في فنون تدل على تمكنه ـ رحمه الله تعالى ـ[1].

[٤٨٣] أحمد بن أبي بكر السَّنَفي الخزرجي المالكي، الشهير بقَعُود، الحنفي[2].

كان إماماً عالماً كبيراً، ماهراً في فنون شتى، ناظماً ناثراً، قرأ على النجم الغيطي، والناصر اللقاني، ومَن في طبقتهما، وعنه: ولده أبو بكر، والشهاب الخفاجي، وكثير، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، نظماً ونثراً، منها: «منظومة في النحو»، و«منظومة في الزحافات والعلل العروضية»، وتذكرةٌ جمع فيها من لقيه من الشيوخ ومن عاصره، وكثيراً من نظمه البديع.

وسبب شهرته بقَعُود: أنه حج صحبة الأستاذ الشيخ محمد بن الحسن البكري، أركبه قعوداً كان الشيخ يركبه لأجل المنادمة في الطريق، فاتفق لما وصلا إلى المدينة، بعد تمام الحج، أن الجمال جاءهما وأخبرهما أن القعود مات، فتعب المترجم حينئذٍ، فقال له الشيخ: لا تتعب، نُركبك أحسن منه، فلم يفده، وذهب وهو متغير الحال إلى النبي ﷺ، وذكر ذلك تجاه الضريح،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحةٌ وثلث بياض بالأصل».

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ١٣٣) (١١٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٥٩)، «لفت النظر» للجيلاني (٥٩٢).

فما رجع إلا والجمال رجع متعجباً إلى الشيخ يخبره أن القعود حي، فأخبره بذلك، فسرّه، فاشتهر من ذلك الحين بقَعُود.

توفي سنة سبع بعد الألف.

ومن شعره مخاطباً للأستاذ محمد البكري من أبياتٍ:

أحـــنّ إلـــيكم كـــلَّ يـــوم وليلـــة   ولا غروَ أن حنّ القعودُ إلى البكري

[٤٨٤] أحمد بن أبي بكر بن سالم بن أحمد بن شيخان باعلوي[1].

ورفع بقية نسبه في ترجمة ابن عمه محمد الشهاب، المقدَّم في العلوم الشرعيـة على أقرانـه، المنفرد بالفنـون الأدبيـة في زمانه، لا يشق له غبار، ولا يجري معـه غيـره في مضمار، إلى مكارم شيمٍ وأخلاق، هي من أنفس الذخائر أعلاق، وصفاء باطنٍ وظاهر، وناهيك بفرع ينتهي إلى ذلك الأصل الطاهر.

وُلد ـ كما أخبرني من لفظه ـ في شهر رجب، سنة تسع وأربعين وألف بمكة، وبها نشأ في حجر الفضل والمجد، وانتشق عَرْفَ خزامى تهامة، وشَميمَ عَرارِ نجـد، وتربى في كنف والده، وجمع بين خالد المجد وتالده، وحفظ القرآن العظيم، و«الإرشاد»، وبعض «المنهج»، و«ألفية الحافظ العراقي» في أصول الحديث، و«ألفية ابن مالك»، وغير ذلك من الرسائل.

ولازم أباه، وأخذ عنـه الطريق المسلسل سندها الفاخر، من كابر عن كابر، ولبس منه الخرقة الشريفة، وتلقن الذكر والمصافحة والمشابكة، ولازم

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٠٥).

الشيخ عبدالله بن سعيد باقشير في دروسه، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ علي بن جمال، والشيخ أحمد بن عبد الرؤوف، وعبدالله ابن الطاهر العباسي.

وحضر دروس العلامة عيسى المغربي، وأخذ عن العارف بالله عبد الرحمن المغربي، وألبسه الخرقة الأنيقة، ثم لازم محمد بن محمد بن سليمان المغربي ملازمةً تامةً، وأتقن عدة فنون، منها: الحديث والفقه، والأصول والعربية، وعلم الفرائض والحساب والميقات، والمعاني والبيان والعروض، وأمره شيخه محمد بن سليمان بالتدريس، فجلس بالحرم الشريف للنفع العام، وأخذ عن أحمد البشبيشي لما قدم مكة في حجته الأولى، وأجازه بمروياته.

وكانت له همةٌ تزاحم الأفلاك، وتراغم بعلو قدرها الأملاك، ونثرٌ وإنشاءٌ وجيز المعاني، يغني عن الروضة والأغاني، ونظمٌ رفع به إلى القريض راية، إلى أدبٍ لم يقصر في مداه عن غاية، وهدي وسنة ساد، وصلاح أسس بنيانه وشاد، وأدبٍ حلى به عواطل الأجياد.

وصنف عدة رسائل وتعاليق، واختصر تاريخ القطبي المسمى: «البرق اليماني»، وزاد فيه زيادات، ولكن لم تطل مدته، ومن ثم لم تتسع ترجمته، ولم يزل يكتب ويجمع، ويقرأ ويسمع، على صراط مستقيم، وسنن قويم، إلى أن دعاه داعي المنون وناداه، فأجابه ولباه، **فانتقل إلى رحمة الله** يوم الجمعة، سابع عشر ربيع الثاني، سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن بالمعلاة، بالحوطة عند قبور سلفه ـ رحمهم الله ـ.

ورثاه صاحبنا الشيخ علي السنجاري بقصيدةٍ تكتب من ديوانه.

وكتب لصاحبنا سراج الدين عمر بن سليم إلى اليمن، يخبره بوفاة أخيه سالم بقوله:

رَمــضانُ وأيُّمــا رمــضانِ ... وأنــا فيــه مَــسَّني مرضــانِ
فَقْــدُ رؤيــايَ الــسراجَ مـضيئاً ... وعــزايَ فــي ســالمِ الــشيخانِ

ومن شعره: قوله في مليح بكري:

يـا غـزالاً مرعـاه وسـطَ فـؤادي ... وحبيبــاً مــا زال دمعــي يــزري
أنتَ أولـى المِـلاح بالملـك حقّـاً ... بنصوصِ الـسماع إذ أنـتَ بكـري

وقوله مقتبساً في مليحٍ اسمه مبارك:

بـي مرسـل الألحـاظ مـع فترتهـا ... مقيـد الأوصـافِ وهــو مطلَــقُ
يــا أمــةَ العــشق هَلُمُّــوا إنــه ... مبــــارَكٌ فــــاتبعوه واتقـــوا

وقوله:

عــشقته كالبــدر ليلــةَ التمــام ... وغُرتــه تهــدي لــسبل المــرامِ
ذو وجنــةٍ يقطــر مــاء الحيــا ... منهــا وشَــعْرٍ كقتــام الظــلامِ
وثغــرُه الأشــنب فــي نظمِــه ... كعقــدِ دُرٍّ محكــمِ الانتظــامِ
ألحاظُــه المرضــى لهــا بــاترٌ ... يفعـل مـا لـيس لحـدِّ الحـسامِ
وريقُــه خمــر ولكــن لنــا ... دون احتساها رشقُ تلـك الـسهامِ
وقــدُّه المــائسُ غــصناً حكــى ... فـي لينـه وفـي اعتـدال القـوامِ
قلبــي عليــه غــدا طــائراً ... يـصدح سـكراً مـن حُمَيَّـا الغـرامْ

نبــيٌّ حــسنٍ قــد أتــى مرسَــلاً لأمــة العــشق بــشرعِ الهيــامْ

مــا قلــتُ فيــه انتهــت عــشقتي إلا وقال القلــبُ وعــدي بالحِمــامْ

يا عــاذلي فــي حــبٍّ مــن لــو بــدا فــي جــنح ليــل لأنــارَ القتــامْ

وَيْــكَ اطّــرحْ لــومي فلــومي عنّــى فلــست ممــن ينثنــي بــالملامْ

يحــلُّ فــي شــرع الهــوى أنني أســلو وحبــي صــالحٌ فــي الأنــامْ

إذا بــدا والبــدرُ فــي تَمِّــهِ تــستر البــدرُ بلُحْــفِ الغمــامْ

أو إن خطــا للظبــي فــي خيــسِهِ لفــر منــه خجــلاً مــستهامْ

وإن رآه ملــك قــال لــي تــاللهِ مــاذا بــشرى يــا غُــلامْ

يــا بــدرَ تَــمٍّ قــد غــدا فائقــاً بــدرَ الــدجى بــدوام التمــامْ

قد فتت الحــبُّ حــصى مهجتي وشــاهدي فيــه عــدولُ الــسَّقامْ

وواصــل الــسهدُ لقــا مقلتــي مــن بعــد مــا قــاطع طيــبَ المنــامْ

حتــى كــأني راصــدٌ أو فتــى موكَّــلٌ بعــدّ زُهــر الظــلامْ

إذا كتمــتُ الحــبَّ أفــشاه مــن عينــيَ دمــعٌ هامــلُ الانــسجامْ

فبالــذي أنبــتَ وردَ الحيــا بخــدِّك القــاني الجنــيِّ الكِمــامْ

إلا أبحْــتَ الــصبَّ رشــفَ الطِّــلا من ثغرك الأشــهى البــديعِ الختــامْ

لا زلــتَ فــي أوج البهــا ترتقــي وتــولي الخيــرَ لنــا والــسلامْ

[٤٨٥] أحمد أبو العباس شهاب الدين بن سليمان ابن الشيخ العارف بالله القطب الرباني خليل القشيري، القاطن بناحية سنّيح، المعروف الآن بصنّيل، بإقليم الأشمونين، وهو ابن محمد مزيد القرشي بن محمد بن الحسين بن

عيسى بن زيد بن الحسين غضارة ابن الإمام زيد ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، من «بحر الأنساب» للسيد محمد بن أحمد النسابة. انتهى.

هكذا نقل لي هذا النسب، بخط بعض أصحابنا المكيين، وأظن أن فيه حذفاً، هذا وخليل المذكور، خلَّف ذرية الآن بصنّيل، قال المترجم: وذكر لي بعض المشايخ: أن خليل المذكور من أولاد سيدي موسى أخي إبراهيم الدسوقي ـ نفعنا الله به ـ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

صاحبنا الشيخ الفاضل الجليل المتقشف، المالكي المذهب، الدسوقي الطريقة والمشرب.

وُلد سنة اثنتي عشرة بعد الألف تقريباً، وقرأ على العلامة علي الأجهوري، والشيخ العارف بالله علي المصري، صاحب «تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس»، وأخذ عن الشهاب أحمد السحيمي ـ بسين مهملة ـ، وعن الشيخ عبدالله المناوي، وعن الشيخ حجازي، وعن محمد بن عبد الخالق المنزلاوي، وعن حسن الشرنبلالي، وعن شيخنا محمد بن أبي بكر المرابط، ويحيى بن محمد الشاوي المغربيين، حين قدما مصر، وعن كثيرين.

وقدم مكة، وأخذ بها عن الأستاذ العارف بالله السيد عبد الرحمن بن أحمد المغربي الإدريسي، وألبسه طاقيةً بيضاء، وهي الكوفية بلغة المكيين، ورجع مصر، فصار يلبسها، ويحضر بها الدروس، فقال له بعض الطلبة في درس شيخنا سلطان: أنت أبو طاقية، فكني بذلك، واشتهر في مصر بأبي طاقية.

وكان قبل خامل الذكر؛ لتجرده وانقطاعه إلى الله سبحانه، واشتغاله بطاعته ﷻ، حتى قدم إلى مصر حسين باشا بن جانبلاط، فاعتنى به، وبالغ في تعظيمه، وعيّن له ما يكفيه من المعاليم بمعاشه، وقويت عنده كلمته، وسبب ذلك: أنه قدم إلى مصر رسولاً من السلطان إلى متوليها إذ ذاك إبراهيم باشا، فاجتمع به، وبشره أنه يتولى مصر عن قريب، فرجع حسين باشا إلى الروم، فما كان بعد أشهر حتى تولى مصر، بدل إبراهيم باشا المذكور، وكان من أمر الله ما كان.

ومن فوائده المجربة لمنع الإصابة من العين: أن يكتب قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ إلى: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾[القلم: ٥١] حروف مقطعة، وتعلق على الرأس.

قلت: ومن المجرب في ذلك: تعليق خشب المخيط، بشرط أن يقطع يوم السبت قبل طلوع الشمس، قال السخاوي: وكان الشيخ ولي الدين العراقي لا يفارق رأسه، واقتفيت أثره. انتهى.

[٤٨٦] أحمد بن أبي بكر بن سالم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن عبد الرحمن السقاف ﷺ(١).

ذو المناقب المشهورة، والكرامات المأثورة، سلالة السلف الصالح، وخلاصة الخلف الراجح، متبع السنة النبوية، ومقتفي الآثار المحمدية، له مقاماتٌ عاليةٌ، وأحوالٌ ساميةٌ.

ولد بقرية «عينات»، ونشأ بها، وتربى بوالده، واشتغل عليه، وأمره والده

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦١).

بالسفر إلى «تريم»؛ لزيارة من فيها، وللأخذ عن العارف بالله تعالى أحمد بن علوي، وكذا إخوانه، أمرهم أبوهم الشيخ أبو بكر بالأخذ عن الشيخ أحمد بن علوي، ولما سئل عنهم، أثنى عليهم خيراً، وقال: أزهدهم أحمد، وناهيك بشهادة هذا السيد الجليل، التي هي أوفى دليل؛ لتقدمه على إخوانه، وانفراده على أهل زمانه.

وحج بيت الله الحرام، وزار جده عليه ـ أفضل الصلاة والسلام ـ، ثم حج ثانيةً، ولقي من أكابر العارفين، وحصل له من الحرمين، ما نال بسببه سعادة الدارين، ولزم الطاعة والعبادة، وسلك ما يوصله لنيل السعادة، ودخل بندر عدن المحروس؛ لزيارة من به من بني العيدروس، فزار قبر الشيخ أبي بكر المذكور، وحصل له عنده مزيد فتحٍ ونور، ثم قصد زيارة شمس الدين الشيخ أحمد بن عمر العيدروس إلى داره؛ ليوفيه حق جواره، فخرج الشيخ أحمد للقائه، ولما رأى كل منهما صاحبه وقت لقائه، ولم يكن بينهما مصاحبةٌ، ولم يكلم أحدٌ منهما صاحبه، ولما سئل صاحب الترجمة عن ذلك، فقال: حال بيننا نور، منعنا أن نتكلم بلسان المقال، ورجع كل منهما إلى محله.

ورحل صاحب الترجمة من عدن إلى بندر الشَّحْر، فرآه طيب النشْر، فطنب به خيامه، وعزم فيه على الإقامة، وطارَ اسْمُه في الأقطار، وشاع اسمه فملأ الديار، وقصده الناس من كل البلاد، وعم نفعه وبركته الحاضر والباد، وظهر منه بمجيئه كراماتٌ ظاهرةٌ، ونالوا بسببه أحوالاً باهرة.

منها: أنه لما دخل مكة المشرفة، أتى لزيارة السيد إدريس بن حسن ابن أبي نمي، فقال له: ستلي أمر الحجاز بعد أخيك أبي طالب، فكان الأمر كذلك.

ومنها: ما ذكرها شيخنا محمد الشلي، نقلاً عن السيد محمد بن علوي: أنه أخبره: أن الشيخ أبا بكر الشهير بالقَعُود المصري، حصل بينه وبين صاحب الترجمة محبةٌ شديدةٌ، ومودةٌ أكيدةٌ، ولما سافر من مكة، خرج القعود معه للمودعة، ولما رجع، فقد خاتمه، وكان فيه وَفْقٌ عظيمٌ، وكان له معرفةٌ تامةٌ بعلم الأوفاق والأسماء، فتعب لفقده تعباً شديداً، ونام تلك الليلة في غاية التعب لذلك، فرأى صاحب الترجمة في نومه، وهو يقول له: تعبت لأجل الخاتم، هذا خاتمك، وألبسه إياه، فلما أصبح، وجد الخاتم في يده، ففرح فرحاً شديداً.

ومنها: أن بعض آل كثير قتل قاتل أبيه، وخاف من السلطان عمر بن مراد بإخراجه من دار الشيخ، فهجم العسكر الدار، وفتشوا جميع المنازل، فلم يظفروا به، ثم أخرجه ليلاً، والعسكر محيطةٌ بالدار[1].

ولأهل حضرموت والشحر ودوعن والسواحل ومقدشوه، فيه اعتقادٌ عظيم، وله عندهم قدرٌ جسيم، ويأتون بالأنذار الكثيرة، والأموال الغزيرة، وظهر لكثيرٍ منهم عظيم الكرامات، وخوارق العادات، وانتفع بصحبته جمعٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفير، من جميع الأقاليم، ولبس منه خرقة التصوف كثيرون.

وكان ـ رحمه الله ـ ملجأً للوافدين، ونهراً عذباً للواردين، وكان بدراً منيراً أينما طلع سطع، وغيثاً غزيراً كيفما وقع نفع، جبله الله تعالى على مكارم الأخلاق، وسلامة الصدر، وطيب الأعراق، ولم يزل على تلك الصفات، إلى أن تمت مدته ومات، **وكان انتقاله** سنة عشرين وألف، ببندر الشحر،

---

(١) يظهر أن هناك نقصاً في سياق الحكاية، والله أعلم.

وازدحم الناس على جنازته، وتربته من الترب المشهورة، وبالقرآن والدعاء معمورة ـ رحمه الله تعالى، ونفعنا به ـ.

[٤٨٧] أحمد بن أبي العنايات أحمد بن عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن مكية النابلسي، الشهير بالعناياتي(١).

نزيل دمشق، وشاعرها المشهور(٢)، اتفق أنه اجتمع في بعض الأيام بعالم الديار القدسية، الشيخِ عبدالله بن جماعة، بمكانٍ له يعرف بالطالبية، خارج بيت المقدس، فانقض على خوانه طيرٌ من اليرَاغ، وأكل مما فيه، بحيث لم ينفر، ولم يبرح يأكل، حتى شبع وطار، فارتجل في الحال هذه الأبيات، مخاطباً بها شيخ الإسلام المذكور، ولمّح إلى قصة الفخر الرازي مع ابن عُنَينٍ الشاعر المشهور، لما انقضَّت عليه حمامةٌ، وأجارها خيفةً من الجارح، وهي مثبتةٌ في «تاريخ ابن خلكان»، وغيره، وهي قوله:

إن كانت الورقاء في مجلس الرازي	سفّت خيفةً من جِراحْ
فهذه جاءت بلا خيفة	مجيء من جاء يروم استماحْ
أدامك الله لهذا الورى	غوثاً وغيثاً للنجا والنجاحْ

ومما كتبه على جدار مسجد البضعة الطاهرة السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، الكائن بقرية زاوية، بالقرب

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ١٧) (١)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٨٠) (١٠٣)، «معادن الذهب» للعرضي (٦٥) (١١).

(٢) جاء في الحاشية: «ذكر بالأصل أنه مكرر، وقد وجد في البيانين اختلاف».

من حِجّيرا، من ضواحي دمشق:

يا آلَ بيتِ النبيِّ طبتمْ	وطاب لي فيكمُ المديحُ
حُبّي بكم من أَلَسْتُ قِدْماً	ما عشتُ أو ضمَّني ضريحُ
يا درةَ الطاهرينَ عبدٌ	ملقًى على بابكم طريحُ
يا صفوةَ المصطفين عطفاً	فعبدُكم ودُّه صحيحُ
صلَّى إلهي عليكم ما	سحَّ سحابٌ وهبَّ ريحُ

[٤٨٨] أحمد بن أبي بكر بن عبدالله الشلي(١).

قال حفيده شيخُنا الإمام محمد الشلي في «مشرعه الروي»: وهو جدي الأدنى، ومحل مجدي الأسنى، إمام أهل زمانه، الفائق على نظرائه وأقرانه، عمدة المعلمين، وهداية المتعلمين، وإرشاد الغاوين، أحد من تُشدّ الرحال إلى لقائه، ويُستنشق أرجُ الفضل من تلقائه.

ولد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل الفضائل، وجد فيه فلم يترك مقالاً لقائل، وصحب من أكابر عصره كثيرين، وأخذ عن جماعة عارفين، منهم: الإمام أحمد بن علوي باحجدب، والشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمن، والقاضي محمد بن حسن، وتلميذه الفقيه علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الرحمن السقاف، وأدرك المحدث محمد بن علي صاحب «الغرر»، وأخاه القاضي أحمد شريف.

وحج بيت الله الحرام، وزار جده ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، وأخذ

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٨)، «عقد الجواهر والدر» للشلي (٣٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٥٨).

بالحرمين عن جماعة من العارفين، ولبس خرقة التصوف من والده، وغيره من مشايخه، وكان كثير السؤال، عما يقع لـه من أمور الدين من الإشكال، كثير التحري في أمور العبادة، كثير المداومـة على عمل البـر والسعادة، مع المداومة على الأوراد والأذكار، وكثـرة القيـام في الأسحار، وتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار.

وأخذ عنه جماعة كثيرون، منهم: سيدي الوالد، وشيخنـا عبدالله بن سهل بافضل، وآخرون كثيرون، كرعوا من معين فضله سلسبيلهَ، وأوضح لهم برهـانَ العلم ودليلهَ، وكان عالماً بالفقـه، ولكن غلب عليه علم التصوف، والاشتغال بكتاب الله، وسنة رسوله.

وكان كثير الخـوف والبكاء من خشية الله، وأثنى عليه مشايخه وأكابر عصره، والفوز بالخير والفلاح، وكان زاهداً في الدنيا، قانعاً منها بالكفاف، متدرعاً ثوب التقوى والعفاف، وحصلت له ـ رحمه الله ـ بشاراتٌ، من أكابر السادات، بنيل كمال السعادات، ولاحت عليه إشاراتٌ، وظهرت منه كراماتٌ، لكن عند الضرورات.

منها: أن السيد الجليل عمر بن أحمـد منفر، لما حفـر بئره المشهورة تحت تريم، اعترضت دون الماء صخـرةٌ عظيمـةٌ، فتعب لذلك، فلما علم صاحب الترجمة بأنه قصد وجه رب العالمين، وأن فيها نفعاً للمسلمين، كتب في حجارةٍ صغيرةٍ، ورمى بها على تلك الصخرة الكبيرة، فانهالت كالتراب، ونبع الماء كالعباب.

ومنها: أنه لما سافر للحج، في طريق الشط، حصل للركب الذي هو فيه عطشٌ شديدٌ، ومحلُّ الماء عنهم بعيد، فأخذ سيدي الجد قربةً، وتوارى

بجبلٍ صغيرٍ، ورجع بعد زمنٍ يسيرٍ، والقربة مملوءةٌ ماءً فراتاً.

وغير ذلك، وكان يقال: إنه يعلم الاسم الأعظم، والله تعالى أعلم.

ولم يـزل يـزداد من المغـانم، حتـى وافـاه الأجـل اللازم، فتوفاه الله ـ رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنات النعيم مثواه ـ.

وكانت **وفاته** في رجب الأصب، سنة أربـع وألف، ودفن بمقبرة زنبل، بقرب تربة والده وجده، وعظمت مصيبة أصحابـه لفقده ـ أنزل الله عليه وعلى سلفه من رحمته سلسبيلا، وسقاهم في الجنة كأساً مزاجها زنجبيلا ـ.

[٤٨٩] السيد أحمـد بن أبي بكر بن عمر بن عبدالله بن علوي الشيخ عبدالله العيدروس(١)

أحد الأولياء الصالحين، والسادة الكاملين، كان ورعاً زاهداً عابداً، له سيرةٌ مرضيةٌ، وطريقةٌ زكيةٌ، صحب أباه، وعميه: أحمدَ، وعلياً، وغيرهم من الأكابر، وسلك طريق القوم، بالصلاة والصوم.

وكان معظماً عند الملوك والأكابر، وأرباب السيوف والمحابر، راضيا بالقضاء والقدر، قائماً بإكرام من ورد وصدر، يُلتجأ إليه في الملمات، ويُنتفع بـه عنـد نزول المصيبات، ولم يزل حتى ناداه منـادي الوفاه، فأجابه ولباه، فكانت **وفاته** سنة أربع بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[٤٩٠] أحمد بن أبي العافية.

وبنو أبي العافيـة هم الذين كانوا ملوك المغرب الأقصى، فمما يمازج

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣).

برقتـه النسيم، امتزاج الماء بالراح، ويدخل من أبواب خروق المسامع على القلوب بلا استئذان، فترتاح به الأرواح. قوله. . .[1].

ومما يجري من قوله رقة مع الماء، ويكاد يمتزج بالهواء، ويأخذ بمجامع الأهواء. قوله. . .[2].

[٤٩١] أحمد أبو عمر الدمشقي المجذوب.

سـلطان المجاذيب بدمشـق؛ لأنه كان لا يفـوت الصـلاة والصوم في أوقاته، وله كشفٌ وحالٌ، قال الشيخ محمد الباقلاني: لما تقرر قضاء الشام، دفعةً ثانيةً، على المولى عبد الوهاب أفندي، فرح به أهل الشام، من الخاص والعام، إلا هو بمفرده، تفرد بسبّه وبُغضه، وقال: إن أهل الشام اجتمعوا على الضلالة، وهو لا مبارك عليهم، ولا يبقى إلا واحداً[3] وعشرين يوماً، وكان كذلك، فعزل المولى المذكور بعد أحد وعشرين يوماً، وجاء المولى أحمد الأباشي، وذلك في ذي الحجة، سنة سبع بعد الألف.

[٤٩٢] أحمـد بن أبي القاسم بن أحمـد بن محمـد بن علي بن عمر الأنصاري الخلي[4].

لقبوا بذلك؛ لكرامةٍ صدرت من بعض أسلافهم، بقلب الماء خلاً، كذا قيل، وبنو أبي الخل، بنواحي المهجم، بيتٌ شهيرٌ كبيرٌ باليمن، مشهورٌ بالعلم

---

(١) ورد في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض بالأصل أربعة أسطر».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض بالأصل ثلاثة أسطر».

(٣) في الأصل: إحدى، والصواب ما أثبت.

(٤) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٣٥) (٣٠٧).

والعمل والخير، وأصل بلدهم مأرب، بلد السد، الذي كان فيه سيل العرم.

قال الأهدل: وشهرة الخل تغني عن ضبطه، وقيل: إن فيهم ثلاث خصالٍ لا تخلو منهم: العلم، والخط، والاسم الأعظم.

الشافعي، الشاب الفاضل، الأديب الكامل، اللوذعي الأريب، الذي جمع الله له المناقب، فاختار منها وانتقى، ورأى أن أحسنها وأكرمها العلم والتقى، فصرف أوقاته في العبادة، ولم تمض له ساعة في غير الإفادة والاستفادة، مع شرف نسبٍ، وكرم حسبٍ، وطيب محاورةٍ تسك الأذهان، ويحتسي حمياها فكرُ كل لبيبٍ بأفواه الآذان.

مولده سنة أربع وخمسين وألف، بثغر جدة، ونشأ بمكة، وروى الفنون العلمية عن جمعٍ، منهم: الشيخ الفقيه عبدالله بن محمد الطاهر الشهير بعباسي، والعلامة المفنن عيسى بن محمد الجعفري، وغيرهما.

وتلقن الذكر، ولبس الخرقة، عن جمع من السادة العلويين وغيرهم، منهم: السيد الجليل أحمد الهندوان، والسيد العارف علي بن عمر باعمر، والسيد الكامل عبد الرحمن بن محمد العيدروس، وجماعةٌ آخرون، منهم ومن غيرهم، لم أذكرهم لكثرتهم، واشتغل بملازمة المولى الكبير، العارف الشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل الخلي.

اجتمعتُ به في جُدَّة، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، فرأيت فيه لطفَ شيمٍ ليس للرياض أخلاقٌ كما لَها، ولا للبدر ولو تكلف أن يحكي كمالَها، وهو الآن ـ حفظه الله ـ في جبهتها غرةٌ، وفي سماء كمالها الزاهية زهرةٌ.

وأنشدت له شعراً، تهزّ له الفصاحة أعطافها، ثم أوقفني ـ حفظه الله ـ

على ديوان شعره، فجنيت من ورده وزهره، منه: قوله مادحاً للسيد العارف بالله عبد الرحمن بن أحمد الإدريسي ـ نفع الله به ـ:

حَيَّا الحَيَا مراتعاً بنجدِ ... قد طاب فيها صَدَري ووِرْدي
مراتعاً كنتُ سميراً للدُّمى ... بها وتربَ ناهداتِ النهدِ
من كل هيفاءِ القوامِ غادةٍ ... يبسم فوها عن لآلي عقدِ
إذا انثنى بالدلِّ لون قَدِّها ... فأين منه عَذَباتُ الرندِ
ثقيلةُ الرِّدْفِ هضيمةُ الحشا ... يحكيهما تجلُّدي ووَجْدي
ضعيفةُ الطرف ولكنْ فعلُه ... في القلب أبلاني بضعف الجهدِ
كثيرةُ الخُلْفِ فما لصبِّها ... مطلُ وعيدٍ ونجازُ وعدِ
ميالةُ العطف لغير عاشقٍ ... ملولةُ الإلف لغير الصدِّ
ريانةُ الجسم يظل شارقاً ... دملُجُها منها بماء الزندِ

ومنها:

لها محيّاً كالصباح أبلجٌ ... من فوقه ليلُ أثيثِ جعدِ
وناظرٌ أجرى دموعَ ناظري ... وقفاً على عامل ذاك القدِّ
وحاجبٌ حجب عن جفني الكرى ... كأنه موكَّل بالردِّ
شكوتُ ما ألقى لقاسي قلبِها ... هيهاتَ هل تعطُّفٌ من صلدِ
يا قلبَها إن كنتَ صخراً إنني الـ ... ـخنساءُ فارحم لوعتي وسهدي
أما وأيام الصِّبا إن لم تعدْ ... كما عهدتُ وتفي بوعدي
خلصتُ من حبي لها بمدح مَنْ ... أحيا مآثرَ العُلا والمجد

قطبِ الوجود الندبِ نجلِ أحمدٍ ... مرشدِ من ضلَّ سبيلَ الرشدِ
ابنِ النبيِّ وكفى مفتخراً ... لو لم يكن ملجأ كلِّ وفدِ
كان من شمس النهار حلةً ... عليه فالناظرُ كالمستجدي

ومنها:

ربُّ المكرمات التي تعاظمت ... بين الورى عن حصرها بالعدِّ
غيثٌ إذا ضنت غيوثُ عامنا ... غوثٌ إذا عدَّت خيول الجهدِ
يلقاك بالبشر إذا أتيتَه ... وتنثني عنه بخيرِ رِفْدِ
كم قد لوى بؤساً وأولى نعماً ... وفك عانٍ من ثقيل القِدِّ

ومنها:

مولاي والكنزُ الذي ادخرتُه ... إذا فجا الكربُ لحلِّ العقدِ
أشكو إليك وإليك المشتكى ... حوادثاً قد ضاق عنها جهدي
ما لي سواك عدةٌ تكشفُها ... فإن ردَدْتني فمن ذا يجدي
وإن أفزْ منك بما أملتُه ... فما أنا قد فزتُ منك وحدي
فانظر إليَّ نظرة أنْجو بها ... فما أخافُ وأنالُ قصدي
وهاك عذراً لك قد جلوتها ... خاطرةً من البَها في بُرْدِ
حسناءَ لم ترض سواكَ كفؤَها ... لأنها قد أمنت من ضدِّ
سائرةً على ممرِّ دهرِها ... تعلن بالشكر لكم والحمدِ
أرجو بها مولايَ منك دعوةً ... يخفى بها نحس ويَبْدُو سعدي
دمتَ لنا ما أومضَ البرق وما ... حَيَّا الحَيا مراتعاً بنجد

والخلي: منسوب لبني أبي الخَلّ، وهم بيت علمٍ وصلاحٍ، شُهر منهم جماعةٌ بذلك، وأصلهم من مأرب، البلد الذي ينسب إليه السُّد، فيقال: سد مأرب، وهو الذي أرسل الله عليه سيلَ العَرِم، فأخربه، وهي جهةٌ متسعةٌ، خرج منها جماعةٌ من العلماء والصالحين.

وأصل جدهم من هنالك، وسكن موضعاً بناحية الوادي سُرْدُد، وتديّره، وأولد هناك، حتى صارت قريةً كبيرةً تعرف ببيت أبي الخل، ذكر الجندي جماعةً منهم «في تاريخه»، وأثنى وقال: سمعت الثقة يقول في سنة عشرين وتسعمائة: إن فيهم من حفظة كتاب الله تعالى ثلاثمائة وثلاثة وستين رجلاً، ذكره السرجي في «طبقاته».

[٤٩٣] أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي النقشبندي المكي[(١)].

كان واسطة عقد أهل الفتوة، ورابطة عقد الصفوة، جامعاً لأشتات الفرائد، ناظماً من درر الفوائد للنحور القلائد، صحب العارف بالله تاج الدين الهندي النقشبندي، وأخذ الطريق عنه، وانتهى رِيّاً بشرب الرحيق منه.

وله التآليف الغزيرة الجمة، الكاشفةُ بالدلالة لكل مشكلةٍ وغُمَّة، منها: «شرح على حكم ابن عطاء الله» لم يتم، و«شرح على أبيات الشيخ أبي مدين» التي مطلعها:

ما لـذةُ العـيش إلا صـحبةُ الفُقَـرا ... هم السلاطينُ والـسادات والأُمَـرا

و«شرح على قصيدة العارف بالله أحمد ابن بنت الميلق» التي أولها:

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٦٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٥٧).

من ذاقَ طعمَ شرابِ القوم يدريهِ   ومن دَراهُ غذاء الروح يشريه

وشرح على قصيدة الشهرزوري التي مطلعها:

لمعتْ نارهُم وقد عسعسَ الليـ   ـلُ وملَّ الحادي وحارَ الدليلُ

وهو عزيز الوجود، وله «رسالةٌ مفيدةٌ في طريق السادة النقشبندية» جمع فيها ما يحتاج إليه من الآداب واللوازم، وذكر فيها جملة مشايخ الطريق، أولي الصدق والتحقيق، بدأ منهم بشيخه الكامل العارف الواصل تاج الدين المذكور، وقد وشح رسالته المذكورة، السيد السند العارف الأمجد، سالم بن أحمد شيخان باعلوي بقواءات، ورشحها بمقالات، ونظم صاحب الترجمة نسبه المتصل بالصديق الأكبر، في أبيات كقلائد العِقيان، في أعناق الخردِ الحسان، وهي قوله:

أيا سائلي عن نسبتي كيفَ حالُها   جُدودي إلى الصدِّيق عشرون فاعددِ
مباركُ شاه حاوي المجد بعدَه   أبو بكر المأمون نجلُ محمدِ
ووالدُه قد جاء يكنى باسمه   وطاهر حَسْنَوَيْه الذي هو مهتدي
وعلان ثان جاء ثم حسنيهمُ   عفيفٌ أتى فيهم ويونسُ ذو اليدِ
ويوسفُ إسحاقُ وعمرانُ قد أتى   وزيدٌ به كلُّ الخلائق تقتدي
ومن بعده حاوي الفخار محمدٌ   ووالدُه الصديق ذخري ومنجدي

توفي بمكة، سحر ليلة الاثنين، سادس عشر شعبان، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، ودفن صبح ليلته، بالمعلاة، بالقرب من تربة السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها، وقبره هناك معروف.

[٤٩٤] أحمد بن إبراهيم المزجاجي الزبيدي، المعروف بالخَيِّر - بفتح الخاء المعجمة وكسر التحتية المشددة، وربما أشبعت، وبعده راء -.

كان شيخاً صالحاً، حصلت لـه عنايـةٌ بعد ذلك ربانيةٌ جذبته عن أهله ووطنه، فتركهما، وفرّ إلى موضع من الجبل، شرقي بلده السلامة، على دون مرحلة منها، فلزم موضعاً لا يخرج عنـه، واعتزل الناس ولم يخالطهم نحو تسع سنين، فصار معتقداً يُقصد للزيارة والتبرك، ونقل عنه كثيرٌ من الكرامات.

ثم رجع إلى السلامة، وعقب رجوعه احتفر بئراً عند قبر جده، واستمر على حالةٍ مرضيةٍ؛ من إيثار الخمول والتقشف، ومحبة أهل العلم والتواضع، والبعد عما عليه غالب متصوفة الوقت؛ من الدعاوى العريضة التي لا طائل تحتها، ثم بنى عنده مسجداً عنـد بئره، وهي خارج القرية من قبليها، ونقل مسكنه إلى هناك، ولم يزل ملازماً لبيته، لا يخرج عنـه قـط، بل من قصـد زيارتـه، والتماس دعائه، دخل عليه في مكانه، حتى توفي يوم النحر، عام ثمان وثلاثين بعد الألف - رحمه الله تعالى -.

[٤٩٥] أحمد أبو العباس بن علي بن محمـد بن إبراهيم مطير الحكمي اليمني الشافعي[١].

أحد علماء بني مطير الأكابر، الذين ورثوا العلم كابراً عن كابر، وبرعوا في سائر العلوم، وكرعوا من مشارب الفهوم، واشتغلوا بطاعة الحي القيوم، أخذ العلم عن والده، وتمتع منه بطريفه وتالده، وأغناه عن التردد على غيره، وجنى من ثمرات خيره.

---

(١) «الأعلام» للزركلي (١/ ١٨١).

وألـف المؤلفات المفيـدة، منها: «تسهيل الصعاب في علم الفرائض والحساب»، و«الروض الأنيق في النحو واللغة والتصريف»، وكانت وفاته ببلدهم عَبْس الحَضَن، من المخلاف السليماني باليمن، سنة خمس وسبعين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

جـددْ عهـودك بـالوادي وبالـسندِ ... بين العقيق وبين السفح مـن أحـدِ

ديارُ مَـنْ حـبُّهم فـرضٌ أديـن بـه ... ومن لهم منزلٌ قد شيد في خلدي

حيثُ النبوةُ حطَّت رحلَها وثـوتْ ... ومهبطُ الوحي والأمـلاك بالرشـدِ

مُهـــاجَرٌ لرســـول الله رحمتِـــه ... محمـدٍ أحمـدَ المبعـوثِ مـن أددِ

اختــصه اللهُ بالإرشـــاد مؤتمنــاً ... فهــو الوسـيلة بـين الله والعُبُـد

مـا كـان مـن قبلـه عِلـمٌ لأمتـه ... ولا لَـهُ كـان بالإيمـان ثـم هُـدِي

فــلا يُلِـمُّ بنــا أمــرٌ نُــراع بــه ... إلا سـألنا بـه مـن ربّنـا الأحـدِ

تفريجَ كربٍ وكشفَ الضرِّ في عَجَلٍ ... وعـــادةُ الله فينـــا أجمـــلُ الأُوَد

يا خالقَ الخلقِ يا من لا شريكَ له ... يا مالـكَ الملـك بـالآزالِ والأبـدِ

يا ملجئـي فـي الـورى كلهـا أبـداً ... يا منجدي من تخوفاتٍ ومن كمدِ

إليك أرفـعُ كفـي ضـارعاً خجـلاً ... وأُخلص الدينَ إذ أدعوك يا سندي

إلى أن قال:

وأخفضُ الرأسَ منقـاداً بـه وجِـلاً ... مـستغفراً لـذنوب جمَّـةِ العـددِ

مستـسقياً لـك غيثـاً مطبقـاً غـدقاً ... سـحّاً هنيّـاً مريّـاً مـصلحَ البلـدِ

عاماً دريـراً مريعـاً غيـرَ منقطـع ولا مـضرٌّ ولا مـؤذٍ ولا نكـدِ
تحيا بـه الأرضُ والأحيـاء كلُّهـم واغفرْ لنا كلَّ ذنـب وامحُـه وجُـدِ

ومنها:

يا مفزَعي يـا مـلاذي يـا إلهـيَ يـا مولايَ يا موئلي هبْ لي ومدَّ يدي
يا عالـمَ السرِّ مثلَ الجهر يـا أملـي ارحمْ بجودِك ضعفي واشددَنْ عَضُدي
يا فردُ يا حـيُّ يـا قيـومُ يـا صـمد يا ذا الجلال وذا الإكـرام يـا أحـد
مَطالبي منك لا تُحصى وعلمُكهـا أحصى وجودُك تعطيه على الأبـد
فآتنـا كـلَّ مـا نرجـو ونطلبـه واقبـل دُعانـا سـريعاً واحينـا وزدِ
وآتِ داعيك بـي فـي كـل حادثـة تنـو بُـه سـؤلَه فـي الخيـر أن تَـرِد
فأحمدُ بـن علـيٍّ قـد دعـاك وقـدْ عوَّدته الخيرَ فضلاً منـك لـم يبـدِ
وكـل آلِ مطيـرٍ لـست تهملُهـم فهم عبيدُك فارحَمْهم وعُـد وجُـدِ
وأَبـق مـنهم لهـذا الـدين مُطَّلِعـاً يسمو بهم وانصرَنْهم نصرَ منتجـدِ
هم حافظو السنةِ البيضاءِ تعـرفهم أسفارُ صدقٍ صحاحُ المتن والسند
والحـاملون كتـابَ الله تعـصمُهم آياتُـه عـن تآويـل وعـن أَوَدِ

ومنها:

واحفظ بحفظهم مَنْ كان يصحَبُهم من أهل ودهم من شر ذي الحسدِ
واقرِنْ صلاتَك بالتسليم لا بَرِحـا علـى نبيـك فـي يـومٍ وكـل غـدِ
رسولك المجتبى الداعي إليك انا لبيـك لبيـك آمنـا بـلا جحـد
وعُـمَّ آلاً وأصـحاباً وتـابعهم بهـديهم مقتـد بـالبرِّ والرشـدِ

وله سؤالٌ في حديث اختلاف الفرق إلى ثلاثٍ وسبعين، وجَّهه إلى السيد العلامة محمد بن الحسن بن النسم، وأجابه بجوابٍ حافلٍ، ولما وقف على السؤال والجواب القاضي العلامة علي بن محمد العنسي الصنعاني، قال:

تجارى مطير إذ أراد بجهله ... مجاراة بحر في العلوم خطيرِ

فما المطر الوكّافُ كالبحر إن طما ... فكيفَ إذا حقرته بمطيرِ

[٤٩٦] أحمد أبو الوفا بن محمد أبي الغواير العجل العُجيل، ورفع نسبه إلى سيدي الفقيه أحمد بن موسى العجيل، في ترجمة والده[1].

كان ـ نفع الله به ـ من أعيان الأئمة الصوفية الأبرار، وأكابر علماء اليمن الأخيار، منبعاً للعلوم النقلية والوهبية الدقيقة والرقيقة، وجامعاً بين الشريعة والحقيقة، عارفاً بالله، دالاً عليه، ومحجةً لمن أراد الوصول إليه، زاهداً ناسكاً، عالماً عاملاً، متواضعاً كاملاً، عظم عند جميع الناس قدرُه، وبعُد في الأقطار ذكرُه.

فكانت تأتيه النذور من سائر البلاد، وتعتقده عامة الناس والعلماء والأمجاد، وكراماته اشتهرت باليمن، فلا تحتاج لبيان، وعمت خوارقه جميع الناس بالعيان، وبالجملة: فمسافته وفضائله عدد الرمال، وإن أطيل في ترجمته المقال.

وُلد ليلة السبت، غرة شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ـ نفع الله به ـ ببيت الفقيه ابن عجيل، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وتمتع به من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤٦).

طريف والده وتالده، فأغناه عن كثير من الأقران، وأجازه بمروياته المعروفة عند علماء الزمان.

ورأيت بخط والده ـ نفع الله به ـ ما نصه: كان عزم سيدي الولد أحمد أبي الوفا إلى مدينة زنبل، ليلة الخميس، ثاني عشر شهر رجب، سنة أربع بعد الألف من الهجرة، ودخوله إياها يوم الخميس المذكور، وشرع في القراءة على مشايخه فيه، واستمر على ذلك إلى الآن، مسدداً موفقاً، جعله الله من أهل الكمال المحمدي بمنّه، بتاريخ يوم السبت، في شهر الحجة، سنة ست بعد الألف. انتهى ما وجدته.

وأخذ عن أكابر العلماء والأعيان، العلومَ الدينية العلية الشأن، فروى الحديث ـ كما رأيته بخطه نفع الله به ـ في إجازةٍ كتبها لبعض طلبته، بالإجازة العامة، عن السيد العارف بالله الطاهر الأهدل، وقرأ بعض «صحيح مسلم» على الشيخ المحدث الصديق بن محمد الخاص السراج الحنفي، وأجازه بباقيه.

وأخذ بمكة عن العلامة علي بن جار الله بن ظهيرة المكي الحنفي، وعن الشيخ الصالح الزين بن الصديق المزجاجي الحنفي بزبيد، وعن الشيخ المتقن خاتمة المحدثين حميد بن عبدالله السندي الفاروقي بالمدينة، وتكرر زيارته لبيت الله الحرام، وأخذ عمن به في عصره من العلماء الأعلام، ولازم العارف بالله تاج الدين بن الهندي النقشبندي، وأخذ عنه طريق النقشبندية، وله الأسانيد العلية، في غالب طرق الصوفية.

وانتهت إليه في بلده الرياسة، وجمع بين شرف النفس والنفاسة، وعنه أخذ جمع من الأمجاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، وممن أخذ عنه: ولده سيدي موسى، ولم يزل ـ نفع الله به ـ نفعاً للعباد في جميع البلاد، حتى دعاه

ربه للقاه، فأجابه ولباه، وكانت وفاته بعد صلاة العشاء، رابع عشر شعبان، سنة أربع وسبعين بعد الألف، وجاء تاريخ موته: (شيخ أجل مكمل)، ودفن خارج قبة والده المشهورة، ببيت الفقيه ابن عجيل ـ نفع الله بالجميع ـ.

[٤٩٧] أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد العجمي الشافعي الأشعري الأزهري الوفائي[١].

مولده في ثالث عشر رجب، سنة أربع عشرة وألف، وكان ابتداء طلبه العلم الشريف سنة سبع وعشرين وألف، ولقي ولي الله بالاتفاق علياً نور الدين الزيادي بمنزله مرتين: مرةً يوم عيد الفطر، ومرةً يوم عيد الأضحى، صحبة والده، وحَل نظره عليه، ودعا له بدعواتٍ صالحةٍ ظهرت بركتها، وعاد نفعها وثمرتها عليه.

وأخذ عن فهامة العصر، ونادرة الدهر، الحسن بن علي ابن العلامة إبراهيم الحلبي، ولازمه نحو عشرين عاماً، وقرأ عليه شروحه للأزهرية والآجرومية، وبسملة شيخ الإسلام، وحضر دروسه بالمدرسة الصالحية في «مختصر المزني»، وبجامع الأزهر في تقسيم شرحي المنهاج والمنهج، وشرح البهجة الكبير، وجملة من شرح التوضيح، ومن أول تفسير القاضي البيضاوي، مع حاشيتي شيخ الإسلام زكريا، وشيخ زاده، وغيرهما، وجملة من سيرته التي سماها: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، وجملة من «صحيح البخاري»، ومن «الجامع الصغير»، ومن «معراج النجم الغيطي»، ومن حاشيته

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢).

التي وضعها عليه، و«شرح الورقات» للمحقق المحلي، وغير ذلك، وأجازوه بجميع مروياته ومؤلفاته.

وسمع الكثير على الشمس محمد الشوبري، من دروسه بالمدرسة الصالحية، في «مختصر المزني»، ولازمه سنين عديدة، بدروسه بالجامع الأزهر، في شروح المنهاج والمنهج، مع ما يتعلق بذلك من الحواشي والتحريرات، وسمع منه جملة من «المواهب اللدنية»، ومما كتبه بطررها من الفوائد السنية، وجملةً كثيرةً من «صحيح البخاري»، وأجازه بالإفتاء والتدريس، وبرواية ما سمعه منه، أو قرأه عليه، أو قرئ عليه بحضوره، وبجميع ما يجوز له وعنه روايته، وكتب له ذلك بخط يده، وصورة إجازته: . . .[1].

[٤٩٨] أحمد بن أحمد الدواخلي الشافعي[2].

نسبةً لمحلةِ الدواخل من الغربية، قريبة من المحلة الكبرى، الشافعي، إمام الفقهاء والمحدثين، وبقية العلماء العاملين، كان إماماً جليلاً، صدراً ورعاً مهاباً، لا يخاف في الله لومة لائم، ملازماً لإقراء العلم، غير مشتغل بغيره، صارفاً أوقاته في الطاعة، ملازماً للجماعة، أنوار التقوى عليه ساطعة، وجوارحه من خوف الله خاشعة.

وكان عظيم الهيبة، كثير الفكرة، تراه دائماً مطرقاً من خشية الله ومراقبته، حتى قال لي بعض شيوخنا في شأنه: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أخوفَ لله منه، سالكاً طريقة السلف الصالح؛ من التقشف في المأكل والمشرب

---

(١) جاء في الحاشية: «لم تذكر الصورة، وترك ثلاثة أرباع صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٣).

والملبس، لا يرى متكلماً إلا في مجلس علمٍ، أو جوابٍ عن سؤال.

أخذ عن منصور الطبلاوي، وياسين المحلي، وإبراهيم اللقاني المالكي تلميذ الشهاب القسطلاني، والنور الزيادي، وسالم الشبشيري، وعلي الحلبي، وطبقتهم، وعنه: جهابذ العلماء؛ كشيخنا منصور الطوخي، وأحمد البنا الدمياطي، وأحمد البشبيشي، وغيرهم.

توفي إلى رحمة الله غريقاً ببحر النيل، وهو يقرأ القرآن رياسةً، على طريقة أهل مصر، سنة خمس وخمسين بعد الألف.

[٤٩٩] أحمد بن إبراهيم بن الجيلان بن أحمد.

صاحب بيت عكار، كان سيداً زاهداً مشهوراً، له كراماتٌ مشهورةٌ، توفي ببلده، في نيف وخمسين بعد الألف.

[٥٠٠] أحمد بن أحمد الشابي القيرواني المغربي.

من ولد أبان بن عثمان، كان أبوه سلطان القيروان، فانحل عن السلطنة مختاراً، ورحل بأهله إلى مصر، فولد له بها المترجم، وتفقه، وبرع في نحو سبعة عشر علماً، وصنف في أكثرها؛ كالطب والمنطق والكلام، والمعاني والبيان، و«شرح المدخل للعضد»، وحج مرات.

وقدم اليمن، وأقام بصنعاء، يقرئ ويدرس بها بمسجد عقيل، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء بها؛ كالقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ثم وصل إلى حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، إلى سودة شطب، عام أربعة وستين وألف، وأكرمه غاية الإكرام، وأعجب به، وسأله عن مسائل في تقويم إقليدس أحبَّ حلّها، فأجابه إلى ذلك.

ثم استأذن الإمام للتداوي من علةٍ كانت به، إلى صنعاء، فتوفي بها نهار السبت، لعله الثاني والعشرون من شهر جمادى الآخرة، سنة أربع وستين وألف، وخلف كتباً كثيرةً، أمر الإمام بحفظها لوارثٍ إن كان.

[٥٠١] أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم، الشيخ الإمام البارع شهاب الدين العناياتي النابلسي، عرف بابن مكية[1].

نزيل دمشق، وشاعرها المشهور، سافر إلى الحجاز، ثم إلى القدس، ودخل حلب، وغيرها من البلاد، واستوطن دمشق، وجاور بالمدرسة البادرائية، وكان متين الشعر، له فيه ملكةٌ تامةٌ، وينحو نحو الرضيّ، ومهيار، وكان يحب العزلة والانفراد عن الناس، وكان حسن الخط، وأكثر ما يكتب المجاميع الأدبية، والدواوين الشعرية، ويكتب أشعار الفحول، من العرب والمولدين، ويدرج كلامه في كلامهم، مع عَزْو كل قولٍ إلى قائله.

ومن شعره قوله:

رَبِّ خَلِّصْ من الفراق وَثاقي ... وأغثني يا سيدي بالتلاقي

ملَكَتْني يداه حتى ظننت ... حمامي مدبراً في عتاقي

ما تغنى ركبُ المنى في حجاز ... من مشوقٍ إلا نوى للعراقِ

ليت يومَ الفراق يهوى فيلقى ... في الهوى ما لقيتُ يومَ الفراقِ

يومَ ساقوا وأدمعي في استباقٍ ... وفؤادي مستحضرٌ في السياق

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ١٧) (١)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٨٠) (١٠٣)، «معادن الذهب» للعرضي (٦٥) (١١).

كتب الـدمعُ فـوق مهـراقِ خـدي　　　كـم دمٍ طُـلَّ فـي الهـوى مهـراقِ

يـا لعينـي كانــت منـازل للأحــ　　　ــباب عــادت مـصارعَ العــشاقِ

آه واحــسرتا علــى ذلــك الخــدْ　　　دِ وإن كــان أصــلَ نــارِ احتراقــي

بــدرُ تَــمٍّ عليــه جــسميَ أمــسى　　　خافيـاً مثـلَ خـصره فـي انمحـاقِ

مال في الروض واسـتمالَ قـضيباً　　　مــن خــلافٍ كقــدِّه فــي اتفــاقِ

وله دور البيت:

قد ذبتُ على هـواك ذوبَ الـشمع　　　أفــديكَ بنــور نــاظري والــسمعِ

واللهِ وإنهـــا يمـــين الـــشرع　　　حبــي لــكَ يــا معــذبي بــالطبع

وكان الشيـخ أبـو الطيب الغـزي ذات يومٍ هو والمترجم في المرجة، فجرت بينهما مطارحةٌ شعريةٌ، ومناظمةٌ دريةٌ، فقال أبو الطيب: اجلس إذا رمت السعود، فقال العناياتي: قبالة الوادي السعيد، فقال أبو الطيب: فهناك تنتثر العقود، فقال العناياتي: كما تشاء من العقيد، فقال أبو الطيب: وانظر إلى تلك الخيام، فقال العناياتي: كأنها هضب النجود، فقال أبو الطيب: تحوي ظباء صريمة، فقال العناياتي: سُمر اللمى حُمر الخدود، فقال أبو الطيب: يفتكن من قاماتها، فقال العناياتي: بالسمر في قلب العميد، فقال أبو الطيب: والنهرُ في جنباتها، فقال العناياتي: والماء كالبرق الشديد.

وكان له تصرفٌ في المعاني، ولم يكن له حظٌ في الدنيا، وكان أسمر اللون، رثَّ الهيئة، يضرب به المثل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، **مات** في عشري ذي القعدة، سنة ثلاث عشرة وألف، ورثاه الشيخ أبو بكر العمري بقوله:

مـات العنايـاتي بـدر الحجـى   والمـوتُ طبعـاً بالعنايـاتي
قـال لـسانُ الحـزن مـن بعـده   تاريخُـه (مـات العنايـاتي)

[٥٠٢] أحمد بن أحمد المعروف بشيخ زاده الرومي الحنفي[١].

ولي قضاء القضاة بدمشق، من دار الحديث السليمانية، فدخلها أوائل شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعـد الألف، وكان فاضلاً في الفقه، علامةً في المعقولات، وله إلمامٌ تامٌّ بعلوم البلاغة، يباشر الأحكام بنفسه، ويتأنى فيها، ويتحرى الحق، متصلباً في دينه، مقتصداً في نفسه.

ويقول: الاقتصاد أولى من الجور على الناس، وكان ينكر المنكر ويزيله، ويحضر صلاة الجماعة في الجامع الأموي، وعزل من دمشق، وتولى قضاء مكة، ورجع إلى الروم، وتولى بها مناصب سنيةً، ثم ورد الخبر بموته إلى دمشق، في أثناء سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٠٣] أحمد أبو الفتح الغمري الشافعي.

خليفة الحكم بمصر، الناظم الناثر، توفي يوم الأربعاء، سابع شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلاثين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٠٤] أحمد بن أحمد الغِزْلاني المصري الشافعي.

أحد شعراء المصريين، وأدباء العصريين، ومن الملازمين للسادة البكريين، وممن له في المحاضرة يد طولى، وقولٌ عند كل سيد ومولى.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٦) (١٠٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٢).

ومن قوله:

تمنيت ضيفَ الطيف ممَّن هويتُه	فجاء فلم أَسطع أمدّ له طرفا
وحاولت أن أشكو لديه صبابتي	فقال دعِ الشكوى فحالُك لا يخفى
وقد فاض ماء العتب عندي فلم أجدْ	لفرط غرام الحبِّ عندي ولا حرفا

[٥٠٥] أحمد الأحمدي الصعيدي(١).

من بيت أحمد: قريةٌ من أعمال المنية، الشيخ العارف بالله، كان ماشياً على طريق القوم بكثرة الصلاة والصوم، وغيرهما من أنواع العبادة، محباً للفقراء والعلماء والسادة، صوفياً فنيت ذاته، وانتشر صيته.

كان يحج سنة، ويترك أخرى، مع إدامته لخشونة العيش، وربما لبس الخيش، ولا يبالي بمن قال: ما هذا؟ وهذا ليش؟ وينشد:

اقنع بلقمة وشربة	ماء ولبس الخيش
وقل لقلبك ملوك	الأرض راحوا بيش

وكان كثير الذكر والفكر، والصلاة على النبي ﷺ، وأخبر أنه رآه ﷺ، وكانت وفاته في شهر رجب، سنة عشر بعد الألف ببلده، ودفن بزاويته، التي ببيت أحمد ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[٥٠٦] أحمد البقاعي الفرعاني(٢).

كان من العلماء المعمَّرين، أخذ عن النجم الغيطي، وسالم السنهوري،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧٢).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٥).

وعبد الوهاب الشعراني، وأبي النصر الطبلاوي، ومحمد البكري، والشمس الرملي، وعلي القدسي، وجمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام، وكان كثير التواضع، محباً للعلم، لم يزل يقرأ على الناس، حتى في أواخر عمره، كان يقرأ على تلميذه عبد الباقي الحنبلي، ويحضر دروسه ـ رحمه الله ـ.

[٥٠٧] أحمد السحيمي، نسبةً إلى سُحيم ـ مصغراً ـ: قريةٌ بمصر، الأحمدي الشافعي.

العارف بالله، والدال عليه، كان في عداد طبقة المشايخ الكبار من أهل عصره، بل أكبر منهم حالاً ومقالاً، وكانوا كلهم يعظمونه، ويوقرونه، ويتبركون به، قرأ بالروايات على أحمد بن عبد الحق السنباطي، ولازمه، وأخذ عنه، وعن علماء عصره العلومَ الشرعية.

ثم ارتحل من مصر بإشارة بعض أرباب الأحوال، فطاف البلاد البعيدة على قدم التجريد والمجاهدة والتوكل، ودخل بغداد والكوفة والبصرة، وما وراء تلك النواحي، ثم عاد إلى مصر، فابتنى مسجداً بجوار مشهد الشهداء، الكائن بناحية سرسنا بالمنوفية، وأقام به لإقراء الناس القرآن، فانتفع به خلائق لا يحصون.

وكان يجيء إلى مصر في كل عام مرةً، يجلس أحياناً بالجامع الأزهر، وأحياناً بمدرسة السيوفية، وأحياناً بمدرسة الحطابية، والناس يزدحمون عليه، ويلتمسون أدعيته الصالحة، ثم يعود إلى مسجده، ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة ثلاث وأربعين وألف، ودفن بخلوته التي بمسجده، وضريحه ظاهر يزار ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٠٨] أحمد المِهْمَنْداري الحلبي الحنفي[(١)].

مفتي دمشق، مولده بحلب في ذي القعدة، سنة أربع وعشرين وألف، وقرأ بها على النجم الحلفاوي، وأبي الوفا العرضي، وأخيه محمد، ومن في طبقتهم، ومكث بالروم سنين، وأخذ عمن بها من علمائها، ورجع منها إلى دمشق، وصار مفتياً.

وكان حسن السيرة، عاقلاً وقوراً، لـه حسن مدارة، أقام مفتياً بدمشق سنين، لم يتكدر منه أحدٌ بوجه، إلى أن توفي سنة ألف ومائة وثلاث أو أربع ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن شعره قوله:

مـــذ رأى الـــوردُ علـــى أغـــصانه خدَّ من أهواه في الـروض الأنيـقْ

صـار مغمَّـى فلطيـفُ الطـلِّ قـد رشَّ وجنتـــه كـــي يـــستفيقْ

[٥٠٩] أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكي الشافعي[(٢)].

ابن الفضل وأبوه، المذعن لفضله أعداؤه ومحبوه، مقداره في الأدب جليل، ومثيل باكثير في الأنام قليل، ملك زمام القريض فاقتاده حيث شاء، وتلا لسان قلمه: ﴿إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٣].

مولده ـ كما رأيتـه بخطـه ـ ليلة الخميس، عشري شهر رجـب، سنة خمس وثمانين وتسعمائة، عند طلوع القمر ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٦٠) (٥٥)، «سلك الدرر» للمرادي (١/ ١٨٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٤٥) (٢٨٩)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٠٤)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٣٣).

ومن شعره: قوله معتذراً ومعجزاً قصيدة المتنبي، يمدح بها السيد علي ابن بركات الشريف الحسني:

حشاشةُ نفس ودعَتْ يوم ودعوا … وقلبٌ لأظعان الأحبة يتبعُ

وصبر نوى الترحال يومَ رحيلهم … فلم أدر أيَّ الظاعنين أودعُ

أشاروا بتسليم فجدْنا بأنفس … تسيلُ مع الأنفاس لما ترفَّعوا

وساروا فظلَّت في الخدود عيوننا … تسيلُ من الآماق والسم أدمعُ

حشايَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوى … وصدري بأنواع الصبر بلقَعُ

وقلبي لدي التوديع في حزن حزنه … وعيناي في روض من الحسن ترتع

ولو حملت صمُّ الجبال الذي بنا … من الوجد والتبريح كانت تضعضَعُ

وأكبادُنا من لوعة البين والنوى … غداةَ افترقنا أوشكتْ تتصدَّعُ

بما بين جنبي التي خاض طيفها … دموعي فوافى بالتواصل يُطمع

تحيل لي في غفوة وجهت بها … إليّ الدياجي والخليون هُجَّعُ

أتت زائراً ما خامرَ الطيبُ ثوبَها … وخمرتُها من مسكِ دارينَ أَضوعُ

فقبلْت إعظاماً لي فضلَ ذيلها … وكالمسك من أردانها يتضوع

فشردَ إعظامي لها ما أتى بها … وفارقْتُ نومي والحَشا يتقطَّعُ

وبتُّ على جمر الغضا لفراقها … من النوم والتاعَ الفؤادُ المفجَّعُ

فيا ليلةً ما كان أطولَ بِتُّها … سميرَ السُّهى حلفَ الجَوى أتضرَّعُ

يجرِّعني كأسَ الأسى فقدُ طيفِها … وسمُّ الأفاعي عذبُ ما أتجرَّعُ

تذلَّلْ لها واخضعْ على القربِ والنوى … لعلَّكَ تحظى بالذي فيه تطمَعُ

ولا تأنفَنْ من هضمِ نفسك في الهوى فما عاشقٌ مَنْ لا يـذلُّ ويخـضعُ

ولا ثوبَ مجدٍ غيرُ ثوبِ ابن أحمـدٍ عليٍّ بن بركات بـه الفخـرُ أجمـعُ

عليٌّ صفا[1] بالمكرمات ولم يكن علـى آخـذ إلا بلـوم مرتـعُ[2]

وإن الـذي حـابى جديلـةَ طيـئٍ بحـاتِمِهم وهـو الجـواد الممنَّـعُ

حبـا بعلـيٍّ آلَ طــه فإنـه بـه اللهُ يعطـي مـن يـشاء ويمنَـعُ

بـذي كـرمٍ مـا مـر يومـاً وشمسُه بغيـر سَـناً منـه تـضيء وتـسطَعُ

ولا ليلـة تزهـو بـه ونجومهـا علـى رأس أوفـى دمنـةٍ تتطلَّـعُ

فأرحـامُ شـعر يتـصلْنَ لدنـه فكم سعرُ شعرٍ فـي معاليـه يرفَـعُ

ومنها في الختام:

ألا كلُّ سـمحٍ غيـرِك اليـومَ باطـلٌ لأنـك فـردٌ للكمـالات تجمَـعُ

وكـلُّ ثنـاء فيـك حـقٌّ وإن عـلا وكـلُّ مـديح فـي سـواك مـضيَّعُ

واتفق لصاحب الترجمة: أنه سمع ـ وهـو محتضرٌ ـ رجلاً ينادي على فاكهةٍ: ودِّعوا مَنْ دنا رحيلُه، فقال بديهًا:

يـا صـاحِ داعـي المنـون وافـى وحـلَّ فـي حَيِّنـا نزولُـهُ

وهـا أنـا قـد رحلـتُ عـنكمُ فودِّعـوا مَـنْ دنـا رحيلُـهُ

ولم يلبث إلا قليلاً، ومات ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) في الأصل: عليه صفا، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل.

وكان له في العلوم الفلكية، وعلم الأوفاق والزايرجة، يدٌ عليةٌ، وكان له عند أشراف مكة منزلةٌ وشهرةٌ، وكان يجلس في الموسم، في المكان الذي يقسم فيه الصر السلطاني، بالحرم الشريف، بدلاً عن شريف مكة.

ووفاته في عام سبعة وأربعين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

ومن مؤلفاته: «حسن المآل في مناقب الآل» جعله باسم الشريف إدريس أمير مكة.

[٥١٠] أحمد القُبابي ـ بقاف وموحدتين ـ مفتي المقام الأحمدي، بطندتا، الشافعي . . .(١).

[٥١١] أحمد بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرقي.

قال صنوه الحسين ـ فيما كتب إلي من ترجمته ـ: إنه إمامٌ فاضلٌ، وعالمٌ كاملٌ، على فنون العلم، والقوة على النظم والنثر، ومحاسن الأخلاق، ما يفوق الوصف.

مولده سنة إحدى وخمسين وألف، وأخذ فنون العلوم عن أبيه وأخيه، وبرع في سائر الفنون، اجتمعت به بصنعاء سنة ألف ومائة وسبع، لما توجه إلى الإمام الهادي محمد بن أحمد بن الحسن، وتأكدت بيني وبينه المودة، وكاتبني بأشعارٍ كثيرةٍ، وله المؤلفات الكثيرة، منها: «أرجوزة نظم فيها تهذيب المنطق» لسعد الدين، أحسن فيها كل الإحسان، ونظم جواب أخيه المذكور في الرد على الأزهري في تحريم قهوة البن، وأحسن في نظمه، **يقول فيه**:

---

(١) لم يكمل المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الترجمة.

أحمـــدُ ربّـــاً بالـــدليل أنعمـــا وميـــز الحـــلالَ عمـــا حَرَّمـــا

مِـنْ فـضلِه أحـلَّ مـا فـي الأرض مما حوت مـن كـل خيـر مرضـي

فأصـلُ مـا فيهـا علـى الإباحـهْ والحمـــد لله الـــذي أباحَـــهْ

والأمـرُ فـي يـا أيهـا النـاسُ كلـوا مـن طيبـاتِ الأرض أي مـا تنقـلُ

وله «منظومة في الفرق بين الضاد والظاء»، أحسن فيها وأبدع، جاء في أول البيت بالضاد، وفي آخره بالظاء.

ومن جملة ما قاله فيها:

ونـضرةٌ بالـضاد مخـضرٌّ حـسن ومـا لمولانـا نظيـرٌ يـا حـسن

وغـاضَ بالـضاد لمـاءٍ قـد ذهـبْ وكم أغظْتُ مـن حـسودٍ بالـذهب

وله ـ وقد اطلع على «فوائد الرحلة ونتائج السفر» هذا مقرظاً له، وأبدع ما شاء، وذلك بعد اطلاعه على ما كتبه أخوه شيخنا العلامة الحسين في تقريظ هذا الكتاب، **فقال أحمد:**

أبـــدع فـــي التقـــريظ ربُّ الوفـــا وصـــاحبُ البيـــت وربُّ الـــصفا

ومـن غـدا فـي دهـره الآيـةَ الكبـرى لـــدى أهـــل النهـــى والـــصَّفا

وهـــو الحـــسينُ العـــالم المنتقـــى مـــن ناصـــر الـــدين الـــذي شُـــرِّفا

ذاك الـــذي جـــدَّدَ ديـــنَ النبـــي وأظهـــرَ الحكمـــةَ بعـــد الخَفـــا

فـــتحٌ مـــن الله لفـــتحٍ أتـــى لمقتفـــي نهـــج النبـــيِّ المقتفَـــى

مـــذ كـــان نـــصرُ الله والفـــتحُ فـــي فوائـــدِ الرحلـــة للمـــصطفى

كـــذا حيـــاةُ العلـــم أهـــلُ النهـــى فوائـــدُ الرحلـــة مـــن مـــصطفى

فليهنـــه الأجــرُ علــى فعلِــه ... ويهـــنِ مَـــنْ كمثلِـــه اتَّـــصفا
قـد عـرف الأعـلام أهـل العـلا ... بفـــضله الجـــمِّ الـــذي عُرفـــا
أقـــسمُ بالبيـــت الـــذي أمَّـــهُ ... مـن طافَـه مـن بعـد مـا عرفـا
لـــو أن مـــن يمدحُـــه إن أتـــى ... بكــلِّ مــا فــي طوقــه مــا كفــى
فوائـــدٌ قـــد خلـــدتْ تالـــداً ... تـــستوعب الأفـــضلَ والأشـــرفا
مـــا ثَلَبَـــتْ شخـــصاً ولا أغفلـــتْ ... فـــضيلةً بهـــا العـــلا شـــنَّفا
شـــمائلُ الأخبـــار للمـــصطفى ... فيهـــا لقلبـــي وفـــؤادي شِـــفا
مثـــل عيـــاضٍ إذ شـــفى مـــورداً ... شـــمائلاً مختـــارةً فـــي الـــشِّفا

[٥١٢] أحمد بن الحمامي الحلبي.

نقلت من خط بعض الفضلاء: كان عالماً فاضلاً، مفسِّراً محدِّثاً، زاهداً عابداً، ورعاً مواظباً على العبادة، مشتغلاً بتكميل نفسه، وكان يعظ بجامع حلب، ولا يأخذ شيئاً من الأكابر والأصاغر.

حج سنة سبع بعد الألف، فلما رجع، لقيته بجامع دمشق، وصاحبته، فقال: أشاهد عليك الضعف، قلت: قد ابتليتُ بالحمى، قال: علاجها كذا وكذا، فقلت له: يا سيدي! ما أريد العلاج لمرض البدن؛ لأنه أهون، بل أريد العلاج لمرض القلب، فقال: لا إله إلا الله، فقلت...[١].

[٥١٣] أحمد بن الطوفان.

وُلد ببلدة «آذنه»، واشتغل بالعلوم، ودرس في بعض المدارس، ثم

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «فقلت» ثلاثة أسطر بياض بالأصل».

صار مفتياً ببلدة آذنه، ثم انفصل عنها، وذهب إلى دار السلطنة لطلب المنصب، استولى عليه الحال، ورغب في الطريقة، وكان الشيخ إبراهيم التاتار يومئذٍ مشهوراً فيها، قال: فأردت منه البيعة، وذهبت إليه مع رجلين من القضاة، ودخلنا عليه، وجلسنا عنده، وعرض رفيقاي مرادهم من المناصب، وأجابهما الشيخ، ثم قاما، وقمت معهما، فقال لي الشيخ: اجلس أنت، فجلست، وذهبا، فقال لي الشيخ: تريد السلوك والبيعة؟ فقلت: نعم، وجلست بين يديه، وأخذت منه البيعة[1].

واجتهد عنده مدةً، فلما مات الشيخ، رجع إلى «آذنه»، وسكن بقرية عندها، واشتغل بالرياضة والمجاهدة منعزلاً عن الناس، إلى أن **توفاه الله** إلى دار كرامته.

[٥١٤] أحمد البلغرادي.

وُلد بها، واشتغل بعلوم المباني والكتابة، ودخل في زمرة الأجناد السلطانية، وصار كاتباً لمحرم بيك أميرِ لواء بلغراد، فلما مات الأمير المذكور، ترك الجندية، ورغب في الصلاح، واجتهد حتى صار من جملة الصالحين والمكاشفين، ولم يغير هيئة الجندية؛ لاستتار أحواله إلى آخر عمره، **مات في** أواخر ست بعد الألف.

[٥١٥] أحمد القيرواني المغربي الحنفي، المعروف بصاحب السعادة[2].

---

(١) وهذه المراتب والمناصب والمصطلحات، من صناعة أهل الطرق والمتصوفة الباطلة، نعوذ بالله من الابتداع في الدين. وأن نُدخل على الشريعة ما ليس منها.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧٥).

كان من أكابر العلماء المحققين، له «شرح بديع على أم البراهين للسنوسي»، وصار مستوفياً باليمن، وولي الحكومة بـ «مرعش»، **توفي** بالمحلة الكبرى، من غربي القاهرة، سنة خمس وأربعين وألف.

[٥١٦] أحمد باشا بن رضوان[١].

نائب غزة، وأمير الحاج الشامي بعد الأمير قانصوه، كان رجلاً كاملاً، له مطالعةٌ حسنةٌ في كتب العلم والتواريخ، حسن المحاضرة، يحب العلماء ويعظمهم ويكرمهم، وله صلةٌ للعلماء.

قال النجم الغزي في «ذيله»: حججت معه سنة إحدى بعد الألف، فاجتمعت به بمنزلة العُلا، فتذاكرنا: هل سياسة الشرع أبلغُ من سياسة القانون، أو سياسة القانون أبلغ؟ قال: فأجبته بالأول، ومال هو إلى الثاني، فقلت: سياسة السارق الشرعية قطعُ يده اليمنى، ثم إن سرق فرجله اليسرى، والحكام يقتلونه بالقانون، ففعلُ الشرع أبلغ؛ لأنه يبقى مقطوع اليد، أو مع الرجل؛ ليكون مثلةً في نفسه، وعبرة لغيره، ولو قتل، نُسي، فالاعتبار ساعة، ثم يذهب عن الأفكار، فسكت.

ثم رفع إليه سارقٌ بمنزلة ذات حج، فلما ثبتت عليه السرقة، أمر بقطع يده، فقال له: يا مولانا الأمير! إني قد حللتك بدمي، فاقتلني وأرحني، ولا تقطع يدي فأكونَ مثلةً، فقال له الأمير: إني أقطع يدك بموجب الشرع، ثم قال لي: قد تحققت صحةَ ما قلتم: إن السياسة الشرعية أبلغ.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٣) (١١٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٧).

وكان المترجم من أفراد الدولة العثمانية، وأعيان الأمراء الرومية، **توفي** سنة خمس عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٥١٧] أحمد ابن الإمام صاحب الحَبْلَيْن، من بلاد سارع.

كان من الأولياء المشهورين، وكان من حاله: إذا كان أحدٌ في حضرته، كأنه قد انسلخ عن الدنيا، وصار في حيز الآخرة، وله الكرامات المشهورة: أتى بعضَ أصحابه سنة موته، وقال: جئتُ مودعاً، **ومات** بعد أيام، لعله سنة تسع وعشرين أو ثلاثين وألف.

وهو من أصحاب الحاج أحمد الأحمر، وكان من أكابر الأولياء، وكان أخو المترجم عليّ ابن الإمام من الأولياء، وكان مستور الحال، وقال في شأنه الشيخ العلامة عبد السلام بن عبد الملك النزيلي: إن المشهورين ببركة المستورين.

[٥١٨] أحمد بن الأمين بن الصديق، صاحب الصلبة.

كان صوفياً مشهوراً، ظهرت له أحوال بعد موت السيد عبد القادر الأهدل، في دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وكان ينكر على الصوفية، وأراد الوقوع به، فتوجه إلى المدينة، **ومات** بها سنة ثلاث وخمسين وألف.

[٥١٩] أحمد الهادي بن شهاب الدين بن عبد الرحمن السقاف باعلوي الحسيني[١].

قدس الله سره، وأنار قبره، محتد الجلالة والفخامة، مفرد المقالة

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٥).

والشهامة، العالم العامل بلا زعامة، الحاتم على ناظره القطع له بالفضل السني والكرامة، الولي لله تعالى بلا ريب ونزاع، الملزم نفسه النفيسة الطاعة له ﷻ والحضور لديه والانقطاع.

كان ﷺ إمام المنقول والمعقول، الهمام في الفروع والأصول، عقد للإفادة المجالس والمحاضر، ففهم بلطف لطفه، وأفحم بعطف عطفه المناظرَ والمحاضر، عارفاً بطريق القوم، محتفلاً بكتبهم، مقتفياً لآثارهم الحميدة، ملتزماً لأدبهم، مشتغلاً في غالب أوقاته بأنواع العلوم، ونشرِ حكمها المعلوم، من فقهٍ وأصولٍ، وحديثٍ وتفسيرٍ، وآلاتٍ؛ كنحوٍ وصرفٍ، وكان له درس خاص في كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزالي.

ولم يزل هذا سِرته ودأبه، وسننه وأربه، إلى أن هتف به داعي ربه ودعاه، فأسرع في القدوم عليه ولباه، وكان ﷺ مجاب الدعوة، صادق النبوة، ولا بدع في ذلك ولا بعد؛ فإنه كان من الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله، تقربوا إليه حين والوه بالنوافل والفرائض فأحبهم، وكان سمعاً وبصراً لهم ووالى، واصطفاهم لإبداع سره ـ سبحانه وتعالى ـ.

توفي ـ رحمه الله ـ في يوم الثلاثاء، ثامن ذي القعدة الحرام، سنة خمس وأربعين بعد الألف، بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة، في حوطة بني شيخان، عند إخوانه السادة الأجلاء ـ أفاض الله على ضرائحهم صيب الرحمة والرضاء ـ.

[٥٢٠] أحمد السنهوري المالكي.

إمامٌ علامةٌ، اشتهر من بين علماء عصره بالعلوم النقلية والعقلية،

وظهرت له عليهم المزية، ومن شيوخه: العلامة الشهاب أحمد بن حجر، والنجم الغيطي، وممن أخذ عنه ولازمه: العلامة سري الدين الحنفي، وعامر الشبراوي، وشيخنا محمد البابلي، وكانت وفاته بمصر، في يوم السبت، تاسع عشري محرم، سنة ست عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٥٢١] أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين(١).

السيد الفاضل، عالم الأدباء، وأديب العلماء، ونخبة البيت الذي ارتفع قدره وسما، ذو الخلق الذي تستعير من نشره الأزهار وتعبق، والفضيلة التي تجري الألسن إلى محامدها وتطلق، شهاب الملة الساطع، وبدر الكمال الطالع، وواحد الزمن علماً ونظراً، وحامل لواء المعارف النقلية حديثاً وأثراً، ومحقق دقائق العلوم العقلية، وجامع الفنون الأدبية.

أما ملكة التعبير، فلا يتطاول ابن زيدون أن يزيد عليه في سعة العبارات، وأما مباحث التنقير، فما سلك الرئيس مسالكه في دقائق الإشارات، وأما المناظرة، فقد رقى فيها أعلى درج، وأما حسن المحاضرة، فناهيك به وكأنه أبو الفرج، وأما الترسل، فله على الفاضل فضل، وأما صناعة التجنيس والترصيع، فبينه وبين العماد ضمير فصل:

هذا أرقُّ محاسناً والفرقُ مثلُ الصبح ظاهرْ

وأما تاريخُ من غبر، فهو بحرٌ سعد بدُرِّ أصدافه، وأما حفظُ الأثر،

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦٢)، «البدر الطالع» (١/ ٤٥).

فهو ذو المنزلة التي فاقت وما اتفقت لأسلافه: **شعر**:

فقد وجدتُ معاني الفضل باهرةً فإن قدرتَ على أوصافِه فصِفِ

وأما الشعر، فهو أدنى منازله، وأيسرُ فضائله.

ولد بكوكبان، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر العلماء والأعيان؛ كالسيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل، والقاضي المحقق عبد الرحمن بن محمد الحيمي، قرأ عليه جميع «شرح الكافية للرضي»، وأجازه إجازاتٍ عديدةً حافلةً، أشار فيها إلى عليّ مقداره، وقفت عليها.

وله شيوخ كثيرون، ومؤلفاتٌ منها: «ترويح المشوق في تلويح البروق»، وهو كتاب إن نظرت إلى حسن سياقه، هز منك الأعطاف ذلك السياق، أو إلى بديع اتساقه، ثملتَ سكراً من صناعة ذلك الاتساق، أو تأملت عجيب استطراده، وتصيده للشوارد بقوة استمداده، قلت: سبحان المانح، ما أقوى ملكةَ مؤلفه، على اقتياد الجوامح! إلى عبارات حلوةٍ، وبلاغةٍ هي من الكمال في الذروة، ولطائف فقر، وبنات فكر، تورث الحليم صبوة، وغرائب مسائل علميةٍ، ونكاتٍ أدبيةٍ، تزهى بفنون حلاها القراطيس، وتجذب بعيون محاسنها الأرواحَ فكأنها مغناطيس.

وقد قرظ له عليه علماء عصره، ومنهم: السيد العلامة محمد بن إبراهيم ابن المفضل، **فقال في مدحه**:

ما صبا قلبي لتأليفٍ حوى غررَ الحسن كترويحِ المشوقْ

كلما كررت فيه نظراً زاد حسناً فهو يحلو ويروقْ

كتبُ الآداب عن آخرها قدرُه يعلو عليها ويفوقْ

صاغه شمسُ المعاني مَنْ غدت	تستمد الشمسُ منه في الشروقْ
سابقٌ طِرفُ علاه نطقت	بلسانِ الحال هيهاتَ اللحوقْ
دام في منصب علمٍ شامخٍ	ما صبا صبٌّ لتلويح البروقْ

ومن شعره القاضي بأنه إمام فنونه، ومالك أبكاره وعُونه: قوله: . . .[1].

[٥٢٢] أحمد بن حسن ابن الشيخ سنان الدين القاضي[2].

جاحظ الروم، والمقدم فيهم بضروب العلوم، أخذ العلم ببلاده عن والده، وعن العلامة يحيى المنقاري، وغيرهما من أفاضلهم، وحضر دروس شيخنا محمد بن علاء الدين بمكة، لما كان أبوه قاضياً بها، وأجازه في عموم طلبته، وبالغ أفاضل العصر في الثناء عليه، ودرس وأفاد الطلبة.

وتولى قضاء حلب، وغيرها من الممالك العثمانية، ثم تولى قضاء مكة، عام ثلاثة وثمانين بعد الألف، وسار أحسن سيرة، وعقد بمجلس الحكم درساً، وكان مما قرأه: شرحه على الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، الذي سماه: «إشارات المرام من عبارات الإمام»، وحضرت درسه في مجالس فيه، توفي سنة ثمان وتسعين وألف بالقسطنطينية ـ رحمه الله ـ رابع عشر جمادى الأولى، وكتب أهل الحرمين منه نسخاً عديدة، وهو شرح بديع لم يسبق إليه في حسن العبارة، وجودة السبك.

ثم تولى قضاء القسطنطينية، وصار هو المشار إليه، ثم حطت مرتبته

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» صفحة وسبعة أثمان صفحة بياض، وغالباً أن هذه الترجمة مرت».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨١).

بسبب نكتةٍ وقعت لـه في قضائـه، وهو أنه رُفع إليه رجلٌ وامرأةٌ زنيا، وأقر الرجل وهو محصنٌ، فأمر بإجراء الحكم الشرعي عليه، وهو الرجم، فسمعت الموالي وقضاة العساكر بذلك، فنصحوه عن ذلك؛ بأن هذا ـ وإن كان أمراً شرعياً ـ لكنه ينكَر في مثل هذه الأعصار، والأولى دفعُه بحيلةٍ ووجهٍ شرعيٍّ مخلصٍ في الظاهـر، فامتنـع من ذلك، ولم يقبل قولهم، فمن حينئذٍ نزلت مرتبته، ولم يُول بعدها منصباً حتى توفي سنة ثمان وتسعين وألف تقريباً.

ولشعراء عصرنا فيه مدائح كثيرة، منها: قول صاحبنا الأديب البارع، عبد الرحمن بن محمد الذهبي الدمشقي:

مـــاذا يـــضرُّ تفـــرُّقُ الأبـــدانِ	مـن صـادقينِ إذا التقـى القلبـانِ
والحبُّ ينمو في القلوب على النوى	والبعـدُ لـيس بموجـب الـسلوانِ
والـــدهرُ نـــازعني رداءَ شـــبيبتي	ظلمـاً وملَّـك للمنـون عِنـاني
ونأى الحبيب فخانني صبري الـذي	أعددتُـــه لنوائـــب الأزمـــانِ
وتوقـدتْ نـارُ الخليـل لبعـده	وجفـا لجفوتـه الكـرى أجفـاني
وأبيـك مـا بعـد الحيـاة بهـين	والحتـفُ أدنـى غايـة الهجـرانِ
والقلـبُ فـي الـدنيا بغيـر أحبـة	كالجسم في الأخرى بلا إيمان[1]

(١) جاء في الحاشية: «قال الشيخ عبد الرحمن الذهبي في «تراجمه» عند ترجمة أحمد ابن حسن المذكور، فمما امتدحه بـه الفاضل عبد الباقي، وهو إذ ذاك كان قاضياً بمدينة حلب، وأجازه عليهـا بخمسين ديناراً، واعتذر إليـه بعدم. . . والاستكثار: قوله: مـاذا يضر تفـرق الأبدان، إلى آخره، فأفـاد أنها ليست للشيخ عبد الرحمن الذهبي المذكور، ولو كان عبد الباقي حياً، لكان عليه غيور.

ومنها:

قــسماً بأيــام الوصــال وطيبهــا ... عنــدي وذلــك أعظــمُ الأَيمــانِ
إن البَقــا مــن بعــد ســكان النَّقــا ... عــينُ العنــاء وأكبــرُ الخــسرانِ
والــدهرُ كالخِــلِّ الكــذوبِ تقلُّبــا ... فـــودِادُه وعنــــادُه ســـيَّانِ
ولربَّ صادحةٍ على بـاب اللِّـوى ... ســحراً تثيــر ســواكنَ الأشــجانِ
تبكي على غـصنٍ بكـايَ لفقـدِه ... فجميعُنــا يبكــي علــى الأغــصانِ
ذاكرتُهـا درسَ الهـوى ومـدامعي ... منهلـــةٌ بـــسواقطِ المَرْجـــانِ
والسحبُ تندبُ والرياضُ بواسـمٌ ... والــشهبُ مثــلُ أســنةِ المُــرَّانِ
وكـــأن ليلتنـــا بهـــا زنجيـــةٌ ... تُجلــى بأســلاكٍ مــن العِقْيــانِ

ومنها:

والبرقُ يلمع في خـلالِ سـحابها ... كــصوارمٍ ســلَّت مــن الأجفــانِ
والريحُ تعبث بالغصون كمـا ثنـى ... سكرُ الـشمول معـاطفَ النـشوانِ
والماء يسري في الرياض كما سرت ... ســنَةُ النعــاس بمقلــةِ الوَسْــنانِ
وخيال طيفٍ زار في سِـنة الكـرى ... فأعــاد لــي روحــي وردَّ جَنــاني
وتمتعـت لـيلاً علـى رغـم العـدا ... أرواحُنـــا ســـراً مـــن الجثمـــانِ

ومنها:

إنـي اهتـديت لـك البقـاء وبيننـا ... بحــرانِ مــن غــسقٍ ومــن كثبــانِ
يا من خلعـتُ لبعـده ثـوبَ الهنـا ... ولبــست ثــوبَ مذلــةٍ وهــوانِ
لــولا التعلــلُ باللقــاء تقطعــت ... روحــي أَسًــى وتهــدمت أركــاني

وأظنني أقضي سلمتَ صبابةً | من قبل أن يُقضى لنا بتداني
لا بل أظن الدهرَ يسمح بالمنى | إن الجميل عوائد الرحمن
أمريضَ حظي ثقْ بخلاقِ الورى | سبحانه فالخلقُ كالأوثانِ
ومؤملُ المعروف منهم كالذي | يَشتار شهداً من فم الثعبانِ
أو عابدِ النيران يلقى حرَّها | ودخانَها حذراً من النيران
إلا الذي جمع الفضائل والنهى | عينَ الوجود وملجأَ الأعيانِ

ومنها:

مولًى إذا بخل الغمامُ تفجرت | من راحتيه جداولُ الإحسان
لو صادف البحرُ المحيطُ بنانَه | غرقَ المحيطُ ببحرها الهَتَّانِ
أو صادف الفلك الأثير بعرفه | وقفتْ كواكبُه عن الدورانِ
أو لم يكن قوس السحاب على الورى | لم يأمنوا ونداه كالطوفانِ
عَلاَّمة الدنيا وطودُ علومها | والفضلُ ليس بممكنِ الكتمانِ
مُحيي الدوارسِ والمدارسِ أحمدٌ | ثاني الخليلِ ووارثُ النعمانِ
هو سعدُ هذا العصر والعدلُ الذي | بالعدل أنسى صاحبَ الإيوانِ
فالجور في مُقَل الحسان مفرَّق | فرقاً ولم يظلم سوى العدوانِ
والسيدُ المنطيقُ ساحبُ ذيله | وبيان منطِقه على سَحْبانِ
ما فاه إلا جاء طبق مقاله | حكم النبي ومحكم القرآنِ
يقضي فيرضي الجانبين بحكمه | فتراه محموداً بكل لسانِ
وكأنما الدنيا جناحُ بعوضة | زهداً لديه عن الحطام الفاني

يا ثالثَ القمرين والعُمرين والـ ـفرد العزيز وما له من ثاني

أنا عبدُ نعمتك الصدوقُ وربما تغني الفراسةُ عن نبَا البرهانِ

أنا مَن علمتَ وكيف تخفى حالُه عمن يُبين دقائقَ العرفانِ

فاقبلْ قريضَ مقصرٍ في مدحه واغفرْ فأنت أحقُّ بالغفرانِ

لم يلق ما يُهدى إليك سوى الثنا والدرُّ لا يُهدى إلى عمّانِ

لا زلتَ مسعودَ الجناب ممتعاً في حلبة الشهباء بالشهبانِ

ما صافحت ريحُ الصَّبا زهرَ الربى وسرى النسيمُ على غصون البانِ[1]

[٥٢٣] القاضي أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي.

خطيب جامع شبام، وسليل مستنبط الأحكام، الشاب الماجد اللطيف الذي ما بلغ العشرين إلا وصنف، وقرط آذانَ العلوم وشنف، فهو غصن دوحة الوفا، وزهرة عنصر أهل الصفا، مقلد جيد الزمان بقلائد عقيان آدابه، وملبِسُ شخوص تلك الأسجاع لطائفَ آدابه ونقابه، صاحب الفكرة الوقادة، والقريحة المنقادة، ولعمري إن ما وصفته به هو بعض سجاياه، وأقل مما في كثير مزاياه، مع جبين كالهلال، ووقار عليه سيما الجلال، حماه الله من عين الحسود، وحرس ذاته عن الأسواء بطوالع السعود.

من شعره ـ سلمه الله ـ قوله:

عقدٌ على عنق الحسناء منضودُ أم المدامةُ أبدتها العناقيدُ

أم النسيمُ سرى وهناً فكان له بين الجوانح للمشتاق تبريدُ

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

وأذكرَ الصبَّ أيامَ النقا وروى ... عن معهدٍ هو بالأفراح معهودُ

فها أنا وحديث النازحين معاً ... بما طوى النشر مسرورٌ ومسرودُ

هيجت لي يا صبا نجدٍ قديمَ هَوًى ... له ببالي على الأيام تجديدُ

أذكرتَني يوسفَ الحسنِ البديعِ ومن ... له فؤادٌ كقاسي الصخر جلمودِ

وكيف أنساه إن جار البعاد وفي ... سجن الفؤاد له واللهِ تخليدُ

من ثغره إن تبدى كالعقود على ... بديده فلدرِّ العقدِ تبديدُ

وإن بدت في دجى الأسحار طلعتُه ... فلي وللطرف تسهيدٌ وتسهيدُ

وإن رنا لحظُه أو لاح عارضُه ... فالسيفُ والروضُ مشهورٌ ومشهودُ

لا غروَ أن تضحك الأزهارُ معجبة ... في خدِّه ولشعرِ الصدغ تجعيدُ

لسيفِ ألحاظه حدٌّ وليس له ... في الحسن حدٌّ تراه وهو محدودُ

ما زال مجتهداً في صدِّه ... من دُرِّ دمعي وظلمي فيه تقليدُ

كشفتُ حالي عسى يرثي إذا وصفت ... والعطف عند خد الغزلان مفقودُ

فجردَ السيفَ يهوى قتلتي فله ... كما علمت على الكشافِ تجريدُ

[٥٢٤] **الإمام أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم.**

مولده سنة تسع وعشرين وألف، وأرخه الأديب الأريب علي بن إدريس اللبيب فقال:

جاء مولودُك السعيدُ بشيرا ... بالعلا والهنا ويسر بعود

قيل أرِّخْ وجوده قلتُ فارقم ... (خلف صالح ولي سعيد)

دعا بعد موت عمه الإمام المتوكل على الله المهدي لدين الله إسماعيل،

ودعا أيضاً السيد الفاضل القاسم ابن الإمام محمد المؤيد بن القاسم، وتكنى بالمنصور بالله، وأجابته جميع قبائل القبلة والمغارب، وغيرهم من الرؤساء، فكلهم دخلوا تحت طاعة الإمام المهدي.

وكـان الإمـام المهـدي في «الغِراس»، والإمام القاسم في «شهارة»، ولا زالت الكتب والمراجعـة بين الإمام المهدي والإمام القاسم، ولم يلتئم حال بينهم، فأرسل الإمام المهدي السيد الحسين بن محمد بن أحمد بن أبي طالب إلى خَمِر؛ ليقبض ما يصل للإمام القاسم من سياق طعام، وأن لا يفتح باب خلاف، ولا يتعرض لما لم يؤمر به.

وكانت البلاد المذكورة قد دخلت تحت طاعة الإمام القاسم، فلما بلغه ذلك، جهز ابن أخيه إبراهيم بن الحسين ابن الإمام محمد المؤيد بن القاسم، إلى جهة ذيبين، مقابلاً للسيد الحسين بن محمد، وحصل بين إبراهيم وجماعة المهدي حربٌ كبيرٌ، وأُسـر إبراهيم بن الحسين، وجيء بـه إلى المهـدي، فأكرمه، وأرجعه إلى عمه.

ثم لما رجع إلى عمه، ووصل الإمام المهدي إلى تحت شهارة، جهز القاسم ثانيـاً إبراهيم بن الحسين بن المؤيـد بجيوشٍ كثيـرةٍ، فارتفـع الإمام المهدي من الغَيرة إلى خاشف، فكتب إليه إبراهيم أنه يدخل حرمه السمَسرة، التي بخاشف، خشية عليهم من العساكر التي معه، فلم يفعل المهدي ذلك، ووقع حربٌ عظيمٌ في الأبرق، وأُسر إبراهيم ثانياً، وأُتي به إلى المهدي، فأمر بإدخاله إلى السمسرة.

وفي أثناء ذلك طلب السيد علي بن الحسين الحجاف من الإمام القاسم إرسالَ جماعة وأمير من عنده إلى الصلبـة، من بلاد حَجَّة؛ ليبقوا بها رتبة،

فأرسل الفقيه أحمد العفّاري، وجماعةً من العسكر، ومن جملتهم: ابن أبي راوية.

فلما بلغ الإمام المهدي ذلك، جهز السيد أحمد بن محمد بن الحسين ابن الإمام القاسم، وولده السيد علي ابن الإمام المهدي، والأمير الشهير عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب، صاحب كوكبان، إلى الصلبة، والبقاء فيها من غير إحداث حربٍ وإثارة فتنة، فوصلوا هناك، وحصل الحرب بينهم من قِبَل الرتبة التي أرسلها الإمام القاسم، وآلَ الأمرُ إلى نهب الصلبة بأجمعها، وقتلِ جماعةٍ، منهم ابن أبي راوية، وكان مقداماً شجاعاً، من أهل بيت طيب بظُليمة، من حاشد، وخرج الفقيه أحمد العفّاري مستسلماً.

ثم في شهر شوال خرج الإمام المهدي من الغراس، بعد أن كتب إلى السيد أحمد بن المتوكل وهو بشهارة، منعزلاً في الظاهر عن طاعة الإمامين الداعيين، وفي الباطن مع الإمام المهدي: أن يجمع العلماء وأهل الحل والعقد؛ لينظروا الأصلح.

ووصل الإمام المهدي بجنوده إلى الغيرة: وادٍ تحت شهارة، ثم التقى الفريقان، فانهزم أصحاب الإمام القاسم، وكتب إلى الإمام المهدي بالطاعة والتسليم، والدخول في تلك الجماعة، ونزل الإمام القاسم إلى الإمام المهدي، واتفقا ساعةً، ولم يحضر بينهما أحد، وكان في ذلك دخوله في الطاعة، وتسليمه للأمر.

وصلح الحال، وانحسمت مادة الشقاق، وعين الإمام المهدي لبلاد الشرق عليَّ ابن الإمام القاسم، واستقر القاسم بشهارة، ثم توجه الإمام المهدي إلى الشام، ولبث في صعدة مدةً، وعاد قافلاً إلى الحطاب، من بلاد همدان،

وخرج الرؤساء من بني القاسم لملاقاته، ثم دخل الغِراس بأبهةٍ عظيمةٍ، ولبث بها أياماً، ثم دخل صنعاء، ولبث فيها مدةً، ورجع إلى الغراس.

ولم يزل متنقلاً في برج السعادة، واجتمعت كلمة اليمن إليه، وسار سيرةً حميدةً، إلى أن توفي في شهر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وألف بالغراس، ودفن بإزاء الجامع الذي عمَّره، وبُني عليه قبة عظيمة، ورثاه شعراء العصر بقصائد كثيرةٍ[1]، ومنهم: صاحبنا القاضي العلامة يوسف بن علي الكوكباني، فقال:

مصابٌ بنى منّا القلوبَ على الكسر ... وأعربَ عن رفع السلوِّ إلى الحشرِ
وواقعةٌ منها الورى في تغابنٍ ... وقارعةٌ منها بنو العصر في خُسْرِ

منها:

فدع جفنك السفاح يرسل دمعَه ... نجيعاً على المهدي الرشيد إلى الخير

ومنها:

هنيئا لتربٍ ضمَّ أعضاء أمة ... لتُربٍ جديرٍ أن يُوازَنَ بالتبرِ

ومنها:

مضر وكذا السيف المشطب وانتهى ... إلى جنة أنهارُها أبداً تجري
بكيتُ عليه بالقريض وأدمُعي ... وأحسنُ ما يُبكى على البحر بالدُّرِّ

وهي طويلةٌ بديعةٌ.

---

(١) يلاحظ أن المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ اشتغل بالحوادث الجارية في عصر المترجم عن تفصيل ترجمته.

[٥٢٥] أحمد بن حسين بن أبي بكر بن سالم باعلوي الحسيني.

شهاب الفضل الثاقب، الشهير المآثر والمناقب، أحـد أولئك الجِلَّة، وأوحـد تلك البـدور والأهلَّة، واحد العصر، وثاني القطر، وثالث الشمس والبدر، وكعبة الآمال، ودولة الإقبال.

ولد بقرية «عينات»، المحفوفـة بالبركـات، ونشأ في وادي المكـارم وناديه، وتربى تحت حجر أبيـه، وشب في الفضائل واكتهل، وهمى صيبُ فضله واستهل، فجرى في ميدانـه طلق عنانه، وجنى من روض فنونه أزهارَ أفنانه، صحب أباه الحسين، وعمه الحسن، واتصف من الأوصاف بالحسن، وأحلته السعادة دارهـا، وأمكنتـه الرياسة من نفسها، فحسرعن وجهه نقابها وخمارها، وكان كجماعته على طريقة البادية، أبدانهم وشعورهم نادية.

ولما توفي أبوه، اتفق أهل عصره على تقديمـه، وأنـه أحق بالمنصب حديثه وقديمه، وخطبَتْه أبكار المعالي، وغازلتـه جفون البيض، مشيرةً إلى صدور السمر العوالي، فقام مقام أبيه، وشيد معاني مبانيه، وصار كضوء على علم، وجلا بسناء نوره الظلم، وشابه أباه، ومن شابه أباه فما ظلم، وأطفأ بنوره أنوار غيره وأخمد، وأعجز مَنْ بعده ولا بدعَ إذا ظهرت معجزة أحمد.

وانعقدت عليه خناصر المـلا، وكان بحراً لا يكدره الدلا، طالمـا طـاف حول داره ركب الوافدين، وطاب لديه شرب الواردين، أزرى كرمه بالبحر وإن جاشت غواربه، وعلت أمواجه وهاجت عجائبه، وكانت ترد عليه النذور والأموال، على ممـر الأيام والليال، وهو يفرقهـا على الفقراء والمساكين، والغرباء الوافدين، وقصدَه الغادي والرائح، ومدحه الفضلاء بأحسن المدائح، فغمرهم بالفضل والسماح، وأغناهم عن الطلبة والاقتراح.

وكان في «عينات» مالكَ أزمة أمورهـا، ومرجعَ جمهورهـا، وكانـت أخلاقه كالروض الوسيم، وأنواره يُقتبس منها في الليل البهيم، وكان يملك نفسه عند الغضب، ويكظم الغيظ إذا قدر وغلب، مقبول الشفاعة عند الملوك والأمراء، يمتثل أمره في السراء والضراء، واستمر على هيبته وعظمته، وعلو منزلته وجلالته، فارغ البال، من التكدر والبلبال.

إلى أن انقضت أيامه، وتنبه لـه من داعي المنون نيامـه، **فتوفي في** صبح يوم الجمعة، لثمانٍ خلون من جمادى الأولى، سنة إحدى وستين بعد الألف، ودفن بمقبرة عينات الجديدة، عند قبور أسلافه ـ نفع الله بهم ـ.

[٥٢٦] أحمد بن الحسين الحمولي اليمني.

صاحبنا الفاضل الأديـب، العالم المتفنن الأريـب، الجامع بين العلم والأدب، والمنفق نفيس عمره في الطلب، **ولد** بالمسودة من مغارب شهارة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، واشتغل بفنون العلوم، وأخذ عن السيد العلامة محمد ابن إبراهيم المفضل وغيره، وبرع وترعرع، وأفاد وأجاد.

اجتمعت به بمدينة اللحية، عام أربع وتسعين بعد الألف، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ، وأنشدني له شعراً كثيراً.

منه: قوله يمدح شيخه السيد العلامـة الحسن بن المطهـر بن محمـد الجرموزي الحسني، أمير المخا، وكنت رسوله فيها إليه:

عَـرِّجْ بـسَلْعٍ وإن رُوِّعْـتَ بالعَـذَلِ ... واقرَ السلام على مَنْ فيه عـن كَمَـلِ

وعفرِ الخدَّ فـي سـفحٍ ولعـتَ بـه ... وبثَّ شكواك من وجدٍ على الطللِ

واستنـشقِ الـريح بالأنفـاسِ عـاطرةً ... وسارقِ الومضَ من سترٍ ومـن خلـلِ

ومَتَّـعَ الـسمع مـن حـادٍ روايتـه ... حديثُ عزةَ في الأسـفار والطَّفَـلِ

تروي عهودَ زمان باللِّوى سـلفتْ ... سحبتُ فيها ذيولَ الشاربِ الثمـلِ

عرّض بذكري وقل عهدي كما عهدت ... مـا خنـتُ فيـه بتغييـر ولا بـدلِ

لا تكثـرِ الميـلَ والإصـغا لطائفـةٍ ... تزين الهجـرَ بـالإعراض والملـلِ

إن لم تجودوا بوصـلٍ منكمُ كرمـاً ... على محبٍّ صبورٍ بالـشجونِ مُلي

ودام هـذا التمـادي فـي بعـادِكُمُ ... وحُلِّلـت عُقـدُ التـأليف والوُصَـلِ

شكوتُ حالي إلى مَنْ جودُ راحتِه ... عَـمَّ البريـةَ مـن حـافٍ ومنتعِـلِ

سامي المناقـبِ محمـودٍ خلائقُـه ... عالي المناصب في أسـلافه الأُوَلِ

معطي المواهـبِ والأجـوادُ عابسةٌ ... مفني الكتائب والأبطالُ فـي خجـل

مَلْـك أنـافَ بـه مجـدٌ وسـاعده ... جـدٌّ وأيـده فـي القـول والعمـلِ

نجـلُ النبـوة مـن أبنـاءِ فاطمـةٍ ... رقـى بهمتـه العليـا علـى زُحـلِ

ما زال لا زال يطـوي كـل منتـشرٍ ... من الممالك فـي عـزٍّ علـى مَهَـلِ

فقـل لمـن رام مرقـاهُ وغايتَـه ... قصّر فليسَ له في الجود من مَثَـلِ

فقد حوى كلَّ ما في الناس من حسنٍ ... غـدا لـه علمـاً يـدعى بـلا حـولِ

فَهْو الـذي يـدُه البيـضا وصـنعتُها ... نسجُ المكارم للعافينَ عـن عَجَـلِ

سارتْ بها الركبُ سيرَ الشمس مفصحةً ... في البـر والبحـر فـي حـلٍّ ومرتحـلِ

ومنها:

هذا هو الجوهرُ الفرد الذي انعقدت ... لـه العنايـةُ مـن مـولاه فـي الأزلِ

يا بعد ما تتمنـى نفـسُ ذي شـرفٍ ... أن تَدَّعيـه فقـل حاولـتَ بالخَطَـلِ

هـذا المعـدُّ لريـب الـدهر فـاعْنَ بـه ينجيك إن لذتَ من خوفٍ ومن وَجَـلِ

ومنها:

هـذا الكـريمُ يـرى الـدنيا محقَّـرةً كأنهـا عنـدَه فـي البـذل كالوَشَـلِ

تـــراه مستبـــشراً يومـــاً بـــسائله يعطيـه لانتـه كالعـارض الهطـل

لا مـــنّ يخـــشاه إن أعطـــاه نائلَـــه صارت مواهبـه بالخيـل والخَـوَلِ

ومنها:

إن كنتَ ممتـدحاً فـاذكر مكارمَـه صدقاً وليس كمدح قيل في رجـلِ

قابلتُ أفـضلَ سـوحٍ بالمـديح فـإن قَصَّرْتُ فالنقصُ والتفريطُ من قِبَلي

ما في الممادح مـا يحـوي فـضائلَه أزرت بكامل بحـر الـشعر والرمَـلِ

نجلُ المطهر مـن طابـت مغارسُـه نَشَا بحجر إمام فـي العلـوم عَلِـي

تُثني عليـه علـومُ العقـل أجمعُهـا والنقلُ لا مريةٌ في الأخذ عن كملِ

ومنها:

صلى عليه إلهُ العرش كلَّ ضُـحًى بعـدَ المـشفَّع فينـا خـاتمِ الرسـلِ

والآلِ ما ذُكروا في الأرض قاطبـةً ومـــا دعـــا الله مـــن داعٍ ومبتهِـــلِ

[٥٢٧] أحمد الحُميدي قراجة.

أحـد علمـاء الروم، لـه «ذيل على الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية»، أحسن فيه وأجاد، توفي سنة أربع وعشرين وألف، قاضياً بالقدس، وله «حاشية على الدرر والغرر» في فقه الحنفية.

[٥٢٨] الملا أحمد بن حيدر الحريري الحسين آبادي الكردي الشافعي.

الإمام المحقق الشهير، قرأ على والده وغيره، من مؤلفاته: «خماسيةٌ على شرح العقائد العضدية» للجلال الدواني، و«حاشية على حاشية العصام على البيضاوي» و«حاشية على الشفا» لابن سينا.

توفي سنة ثمانين وألف ببلاده ـ رحمه الله تعالى ـ وهو والد العلامة حيدر، وشيخه الملا أحمد الشهير بأخي المارديني الحنفي، علامةٌ في جميع العلوم، مولده سنة أربعين، أخذ عن علي الرومي، وهو موجود الآن.

[٥٢٩] أحمد بن خليل بن إبراهيم السبكي الشافعي[1].

إمامٌ فاضلٌ، إذا جمعت الفضائل، فهو منتهى الجموع، وعالمٌ كاملٌ، كماله كثمر الجنة غير مقطوع ولا ممنوع، لم يمض له وقتٌ في غير العبادة، ولا ساعةٌ في غير الاستفادة والإفادة، بوجهٍ أبلجَ وضاح، يلوح من غرته نورُ السداد والصلاح.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن النجم الغيطي، وعن محمد بن إبراهيم الصوفي الواعظ، تلميذ الشيخ محمد بن عراق، ومن في طبقته من علماء وقته، ولازم في الفقه وغيره الشمسَ محمد بن أحمد الرملي، وعنه: شيخنا سلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وغيرهما، وكان له مهارةٌ في علوم الحديث، والعلوم النظرية، وفقهه بتكلف.

واتفق لشيخنا سلطان معه: أنه حضر معه يوماً في صلاة الجمعة، في مسجد صاحب الترجمة إماماً فيه، وكان من عادته أن يقدم ولده للخطبة،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٢٢).

ويصلي الجمعة بنفسه، فلما فرغ ولده من الخطابة، تقدم للصلاة إماماً على عادته، فأمسك بيده شيخنا سلطان، وقال له: يا سيدي! تفيدوا أن من شرط إمام الجمعة أن يكون خطيباً، أو سمع الخطبة، وكان صاحب الترجمة عرضَ لـه ثقلٌ في سمعـه، فقدَّم ولـده حينئذٍ للصلاة بدله، وقال لشيخنا سلطان: جزاك الله خيراً.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ مفيدةٌ شهيـرةٌ، منهـا: شرح منظومـة السيوطي في أحوال الموتى سماه: «التبييت على التثبيت»، وكانت وفاته بمصر. . .[1]، ولـه شرحٌ على منظومة ابن العماد في النجاسات المعفو عنها، سماه: «فتح المبين بشرح منظومة ابن عماد الدين».

[٥٣٠] أحمد بن خليل السلموني الشافعي المصري[2].

جامع أشتات المعالي، وحسنة الأيام والليالي، علامـة الزمان، ووحيد الأقران، والمشار إليه بالبنان في البيان، زين الأكابر والأماثل، ورأس الأعيان والأفاضـل، ومقصـد الملتمـس والسائل، ومحط رحل أمل الآمل، حسن الأخلاق، حليم النفس، يلتذ بالعفو عن الزلـة؛ كما يلتـذ الأحمق بالعقاب عليها، مشكور السيرة، صافي السريرة، محمـود في فضله، لـه مهارة جيدة، في فنون متعددة، وأشعارٌ أنيقة، حسنةُ السبك رقيقة.

منها: قوله يمدح محمد بن محمود الكفوي، القائم مقام قاضي مصر المحروسة:

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ، وغالباً أن هذه الترجمة مرت».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٧).

ما الذي وسق الأحشاء بالنصلِ ... ولم يدع موضعاً فيها لمنتصِلِ
أَذَاك زرقٌ عوالٍ من كُماةِ وَغًى ... أو ذاك رشقُ نبال من بني ثُعَلِ
أم هي عيونٌ بأوتارِ الجفونِ رمتْ ... سهامَ ألحاظها قسي الحواجب لي
أم هي سيوفُ لحاظٍ في الحشا فعلتْ ... فعالَ سيفِ أميرِ المؤمنين علي
أم هي خناجرُ طعنٍ في الحناجر مَنْ ... رنا محاجرَ تلك الأعينِ النُّجلِ
أم هي رماحُ قدودٍ لا يعادلها ... في القدِّ سمرُ القنا العسالةِ الذبلِ
بيضُ الوجوه لها بيضُ الصفاح بها ... سودُ العيون لها السمرُ الرماح حُلي

ومنها:

ما لي وعشقَ مِلاح من محاسنِها ... تُبدي أحدَّ سلاحٍ مرهَفٍ صَقِلِ
واجيرتي ألا عزاء للغرام بذا ... الجمال أجنح للوَّامِ والعَذَلِ
أصبو لذاك ولا أصغي لذَيْنِ ولا ... أسلو حلاوةَ مصِّ الريق والقُبلِ
لكنني في الهوى أصبحتُ ذا وَلَهٍ ... ومنه أمسيتُ شبهَ الذاهل الوَهِلِ
أشبهتُ ما صلةً والغِرُّ يحسبني ... ذا عائدٍ موصلاً والحالُ لم أصلِ

ومنها:

أَنَّى الوصولُ إلى نيل العوائد ... والصلات من فاترِ الأجفان والمُقلِ
من لي بذلكَ والألحاظُ تسلبني ... سلبَ المدامة لبَّ الشاربِ الثملِ
ما بالنا معشرَ العشاق تأخذُنا ... في السلم تلك الرنا أخذاً على عجلَ

ومنها:

ونحن في الحرب أقوى ما نكون إذا ... تقارعت في الظُّبا الأبطالُ في الأسلِ

وبعـد ذاك القـوى والعـزمِ تنظرنـا ... نهباً لألحاظِ تلك الـنعَّس الكحـلِ
ظُبـا الـسيوفِ وأطـرافَ الأسـنة لا ... تَخشى وتَخشى سوادَ الطرفِ والكحلِ
الله أكبـرُ كـم مـن نـاعس غَـنِجٍ ... أردى وجندلَ كَمْ من فارسٍ بطـلِ

منها:

ولم أجـد ملجـأً آوي إليـه حمـى ... للآئذ الملتجي والخـائفِ الوَجِـلِ
إلا جنـــابَ عزيـــزٍ أيُّ معتلـــقٍ ... بجاهه ناجحٌ فـي القـول والعمـل

ومنها:

حلوُ الحديث صحيحٌ لفظُه حـسنٌ ... مسلسلٌ مرسَل أحلى مـن العـسل

ومنها:

منِّي له الحبُّ وقفٌ ثم إذ هـو لـي ... كـــافٍ بمـــا أتمنـــى أيُّ محتفـــلِ

وهي طويلةٌ.

وكانت **وفاته** في خامس شعبان، سنة سبع وثلاثين بعد الألف بمصر.

[٥٣١] أحمد بن خليل بن علي الأطاسي، التركماني الأصل، الحمصي الحنفي(١).

قال ابن الحنبلي في «تاريخه»: دخل حلب، ولازم الشهاب الأنطاكي، ثم عاد إلى حمص، وقد زاد علمه، وولي تدريساً، والنظر على مقام سيدي

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٣) (١٠٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٤).

خالد بن الوليد ﷺ ودخل دمشق، وتزوج بها أختَ مفتي دمشق الشيخ عبد الصمد العكاري، ثم قدم في صحبته إلى حلب، حين كان السلطان سليمان بها، سنة إحدى وستين وتسعمائة، فأعطي بعنايته تدريس الخزاعية بدمشق، ثم أعطي الإفتاء بحمص. انتهى.

قلت: وبقي بعد ذلك يتردد إلى دمشق، وكان فاضلاً صالحاً معظماً، وكان شيخنا القاضي محب الدين يترجمه بالعلم والتحقيق، والتفنن في العلوم، ويقول: إنه من أقران شيوخه.

قال الحنبلي: وجده عليّ هو العارف بالله تعالى، الذي أخبر عنه الشيخ محمود الصوفي، صهر الشيخ علوان الحموي: أنه ظهرت له كرامةٌ بعد موته؛ لأنه لما وضع بين يدي الغاسل، انسحبت الخرقة الساترة للعورة، فمد يده وسحبها؛ بحيث انستر منه ما كان انكشف.

توفي يوم الاثنين، حادي وعشري جمادى الآخرة، سنة أربع وألف، عن نحو تسعين سنةً ـ رحمه الله ـ.

[٥٣٢] أحمد خليفة الوديني.

ـ بكسر الواو والدال المهملة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وكسر النون ـ: نسبةً إلى بلدةٍ من بلاد الروم، على ضفة نهر طونة، تجاه ولاية أفلاق، ولد بها، واشتغل بتحصيل العلوم أولاً، ثم سلك الطريقة، واتصل بخدمة الشيخ بالي خليفة الصوفية، واجتهد عند، إلى أن حصل له شأنٌ في التصوف، وصار من جملة خلفائه، ثم سكن بوطنه المزبور، وكان شيخاً صالحاً معمور الظاهر والباطن.

[٥٣٣] أحمد خليفة المعروف بدده عمري.

كان من طائفة عمر، وهم جماعةٌ ساكنون بموضعٍ بين بلدة بياس وقرية قردتولاقي، من مضافات آذنـه، وكان شيخـاً صالحاً، عالماً مرشداً كاملاً، صاحب أحوالٍ صادقةٍ، وجذباتٍ قويةٍ.

[٥٣٤] أحمد بن روح الله الأنصاري(١).

العلامـة الشهيـر، لـه «حاشية على البيضـاوي» وصل فيهـا إلى سورة الأعراف، توفي سنة تسع وألف.

[٥٣٥] السيد أحمد بن ركن الدين الجرموزي أبو عبدالله الحسني.

ـ نوّر الله ضريحه ـ الأديب الناظم الناثر، كان هذا السيد فاضلاً أديباً بديع الترسل، لا يجارى في مضمار الفصاحة، استطرد ذكره صاحب «قلائد الجوهر» في أبناء السادة آل المطهر، وقال في حقـه: وهـو فاضل مشهور، وهمام لواء محامـده منشور، [إن] أنشأ فمـا الفاضل، أو خطب فما سحبان وائل، أو نظم فما النجوم الزواهر، أو خاطر فما الروض الناضر، وأطنب في صفته إلى الغاية.

وكان مولده بعتمه، واشتغل في صنعاء بفن الأدب، ولم يزل بعد ذلك متصلاً بالسيد شرف الدين الحسين بن مطهر الجرموزي مُوادِداً له في عتمة، ثم اتصل بعد وفاتـه بأخيه السيد رضي الدين جعفر في العُدَين، وما برح في حضرته مدة توليه لأعمال العُدَين، وهو الذي يسمى قديماً بمخلاف جعفر، وفيه مديخرة التي كان يسكنها علي بن الفضل القرمطي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٩).

ثم اتصل صاحب الترجمة بالإمام الناصر الهادي محمد بن المهدي، وقصده إلى المنصورة قبل أن يلي الخلافة، وولي من قبله أعمال حيس، ولم يزل بها حتى توفي سنة سبع وتسعين بعد الألف، وقبره بها، وكان كريماً أريحياً، رقيق الطباع، يتأنق بلبس الفاخر من الثياب، ولا يفارق حضرته أنواع الزهور والأطياب.

ومن بديع نظمه: ما امتدح به السيد رضي الدين جعفر بن مطهر الجرموزي، وهي قصيدةٌ في عراض قصيدة ابن المعلم المشهورة، وهي:

سلوه ما غيره من بعدي ... حتى لوى وفرَّ ما وفى بوعدي

وأبدلَ الودَّ الأكيدَ بالقِلى ... وشانَ حسنَ وصلِه بالصدِّ

وغير الودَّ اختياراً بالجفا ... وذلك القربَ بهذا البعدِ

وجرَّ ذيل التيه عني مائلاً ... ومن أنا لتيهه ما جهدي

تراه أنسى موقفي على الحما ... دِ وحيرتي ووجدي

وصفو ودّ لم يكدِّره جفا ... أيُّ جفا يتكدر للودِّ

أم سمع الواشي الكذوبُ تعدياً ... حتى تناه والكدور بعدي

ما حلتُ عن عهدي الذي أسلفتُه ... حاشاي أن أُرمى بنكث وعدي

أو أن يفلَّ الدهرُ حدَّ صبوتي ... وهي التي جازت أقاصي الحدِّ

أحبابَنا بحقٍّ من أعطاكُمُ الـ ... ـحسنَ وأعطاني الغرامَ وحدي

رفقاً بعبدٍ أنتمُ ملاكه ... ما أجدرَ المولى بحفظ العبدِ

ومنها:

إن كان رشداً ما يهول عدلي ... لديكم بي عدمت رشدي

أصدُّ عن ماء العُذَيب والنقا   وعن شَميم بانِه والوردِ
بأيِّ حكمٍ وبأيِّ ملةٍ   أُذادُ عن طيب ذاك الوردِ
وطالما جرَّيتُ أذيالَ الصِّبا   بين ظلالِ أثلِه والرندِ
أجوب فيه والهوى مطيتي   واللهوُ جدتي والغرامُ بردي
سقى الحيا المنهلُّ أكنافَ الغَضى   مروِّياً لغوره والنجدِ

ومنها:

إن الحمى روحي فدا من حلَّه   عدا أسحالي وجل قصدي
لكَمْ ما ألقاهُ من حرِّ الهوى   بهم وأُخفي والدموع تُبدي
أعلل النفسَ بِعَلَّ وعسى   وقد علمتُ أنها لا تجدي
وتلاه من حلو اللما مرُّ الجَفا   محصر الخصرِ رشيقُ القدِّ
أطماع دهري وكأني بالقلى   وراح حالي البال مما عندي

ومنها:

أعوذ من إعراضه بحسنه   ومن جفا الدهر بتِرْب المجدِ
بجعفرٍ من فضله بحياته   ميتُ الرجا لا زالَ عالي الجدِّ
خير مليكٍ من بني الطهر الذي   ما إن لبعض فضلهم من حدِّ
أروعُ لو لاقى الهضابَ بأسه   لذابَ خوفاً منه صُمُّ الصلدِ

ومنها:

سل عن عطاياه الصبا فإنها   تطفلت واختلطت بالوفدِ

خير بيت والمسكُ حشوُ بردِها ... علا كلَّ تلعةٍ ووَهْدِ
وأكسبت زهرَ الرياض أرجاً ... حكى برياه نسيمَ الخلدِ
وغرد الطيرُ وثنَّى سجعَهُ ... من طربٍ على الغصون المُلْدِ
يروي حديثَ الفضل عن زهر الربى ... عن الصَّبا عن الكريم المجدِ
ولم يزل عنه وعن أحبابه ... يعيدُ أخبارَ الندى ويُبدي
هم الأُلى شادوا منارَ فخرهم ... ومجدِهم بالجِدِّ لا بالحدِّ
كلُّ همام سابق إلى العلا ... لم يرتدي إلا رداءَ الحمدِ
لقد غدوا جيداً لعقد دهرنا ... لكنّه واسطة العقدِ

ومنها:

يا سيداً ما زال مذ قيل له ... يا سيداً يولي الندى ويُسدي
كَمْ ليديهِ من يدٍ على الورى ... أغنتهمُ عن طلب وكَدٍّ
ولم تزل أنعُمُه على الورى ... لسائلٍ ولم يشنْ بردٍّ
ما أمّ ذو حاجٍ إلى أبوابه ... إلا وعادَ مثقلاً بالرفد

ومنها:

خذ مدحته من صادقٍ ودادُه ... بديعة ما حكاها ابن الوردي
لما طوى عنك النوى معاضدي ... معينها معربة عن قصدِ
لا زلت غيثاً للنظار ممطراً ... ما لمعت بارقةُ من نجدِ

ونظمه كثيرٌ، يأتي في ديوان.

ولحسن بن علي بن جابر الهبل إليه عدة قصائد، وهي في ديوانه المعروف بـ: «قلائد الجواهر».

[٥٣٦] أحمد الذاكر الدمياطي.

الشاعر المفلق، المشهور بدمياط، توفي يوم الجمعة، رابع وعشري شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وعشرين وألف.

[٥٣٧] أحمد خيير ـ بياءين تحتيتين، الأولى مشددة مكسورة ـ المزجاجي، صاحب سلامة التُّرَيْبة.

ذكر السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل: أنه كان يعلمه القرآن، وأثنى عليه بالخير والصلاح، والكرامات والإحسان.

ومما اشتهر عنه وظهر: أنه لما بانت دولة زبيد عن التُّرَيْبة، قصد محمد آغا، صاحب الزيدية أولاً قرية المترجم، وهي محله، وأخذ أثاثه، حتى قميص زوجته، وفتك بالشيخ ليقتله، فحماه الله من شره، ثم رجع إلى زبيد، ومعه مملوكٌ تركيٌ فعلَ فِعلَ سيده، فأصابه وجع البطن من حينه، فكان ذلك حتفه، وأصاب الآغا المذكور قرحةٌ في مشفره، وتسللت إلى أن فلت لحيه، فمات بسبب ذلك.

توفي صاحب الترجمة يوم النحر، سنة عشر بعد الألف.

[٥٣٨] أحمد بن زين الدين الخطيب الشربيني الشافعي.

أحد علماء الشافعية بمصر، أخذ عن الشمس محمد الخطيب الشربيني، والشمس محمد بن أبي الحسن البكري، والشمس محمد العلقمي، والنجم الغيطي، وجاور بمكة سنة تسع وتسعين وتسعمائة، وأخذ عنه الإمام عبد القادر

الطبري، وكتب له إجازةً بمروياته، ذكرها في كتابه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[٥٣٩] الأستاذ أحمد بن زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن البكري[1].

ورفعُ نسبه في ترجمة عمه محمد أبي السرور، قال صاحب «السلافة» في ترجمته[2]: شهاب الأئمة، وفاضل هذه الأمة، وملثُّ غمامِ الفضل، وكاشف الغمة، شرح الله صدره للعلوم شرحاً، وبنى له من رفيع الذكر في الدارين صرحاً، إلى زهدٍ أُسس بنيانه على التقوى، وصلاحٍ أَهِلَ به ربعُه فما أقوى، وآداب بحمر قدود الورد أنافها خجلاً، وشيم أوضح بها غوامض مكارم الأخلاق وجلا، وفلاحٍ يشرق من محياه، وطيب أعراقٍ يفوح من نشر رياه.

ولد بمصر، وبها نشأ، واشتغل بفنون العلوم، وكرع في مشارع الفهوم، وقرأ على عمه الأستاذ الشيخ أبي المواهب، وأبيه، وغيرهما من مشايخ عصره، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، فأشرق نوره فيه وأزهر.

وكانت له اليد الطولى في تفسير القرآن، وإليه النهاية في علوم الطريقة ومزيد الإتقان، مع كرمٍ يخجل المزن الهاطل، وشيمٍ يتحلى بها جيد الزمان العاطل، وجاهٍ عريضٍ وتمكين، ومكان عند الناس مكين، وهم يستعينون

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٤٧٩) (٣٣٠)، «الأعلام» للزركلي(١/ ١٢٩).

(٢) في الأصل: ترجمة مثله.

به ولا يستعين، ويستلمون أركانه كما تستلم أركان البيت العتيق، ويتنسمون أخلاقه كما يُتنسم المسك الفتيق، والنور يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعته.

ولم يزل بمصر إلى أن دعاه الله للقاه فأجاب، وكأنه الغمام أمرع البلاد فانجاب، فكانت **وفاته** ﷺ سنة تسع وأربعين بعد الألف.

ومن مؤلفاته: كتابٌ جعله على أسلوب «لوعة الشاكي ودمعة الباكي»، سماه: «روضة المشتاق وبهجة العشاق».

وله شعرٌ يدل على علو محله، وإبلاغـه هدى القول إلى محله، **فمنه قوله:**

أحـــنُّ إذا جَـــنَّ الظـــلام تـــشوقاً ... إلـــى زمـــن بـــالقرب زاد تألقـــا
وأقطـــع ليلـــي ســـاهراً متفكـــراً ... لعل زمـان الأنـس يـسعِفُ باللِّقـا

[٥٤٠] أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد.

كان هذا العلامة الحبرُ العظيمُ الشأن جليل القدر، وواحد الدهر، وفريد العصر، وعالم السهل والوعـر، وإمام البدو والحضر، في جميع العلوم هو البحر، قلد بفضائله جيدها والنحر، وافتخرت بفواضله اليمن إلى يوم الحشر، مع عذوبة اللسان، ووسع الصدر، ومراقبـة الله في السـر والجهـر، وطيـب الأصل والمظهر، وأصله من بلاد مسور، واشتغل بالعلم حتى اشتهر، وحرر العلوم وقرر، ولمخبآت كنوزها أظهر، وكان في العلوم النقلية والعقلية شيخها الأكبر، وفي الأدب غيـرُه لا يذكـر، إن حـدث، فلفظـه السكر، وإن روى الحديث، هَيَّم طالبه وأسكر، فكم أشرق نوره وأزهـر، وعم فضله من دب

ودرج من البشر، وأخذ عنه صحيح الخبر، وعلوم السنة والأثر، وإذا عارض أحداً بقوله، فقوله الأظهر.

وبالجملة: ففضله أجلُّ من أن يذكر، وأظهر من أن يشهر؛ فإنه كان في العلم بحراً زاخراً، وبدراً هادياً زاهراً، مشاراً إليه في عصره بجميع العلوم، متوحـداً بدقائق المنطوق والمفهـوم، لا ساحل لبحر معارفه، ولا منهى لِيَمِّ عوارفه، قد احتوى من المعارف على ما لم يحتو عليه الأول، وأقر له بالفضل من عليه في ذلك العصر المعوّل.

وكان ثغر الدولة القاسمية به مبتسماً، وتصريف أعنة الأوامر والنواهي بحسن موالاته متسقاً منتظماً، وهو صدر مجالسهم، ونور مقابسهم، تصدر للإفادة والكتـابـة في مجلس الإمـام القـاسم، ثم في مجلـس ولـده الإمـام المؤيد بالله محمد، ثم في مجلس أخيه القائم بعده أحمد أبي طالب، ثم في مجلس أخيه المتوكل على الله إسماعيل.

وانتهت مدته في هذه الدولة الغراء، وهو كاتـب الإنشاء، ومتقلد منصب الخطابة، في حضرات الأئمة المذكورين آنفاً، وانتهى إليه علم اللغة، والحديث، والتفسير، والنحو، والتصريف، والأصلين، والفقه، والدراية بمناطق العرب ومفاهيمها، وما اشتملت عليه من الكنايات والإشارات.

وعلى كل حال، فالواصف له مقصر، والمترجم له عن محامده الجليلة واقفٌ عن إدراك الغاية متحضـِّر متحسر.

وكانت **وفاتـه** ـ رحمه الله ـ في شهـر محرم الحرام، افتتاح سنة تسعة ـ بتقديم التاء ـ وسبعين ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، بشهارة، وقبره مما يلي

الجامع بها، في الصرح الشرقي، ومولده في ثاني شعبان، سنة سبع وألف.

ومن شيوخه: والـده، وعمـه علي بن الحسين، وأخـذ عن كثيـرٍ من العلماء، منهم: الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، والقاضي العلامة أحمد ابن أبي الرجال، وغيرهما، وممن أخذ عنه: العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجـال، وبـه تخرج، ويشير إليـه كثيـراً في تاريخه «مطلع البدور ومجتمع البحور»، وممن أخذ عنه أيضاً، واستفاد ببركة صحبته: السيد حسن بن مطهر الجرموزي، الآتي ذكره إن ـ شاء الله تعالى ـ.

وله مؤلفاتٌ فائقةٌ، وإنشاءاتٌ من خطبٍ وغيرها بليغةٌ رائقةٌ، وله من الورع ما لا يحصر بقيد، ولا يصل إليه عمرو بن عُبيد، مع تعاور العناية له في طاعة هؤلاء الأئمة الأطايب، وانسجال ديم النفائس عليـه من كـل جانـب، فيأباها، ولا يخاف في ذلك من الملوك عقباها.

فمن ذلك: ما أجاب به على الأمير الكبير، الشريف الشهير، الحسين ابن أحمد الخواجي صاحب صبيا، وقد كتب إليه كتاباً، وأصحبه هديةً:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمـد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فوصل كتابكم الذي هو جواب جوابي عليكم، مشتملاً على وجوه من الخطاب، صيّرت ما كان سبق مني من الإحسان بإجابة الكتاب الأول ذنباً، وما كنت أحسبه حمداً عند الله وعنـد خيـار عبـاده سباً؛ إذ لم يقـع مني ما صدر من البشر السابق، لمن وصل الحضرة الإمامية، من إخوانكم الشرفا، ثم جوابي عليكم في كتابكم الذي ابتدأ المولى به، إلا رعايةً لحق رسول الله ﷺ؛ إذ كنتم وأولئك الجماعة من أهل بيته، وممن ينسب إلى ذريته، ثم صيانةً لعرض مولانا أمير المؤمنين،

ومحبةً في أن يكون من حضرته الكريمة، كما جاء في الحديث النبوي: «المؤمن أَلِف مألوف».

وكنت أظنكم ـ رعاكم الله ـ وأولئك الجماعة ممن له في خوف الله نصيب، وممن قد أقلع عما يوجب البعد من القريب المجيب، وممن دعواته صادقةٌ أنه لا يريد إلا الله، ولا يسعى إلا في طاعته وتقواه، فخدعتموني ـ تاللهِ ـ فانخدعت، ولو أخذت بالحزم الذي هو سوء الظن لما أَبْعَدْت.

فحملتم تلك الحالة مني على ما زهدني ـ والله ـ وغيري من المؤمنين فيكم، ونبهني على الحذر والريب في كل ما يصير مني [من] قول أو فعل عنكم؛ إذ حللتموني محلاً لست من أهله، وكتبتم إليّ، ولا لمستها ـ والمنة لله عليّ ـ يدي، أردتم خديعتي عن ديني، والتوصل بها إلى ما تريدون من أغراض الأهواء وإن أهلكني، وأكون كما قيل:

بتُّ كأني ذُبالةٌ نُصبت تضيء للناس وهي تحترقُ

ومعاذ الله أن أكون ممن يبيع دينه بكل الدنيا، فضلاًعن عرضٍ منها هو أقل وأدنى، أو أن يحبط أعماله ويُبطلها بإماطة الأوساخ عن الناس، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[الأنعام: ٥٦]، وكيف إن بقي شيءٌ من المعقول، آمر الناس بالبر وأنسى نفسي، وأتصدر لإمام الحق في إنشاء مواعظ يُخطب بها على المنابر لنصيحة الخلق، وأخونها، وهي أعز الأنفس عندي.

على أني ـ والمنة لله عليّ ـ من فضل ربي وفضل إمامي في خيرٍ واسعٍ، ورزقٍ جامعٍ، وأملٍ في كل بلاغ راتعٍ، ثم إنه لا يسلك أحدٌ طريقةً، إلا وله فيها سلفٌ يقتدي بهم، أو أصولٌ ينتمي إليهم ـ وأنا بحمد الله ـ ما أعلم في

أئمتي الذين أقتدي بهم من يأكل الرشا، ولا من يلبس الحق بالباطل، ويكتم الحق؛ لينال غرضاً من الدنيا، ولا في آبائي من خان إمامه، وآثر اليوم على يوم القيامه.

أما أئمتي الذين أقتدي بهم، بعد رسول الله ﷺ، فأولهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، وهو يقول في خطبةٍ له: والله! لأن أبيتَ على حَسَك السعدان مسهَّداً، أو أُجرَّ في الأغلال مصفّداً، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشيء من الحُطام، وكيف أظلم أحداً لنفسٍ تسرع إلى البلى قفولُها، ويطول في الثرى حلولُها؟!

والله! لقد رأيت أخي عقيلاً، وقد أملقَ حتى استمحاني من بُرِّكم صاعاً، ورأيتُ صبيانه شعثَ الألوان من فقرهم، كأنها سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً، وكرر القول عليّ مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدةً، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنفٍ من ألمها، وكاد أن يحترق من منسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدةٍ أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار أضرمها جبارها لغضبه؟! أتئن من الأذى، ولا أئن من لظى؟!

وأعجبُ من هذا: طارقٌ طرقنا بملفوفةٍ في وعيها ومعجونةٍ كأنما عُجنت بريق حيةٍ أو قيئها، فقلت: أصلةٌ، أم زكاةٌ وصدقة؟ فذلك محرم علينا أهلَ البيت، قال: لا ذا ولا ذاك، وكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبطٌ، أم ذو جنةٍ، أم تهجر؟ واللهِ! لو أُعطيتُ الأقاليم

السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في غلةٍ أسلبها خلب شعيرةٍ، ما فعلته، وإن دنياكم هذه لأهونُ من ورقةٍ في فم جرادةٍ تقضمها، ما لعليٍّ ونعيمٍ يفنى، ولذةٍ لا تبقى، نعوذ بالله من سيئات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين.

وأقرب أئمتي: إمام عصري بعد والده أمير المؤمنين القاسم بن محمد ابن علي ـ رضوان الله عليهما ـ، وهما جميعاً مَنْ عَلِم الخاصُّ والعامُّ سلوكَهما تلك الطريق، وتمسُّكَهما بذلك الحبل على التحقيق، ورفضَهما الدنيا بعد ملك الشرق والغرب، ورضاهما منها بأدناها، مع نفوذ أمرهما في العرب والعجم، والبعد والقرب، **شعر**:

والشمسُ إن تخفى على ذي مُقلةٍ نصفَ النهار فذاك تحقيق العمى

وأما آبائي الذين أنتسب إليهم، فأدناهم: أبي الذي ولدني، كان ـ والله ـ كما ورد في الحديث النبوي: «يغضب لمحارم الله كما يغضب النمر إذا هيج»، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكما قال الأول، **شعر**:

الصدقُ فيه ما يضرّ به والواحد الحالتين السرِّ والعلنِ

ثم أخوه عمي الذي أدبني، كان كما قال أمير المؤمنين علي ـ كرم الله وجهه ـ في صفة المؤمن: المؤمن بشرُه في وجهه، وحزنُه في قلبه، أوسعُ شيء صدراً، وأذلُّ شيء نفساً، يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويلٌ غمُّه، بعيدٌ همُّه، كثيرٌ صمتُه، مشغولٌ وقتُه، صبورٌ مغمورٌ بفكرته، ضنينٌ بخلته، سهل الخليقة، لين العريكة، نفسُه أصلب من الصلد، وهو أذلُّ من العبد.

ثم أبوهما جدي، المسمى: سلمان أهل البيت، الذي لا نعلم أن إماماً

من الأئمة مُدح غيره بذلك، فقال الإمام شرف الدين لولده شمس الدين ابن أمير المؤمنين:

جاءكم سلمانُ بيتي ... فاعرفَنْ يا شمسُ حَقَّهْ
وبرجواك فحقق ... وببشرٍ فتلَقَّهْ

وإنا ـ بحمد الله ـ لم نعرف غير سبيلهم، ولا رُبيت إلا في حجورهم، ولا تلوثت بغير صفاتهم، وإني والناس لكما قال علي بن عبد العزيز الجرجاني ـ رحمه الله ـ:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذلِّ أَحْجَما
أرى الناسَ من داناهم هانَ عندَهم ... ومن أكرمَتْه عزةُ النفس أُكرما
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كنت كلما ... بدا طمعٌ لي صيرته لي سُلَّما
وما كلُّ برق لاح لي يستفزُّني ... ولا كلُّ من في الأرض أرضاه منعِما
إذا قيل هذا مشربٌ قلت قد أرى ... ولكنَّ نفس الحرِّ تحتملُ الظَّما
ولم ابتذلْ في خدمة العلم مهجتي ... لأخدمَ مَن لاقيتُ لكن لأُخْدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلَّةً ... إذاً فاتباعُ الجهلِ قد كان أسلَما
ولو أن أهل العلم صانوه صانَهم ... ولو عظَّموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه فهانَ ودَنَّسوا ... مُحَيَّاه بالأطماع حين تَجَهَّما

اللهم إني لا أقول ذلك افتخاراً على غيري، ولا تزكيةً لنفسي، ولكن لما شرعته من تجنب مواقف التهم، وأنا مع ذلك معترف بأني أحقر من أن أذكر، وأهون من قلامة الظفر، ولكن مظلوم رفعت ظلامتي إليك، وكما قال

زين العابدين ـ عليـه السلام ـ: يا من لا تخفى عليه أنباء المتظلمة، ويا من لا يحتـاج في قصصهم إلى شهـادة الشـاهـدين، ويا من قربـت نصرتـه من المظلومين، ويا من بعُد عونُه عن الظالمين، قـد علمتَ يا الهي ما نالني من فلان، إلى آخر ما ذكره في دعائه، وحسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

هذا، ولولا تخريج أمير المؤمنين بعد الشكوى عليه في إعادة الجواب، لما توجه مني بعد ذلك خطاب، وهذا ـ إن شاء الله ـ بيني وبينكم آخر كتاب، والسلام، حرر خامس وعشري شعبان عام ستة وثلاثين وألـف، بمحروسة شهارة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، انتهى ما وجدته.

[٥٤١] أحمد بن سليمان القادري الدمشقي الشافعي[١].

مولده في بضع وعشرين وتسعمائة، وجلس على سجادة والده سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، ولبس الخرقة من شيخ الإسلام البدر الغزي، وكان ولده الشهاب الغزي يعتقده، وكان يكتب للناس الحروز، والناس مقبلون عليه لذلك، وكان يصلح بين الناس، ويترددون عليه لذلك، ويرضون ما يعمل.

وكان ساكناً وقوراً، حسـن الخلق، لطيف الذات بشوشاً، ويتردد إليه الحكام، ولهم فيه اعتقادٌ تامٌّ، بديعَ المحاضرة، ظريفَ المعاشرة، مستحضراً حكاياتِ الصالحين، ولطائفَ العارفين، ويوردها في مجالسه بالمناسبة أحسنَ مورد، ويكرم المترددين إليه، ويقبل عليهم.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٠) (١٠٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠٧).

ولم يزل على ذلك، حتى توفي يوم الأحد، سابع وعشري رمضان، سنة خمس بعد الألف، عن نحو ثمانين سنةً ـ رحمه الله ـ، وصلى عليه بالجامع الأموي إماماً بالناس، أحمدُ العيثاوي، قبل صلاة العصر، ودفن بزاويته، فدفن بها جوار الشيخ سيف الدين ـ رحمه الله ـ.

[٥٤٢] أحمد بن سليمان الدمشقي القادري الشافعي.

أحد خلفاء الطريقة القادرية، أخذ الطريقة وتلقن الذكر من والده، ومن الشيخ محمد بن عراق، والشيخ أحمد بن عتور الدمشقي، ولبس الخرقة القادرية من الشيخ صلاح الدين أبي المحاسن، وهو لبسها من الشيخ شهاب الدين أحمد بن الناصح البعلي، واجتمع بالشيخ أحمد المنبّاوي المغربي.

وكان في مبدأ أمره منجمعاً عن الناس، ولزم الصوم والخلوات، كل خلوةٍ أربعين يوماً، يفطر على لوزةٍ واحدةٍ، فعند تمام الأربعين حصل له ضعفٌ في جسده، ومرضٌ في أعضائه، حتى أوهنه ذلك، فدخل عليه رجل من الصالحين قبل أذان الفجر، فطرق الباب، ودخل وجلس تجاهه ولم يتكلم، ثم أنشأ قصيدة الشيخ محيي الدين بن عربي ـ قدس سره ـ التي أولها:

مرضي من ممرضة الأجفان ... عللاني بذكرها عللاني

فلما أتى آخرها، نهض الشيخ واقفاً وكأنما حُلَّ من وَثاق، وحصل له الشفاء من ساعته، وكان يقيم الذكر بزاويته التي عند بيته بمحلة السلاّحة، وتأوي إليه الفقراء والصالحون والأولياء والمجاذيب.

ثم أشير عليه في عالم الرؤيا، أنك عمّر مسجد الأمير سيف الدين الغازي، الذي بالقرب من دار الذهب، واتخذه زاوية للفقراء، وذلك سنة إحدى وسبعين

وتسعمائة، وكان هذا المكان ارتدم بالتراب من زمان اللنك، وصار بأعلى التراب بيوتٌ سكنها الهنود، فتجرد الشيخ أولاً لنقل التراب فيه، فجاءت أهل القرى بدوابهم، واستمروا في نقله نحو شهرين أو أكثر، ثم شرع في تعميره، فعمر الإيوان والخلاوي وعمر لنفسه داراً.

وعظم اسم الشيخ، وكبر صيته، بحيث إنه كل قضيةٍ تعسّر على الحكام فصلها، ترسل إليه، فيصلح بين الأخصام، ويقطعها في ساعةٍ واحدةٍ، وكانت تأتي الخصوم بين يديه، ويتصارخون ويرفعون أصواتهم، والشيخ مطرقٌ برأسه، حتى يعلم أنهم أخذوا حظهم من الكلام، فيرفع رأسه إليهم ويبتسم، ويورد لهم حكايات الصالحين، وما جاء في العفو من الأحاديث والآيات، فيخضع كلٌّ منهم لكلامه، ثم يقعون على أقدامه فيقبلونها، ويفوضون إليه أمورهم، فيصلح بينهم، ولو لم يكن للشيخ من المحاسن سوى هذه، لكانت كافيةً له.

وكان يكتب الأوراق والحروز، وفي الزبادي الصيني، وكتابته مباركة، وله مائدةٌ في كل يوم، أولَ النهار وآخره، ويقيم الذكر يوم الاثنين بعد العصر، وفي يوم الجمعة بالجامع الأموي بعد صلاتها، عند باب الخطابة.

قال تلميذه الشيخ سليمان بن أحمد الدمشقي، من خلفاء صاحب الترجمة: رأيته في ليلة الخميس، سادس شهر رمضان، سنة عشر وألف، في المنام، وكانت الرؤيا في آخر الليلة، كان شيخي أحمد جالساً في الخلوة اليمنى بزاويته، فدخلت عليه، وتمثلت بين يديه، فقال الشيخ لك: يا شيخ إبراهيم! إن سُئلت عن حسبي ونسبي، فإني أحمد ابن الشيخ سليمان ابن الشيخ أحمد الصمادي القادري، وإن سئلت عن نسبنا السابق، فإنهم عوام، وإن كان مرادك الاطلاع على طريقة القادرية، فلا بأس أن تأخذها عنا.

قال: فوثبتَ واقفاً على قدميك، وحطّ يده في يدك، ثم قال لي: هات يدك يا شيخ سليمان، فمددت يدي إليه، فحط يدك في يدي، ثم بايعت على الطريقة القادرية، بعد ما لقنه التوحيد، وقال: الآن بقيت من طريقة القادرية، وصار مددك من حضرة الشيخ عبد القادر الجيلي.

ثم قال: يا شيخ إبراهيم! أنت ما جئت بنفسك ـ يعني: من بلادك إلى الشام ـ، بل نحن سحبناك وجلبناك إلى هذه الديار؛ لأن في علم الله شيئاً ممكوناً يريد أن يبرز على يديك.

قال: ثم رأيت رجلاً من الأعيان جاء إلى قبال الخلوة، يريد الدخول عند الشيخ، فاستأذنت من حضرته، فقال الشيخ: هذا الوقت للشيخ إبراهيم لا لغيره. انتهى.

وقال الشيخ سليمان المذكور: كنت عند الشيخ أحمد يوماً، فوقع عليه الحال، واضطرب اضطراباً شديداً، فبعد ساعةٍ سكن وانبسط، وقال: الحمد لله، مراراً، فسألت عنه، فقال: لولا أولياء الشام، لهلك عسكر الإسلام، قال: فوضعت تاريخاً، ثم جاء الخبر أن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان العثماني، غزا الكفار، ووقعت عليه شدة وانهزام، في ذلك اليوم والساعة، ثم غلبهم وقهرهم بإذن الله تعالى.

وقال الشيخ سليمان المذكور: سُئل صاحب الترجمة عن خروج المهدي، فقال: قد وُلد في سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، ويظهر في سنة أربع وعشرين بعد الألف[1].

---

(١) دعوى ظهور المهدي، أو إدعاء المهدية، حكاية متكررة عبر العصور، ولا تزال هذه=

ولما مرض صاحب الترجمة مرض الموت، أوصى أن يُجلسوا ولده عبد القادر، وهو ولد صغير القامة، نحيف الجثة، سنّهُ قريبٌ من سبع عشرة، وجلس بحضور المشايخ.

ثم توفي نهار الأحد سابع عشر رمضان، سنة خمس بعد الألف، ودفن بعد الصلاة عليه في الجامع الأموي، صلاة العصر، بتربة الشيخ سيف الدين، بالقرب من النبرورية ـ رحمه الله ـ.

[٥٤٣] أحمد بن شهاب الدين بن الولي محمد بن عبد الرحيم باجابر الحضرمي.

ذو السؤدد الظاهر، والفضل الباهر، أخذ عن والده، وتربى في حجره، وتحلى من جواهر نحره، وأخذ عن غيره من العلماء الأعلام، والسادة الكرام، ورحل إلى الديار الهندية، وأخذ عن عَلم العلماء الأكابر، السيد عبد القادر، وغيره.

وله نظمٌ حسن، وعدة مدائح في السادة آل باعلوي.

قال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس: **مدحني بقصيدة يقول فيها:**

وما قصدي الجزاء سوى انتسابي إلــى عليــاكُمُ يــوم القيامــهْ

فكان من اختيار الله تعالى له، بمقتضى حسن نيته، أن مات قبل أن يفتح علينا بشيء من الدنيا، وتأسفت على موته جداً، وكنت كلما تذكرته،

= الدعاوى قائمة، والأمر من الأمور الغيبية الخاصة، ومدعيها أصحاب أباطيل لا دليل لديهم سوى الكذب على عقول البسطاء والجهلة، نسأل الله السلامة.

استثار مني الحزن، وانبعث الأسى والندم، حتى كأن مصابي به باعتبار ذلك جديد في كل آن، ومن ثم كنت كثير الدعاء له، والترحم عليه، وصنفت في أخباره وما جرياته كتاباً سميته: «صدق الوفا بحق الإخا».

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الثلاثاء، رابع عشر شوال، سنة إحدى وألف، بالبلدة الشهيرة المسماة: «لاهور»، من الديار الهندية، حاطها الله بعدله، وله مكاتباتٌ مثبتةٌ في المجموعة التي أولها رسالة الأشخر[1].

[٥٤٤] أحمد بن شاهين الدمشقي[2].

أحد الفضلاء المشهورين في هذا الزمان، والمتميزين بكل حسن وإحسان، ونادرة الشعر، وينبوع كل بلاغة وسحر، **ولد** بدمشق سنة ألف وواحد، وولي نيابة الباب سنة ثلاثين وألف، أيام قاضي القضاة عبدالله أفندي.

ومن شعره قوله:

رازقي كنْ لعبدِكَ المرزوقِ	وارعَ عبداً يشكو حلولَ الضيقِ
خالقي منكَ ماء وجهي فَصُنْهُ	لا تُرقه في طاعة المخلوقِ

ورثاه الأمير منجك بقوله لما مات، وحصل مطر:

قلتُ لما قضى ابنُ شاهينَ نحباً	وهو سهمٌ كلٌّ يشير إليهِ
رحمَ الله سيداً وعزيزاً	بكتِ الأرضُ والسماءُ عليهِ

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض بالأصل ثلاث صفحات وسبعة أثمان صفحة».

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٩٦) (٦)، «هدية العارفين» (١/ ١٥٩).

ونظيره: أنه لما مات الحافظ ابن حجر، وصُلي عليه، حصل مطرٌ عظيمٌ، فقال بعض تلامذته:

قد بكت السحبُ على قاضي القضاة بالمطرْ   وانهدم الركن الذي كان مشيداً بالحجرْ

ولد بدمشق، وكان والده كتخدا الينكجرية، وصاحب الحل والعقد بها، ونشأ ولده تحت ظله، واشتغل بالعلوم حتى فاق معاصريه، وعظم قدره، واشتهر ذكره، وصار صدر دمشق، والمعول عليه فيها، وانتهت إليه فيها الرياسة، ولما قدم العلامة أحمد المَقَّري، لازمه، وقرأ عليه كثيراً، واختص به حتى ألّف باسمه تاريخه «نفح الطيب في أخبار لسان الدين ابن الخطيب»، وله فيه مدائح ومكاتباتٌ طويلةٌ، **منها**: ما كتبه إليه لما قدم دمشق، عام سبعة وثلاثين:

كنفُ المَقَّرِيِّ[1] شيخي مَقَرِّي   وإليه من الزمان مَفَرِّي[2]

[٥٤٥] أحمد صفي الدين بن صالح بن أبي الرجال[3].

إنسان عين زمانه، وأديب أوانه، ومن سراة الأدباء والفضلاء، بمدينة صنعاء.

من شعره: قوله يصف محاسن الروضة بصنعاء:

---

(١) جاء في الحاشية: «كذا بخطه يكتب مع بقية المكاتبات».

(٢) جاء في الحاشية: «بياض صفحة وخمس بالأصل».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٨٥) (٢٤٤)، «البدر الطالع» (١/ ٥٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٣٧).

روضة قد صبا لها الصعد شوقاً قد صفا ليلُها وطابَ المقيلُ
جوُّها سَجْسَجٌ وفيها نسيمٌ كل غُصن إلى لقاه يميلُ
صحَّ سكانها جميعاً من الدا ء وجسمُ النسيم فيها عليلُ
إيه يا ماءَ نهرِها العذبَ صلصلْ حبذا يا زلالُ منك الصليلُ
إيه يا وُرْقَها المرنَّةَ عنِّي فحياةُ النفوس منكِ الهديلُ
روضَ صنعاءَ فُقْتَ لوناً وطبعاً فكثيرُ الثناء فيكَ قليلُ
تِهْ على الشِّعْبِ شعبِ بَوّانَ وافخرْ فعلى ما تقولُ قام الدليلُ
نَهَرٌ دافقٌ وجوٌّ فتيقٌ زهرُها فائقٌ وظلٌّ ظليلُ
وثمارٌ قطافُها دانياتٌ يجتنيها قصيرُنا والطويلُ
لستُ أنسى ارتعاشَ شُحرورِ غصنٍ طرباً والقضيبُ منه يميلُ
وعلى رأس دَوْحِها خاطب الور ق ودمعُ الغصونِ طِلاً يسيلُ
ولسانُ الرعود تهتفُ بالسحـ ـب فكان الخفيفَ منها الثقيلُ
وفمُ السحب باسمٌ عن بروق مستطيرٌ شعاعُها مستطيرُ
وزهورُ الربى تعجب من ذا شاخصا طرفُها المليحُ الجميلُ
فانبرت قُضبها تراقصُ تيهاً كخليلٍ سقاه خمراً خليلُ
وعلى الجو مطرفُ الغيم سافٍ وعلى السطح برجُ أنس أهيلُ
وهم في العلا أشدُّ من النبع إذا حلَّ في الخطوب جليلُ
فيه لي رفقةٌ رقاقُ الحواشي كاد لينُ الطباع منهم يسيلُ
أَرْيَحِيون أو تسومهم النفـ ـس لجادوا فليس فيهمْ بخيلُ

تتهـادى مـن العلـوم كؤوسـاً طيبـات مزاجُهـا زنجبيـلُ
وعنـوانٌ مـن المعـالي كعـابٌ ريقُهـا حـين رشـفِها سلـسبيلُ
طاب لي زادُهـا وطـاب ضـحاها كيـف أسـحارُها وكيـف الأصـيلُ

ولما اطلع عليها القاضي العلامة بدر الدين محمد بن إبراهيم السحولي فقال :

لا زال وجـه الجمـال الجميـلُ ولهـا منـه غُـرَّةٌ وحُجـولُ
وعليهـا مـن الملاحـة سـربا ل طـوالٌ أردانُـه والـذيولُ
وحلّـى خيـل بهجـة وسـلوس وتقاصـير نـضرةٌ وفلـولُ
والذي أبرزت مـن الحسن معلو م ولكـن أضـعافه المجهـولُ

ومنها :

ولهذي الدعوى بـراهينُ قـد حُـرْ رِر منهـا المعقـولُ والمنقـولُ
غير أن المجـال يُستحـسن الإجـ ـمال فيـهِ ويـسمح التفـصيل
جنـة الأربـع الجنـان الـذي دان بتفـضيلها عليهـا الرسـولُ
ومتـى احتاجـت الغزالـة فـي راد الضحى أن يُقـامَ فيهـا الـدليلُ
ولموضوع حسنها في الحواشـي ملحقـاتٌ بـدائعٌ وفـصولُ
كالريـاض الغنـاء إذ طـاب فيهـا ليلُهـا والـضحى وطـاب المقيـلُ

ومنها :

وبكى الغـيم فـي رباهـا فأضـحى ضـاحكاً منـه ثغرُهـا المعـسولُ

وتغنى الهَزارُ في الورقِ الأخـ ـضر واصفرّ كالنضار الأصيلُ

وأتى مرسَل النسيم إلى الغصـ ـن ليوحي إليه كيف يميلُ

حبذا حبذا مروجٌ أحاطت ببروج فيها البدورُ نزولُ

كجنان الفردوس ولدان الألوا ن من النبت في رباها تجول

فلريحانها سرورٌ وقد را ق بلالاً جدٌّ له مبلولُ

ومنها:

وإذا اهتز الغصنُ وانتثر الطَّلْـ ـلَ بمرجانِه تبسم لولو

وإذا ما النسيم دبَّ على الما ء تعاطاه جوهرٌ وقَبولُ

حبذا نهرُها الذي المسكُ والكا فور والشهدُ فيه والزنجبيلُ

ما نُقَيْبٌ ودجلة والمعلاّ وفراتٌ ونيلُ مصرَ المنيلُ

في البساتين كالثعابين تنسا بُ رأيت الحبابَ كيف يسيلُ

أو كما هزّ للمضاع نعاع صحصحان الأطراف سيف صقيل

ومنها:

إن تصلصل كماته حكم القا ضي فمن عادة السيوف الصليلُ

كلُّ ما مرَّ فهو حالٌ ولكن لا تقل فيه كلُّ حالٍ يحولُ

كم خلافٍ عنه له ثمراتٌ قد حواها جميعَها المحصولُ

ومن مؤلفاته: «مطلع البدور ومجتمع البحور»، وهو تاريخٌ حافلٌ، وقفت عليه، وقد ترجم له أخوه القاضي محمد، وذكر له نحو ثلاثين مؤلفاً، وكان مشهوراً بسعة الحفظ، وعلى كل حال، فالمعارفُ هالةٌ هو بدرها،

والفضـائل أنهـار هو بحرها.

كان طلق الوجه، حسن الشمائل، ذكي القريحة، تحلقت عليه المدارس، بمدينة صنعئاء وشـهارة وصـعدة، ولا يسـلك جهة إلا اسـتقبله فضلاؤها، واستبشر به كلؤها؛ لكرم شمائله، وسعة فوائده وفواضله.

وكان له اليد الطولى، والسابقة الأولى، في المعاني والبيان، وتفاسير القرآن، وتقييد الفـروع والأصـول، ورد كل شيء إلى أصله، من المسموع والمنقول، وتولى الخطابة، وأنشـأ الخطب في عصـر خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله، ولازم حضرته العالية، بتعويل من أمير المؤمنين عليه، وإلقاء مقاليد هذه الفضائل إليه، ورتبته رتبة شيخه القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين، وكان ـ كما قيل في حق السيدين ـ: فرقدي سما، وبدري هدى.

توفي صـاحب الترجمة ـ رحمـه الله ـ سـنة اثنتين وتسعين بعد الألف بالروضة، وقبره تجاه منزله في ثغر زبيد.

[٥٤٦] أحمد بن شهاب الدين العجمي الشافعي(١).

الشيخ الإمام الفاضل، العالم الكامل، كان فقيهاً عالماً بالحديث وعلله ورجاله، موصوفاً بالخير والصلاح، مشاركاً في علوم عديدة، مرجعاً لأفاضل العصر في مراجعة المسائل المشكلة؛ لطول باعه، وسعة اطلاعه، رقيق الطبع، مطبوع العشرة، حسن الأخلاق.

مولده في ثالث عشر رجب، سنة أربع عشرة وألف، وابتدأ بطلب العلم

---

(١) «عقـد الجواهـر والدرر» للشـلي (٣٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢).

سنة سبع وعشرين، وتشرف بالاجتماع بالزيادي مرتين صحبة والده، ودعا له بدعوات صالحة، ظهر أثرها عليه.

أخذ عن جمعٍ من أكابر العلماء، منهم: البرهان اللقاني، والنور الأجهوري، والشمس الشوبري، والنور الحلبي، والشمس محمد الحموي، والشهاب القليوبي، وأحمد الدواخلي، وعبد الرحمن الخياري، وحجازي الواعظ، والشريف محمد بن عبدالله الطبلاوي، وإبراهيم الميموني، ومحيي الدين ابن شيخ الإسلام زكريا، وحجازي الأنبابي، ومحمد الميناوي، وجلال الدين المحلي، وعبد الرحمن بن سراج الدين الشنواني، وخضر الشوبري، وأخيه عطية، وأحمد السحيمي، وعامر الشبراوي، وأحمد المقري، ومحمد الروحي النعظي، وأحمد الغنيمي، والشهاب الخفاجي، وسري الدين الدروري، وفتح الله البيلوني، وحسن الشرنبلالي، ومنصور البهوتي.

وأخذ الطريق عن أحمد الكلبي المالكي شيخ المحيا، وعن أحمد البَجَم، وأبي الفتح الأبياريين، وعن عبدالله المحلاوي، وإسماعيل الصنافير، والسيدة نفيسة بنت الشيخ أبي الحسن البكري الصديقي، ولازم الأستاذ أبا الإسعاد ابن وفاء، وأخذ عنه طريق السادة الوفائية، واختص به، وصار لا يفارقه حضراً ولا سفراً، وأمور الأستاذ كلها كانت منوطة بنظره.

وأخذ أيضاً عن شيوخنا: سلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم، وأجازه شيوخه، وكان شيخنا خاتمةُ المحققين علي الشبراملسي يحترمه، ويشير إليه ويعظمه، ويثني عليه، ومن شهد له خُزيمة، فحسب.

وكان يقري الحديث في بيته، فتذهب الأفاضل إليه لحضور درسه،

وكان كثير الكتب؛ بحيث إنه لم يكن في عصره في مصره أكثر كتباً منه، سمحاً بإعارتها، وانتفاع أهل العلم بها، وكان بيني وبينه محبةٌ ومودةٌ، وكنت أتردد إليه كثيراً، وعرض له ثقل في سمعه في آخر عمره.

وكانت **وفاته** بمصر، ليلة الأربعاء، ثامن عشر ذي القعدة الحرام، سنة ست وثمانين بعد الألف، وصلى عليه ظهر يومها، بالجامع الأزهر، إماماً بالناس، شيخُنا علي الشبراملسي، في مشهدٍ عظيمٍ، وجزع عليه جزعاً شديداً؛ لشدة محبته له، ودفن بتربة المجاورين.

وأخبرنا شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي، في درسه: أنه رأى صاحب الترجمة في النوم، ليلة الأربعاء، بعد ثمانية أيام من وفاته، وعليه ثيابٌ بيضٌ، في مجلسٍ حافلٍ، فيه جمعٌ من الناس يتلون القرآن، عرف منهم شيخُنا خاتمة المحدثين محمد البابلي، وحجازي محمد بن خليفة الشوبري ـ رحم الله الجميع ـ.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل شهيرةٌ، منها: «فهرست بجميع مروياته وشيوخه» أحسن فيها كل الإحسان ـ رحمه الله، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان ـ.

[٥٤٧] الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي، صاحب مكة[١].

مولده عام أحد[٢] وخمسين وألف، كان في دولة أخيه الشريف سعد،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٩٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٢٨).

(٢) في الأصل: إحدى، والصواب ما أثبت.

مشـاركاً له في الربـع، ثم لمـا عزلا عن مكـة، توجها في ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وألف إلى الطائف، ثم إلى بيشة، وأقاما بها، ثم توجه المترجم إلى ديرة بني حسين؛ فإن له بها أهلاً وولداً، واستمر مقيماً إلى القعدة من السنة المذكورة، فرحل منها قاصداً المدينة؛ لزيارة جده ﷺ، فدخلها ليلة دخول الحاج الشامي، وواجهه فيها أمير الحاج الشامي محمد باشا، والتمس منه بعض مرام من شريف مكة ـ إذ ذاك ـ بركات.

ثم خرج من المدينة، ونزل على شيخ حرب أحمدَ بنِ رحمة، واستمر عنده إلى عودة الحاج الشامي، فواجهه الباشا، وأخبره بعدم تمام ذلك المرام، ثم توجه إلى الفرع، في أول عام أربع وثمانين، واستمر بها مدةً يسيرةً، ثم لما خرج الشريف بركات لحرابة حرب، في أواسط السنة المذكورة، عاد إلى حرب، وحضر الحرابة، ثم بعد انقضائها، توجه إلى الفرع، ثم وصل إليه أخوه الشـريف سعد، واستمرا بين السَّوارقيَّة والفرع، وأكثر الإقامة بالفرع، ولما توعد الشريف أهل الفرع، أوائل سنة خمس وثمانين، تنحوا إلى جهة وادي النقيع، من بلاد حرب بني السفر، وبني علي وعوف، واستمروا ومن معهم بها إلى شهر رمضان.

ثم عنّ لهم التوجه إلى الأبواب السلطانية، فوصلوا إلى حول المدينة الشريفة، ونزلوا بالغابة مجتمع السيول، غربي أُحد، أواخر رمضان، فعيدوا بذلك المحل، وليـس في نزول الأسـود بالغابـة ملامةٌ ولا معابـة، وتقضوا حوائجهم، وذهبوا خامس شوال متوجهين إلى الشام، لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أكرمهم.

ومن أعجب الاتفاق نزولُهم على مراح ابن سحيم، من غير علم منهم

بذلك، وكان الشريف سعد قتل أباه، فلما علموا به، حصل لهم كربٌ عظيمٌ، فلم يشعروا إلا وولده مواجهٌ لهم بالعبودية، والسلام والإجلال والإعظام، وأهدرَ دمَ والده، وأكرمهم، وذبح الذبائح، ومنح المنايح، وهذه من غير شكٍ معجزةٌ من جدهم.

ولم يزالوا على مثل ذلك، مع كل من مروا عليه من العربان، من جمعٍ ووحدان، إلى أن وصلوا دمشق الشام، فتلقاهم أهلها وأمراؤها، وكبراؤها وعلماؤها، ونقيب الأشراف، ودخلوا بموكبٍ عظيمٍ، والأشرافُ من أهل الشام حولهم مشاةٌ بأمر من نقيبهم، وكان يوماً مشهوداً، ثم أقاموا بها.

واستأذن لهم حاكمُ الشام حينئذٍ السلطنةَ في الوصول، فأذنوا لهم، فتوجهوا إلى أن دخلوا أدرنه، فحصل منهم من التعظيم والتبجيل ما يقصر عنه الوصف، وأقاموا بها مدةً يسيرةً، ثم توجهوا بأمر من السلطنة إلى القسطنطينية، واستمروا بها، وتولى الشريف سعد بعد ذلك المعرة، وتوجه إليها، ثم عزل عنها، وعرضت على المترجم طرسوس، وهي بلدٌ على ساحل بحر الشام، فلم يقبل إلا مكة.

ثم لم يزالوا بالروم، والأحوال تنتقل بهم، إلى أن حصل بمكة ما حصل؛ من الخلف والخلاف بين الأشراف، فبلغ ذلك السلطان، فأرسل إلى المترجَم، فأتاه، فلما دخل عليه، قام له، وقابله بغاية الإجلال، ووضع كفه بكفه، وتصافحا من قيام قائلاً: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.

فأول خطابٍ من السلطان له أن قال له: يا شريف أحمد! الحجاز خراب، أريدك لصلاحه[1]، فامتثل ذلك، فعند ذلك ألبسه ما كان عليه، ثم

---

(١) في الأصل: لصلحه.

جلس السلطان، وأشار إليه بالجلوس، فجلس، وأعاد عليه ما قال له أولاً مرتين، وهو يجيبه بالامتثال والقبول، فحينئذ قال السلطان: إذا آن أوان الشيء، أبرزه الله.

وأمر الوزير والكتاب أن يكتبوا له ملتمسه، وأجزل صلته، فخرج الشريف، وقدم له مركوب من خيل السلطان، ورحل على خيل البريد المسماة في عرف أهل الروم بـ: الولاق، فدخل إلى دمشق، وقد خرج الحاج منها، واستمر مجداً في السير، حتى لحقه بالعُلا، ودخل المدينة الشريفة، وتلقاه عسكرها، ولبس الخلعة السلطانية، تجاه الحجرة الشريفة؛ كما لبسها ثمة أبوه.

ثم دخل مكة سابع ذي الحجة، ختام سنة خمس وتسعين، من جهة أسفلها، ووراءه المحمل المصري، ومعه جميع عساكر مصر والشام وجُدّة، وركب بين يديه قاضي مكة السيد عثمان، وأحمد باشا صاحب جدة، وكان موكباً عظيماً، لم يتم لأحد قبله من الأشراف، إلا لوالده الشريف زيد، فحج بالناس على أحسن حال؛ من الأمن والدعة والسكون، وحصل لأهل الحرمين بقدومه غاية السرور، **توفي** ـ رحمه الله ـ حادي وعشري جمادى الأولى، سنة تسع وتسعين وألف.

وتولى بعده الشريف سعيد ابن أخيه الشريف سعد، ثم عزل، وتولى الشريف أحمد بن غالب، ثم عزل، وتولى الشريف محسن بن حسين بن زيد، ثم عزل، وعاد الشريف سعيد، ثم جاءه الشريف سعد من الروم، عام ألف ومائة وثلاثة، وبقي إلى سنة خمس ومائة وألف، ثم عزل، وتولى الشريف عبدالله بن هاشم، ثم رجع الشريف سعد من اليمن، وعاد إلى ملك مكة

المشرفة، ويقي بها إلى آخر سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، فنزل لولده الشريف سعيد عن ملك مكة، فبقي الشريف سعيد في ملك مكة إلى سنة أربع عشرة ومائة وألف، وخرج منها.

ثم تولى الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد، ثم تركها رغبةً عنها، وتولى الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى، ثم عاد الشريف سعيد إلى مكة، ثم أُخرج منها، ثم جاءته التجريدة من مصر مع أيواز بيك، فدخل مكة، وقد صار والده إلى رحمة الله، في أمور يطول شرحها.

ثم عزل الشريف سعيد، وعاد الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى، وبقي بملك مكة سبع سنين، ثم أراد الله بعود الشريف سعيد إلى مكة المشرفة، فدخلها بأسباب يطول شرحها، في سابع وعشري ذي القعدة، سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، واستمر ملكاً بمكة إلى أن توفاه الله بعد صلاة الظهر، يوم الاثنين حادي وعشري شهر محرم الحرام، افتتاح سنة تسع وعشرين وألف، فقام مقامه ولده الشريف عبدالله بن سعيد بن سعد، بعناية السيد الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد، ولم ينتطح فيها عنزان.

[٥٤٨] أحمد شهاب الدين بن أبي الفتح الحكمي المقري الشافعي[١].

شيخ إجادة تجويد القرآن المجيد، وشرح موارد مناهل عرفان التوحيد، كان من أرباب الأحوال السنية، ذا مهابةٍ وجلالةٍ عليةٍ، يميل بالطبع إلى السماع، وينخلع إذا سمع عن ثريته المحكومة للطباع، وتظهر منه حالاتٌ رضيةٌ، لمن له بالحواس السليمة إدراكٌ ودريةٌ.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦٥).

قرأ ببلاد اليمن على جماعةٍ من علمائه، منهم: الشيخ الصديق بن محمد المشهور بالبلاط، وأحمد بن المقبول الأسدي المشهور بأبي الفضائل، وعثمان ابن السهل المشهور بالأقرع، تلميذ العارف بالله شيخين ابن أبي الفتح الحكمي، وعن الهادي بن علي الحكمي، وشيخ الإسلام الأمين بن أبي القاسم شافع، ومحمد بن عبد القادر المحلوي، ومحمد بن يعقوب النمازي.

وقد ألف رسالةً بديعةً سماها: «نسمات الأسحار في ذكر بعض أهل الله الأخيار» جمع فيها من أخذ عنهم العلوم من المشايخ، وما قرأه عليهم من الكتب، وقفت عليها، ورأيت في آخرها ما نصه:

وقد جمعني الخضر على هؤلاء المشايخ يقظةً[1]، وهم: الشيخ عبدالله ابن أسعد اليافعي، والشيخ أحمد بن موسى العجيل، والشيخ إسماعيل بن محمد الحضرمي، والشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي، والفقيه محمد حسين البجلي، أصحاب عُواجه.

وقال لي الخضر: تقدم واقرأ على شيخك وجدك الشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي، فقال لي الشيخ: هلمّ إليّ، فجلست بين يديه، فقال لي: افتش واقرأ، فإذا الكتاب الذي في يدي، كتاب رسالة الشيخ أبي القاسم القشيري، فقرأت عليه الكتاب المذكور في مجلسٍ واحدٍ، من أوله إلى آخره.

قلت: وكان مقيماً بمكة على خيرٍ وفي خيرٍ، وتوجه لزيارة النبي ﷺ من مكة رابع عشر رجب الفرد، وقدم المدينة الشريفة، فمرض في سابع عشري

---

(١) تكرر ذكر الخضر عليه السلام في حكايات الصوفية وأخبارهم، ودعواهم رؤياه يقظة ومناماً، وهذا كله من تلاعب الشياطين بعقول هؤلاء المساكين، نسأل الله الثبات على الدين الصحيح، والنجاة من تخيلات المبطلين.

الشهر المذكور، وتوفي بين صلاتي الظهر والعصر، من يوم الجمعة، تاسع عشر شهر رجب المذكور، سنة أربع وأربعين بعد الألف، ودفن يومه غروب الشمس بالبقيع الفرقد، وتوفي في عشر الخمسين ـ نفع الله به ـ.

[٥٤٩] أحمد بن أسعد القادري الصفدي.

صاحب ورعٍ وتقوى، ومجاهدةٍ قويةٍ، لا يكاد يفتر عن الأوراد والأذكار، في الليل والنهار.

[٥٥٠] أحمد بن عبد الرزاق بن محمد بن أحمد، الشهير بالمغربي الرشيدي[1].

نسبةً لبلدٍ بساحل البحر، من أعظم مدن مصر، في كفالته بجمع الفوائد حبل العلوم الموصول بجميل الصلة والعائد، رب التفنن الرشيد في الفنون، وعالم الربع المسكون، المتوج بتاج العلم، الراضع ثدي المجد والحلم، الذي عقدت عليه في هذا العصر الخناصر، وأقر بفضله الأصاغر والأكابر، الجامع الذي أقام فروض العلوم وسننها، وأظهر لدوارسها مآثرها وسننها، الذي يقصر العلم عن استيفاء بعض حقه، إذ هو فارس ميدان العلم الحائز قصبَ سبقه.

وُلد برشيد، وحفظ بها القرآن وجوده، وأخذ بها عن العلامة عبد الرحمن البرلّسي، وعن محمد الشاب، وعلي الخياط، ثم قدم مصر، وجاور بالجامع الأزهر، وأخذ به عن شيوخ كثيرين، ولازم شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وبه تخرج.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٥).

وبرع في العلوم النقلية والعقلية حتى فاق أقرانه، ورجع إلى بلده، وصار بها شيخ الشافعية، وعكف بها على التدريس، وشهر بها شهرةً كبيرةً، وألف المؤلفات العجيبة، منها: «حاشية على شرح المنهاج للرملي» في مجلدات، ومنها: منظومة تسمى: «تيجان العنوان» جعلها على أسلوب «عنوان الشرف» لابن المقري، لم يسبق إلى مثلها، قرظها له علماء بلده وغيرهم.

ومما قاله فيها:

انظــــرْ إليـــــه منــــــصفا	تجـــدْه قـــد حـــاز الظـــرَفْ
لــــم يحـــو طـــرسٌ مثلَـــه	فـــي غـــابر فيمـــا ســـلَفْ
روضـــاً نـــضيراً يانعـــاً	ورداً هنـــــيء المرتـــــشَفْ
فكأنمـــــا ألفاظُـــــه	دررٌ عـــرينَ عـــن الـــصدَفْ
وكأنمـــــا أبياتُـــــه	غـــررُ الكواكـــب فـــي الـــشرَفْ
لا غــــرو إن لقبتهـــــا	تيجـــانَ عنـــوان الـــشرَفْ

[٥٥١] أحمد بن عبد الرحمن الناشري الزبيدي الشافعي.

كان إماماً عالماً، ورعاً زاهداً عابداً، توفي يوم الخميس، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف.

[٥٥٢] أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد المراغي القرافي الشافعي.

ولد قُبيل دخول السلطان سليم إلى مصر، وقرأ القرآن على الشيخ عبد الرحمن بن فردي، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وحفظ «المنهاج»، و«ألفية ابن مالك»، ولازم البحر شهاب الدين البلقيني، بأمر والده، واستمر

عنده إلى أن أجيز بالفتوى، وأخذ الطريقة منه، وأخذ الحديث عن الشريف يوسف الحسيني، والشمس محمد الشربيني الخطيب، والشهاب أحمد الرملي، وأبي النصر الطبلاوي، والناصر اللقاني، وأجازوه بالفتوى.

ولم يكتب على شيءٍ من الفتاوى تأدباً، وسكن بباب القرافة بالرميلة، بتربة جوهر الصفوي، وليس له من الجهات شيء، ولازم التدريس بالجامع الأزهر، في الفقه والفرائض، وفي بيته إلى أن توفاه الله إلى رحمته.

[٥٥٣] أحمد بن عبد الرحمن، المعروف بابن الغسّال.

تلميذ الشيخ شهاب الدين البلقيني، ومن أعيان جماعته، كان ساكناً بباب القرافة، وكان فقيهاً محدثاً، صالحاً تقياً ناسكاً، وكان يدرس للطلبة بالجامع، بالقرب من خلوة الخطابة، في كل أسبوع يومين، ويعتكف سائر الأيام في بيته، ويقفل بابه من الخارج؛ هرباً من الزوار.

وله كشفٌ وكراماتٌ.

قال الشيخ معتوق الحنفي: سُرق شباك المسجد الذي يصلي فيه، فطلعت إلى الباشا، وأخذت أمراً منه بالتفحص، وجئت فقال: ويلك يا معتوق! إيش تفعل بالأمر؟ ثم قال: لا تتقيد؛ فإنه يظهر بعد عشرة أيام، فلما جاء اليوم العاشر، اتفق أن الحاكم أمر بصلب رجلٍ من السراق الذي أخذ قبله، فلما أراد أن يصلبه بالرميلة، فقال للسايس: اسمع مني كلاماً، والله! ما لي خبر من السرقة التي اتهمت بها، ولكني قد سرقت شباك مسجد الشيخ أحمد بن الغسّال قبل هذا، وهي الآن محفوظةٌ في بيتي، وأنا أعرف أنها سبب قتلي لا غير، فذهب بعض الرجال، فأتوا بالشباك من بيته، ووضعوه محله.

زرته في آخر شعبان، سنة إحدى عشرة بعد الألف في بيته، ودعا لي، فسألته عن سِنِّه، فقال: قد صار تسعين سنة.

[٥٥٤] أحمد بن عبد الرحمن بن موسى الناشري الزبيدي.

أحد تلامذة شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وقفت له على إجازةٍ بخطه، لمحمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري الشافعي اليمني، ذكر فيها مروياتٍ له كثيرة في علومٍ شتى، عن شيخه المذكور، وتاريخها سنة إحدى بعد الألف، ولم أقف له على ترجمةٍ مفيدةٍ.

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، وقد جاوز التسعين ـ بتقديم التاء ـ، ودفن بتربة أسلافه بني الناشري، بمقبرة باب سهام من زبيد ـ حرسها الله ـ.

وممن لازمه وانتفع به: السيد الجليل أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل ـ رحمهم الله تعالى ـ، وكان باذلاً كتبه للطلبة، حريصاً على إفادتهم وتفهيمهم، ويحث طلبته على التدريس، ونشر العلم، وكان إماماً في العلم، مجتهداً فيه، ناصحاً لعباد الله، ولما ضعفت قوته من الكبر، وترك التدريس، صار يحضهم بزيادة على الإقراء؛ اعتناء بالعلم وأهله.

[٥٥٥] أحمد بن عبد القادر بن عمر باعِشِش الدوعني الحضرمي[١].

خلاصة الخلاصة من المخلصين، وصفوة الصفوة من الصوفية المحققين، وزبدة الزبدة من أهل التمكين، وإمام أهل العرفان في عصره، وشيخ الأولياء

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٧).

في قطره، كان له في علم التحقيق المشرب الصفي، والمقام الأكمل الوفي، ورزقه الله حسن العبارة، وقوة الإشارة، فكان يتكلم بالفتوحات الإلهية، ويتبجح بالمواهب اللدنية.

وكانت السادة الأشراف آل أبي علوي ـ مع جلالتهم ـ، تخضع له، وتأخذ عنه، وتتبرك به، ولازمه منهم أئمة عارفون، وأكابر محققون، وبه تخرجوا، وببركة علومه انتفعوا، وكان إذا أتته الجذبات الإلهية، يغيب عن شعوره بالكلية، وهو حافظٌ للمراتب الشرعية، وقد قال بعض الصوفية: من لم يحفظ المراتب، فهو زنديق.

وألّف الرسائل السنية، التي منها: «شرح أبيات مشكلة لابن عربي»، و«شرح مشكلات الأمر المحكم المربوط وفتح مغلقاته التي هي بسر الذات الأحدية منوط»، و«لوامع أنوار حلية الفقر من مطالع أسرار مسافة القصر»، وكان مولعاً بكتب الشيخ الأكبر محيي الدين، قائلاً بالوحدة الوجودية، التي عليها أصحاب اليمين، وكراماته في أرضه شهيرةٌ لا تحتاج إلى تبيين، دوَّنها وأفردها بالتأليف بعضُ الحضرميين، وممن أخذ عنه ولازمه سنين: العارف بالله علي باراس الدوعني، وغيره من أكابر العارفين.

وكانت وفاته في ثاني عشر شعبان، سنة اثنتين وخمسين بعد الألف، ببلده الرباط، من أعمال دوعن، وبني عليه قبةٌ عظيمةٌ، وأعقب ذريةً صالحةً ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ، ومن تآليفه: حزب سماه: «حزب النصر».

[٥٥٦] أحمد بن عبد اللطيف البِشبِيشي ـ بكسر أوله وثالثه، بعد كل منهما معجمة، قبل ثانيتهما تحتانية ـ: قريةٌ من أعمال المحلة بالغربية،

ابن القاضي أحمد بن شمس الدين الشافعي ابن علي[1].

شـيخنا العلامـة الأوحد، العلم المفرد، الشيخ الإمام، والحبر الهمام، واحد الدهر، وفريد هذا العصر، شيخ المحققين، وصدر المدرسين في جميع الفنون، بالجامع الأزهر الميمون، المستغني كالشمس عن التعريف، المشتهر في الأصقاع بعلمه الشريف.

الذي بعُد صيته في الأمصار، وفشا فضله في جميع الأقطار، وعم النفع به للحاضر والبادي، والرائح والغادي، ورحل لأخذ العلم عنه أفاضلُ العصر من أقصى البلاد وأدناها، فصار محط رحالهم، ومنتهى آمالهم؛ لمزيد معرفته، وشمول بركته، وشدة فطنته، وقوة فكرته، وحسن سبكه مسائل العلم على أسهل وجه وأحسنه، وألطف تركيب وأوجزه وأمتنه، حتى إن الطالب يتخرج به في زمن يسير؛ لقوته على التفهيم، وحل العبارات بأجل تقرير، مع التثبت في النقل، وكمال العقل، واللفظ العذب، والصدر الوسيع الرحب، والإنصاف للطلبة، وزيادة الاختبار، وعظيم المهابة والوقار.

مولده سنة إحدى وأربعين بعد الألف ببشبيش، وهي قريةٌ من أعمال المحلة الكبرى، وحفظ القرآن، وقرأ بالمحلة على الشيخ العارف بالله القطب الرباني حسن البدوي، ولازمه كثيراً، وبشره بأشياء حصلت له، وكان يمسُّ بدنه في ابتداء طلب العلم، ويقول له: يا أحمد! أضلاعك ملآنة من العلم حتى كان الأمر كذلك، ولله الحمد والمنة، وأخذ عن الفقيه العلامة علي المحلي الشافعي علوماً عديدةً.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٥٥).

ثم رحل إلى مصر بأمر شيخه حسن البدوي المذكور، وقرأ بالروايات على شيخنا سلطان المزاحي، ولازمه في الفقه والتفسير، والحديث والفرائض والعربية، وبقية العلوم العقلية، نحو عشرين سنة، ولازم شيخنا المحقق أبا الضياء علياً الشبراملسي، وقرأ عليه كتباً كثيرةً، منها: «شرح العقائد النسفية»، مع «حاشية الكستلي»، ومراجعة بقية الحواشي، و«شرح الشمسية للقطب»، مع «حاشية السيد» عليه، و«شرح التوضيح لخالد الأزهري» قراءة بحث وتحقيق، وبه تخرج، وببركة علومه انتفع.

وأخذ عن شيخنا حافظ عصره محمد بن علاء الدين البابلي علومَ السنة، وحضر دروس شيخ الإسلام الشمس محمد الشوبري، والمحقق سري الدين الدروري، والمفنن ياسين بن زين الدين الحمصي، وحسين الخفاجي، وحسين النماوي، وأخذ عن العلامة أحمد بن عمران الفاسي حين قدم مصر، وحضر دروسه في علم العقائد والبيان، وعن كثيرين من مشايخ المصريين، والعلماء الراسخين، وأجازه شيوخه.

وتصدر للتدريس في الجامع الأزهر في حياة شيوخه، وأحيا البقعة التي كان يجلس فيها شيخه سلطان، وصار مجلسه فيه مجمع الأفاضل والأعيان، ولازمه جماعة شيخه بعد وفاته، وخلق لا يحصون كثرةً، في العلوم النقلية والعقلية، وصرف جميع أوقاته في بث العلم ونشره، والتقيد بطاعة الله وعبادته في سره وجهره، وانتهت إليه في مصر الرياسة، مع شرف النفس والنفاسة.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، وأخذ عنه مشايخ البلدتين؛ كعبدالله ابن العباس، والقاضي علي بن عصام الدين العصامي، وأحمد العلامة النخلي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، وعبدالله

ابن سالم البصري، وإدريس بن أحمد الشماع، ومحمد بن أحمد الأسدي، وجاور بمكة سنتين، ومرض بها، واشتد به المرض، فرجع إلى مصر مريضاً، وأقام بها كذلك، إلى أن توجه إلى بلده بشبيش، فتوفي بها، يوم الاثنين، سلخ رجب، عام ستة وتسعين وألف، ودفن بها ـ رحمه الله تعالى ـ، وجاء تاريخ وفاته: (مات البشبيشي).

وقد قرأت عليه ـ بحمد الله ـ عدة شروح ومتون، في جملة فنون، وكرعت من زلالها في أنهار وعيون، واجتنيت اليانع الجني من ثمار فوائده، ونظمت المكنون الرطب من فوائد عوائده، وبه تخرجت، وببركة علومه انتفعت، وهو من أجلِّ شيوخي الذين أخذت عنهم العلم.

ومما قرأته عليه: «شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا» مراتٍ عديدة، وغالب «شرح التحرير» له، وغالب «شرح المنهاج» للمحقق المحلي»، وطرفاً من «صحيح البخاري»، ومن «سيرة ابن سيد الناس اليعمري»، و«ألفية ابن مالك»، و«شرحها لابن عقيل»، وغالب «شرح ابن الناظم»، وجملةً كافيةً من «مغني اللبيب لابن هشام»، ومن «الشرح المختصر على التلخيص» للمحقق التفتازاني، ومن «شرح جمع الجوامع للمحلي»، وجميع «شرح إيساغوجي للشيخ زكريا»، وجميع «شرح التهذيب في المنطق للخبيصي»، وكثيرٌ من «جمع الجوامع»، و«شرحه للمحلي»، وجميع «ألفية العراقي في أصول الحديث»، وجميع «شرح البسملة لشيخ الإسلام»، و«الجوهرة في العقائد للقاني»، وغير ذلك من الكتب المفيدة، في علومٍ عديدةٍ، وأجازني بجميع مروياته.

وله سؤالٌ رفعه للعلامة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي المغربي الشهير

بالمرابط، حين قدم من المغرب إلى الديار المصرية، وأجابه عنه[1].

[٥٥٧] أحمد بن علي الشارح الصنعاني[2].

مديد الباع، لطيف الطباع، العالم المفضال، المجلي في حلبة الكمال، الناشئ في حجر الأدب، ومن ترعرع في بيته الأدب.

من شعره الذي كالتبر المسبوك، والوشي المحبوك: قوله يستنجز السيد الفاضل إبراهيم بن زيد الحجاف شيئاً وعده به:

أيـا رئيسـاً لا يُسـاوى بـه ... فـي فرعـه الزاكـي ولا الأصـلِ
ويـا سـليلَ السـيد المنتقـى ... مـن جـاد بالإحسان والفـضلِ
أنـت علـيمٌ بالـذي أرتجـي ... وكفـك المولـع البـذلِ
فهـا أنـا منتظـر للـذي ... مثلـك ليديـه إلـى مثلـي
مثـلَ انتظـارِ الأرضَ وَبْـلَ السما ... تحيـا إذا مـا شـن بالهطـلِ
أيـدك الله ولا زلـت فـي ... عـزٍّ سـديدَ القـول والفعـلِ

[٥٥٨] السيد أحمد بن الحسن بن المطهر الجرموزي الهادوي[3].

ينبوعة الأدب، وكريم الحسب والنسب، وفريد الزمان، وآية الأوان، له

---

(١) جاء في الحاشية: «عند هذا بياض بالأصل أربعة أسطر، وقد ذكر بالهامش هذه الجملة: يكتب من المجموع الذي أوله رسالة الأشخر».

(٢) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ١٨٦) (٥٩)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦٥٤).

(٣) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ١١٧) (٣٤)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٢٠١) (١٢)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١١٢).

طريقةٌ في النظم والنثر، ما مثلها طريقة، جديرةٌ بأن تكتب بماء الذهب وحقيقة.

من ذلك قوله:

قولوا لمن طروسُه ... تجيء بالمعاتبهْ
ما أنا إلا رِقُّه ... لا أطلُب المكاتبهْ

وقوله:

لله خِشْفٌ لم يزل ... وقفاً عليه غرامِيَهْ
أصبحتُ مملوكاً له ... والعينُ مني جارِيَهْ

وقوله:

وشادنٍ قد جاء في عمامةٍ ... سوداءَ كالليلِ إذا الليلُ سجا
كأنما جبينُه من تحته ... طرةُ صبحٍ تحت أذيالِ الدجى

وقوله:

كتمت غرامي خشيةً من عواذلي ... ولم أُبد منه بعضَ ما أنا حاملُهْ
فباحَ بما أخفيه سائلُ مدمعي ... ونَمَّ به فليتقِ اللهَ سائلُهْ

وقوله:

إذا كان من أرجوه عند مطامعي ... كمثلي محتاجٌ إلى خالق الخلقِ
فما حاجتي في قصد مثلي وكيف لا ... ألوذ بمعطيه ليعطيني رِقِّي
وهل أنا إلا عبدُه وابنُ عبده ... ويقبُح مني إن أملكْتُهم رقي

وقوله:

مـــا ابتـــسم البـــرق بمغنـــاهم إلا بكـــى جفنـــي لـــذكراهمُ
ولَمـــا ســـرى ريـــاهُم ســـحرةً إلا ثنـــى وجـــديَ ريـــاهُمُ
فـــآهِ ممـــن أمعنـــوا فـــي النـــوى لـــو مـــا عفـــوا مـــن كـــان يهـــواهمُ
لما كان ذي البين فمـا كنت لـو لبـين أبكـي عـصرَ لقيـاهمُ
هم ألبسوا جـسمي ثيـابَ الـضنى وكنـــت عـــارٍ عنـــه لـــولاهمُ
هـم عـذبوا قلبـي ولـم يـشفقوا علـى فـؤادي وهـو مـأواهمُ
وأهرقـوا دمـعَ عيـوني دمـاً وقـــاطعوا مـــن يتمنـــاهمُ
كم بـاع طرفـي النـوم لمـا شـرى لـــرد جـــاء بـــرق ثنايـــاهمُ
كـم لامنـي فـي حـبهم لائـمٌ ومـا درى مقـدارَهم مـا هـمُ
هـم جملـةُ الحـسن وهـم كلـةُ فهـــل لنـــا أن نتـــسلاهمُ
كـم ضـاع ريَّـا عَـرْفهم مـرةً وراح يهـدي مـن تغـشاهمُ
لا كـان قلبـي إن نـوى رفـضَهم فلـــم أكـــن واللهِ أنـــساهمُ
لهفي علـى سـالفِ عيشٍ مـضى مـــا كـــان أَمـــراهُ بمـــرآهمُ
يـا حبـذا مـا مـرّ فـي قـربهم ومعهـــداً فيـــه عهـــدناهمُ
كـم أتـسلَّى عـنهمُ بـالمنى وكـــم أرجِّ القلـــبَ لقيـــاهمُ
يا ليتهم لـو سـمحوا في الكـرى بطـــيفهم يـــأتي بمغنـــاهمُ
مـاذا علـى الواشـين مـن جمعِنـا إذا أتونـــا أو أتينـــاهمُ
هم عودوني الوصـلَ فيمـا مـضى وخـالفوا مـن كـان ينهـاهمُ

هـم أصـلُ أشـجاني فيـا ليتنـي فيمـا تقـضَّى كنـت أنـساهمُ
مـا كـان أغنـانيَ عمـا جـرى وكـان عـن ذلـك أغنـاهمُ

وله معارضاً لقصيدة إبراهيم المبلط، التي مطلعها:

حـدثت بانـة الحـي عـن صـباها ....[1]
عللـوني برامـة عـن ظِباهـا بعـد أن زاد هجـرُهم وتنـاهى
وبربـعٍ أودى بـي البعـدُ عنـه كـم رأينـا شموسَـه فـي ضحـاها
ورأينـا بـدورَه مـشرقاتٍ تـسلب النـاظرين وسـطَ دجاهـا
كـم تلاهـا بعـوده عنـدها الـصبْـ ـبُ تلاهـا مـن طـالع إذ تلاهـا[2]

[٥٥٩] الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي[3].

كان ليثَ آل بني نمي، أديباً فاضلاً نبيهاً:

تعـرف مـن عينـه نجابتـه كأنـه بالـذكاء مكتحـل

وكان حسن الصورة جداً، عظيم الهيئة، إلا أنه لما تولى مكة، في قصةٍ طويلةٍ، ذكرتُها في ترجمة السيد عبد المحسن، استولى على أموال الناس، ولم يرحم من في الأرض، ليرحمه من في السماء، وأبطل الميراث، واستأثر به عن الوارث، وضُبط ما أخذه، فبلغ ثلاثة وثمانين ألف ألف دينار، وكان

---

(١) جاء في الحاشية: «باقي الشطرة ممسوحٌ، وكذا بيتٌ بعده».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢١١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٦٣).

في بدايته أخذ الطريق عن العارف بالله أحمد الشناوي، وهو المبشر له بولاية مكة، لكنه قال: على الشهادة يا أحمد، فقال: على الشهادة، وكان كثيراً ما يكني عنها بطلوع الشمس.

وعاقب بعد الولاية كثيراً ممن كان قبل استبعدها عنه، وسخر منه، وكان له أخدان وجلساء قبل الولاية، فحصل لهم الأذية بعد قتله من قانصوه باشا، منهم: السيد سالم بن أحمد شيخان، والشيخ أحمد القشاشي، والشيخ محمد القدسي خليفة السيد البدوي، فحبس الجميع، وثقل عليهم، حتى افتدوا أنفسهم بمالٍ جزيلٍ، وذلك بوشاية شخصٍ يقال له: المياس.

واستمر متغلباً على مكة، وهو في الحقيقة مغلوبٌ عليه؛ لأن الولاية للعسكر المتولين عليه، واستولى على أموال مكة، ورقاب أهلها، وصادر التجار، وحبس من حبس، وقتل من قتل، فنفرت الناس، وجلت عن مكة، وخالفت القبائل، وتقطعت الطرق، وأكثر العسكر الفساد، في أشراف البلاد، وسكنوا بيوت الأشراف، وانتهكوا حرمتهم.

وقبض على جماعةٍ من الأعيان، من أجلهم: الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، وحبسه مضيقاً عليه، فلما كان موسم سنة سبع وثلاثين، قدم الحاج المصري، وأميره إذ ذاك قانصوه باشا، وكان بينه وبين عبد الرحمن المذكور مودةٌ أكيدةٌ، ومكاتباتٌ سابقةٌ.

فلما صعد الحجيج عرفة، أتى حريمُ الشيخ عبد الرحمن إلى مخيم قانصوه، مستشفعين به إلى السيد أحمد بن عبد المطلب، في إطلاقه من الحبس، فرق لهن رقةً عظيمةً، وتوجه إلى الشريف يوم عرفة، مستشفعاً به، فلم يرجِّه، ولم يؤيِّسه، فلما كانت ليلة النحر، أمر عليه، فخنق شهيداً، وكان

ذلك سبباً لوقوع ما وقع من قانصوه باشا، في السيد أحمد بن عبد المطلب ثانياً، لما قدم أميراً على اليمن.

ثم استمر السيد أحمد في الولاية إلى أن حج بالناس سنة ثمان وثلاثين، فجاء للحاج أمير آخر، وجاء قانصوه باشا متوجهاً لفتح اليمن، وصحبتها العساكر، وعدتها ثلاثون ألفاً، وضرب وطاقه في أسفل مكة، وكان بين السيد مسعود بن إدريس، وبين السيد أحمد بن عبد المطلب ممالأةٌ ومواطأةٌ قبل نزوله لجدة، مضمونها: أني لا أريد الملك لنفسي، إنما أريده لك، أو هو بيننا، فخذِّلْ عني ما استطعت من آل أبي نمي، وثبطهم، وحل عزائمهم، ووعده بذلك، ففعل ما فعل، وحصل به على الشريف محسن ما حصل، ولله الأمر.

فلما نزل أحمد بن عبد المطلب إلى جدة، تقمصها لنفسه، ولم يف لمسعود ببعض تلك العهود، بل أراد قتله، ففرّ إلى قانصوه والتجأ، وصدرُ قانصوه على السيد أحمد مملوء بالوجأ، فلما أقبل قانصوه قاصداً لليمن، لاقاه الشريف مسعود من الينبع والحوراء، وجاء معه مختفياً، ولم يزل به محتفياً.

وواجه في المجيء الأول السيد أحمد بن عبد المطلب قانصوه، ورد عليه تحية القدوم، وعزم على محاربة قانصوه، فازداد قانصوه عليه حنقاً على حنق، وشرع ليستميل عسكر أحمد، فأطاعوه، فخرجوا من مكة، ثم خيم قانصوه بالزاهر.

ولما أن قضت الحجاج مناسكهم، وذهبوا إلى أوطانهم، تخلف قانصوه بثقله أسفل مكة، فلما تحرك للسفر، قدم ثقله، ولم يبق إلا وطاقه وخيام

العساكر، فأشار قانصوه إلى شخصٍ يتعاطى خدمته، من أبناء الطواف يسمى: محمد المياس، أن يحسِّنَ للسيد أحمد بن عبد المطلب الوصولَ إلى قانصوه للوداع، ففعل، وذهب إلى الشريف أحمد، وحسّن له ذلك يوم السبت، رابع شهر صفر.

فلما كانت ليلة الأحد، خامس عشر الشهر المذكور، من سنة تسع وثلاثين وألف، ركب الشريف أحمد وصحبته من الأشراف: شبير بن بشير بن أبي نمي، ومحمد بن حسن بن ضبعان، وراجح بن أبي سعيد، ومن أعوانه: وزيره مقبل الهجالي، وأحمد البسوتي متولي بيت المال، وفليفل.

فلم يزالوا يدخلون في الصيوان، من باب إلى باب، يمنع عند كل باب طائفةً من أتباعه حتى دخلوا، فتحادثا ملياً، ثم نصبا رقعة الشطرنج، فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة، قبض على الجميع، فقتل الشريف أحمد بن عبد المطلب، فتوفي شهيداً، فتحركت عساكره، فأظهره لهم مقتولاً، ونشر البيرق، ونودي: المطيع للسلطان يقف تحته، فوقفت العساكر تحته، وخلع على الشريف مسعود بن إدريس، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير.

وكان للسيد أحمد بن عبد المطلب زوجان من القنا الطويل جداً، بسنانٍ مذهبٍ، تحته أكرةٌ من الفضة المطلية، يحمل كلَّ واحدٍ رجلٌ يمشي على قدميه، إذا سار في موكبه، يسيران أمامه قريباً منه، يصوبانهما ويصعدانهما، بحركةٍ سعيدةٍ، لطيفة التصعيد والتصويب على سواء، وربما كان فيهما أجراس.

قلت: وهذا يفعله إلى الآن أئمة اليمن، ابتدعه، فقد كان يفعله الخلفاء

العباسيون، وقد ذكر شعراؤهم ذلك في أنوشروان، وزير المستظهر بالله الخليفة العباسي:

وألويــة مــنهن صــقران أوفيــا علــى عَلَمــي رمحــين فارتباكــا
وليسا سوى النسرين مـن أفقيهمـا لحبهمــا نيــل العــلا تبعاكــا

وكان إذا سار في الليل، لا يوقد بين يديه إلا الشمع الموكبي، بدلاً عن المشاعل، وكان دخوله مكة متملكاً لها، وإجفال الشريف محسن وبني عمه عنها، ضحى يوم الأحد، سابع عشر رمضان، سنة سبع وثلاثين وألف، فكان يتبجح ويقول: فتحت مكة بالسيف، كما فتحها رسول الله ﷺ، ودخلتها في مثل اليوم الذي دخلها فيه ﷺ.

قال صاحبنا الشيخ عبد الملك بن حسين العصامي: أما قوله: فتحها، فالمشهور الذي عليه الجمهور: أنها لم تفتح عنوةً، وإنما فتحت صلحاً، وما وقع من خالد بن الوليد ﷺ، فإنه نووش بعض قتال مع الأحابيش، وعبدان أهل مكة، في أسفل مكة، وقد نهاه ﷺ عن القتال، ولكنه لما قوتل، قاتل، وهذا هو شبهة القائل بأنها فتحت عنوة.

وأما قوله: ودخلتها... إلخ، فخطأ؛ لأنه لم يدخلها ـ عليه الصلاة والسلام ـ سابع عشر، وإنما دخلها ثامن عشر، وهب أنه كان كذلك، فأين هذا الدخول من ذلك؟ فإن هذا جرأة وبغي على حرم الله، ومكان حرمه وذرية نبيه؛ إذ في ضمن هذا التشبيه تشبيه من فيها من المسلمين الآن بالمشركين إذ ذاك.

وقال في ذلك إبراهيم بن يوسف الشهير بالمهتار:

سنة السبع والثلاثين بعد الألف جاءت بما به ينفر الطبع
دخل السبع مكةَ الله بالجند ولا شك أنها سنة السبع

وكانت مدة ولايته سنة وأربعة وثمانية عشر يوماً ـ رحمه الله ـ.

[٥٦٠] أحمد بن عبد المؤمن بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن داود بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن نزيل ابن علي بن عثمان بن سريح بن عمرو بن عامر الحكمي، نسبة إلى حكما حرض بن سعد العشيرة بن مذحج، واسمه مالك بن داود بن زيد بن يشجب، وهو عمر بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر، وسمي بسبأ؛ لأنه أول من سبى السبايا في أرض العدو، ويسمى أيضاً: عامر بن يشجب بن يعرب ـ وهو أول من حُيي بتحية الملك، وهي: انعم صباحاً، وأبيت اللعن ـ ابن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لملك بن لاح ابن المنّوشَلَخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلاليل بن قينان بن أنوش ابن شيث بن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

شيخنا العارف بالله، كان شيخاً جليلاً كاملاً، عظيم الشأن، من أهل المكاشفات والخوارق، ومن المتعبدين الخيرين الزاهدين، والفضلاء الصالحين، **وُلد** بهجرة طيبة، من قرى المحويت، من بلاد كوكبان، وبها نشأ، وقرأ القرآن وجوده، واشتغل بما ينفعه من العلوم الدينية على جماعةٍ من بني نزيل، ولحظوه، ففتح الله عليه بفتوحاتٍ سنيةٍ، وحصلت له مرتبةٌ عليّةٌ.

فصار معتقَدَ ذلك الإقليم، ومرجعاً لأهله، وكان في غالب الأعوام يخرج

مع جماعةٍ من مريديه؛ بقصد السياحة، وزيارة الأولياء، ويطوف غالب بلاد الجبل وتهامة، فيأتوه بالنذور والزكوات، فيفرقها بنظره على أهلها، ويرجع إلى بلده.

وكان منزله زاويةً للصالحين، ومقصداً للواردين، وحج، وزار النبي ﷺ، واجتمع بالعارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، وأخذ عنه، واستفاد، وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن الحسن الكردي، وله مع العارف بالله أحمد القشاشي كراماتٌ ومكاشفاتٌ، منها: أنه بشره في كتابٍ كتبه إليه بأولادٍ أربعةٍ، وأمره أن يسمي كل واحدٍ منهم بمحمد، وأن يفرق بينهم بالكنى، فحصل له ما ذكره الشيخ في كتابه.

وللمذكور كراماتٌ، وانتفع به جماعةٌ من المعتقدين له.

[٥٦١] أحمد بن عبدالله بن سالم بن عبدالله بن فضل بن عبدالله بن محمد ابن الفقيه سعد بن محمد ابن القاضي أحمد بن محمد ابن الفقيه فضل ابن محمد بن عبد الكريم بن محمد، إلى هنا انتهى نسب آل أبي فضل، وسيأتي الكلام عليه، بافضل الشهير بالسودي(١).

أحد الأعيان، وفضلاء الزمان، كان من أفضل أهل زمانه في العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وأعرفهم بالعربية على الإطلاق، ومن أحذق الحذاق، حفظ القرآن، و«الجزرية»، و«الجرومية»، و«الملحة»، وأكثر «الألفية»، وقطعة من «المنهاج»، وحفظ كثيراً من الدواوين، ومن كلام العرب.

وأخذ عن السيد عبدالله بن شيخ العيدروس علمَ التصوف، ولبس منه

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٣٥).

الخرقة، وصحبه مدةً مديدةً، وتخرج به في علومٍ عديدةٍ، ثم صحب ولده زين العابدين، ولازمه، وتخرج به في المتون والاصطلاحات، وأخذ الفقه عن الفقيه محمد بن عيسى، وعن السيد عبد الرحمن بن شهاب الدين، وسمع من خلقٍ لا يحصون، وبرع في أصول الدين والحديث والعربية والتصرف، ودرَّس وصنَّف، ومن تصانيفه: «حاشية على القصيدة الطرائفية»، وله ديوان نظم، ونظمه كثيرٌ حسن، ولذلك سموه: السودي.

توفي سنة أربع وأربعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٥٦٢] أحمد بن عبدالله بن حسن بن محمد بن عبدالله باعَتَر السيؤوني الحضرمي الشافعي[١].

شيخنا الإمام الجليل، العلامة النبيل، كان شيخاً صادق اللهجة، شديد الخوف من الله تعالى، فقيه النفس، لطيف الذوق، حسن المحاضرة.

مولده ـ كما أخبرني شيخنا حسن العجيمي، نقلاً عنه ـ سنة اثنتي عشرة بعد الألف، أو سنة ثلاث عشرة، بالحوطة من أعمال سيؤون، من وادي حضرموت، وببلده حفظ القرآن، ثم رحل لمكة، وأخذ بها عن جمعٍ، منهم: شيخنا حافظ العصر محمد البابلي، ومحمد علي بن علان، ومحمد الطائفي، وعلي بن أبي بكر الجمال، وعبدالله باقشير، وعيسى بن محمد الجعفري، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من الختم الإلهي أحمد القشاشي، ومهنا بن عوض بامزروع الحضرمي.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٩، ٣٨٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٦١).

وأقام بالطائف على خيرٍ وفي خيرٍ، ملازماً للقراءة والإفادة، معتزلاً عن الناس، وكان ـ نفع الله به ـ عاملاً بالعلم، لا يخشى في الله لومة لائم، معتقداً للصوفية، مهاباً موقراً في النفوس، عليه سيما الصلاح والتقوى ظاهر، متقشفاً في ملبسه، معتقداً عند الخاص والعام، وكان أهل الطائف لا يصدرون إلا عن أمره وقوله، ولهم فيه اعتقادٌ ومحبةٌ زائدةٌ.

قرأت عليه لما توجهت للطائف لزيارة الحبر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، عام ثلاثة وثمانين بعد الألف، طرفاً من «صحيح البخاري»، و«جامع الترمذي»، وسمعت منه «ألفية العراقي» في أصول الحديث، وأجازني بجميع مروياته.

وكانت **وفاته** ـ رحمه الله ـ بالطائف، يوم الجمعة، تاسع شوال، سنة إحدى وتسعين بعد الألف، ودفن بقرب تربة ابن عباس، وكان والده كثير المال عقيماً، فشكا حاله للسيد شيخ بن عبدالله بن شيخ بن طه باعلوي، فقال له: اذهب للسيد علوي بن أحمد العيدروس، بثبى: قريةٌ من أعمال «تريم»، تُقضى حاجتك، فذهب إليه، فوجد في طريقه لصّاً، فهمّ اللص بفعل سوءٍ به، فتمثل له فارسٌ منعه من ذلك، ووصل إلى مقصده، فلما رآه السيد علوي، قال له بعد أن سلم عليه: قد حميناك من العدو، وارجع؛ فقد حصل لك مقصودُك، فرجع من حينه إلى بلده، وواقع زوجته، فحملت بالمترجَم تلك الليلة ـ نفع الله به ـ، هكذا أخبرني بعض أصحابنا الحضارمة.

ومن مؤلفاته: «شرح قصيدة بحرُق المسماة بـ: الحديقة الأنيقة» التي أولها:

إلامَ ذا التمادي ... وأنت صادي

و«شرح بانت سعاد»، و«ذيل على تاريخ المدينة للمرجاني» في مجلد.

[٥٦٣] أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد ابن حبيب الله بن رفيع الدين بن خواجة نور الدين ابن خواجه نصير ابن خواجه محمود ابن خواجه سليمان ابن خواجه يوسف بن السلطان شهاب الدين علي، المعروف بفروخ شاه الكابلي ابن خواجه نصير الدين ابن خواجه محمود ابن خواجه سليمان ابن خواجه مسعود ابن خواجه عبدالله ابن خواجه واعظ أصغر ابن خواجه واعظ أكبر ابن خواجه أبي الفتح بن إسحاق بن إبراهيم بن ناصر ابن عبدالله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الفاروقي السرهندي الحنفي[١].

أحد مشاهير أكابر أهل الطريقة بالديار الهندية، وله بها الشهرة العظيمة، خصوصاً عند ملوكهم، وله المنزلة العلية عند خاصة الناس وعامتهم، أخذ طريق النقشبندية، والقادرية، والجشتية عن الخواجه محمد باقي، وعن الشاه ابن الشاه إسكندر، وعن عبد الرحمن البدخشي الشهير بجامي مرزا، وأجازوه، وتصدر للإقراء والإفادة، وأخذ عنه خلق لا يحصون.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ومكاتيب شهيرةٌ، وغالبها باللغة الفارسية، ولما وقف عليها مشايخ عصرنا، أنكر جماعةٌ منهم أشياء فيها، ومنهم: شيخنا العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي، ألَّفَ في تكفيره عشر رسائل.

ووافقه ـ على ما سمعت من الثقات ـ شيخُنا العلامة إبراهيم الكردي، وجماعة، وألف شيخنا علامة العصر أحمد، لما وقف على ذلك، في مجاورته

---

(١) «هدية العارفين» (١/ ١٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٢).

بمكة البشبيشي، برسالةٍ في الاعتذار عنه، ومنع تكفيره وتكفير أمثاله في شطحاته، ثم رد عليه شيخنا محمد البرزنجي برسالةٍ أخرى جعلها كالشرح لرسالة شيخنا أحمد، وطال الكلام بين الفضلاء في شأنه، واللائق بالأدب تركُ التكلم بذلك، والأسلمُ للعاقل الوقوفُ مع الحد الشرعي.

وقد أفرد أحواله وكراماته بعضُ تلامذته، وذكر أن كثيراً من الناس نالوا من أثر صحبته الفوزَ العظيم، وصاروا من أهل الكشف والذوق، وملأ الأرض ذكرُهم شرقاً وغرباً، وكان يخبر بأمورٍ قبل وقوعها، فتقع كما يخبر، وكم من مريض عليلٍ أيس الناس منه، فبمجرد أن يأتوا به إليه يبرأ من وقته، وربما خطر ببال أحدٍ في مجلسه شيءٌ، فيبينه له، وذكر كثيراً من وقائعه الغريبة[1].

توفي المترجم بسرهند، في تاسع وعشري صفر، ختم الله له بالخير والظفر.

[٥٦٤] السيد أحمد حياش الأهدل.

كان فقيهاً في المقَرّية، غربي ملحان، من اليمن الميمون، وكان من أهل الفضل، موصوفاً بمعرفة العلوم العربية، وله ذريةٌ طيبةٌ هناك، وذكر ابن الحضرمي في «تاريخه»: أن ممن سمي بالأهدل تبركاً، بني الحضرمي المعروفين بملحان، فغلب عليهم هذا الأسم، وليسوا من ذرية الشيخ علي بن عمر الأهدل، بل هم من ذرية الشيخ إسماعيل الحضرمي ـ نفع الله به ـ، وليسوا بأشراف، فليعلم ذلك.

---

(١) جاء في الحاشية: «غالباً أنه مر».

[٥٦٥] **القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري.**

ممن برز على أبيه، فهو سباق غايات الكتابة والنجابة والقلم، لا يأتي الزمان بمثله، حظي عند المؤيد، ثم قام مع صنوه أحمد بن القاسم، فكلَّت شوكتُه عند الإمام المتوكل...[١].

[٥٦٦] **أحمد ابن الشيخ العلامة زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي.**

كان إماماً فاضلاً، متبحراً في الفقه، مرتب فتاوى والده على ترتيب كتب الفقه، وسماها: «الفتاوى الزينية»، **توفي** بمصر بعد الألف.

[٥٦٧] **السيد أحمد بن شيخان باعلوي الحسيني**[٢].

السيد الشريف، ذو الحسب الباذخ المنيف، **وُلد** بالمخا، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ من أكابر المشايخ الصالحين، والأولياء الكاملين، وكان خاتمة زمانه في الكرم والجود، مرتباً لغالب أصحابه كلَّ سنة نفقةً وكسوة، وكان يكرم الوافدين، ويحب الفقراء والمساكين، ويطعم الطعام، ويصل الأرحام، ويصلي بالليل والناس نيام، وكان يعمل كل يوم سماطاً عظيماً يجلس هو وجماعته وأصحابه، ثم يجلس الأخدام ومن حضر من بقية الناس، ثم يجلس العبيد وأهل الحرف الدنية، ويفضل نحو أربعين رغيفاً يجلس تحت بابه، وكل من مرّ من الفقراء أعطاه رغيفاً.

ولما مات والده، استولى على مخلفه أخوه السيد حسن، وصرفه، وأبرأه

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «المتوكل» صفحة وثلث بياض».

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١١٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١٩).

صاحب الترجمة من جميع ذلك، وتعاطى التجارة، ففتح الله عليه فيها حتى اتسعت أملاكه، واستوطن بمكة، وصار يمدّ أخاه بالنفقة، وبناته من بعده.

وزار جده ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وحصل له مزيد الإكرام، وعمي في آخر عمره، ولما زار النبي ﷺ، وقد كف بصره، قصد بعض الأولياء الذين يرون النبي ﷺ، فطلب منه أن يسأل النبي ﷺ: هل قبلت زيارته؟ فقال النبي ﷺ: نعم قبلت زيارته، فطلب منه أن يسأل النبي ﷺ أن يرد عليه إحدى عينيه؛ ليعيش بها، وينظر عجائب مخلوقاته، فقال النبي ﷺ: قل له: سيرد الله عليك عينيك، فكان الأمر كما قال، فإنه لما رجع إلى مكة، أتى إليه رجلٌ، ففتح له عينيه، واستمر على الحالة المرضية، إلى أن وافته المنية، وقدم على رب البرية.

فتوفي فجر يوم الجمعة، ثامن شهر رجب، سنة أربع وأربعين وألف، بثغر جدة، فحمله ولده السيد سالم من جدة إلى مكة، ووصل به ليلة السبت، ودفن في صبح اليوم المذكور، على أبيه وأخيه في حوطة آل باعلوي الشهيرة بالمعلاة، وأرخ وفاته السيد سالم، بعد أن رآه في منامه بقوله:

شاهدتُ في عالم الوفاة بليلة عـزا ... أحمـد قـائلا نفـسي أحمـدي
أسكنت جنات النعـيم ونعـم هـي ... نـزلاً فتـاريخ الوفـاة (تخلـدي)

وقوله أيضاً:

أعظـــم الله للخلـــــف ... فـــي أبٍ عمـــدةِ الـــسلفْ
جـــاء تـــاريخ موتـــه ... (يـا جليـلُ أحـسنِ الخَلَـفْ)

[٥٦٨] أحمد بن عثمان بن عبد الرحيم.

صاحب المَسْوَح، العلامة الشهير، الذي أخدمه الله الدنيا لطلبة العلم،

كان من عجائب الدنيا، أثرت فيه خدمة العلم تأثيراً لم يكن لأحد من نظرائه، وسخر الله له أخاه الزين بن عثمان، فحج خمساً وعشرين مرة، وكان يأخذ له في كل موسم الكتب الفاخرة من مكة، ولحسن نيتهما تقف الناس بخزانة المَسْوَح، وهو أحد مشايخ الإمام القاسم.

مولده سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، **وتوفي** حادي شوال في سنة تسع وألف، وعمره ست وستون سنة، وكان له الولد النجيب، الذي ظهرت عليه دلائل الفحولة في الطفولة، فألف وصنف، وهو محمد بن أحمد بن عثمان، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة، ومات سنة اثنتي عشرة وألف، عن خمس وثلاثين سنة ـ رحمه الله ـ.

[٥٦٩] أحمد بن علي بن محمد مطير(١).

الإمام العلامة الحفاظة، أعجوبة الزمن في حفظه وإتقانه، وضبطه واطلاعه على جميع الفنون، حتى على علوم التوراة، فسبحان الوهاب! له التآليف العديدة في كل فن، منها: «منظومةٌ في الفرائض».

[٥٧٠] أحمد بن علي السندوبي الشافعي المصري(٢).

صاحبنا الشيخ العلامة، كان من أعيان المدرسين بالجامع الأزهر، من أكابر الأفاضل بمصر، ذا عباراتٍ فصيحةٍ، وطباعٍ مليحةٍ، قرأ على الشمس محمد الشوبري، وعليٍّ الشبراملسي، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وشهاب الدين القليوبي، وكثير، وأجازه شيوخه، وتصدر بالجامع للتدريس،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥٢).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥٦).

في ضروب العلوم العقلية والنقلية، وألف مؤلفاتٍ منها: «شرح على ألفية ابن مالك»، و«منظومة في الحال»، و«أخرى في مصطلح الحديث»، وحج مرات.

واتفق لي بعد أن زرت المعلاةَ تربةَ مكة، فتذاكرنا أُنسها، وعدم الوحشة فيها، بالنسبة لمقابر غيرها من البلاد، ومن فيها من الأولياء، ممن لا يحصى كثرةً، فذكرت له ما نقله المرجاني في «تاريخ المدينة» عن والده.

قال: سمعت أبا عبدالله الدلاصي يقول: سمعت الشيخ أبا عبدالله الديسي يقول: كشف لي عن أهل المعلاة، فقلت لهم: أتجدون نفعاً بما يهدى إليكم من قراءةٍ ونحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك، قال: فقلت لهم: أما منكم أحدٌ واقف الحال؟ فقالوا: ما يقف حال أحدٍ في هذا المكان.

فأعجب به، وقال: أرجو من الله أن يميتني بمكة، وأن أدفن بالمعلاة، فلم يقدَّر له ذلك.

فتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر، عام سبعة وتسعين وألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، في مشهدٍ حافلٍ، غرة جمادى الأولى يوم الثلاثاء، وعمره ثمان وستون سنة، ومن مؤلفاته: «شرحٌ على قصيدة المقري» التي مطلعها: سبحان من قسم الحظوظ... البيت، في نحو عشر كراريس، و«شرح العقيدة الشيبانية»، و«شرح العنقود في النحو للموصلي».

ومن شعره ملغزاً في ناصر، وهذا المعمَّى للقطب المكي:

صبرْنا فلما أن رأى الصبر بأسَنا　　　تأخَّرَ عنا وهو منقطعُ القلبِ

وله:

أيــا طالـــب الـــدنيا تنبَّـــهْ　　فلـــيس بهـــا لمخلـــوق مقـــامْ
ودنيانـــا بأهليهـــا كركـــبٍ　　يُـــسار بهـــم وأكثـــرُهم نيـــامْ

وله:

إذا مـا رمـت مـن جـاؤوا بإفـكٍ　　فهـاك عـداؤهم فيمـا يُـصَحَّحْ
تـولى كِبْـرَهُ ابـنُ أبـي سـلولٍ　　وحمنـةُ ثـم حـسانٌ ومِـسْطَحْ

وله:

إذا عُـدْتَ المـريض فـلا تطـوِّلْ　　وقَلِّـلْ فـي الكـلام لـدى العيـاده
ولا تـذكر لـه فيهـا مريـضاً　　ولا خبـراً فـذلك خيـر عـاده

وله:

رويت على السلطان ضوعفَ أجرُه　　صحيحَ البخاري عن كرامٍ أجلَّةِ
عليّ عـن الرملي عـن والـدٍ لـه　　عن الديمي عـن أحمـد زيـن مِلّةِ
تنوخي عن الحجازي ذا عن زبيدهم　　فسجزي عن الداودي زاكي الجبلَّةِ
سرخسيهم ثم الفربـري رواه عـن　　مؤلفـه جـوزي بكـل فـضيلةِ

[٥٧١] أحمد بن علي بن راشد[١].

الأمير الكبير، العلم الشهير، كان صاحب عدلٍ تامٍّ، ونفعٍ عامٍّ لسائر الأنام، محباً للسادة الكرام، والعلماء العظام، باذلاً لهم الإنعام والإكرام،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦١).

عارفاً بزمانه، فائقاً على أقرانه، صاحب ثروةٍ وفنون، ودينٍ متينٍ، ومروءةٍ وأخلاقٍ رضيةٍ، وسيرةٍ مرضيةٍ، واستمر على ذلك حتى وافته المنية، سنة أربع بعد الألف ـ رحمه الله، وغفر له كل خطيئة ـ.

[٥٧٢] أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد جلاخ باقشير[١].

الشيخ الإمام المفنن في العلوم، الذي رفع الأستار عن وجوه إعجازها، وميّز بين حقيقتها ومجازها، فلذا عقدت عليه الخناصر، وأثنى عليه الأصاغر والأكابر.

وُلد بحضرموت، ببلده المسماة بـ: «العجر»، وحفظ القرآن على يد جده الشيخ الهادي باقشير، وقرأه بالتجويد، وحفظ «الجزرية»، وغيرها من فن القراءات والتجويد، وحفظ «الإرشاد»، و«الألفية»، و«القطر»، وغيرها، وجل محفوظاته على مشايخه، ولازم جده المذكور، وأخذ عنه التصوف، ورباه فأحسن تربيته، وأخذ عن جماعة بحضرموت.

ثم ارتحل إلى المستفاض، وأقام عند ضريح العارف بالله الشيخ الجوهري مدةً؛ لتعليم القرآن، وتدريس العلم النافع، وانتفع به كثيرٌ من أهل تلك الجهة، ثم ارتحل إلى مكة المشرفة، فحج حجة الإسلام، وأقام بها وشباب الزمان مقبل، وعذاره من ندى الطل ما بقل، وتبوأ صحن مسجدها الشريف داراً، واتخذه لأفلاك علومه مداراً.

ولقي بمكة سادة أعلام الأئمة، وقادة علماء الأمة، الجامعين بين

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥١)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٢٧).

المنقول والمعقول، والقارعي ذرا التحقيق في الفروع والأصول، من أفاضل العلماء الراسخين، وأئمة الدين؛ كالشيخ عبدالله باقشير، أخذ عنه علم التجويد والقراءات عليه للسبع، بعد أن حفظ «الشاطبية»، وحلها عليه، وقرأ عليه شرحها.

وأخذ الفقه عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وعن الشيخ علي بن الجمال الفقهَ والفرائض والحساب، ولازمه في هذين الفنين، وأخذ الفرائض والحساب أيضاً عن الشيخ أحمد بن تاج الدين رئيس الموقتين بالحرم النبوي، ولازمه ملازمةً تامةً حتى تخرج به، ولما قدم العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي إلى مكة، لازمه، وقرأ عليه العلوم العقلية؛ كالأصلين، والمنطق، والمعاني والبيان، والبديع والنحو والصرف، وكان الشيخ عبدالله باقشير يحبه، ويشير إليه، وكان إذا ورد عليه مسألةٌ مشكلةٌ، أمره أن يراجعها له ويحررها، ثم يكتبها، وكان الشيخ ـ إذ ذاك ـ ضعُف عن المراجعة، وقلَّ نظرُه، وزوجه بابنته.

ثم أذن له مشايخه في التدريس، فدرَّس، وأخذ عنه جمعٌ، لا سيما بعد وفاة شيخه المذكور، ثم شرع في التأليف، فصنف عدة رسائل، لكنه لم يبيضها، وله نظمٌ كثيرٌ، ونظم «أرجوزةً في علمي الفرائض والحساب»، جمع فيها فأوعى، ثم شرحها شرحاً طويلاً، استوعب جميع الطرق والمباحث.

وبالجملة: فقد انفرد بعلمي الفرائض والحساب، بعد شيخه علي بن الجمال، لا سيما علم المناسخات، فإنه كاد أن يحفظ جدول ابن عبد الغفار؛ لكثرة مطالعته له وقراءته، وشرع في اختصار «حواشي الفهامة ابن قاسم على التحفة».

توفي ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الخميس، سابع عشر شهر ربيع الثاني، سنة خمس وسبعين وألف بمكة، وحضر جنازته خلقٌ كثيرٌ، وحملوه والسماء تمطر، حين فرغوا من دفنه، وممن حمل جنازته: الشيخ عيسى بن محمد الجعفري، والشيخ أحمد بن عبد الرؤوف، وأسف الناس عليه، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

[٥٧٣] أحمد بن علي بن أحمد المالكي البُسْكري[١].

ـ بضم الموحدة وسكون السين المهملة ـ الشيخ الصوفي الذي أشرقت أنواره، والأديب الذي طابت أنباؤه وأخباره، جميل الأوصاف والمناقب، حسن المنظر في إصلاح العواقب، أخذ عن والده علي، وكال له بالمكيال الوفي، وعن صاحبنا الفاخر السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس، وغيرهما، وكان لطيف الذات، كامل الصفات، وأكثر همه الاستعداد ليوم المعاد.

قال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس في «النور السافر»: وكان صاحبنا أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح، متصفاً بالعفاف، قانعاً بالكفاف، لا يُرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة أو كتابة مظهراً للجهالة، له جملة مصنفات، وكان كُفَّ بصره قبل وفاته بقليل.

وكانت **وفاته** ليلة السبت ثالث عشر ربيع الثاني سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف بمدينة أحمد آباد من أرض الهند، وللشيخ الفاضل النحرير عبد اللطيف ابن محمد الدبير فيه مدائح كثيرة، منها: قوله مجيباً له:

وافى الكتابُ من الملاذ البُسكري ... أزرت حلاوتُه بطعم السكَّرِ

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٤٣).

فغـدوتُ مـن فـرحٍ بـه ومسرتي ... نـشوانَ راح فـي ثيـاب تبختُـرِ

خلـصَتْ إلـيّ بـه النـسيمُ منـوراً ... أمنيــةً مثـلَ الـصباحِ المـسفرِ

يا سيدي خلي صـديقي قـد وتـى ... مبـدي إلـي مواهبـاً لـم تـصغرِ

يـا جامعـاً للعلـم طُـرّاً والعـلا ... وجميـل ذكـر لا يـشنه ممتـري

أنت الذي خضتَ العلومَ بأسـرها ... وبلغْـتَ قـصواها ولـيس بمنكـرِ

يـا وارثـاً شـرفَ الفـضيلة كـابراً ... عـن كـابرٍ حَقّـاً بمثلـك مَفْخَـري

أعني شهابَ الدين مَنْ فاق الورى ... بالفـضلِ والأدبِ الأغـرِّ الأنـورِ

مذ غبتَ عني لـم أزلْ لـك ذاكـراً ... بمناقــبٍ لــك والثنــاءِ الأعطــرِ

هـل عطفـةٌ يـا خِـلّ منـك برأفـةٍ ... فجـواي نـامٍ والتـسلي مـزدري

واللهَ أسـألُ جمـعَ شـملٍ عاجـلٍ ... بـدعاء ظهـرِ الغيـب صـاحِ مـؤثرِ

أبقــاك ربــي للإفــادة دائمــاً ... بالمصطفى الهادي الأمين وحيـدَرِ

وقوله مادحاً له من قصيدةٍ يقول فيها:

أعني بـه أحمـدَ المحمـودَ سـيرتُه ... خَلقـاً وخُلقـاً سـواه لا يـساويهِ

شهابُ نجل علي البُسْكري بلـداً ... المـالكي مـذهباً مَـنْ ذا يـساميهِ

قد خـصَّه بجزيـل الفـضل خالقـهُ ... بـسرٍّ طـيٍّ معـانٍ فـي معاليـهِ

له بديعُ بيـان فـي الخطـاب يـرى ... وخيـرُ لفـظٍ وقـد جلَّـت معانيـهِ

فكم جلا دُرراً تسمو الدراري بهـا ... أبيات أفكاره المخصوص من فيـه

أخباره قد أتتْ في الحال تخبرُ عن ... مـاضٍ ومـستقبلٍ مـن أمـرِ باريـهِ

حديثـهُ الحـسنُ العـالي روايتـهُ ... أعلَـتْ لـسامعه شـأناً وراويـهِ

[٥٧٤] **أحمد بن عثمان الشرنوبي.**

نسبةً إلى «شرنوب»: قرية بالبحيرة، غربي مصر، أخذ عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وعن الشيخ أبي الحسن البكري، والشيخ علي المتقي، وقدم مكة، واجتمع بسيدي بدر الدين العادلي، فقال له: يا أحمد! إذا مات لك تلميذان، أحدُهما بالمشرق، والآخر بالمغرب، تحضر وفاة أيهما؟ فقال له: يا سيدي! لا أقدر على واحدٍ منهما، فقال له: كيف تكون لك تلامذةٌ ولا تقدر على ذلك؟ هذا من الغش في الطريق، فألزمه أن يلازمه، ويصرف تلامذته عنه، فصرفهم، ورجعوا إلى مصر، وأدخله الخلوة سنةً كاملةً، فلما مضت السنة، دخل إليه، وسأله عما سأله أولاً، فقال له: أحضر وفاة الاثنين في آن واحد، عند النزع، وعند السؤال، وفي الآخرة، فحينئذٍ أخرجه من الخلوة، ونصبه للمشيخة ـ نفع الله به ـ[1].

أخذ عنه البرهان اللقاني، وهو الذي أمره أن ينظم عقيدته «الجوهرة»، فنظمها في ليلةٍ واحدةٍ، وممن أخذ عنه: العلامة عبد ربه المحلِّي، وفي آخر عمره طرقه طارقٌ في السفر إلى الروم، فتوجه إليه.

وكانت **وفاته** بمدينة «أركله»، وبني عليه بها قبةٌ عظيمةٌ، وصار لأهل تلك الديار مزيدُ اعتقاد فيه، وكانت وفاته بعد الألف بسنين قليلة ـ فيما أحسب ـ، وكان معه جملةٌ من تلامذته لما توجه إلى الروم، من جملتهم: الشيخ عبد ربه المحلِّي.

---

(١) لا يدعي هذه الخرافات والأباطيل إلا من استحوذ عليه الشيطان ولبس عليه إبليس، غفر الله للمصنف ورحمه في إدراج مثل هذه الحكايات.

قلت: وله مؤلفٌ غريبٌ، ذكر فيه من يولد من الأولياء إلى آخر الزمان، وذكر فيه حاله، ووفاته، وقفتُ عليه، وهو من أعظم كراماته[1].

[٥٧٥] أحمد بن عبد المعطي بن مكرم محمد بن المحب محمد ابن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري، إمام المقام الشريف.

قال الإمام عبد القادر الطبري في بعض مؤلفاته: **وُلد** في رمضان سنة سبع وعشرين وتسعمائة، واشتغل بالعلم، وقرأ على العلامة أحمد بن حجر الهيتمي، ولازم دروسه، ومن مشايخه: شيخ وقته أحمد بن عبد الغفار، والشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي، وغيرهما، وكان متقشفاً ديناً صالحاً، ملازماً للمسجد وحضور الجماعات، تارة إماماً، وتارة مأموماً، منقطعاً عن الناس، وعن التردد على الولاة، معتقَداً يُلتمس منه الدعاء.

ذكر لي ابن عمتي السيد الطباطبي: أن بعض الفقراء أراد أن يحج، فقصد شيخه بأرض اليمن أن يدله على قطب ذلك الوقت، فقال له: إذا وصلت إلى مكة، ودخلت من باب الحزورة، فأبصر الشيخ الأعمى، القصير القامة، المستند على الأسطوانة، بين يدي باب الحزورة، فذاك مطلوبك، واقرأ عليه السلام مني، فوصل ذلك الفقير، ودخل من الباب المذكور، فرأى المشار إليه، فسلم عليه، وأبلغه سلام شيخه.

وأظن ـ والله أعلم ـ: أنه كان الوارث لحال جدي عمه الإمام يحيى،

---

(١) وهذا من أعجب العجب، وهل يدعي الغيب إلا من أصيب بخلل في عقله أو دينه، نسأل الله العصمة بالدين، والسلامة في العقل والرشد.

وقد سمعته بعد أن دفن جدي، ونحن على شفير قبره يلقنه، وكان لفظه في التلقين: يا عمي يحيى بن مكرم! أذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا إلى دار الآخرة، إلى آخر التلقين.

وقد سمعت من الشيخ علي الينبعي ـ رحمه الله تعالى ـ ما يدل على علو مقام صاحب الترجمة في الولاية، في أثناء حكايةٍ طويلةٍ، ذكرها لي من سياحته إلى بلاد الروم وحلب ومصر والشام والحجاز وجبال هذيل، ثم ملازمته لصاحب الترجمة بالمسجد الحرام مدة أعوام، ثم انقطاعه بقرية المعابدة ظاهر مكة مدة سنين.

إلى أن ذكر انتقاله إلى المحل الذي انقطع فيه، وهو عشته بالمعلاة، تحت سبيل السلطان، اجتمعت به فيها مراراً، فسألته عن وجه اختياره للانقطاع بهذا المحل، فقال: إنما ذلك بإشارةٍ من صاحب الترجمة؛ فإني رأيته في المنام كأنه في محل تربة مقبرة بني الطبري، فكان ذلك المحل إلى أعلى الحجون، وإلى محل سبيل السلطان، بساتين مخضرة مثمرة بصنوف الثمار، ظليلة جداً مأنوسة، فكأنه يقول: يا علي! انقطع في ذلك المحل، وأشار إلى هذه البقعة التي فيها الآن، فانتقلت من المحل الذي كنت فيه، وأقمت هنا. انتهى ما ذكره لي.

وهو من أهل الصلاح والدين والعبادة، يكثر المواظبة على الصلاة على النبي ﷺ، وكانت **وفاته** في سادس عشر ذي الحجة، سنة ثلاث وألف بمكة، وصُلي عليه بالمقام الشريف، بعد أن نادى له الرئيس بالصلاة على ظلة زمزم، ودفن في قبر المحب الطبري بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

[٥٧٦] أحمد بن عثمان بن علي بن محمد بن علي بن محمد العزي المالكي[١].

الشاعر المشهور، والفاضل المذكور، أخذ عن والده وتأدب وبرع، ووعى ما جمع، واعتكف في زوايا الخمول، وقنع بشقائق آبائه الفحول، حتى قطع عليه الطريق الأجل، وناداه عجلاً، فقال: أجل، فتوفي في شهر صفر، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف، بعد والده بأيامٍ قليلةٍ.

ومن شعره قوله:

لا زال هذا الجمعُ جمعَ سلامةٍ ... لا نقصَ يعروه ولا تعييرُ

والجمعُ من أعدائكم في قلةٍ ... ونقيضُ تلك القلةِ التكثيرُ

وقوله:

أدِم يا ربِّ خلوتنا بحبي ... لأقضي بالتواصل منه دَيْني

ولا تجعلْ هناك سوى لساني ... سميراً بين مَن أهوى وبَيْني

[٥٧٧] السيد أحمد بن عبد الصمد البحراني الحسيني[٢].

قال في «السلافة»: هو للعلم علَم، وللفضل ركن ومستلَم، خلد في صفحات الدهر محاسنَ آثاره، وقلد جيدَ الزمن قلائدَ نظمه ونثاره.

من شعره قوله:

لا بلَّغتني إلى العلياء معرفتي ... ولا دعتني العلا يوماً لها ولدا

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٤١).

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥١٩).

إنْ لم أُمِرَّ على الأعـداء مـشربَهم مـرارةً لـيس يحلـو بعـدَها أبـدا

[٥٧٨] السيد أحمد بن عبد المحسن بن عبد الرحمن بن حسين بن الصديق بن حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي الأهدل.

مولده في عشر الستين وتسعمائة، قام بعد والده بمحلة زبيد أتم قيام، وشُهر بين جميع الأنام، وورث الحال، وربى الرجال، وزاده الله من الجاه، ورزقه من الدنيا ما كفاه، وأعطاه سـلامة القلب والعافية، من حمل مهمات الدنيا.

وما كان عاكفاً إلا على القات، والطيب، والذكر لله تعالى، وكان ـ نفع الله به ـ قريب الدمعة، أنوفاً ذلولاً، كيف قِيد انقاد صحبه، وأخذ عنه جماعةٌ أجلاء، منهم: السيد محمد بن الطاهر البحر، وتوفي سنة إحدى وأربعين وألف، ودفـن بالقُريّة ـ تصـغير قرية ـ من أعمـال زبيد، وبني عليه بها مشـهدٌ عظيمٌ ومسجد.

[٥٧٩] السيد أحمد بن الطيب اليمني.

السـاكن بجبـل غـور من أعمال تعز، وكان من محـابيب المجاذيب، صاحب أحوال وكرامات ظاهرة.

[٥٨٠] أحمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي.

نزيل الشيخونية، أحد العلماء المشهورين بالقاهرة، كان إماماً بمسجد الشيخونية، منقطعاً للعلم وإفادته، مكباً على المطالعة والكتابة، إلى أن مضى لسبيله، مشكورٌ مشهورٌ بالعفة والديانة، والعلم والرصانة، أخذ عن الشمس

الشوبري، ومن في طبقته، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء.

وهو أحد الشيوخ الذين رأيتهم ـ نفع الله به ـ، وله مؤلفاتٌ منها: «حاشية على معراج الغيطي»، **توفي** ـ رحمه الله ـ بمصر في غرة شهر رمضان، سنة خمس وسبعين وألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٨١] السيد أحمد بن عمر بن عبدالله بن علوي بن عبدالله العيدروس.

صاحب العلوم اللدنية، والمعارف القدسية، والأسرار العرفانية، شيخ أهل الطريقة، وإمام [أهل] الحقيقة، وأحد أعيان الفقهاء البارعين، وتاج المشايخ العارفين، العالم العامل، المتصرف في التصرف بأطراف الأنامل.

وُلد بتريم، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عن جماعةٍ من علمائها الأعيان، ثم رحل إلى والده بعَدَن، ولازمه، وتخرج به، وأخذ عن غيره من العلماء، وكان جامعاً للأخلاق المحمودة، يأوي الغريب، وينقذ اللهفان والغريق، وبرع في العلوم الشرعية، وعلوم الصوفية، وكان حاوياً لأسباب الدقائق الفرعية والأصلية، جامعاً لمفردات الحقائق الشرعية والعقلية، وقام بالمنصب بعد والده أتم قيام، وانتفع به الخاص والعام، وكان ذا خلقٍ رضي، وسمتٍ مرضي، أخذ عنه خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ.

ومن كراماته: أنه لما قربت وفاته، ولم يكن به مرضٌ، وإنما كان معه انقباضٌ من الخَلق كعادته، طلب ماءً فتوضأ، وصلى ما شاء الله، ثم طلب خواصَّه، فتكلم معهم بكلام فيه إشارات، في ضمنها بشارات، منها ما عرف، ومنها ما لم يعرف.

ثم التفت إلى أولاده الكبار، وعرفهم بأمورهم، وأمور أهل بيتهم،

وأوصاهم، ونصب ابنه الكبير شيخاً عليهم، وأمر الجميع باتباعه، وأوصاه بهم، وأعطى بعض خدامه دراهم، يشتري حجرين، قال: يريدهما علامة لقبر، فظنوا أنه يريدهما لقبر أخيه علي بن عمر؛ لكونه في ذلك الوقت مريضاً مدنفاً، ثم أمر الجماعة بالخروج، ثم سمعوه يقول: الله، الله، فدخلوا عليه، فوجدوا روحه قد خرجت، فاسترجعوا، وعلموا ما أشار به، وكانت **وفاته** ـ رحمه الله ـ سنة سبع وعشرين بعد الألف بعدَن، وعمره بضع وخمسون سنة، ودفن في قبة الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس.

[٥٨٢] أحمد بن عيسى بن جميل الكلبي المالكي[١].

شيخ المحيَّا النبوي بالجامع الأزهر، الشيخ الإمام العلامة، خاتمة الفقهاء والمحدثين، وواحد العلماء العاملين، ومربي المريدين.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عن والده، ولازم العلماء الأعيان؛ كالقاضي العلامة علي بن أبي بكر القرافي المالكي، وشيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الرملي الشافعي، وغيرهما من أكابر العلماء، وأجازه غالب شيوخه، وتصدر للتدريس بالجامع الأزهر، وعنه أخذ جمعٌ، منهم: شيخنا محدِّثُ عصره محمدُ بن علاء الدين البابلي.

وجلس بالمحيَّا الشريف بعد والده، ووالدُه جلس بعد الشيخ محمد البلقيني، وهو جلس بعد والده القطب الرباني الشيخ الصالح، وهو جلس بعد والده شيخ الإسلام والمسلمين شهاب الدين أحمد البلقيني، وهو جلس بعد الشيخ نور الدين الشوني، شيخِ مجلس الصلاة على النبي ﷺ بالجامع

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٦٦).

الأزهر، المدفون بزاوية سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن إذن من النبي ﷺ، كما هو ثابتٌ ومشهورٌ، وعند أهله معروفٌ ومذكورٌ.

وكانت **وفاته** ـ نفع الله به ـ سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وعشرين بعد الألف بمصر، ودفن بالقرافة الكبرى، وأرخ وفاته علي العامري، رئيسُ العدول بباب الشعرية بقوله:

مات قطبُ الأنام مفتي البرايا ... أحمدُ الزاهد الرفيعُ المقامْ

عالمُ الأزهر الذي كان حبراً ... عاملاً عابداً بطول الدوامْ

نسلُ من كان للأمين شبيهاً ... شيخِ محيَّا الرسولِ خيرِ الأنامْ

فعليه من السلامِ سلامٌ ... ما سقى قبره بسحبِ الغمامْ

مذ قضى للجنان قد أرخوه ... (مات قطبُ الورى جنان السلام)

[٥٨٣] أحمد بن علي المُحَيْرِسي(١).

نسبةً إلى المحيرس؛ كدُريهم ـ مصغراً ـ: بلدةٌ من بلاد كوكبان.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان من نوادر الزمان، نبيهاً ذكياً، أحاط بعلومٍ جمةٍ، وتمكن من قواعد المذهب، ثم قرأ كتب الحنفية، وولي القضاء للأروام بصنعاء، وقضى بمذهبهم، وكان في علوم المعقول والأدوات نسيجَ وحدِه، وكان يفتي الأروام بلغتهم، والفارسيين بلغتهم، والعرب بلغتهم، وكان من أعيان الزيدية، قرأ على المفتي وغيره منهم، ثم اختلط آخر عمره.

قال لي بعض شيوخ الشافعية: اختلط صاحب الترجمة بجودة ذكائه،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥٠).

أحرقته ألمعية عقله، وكان يذكر أنه المهدي المنتظر.

ومن أرجوزة له إلى السيد أحمد ابن الإمام القاسم وولد أخيه الحسين ابن الإمام محمد المؤيد قال فيها:

مــــن الإمــــام المهــــدي　　المرتــــــضى للرشــــــدِ

إلــــى المليــــك أحمــــدِ　　ثــــم الحــــسينِ الأرشــــدِ

إلى آخرها، وتارة يقول: إنه الدابة التي تَكلم وتُكَلم، وله أجوبةٌ مسكتةٌ، وأشعارٌ فائقةٌ، في ضبط العلوم والجوابات، ثم دخل مكة، فاشتغل به العلماء هنالك، وكان مكي فروخ الحنفي ـ على جلالته ـ يخدمه بالطهور، ثم توفي بمكة، في أفراد سنة خمسين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره قوله:

قاضـي الجمـال أتـى يجـر ذيولَـه　　كالغـصنِ حرَّكـه النـسيمُ الـساري

لبسَ السوادَ فعاد بدراً في الـدجى　　لبسَ البيـاض فكـانَ شـمسَ نهـارِ

قالت رياضُ الحسن هـذا مـالكي　　قـد أقـرأ الحنفـيَّ فـي الأزهـار

[٥٨٤] أحمد بن عامر بن حصن السَّعْدي الحضرمي الشافعي.

صاحبنا الفاضل الأديب، قرأ ببلاده، وقدم مكة، وجاور بها سنين، وأخذ بها عن عيسى الجعفري علومَ العربية والحديث، وقرأ الفقه والفرائض على علي بن الجمال، وعبدالله بن سعيد باقشير، ومَنْ في طبقتهم.

وتوفي بمكة، في نيف وثمانين وألف، وله مؤلفٌ حافلٌ، سماه: «شرح الصدر في تسمية أهل بدر» في مجلدٍ كبيرٍ، وقفتُ عليه.

[٥٨٥] أحمد ابن السيد الولي عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد ابن سليمان بن أبي القاسم بن أبي بكر المعمر بن أبي القاسم بن عمر بن علي الأهدل.

ورث هذا السيد سرَّ والده، وسلك طريقته صلاحاً وورعاً وزهداً، وغير ذلك، فكان حميد السيرة، واسع الأخلاق، لطيف الشمائل، وصولاً للرحم، ذا إشاراتٍ خارقةٍ، وبشاراتٍ صادقةٍ.

أخذ عن أبيه، وعن السيد عبد القادر بن أحمد بن حسن الأهدل، وكان يحفظ أشياء كثيرة من مناقب أسلافه، وأنسابهم وكراماتهم، وعناية الله تعالى بهم، حفظاً متقناً، يحكيه بحسن عبارة، ولطف إشارة.

وغلب عليه حاله مرةً، فمكث مدةً مصطَلَماً، وكان في تلك المدة يخبر بكثير من المغيبات، فتأتي كما يقول، وعظمت هيبته في هذه المدة عند كل من رآه؛ لعظم ما أمده الله به من التجلي الجلالي، ثم أفاق بعد ذلك، ورجع إلى ما كان عليه من عظم الشفقة والرحمة لأولاده وإخوانه وأهله وفقرائه وسائر المسلمين، توفي في شوال سنة ست بعد الألف، وقبر إلى جنب أبيه.

وكان والده عمر مشهور الولاية، والصلاح والعناية، ذا كراماتٍ كثيرةٍ، وكان شيخه أحمد بن حسن الأهدل يلقبه بالشاووش؛ إذ كان مقدم الفقراء عنده، حتى اشتهر بشاووش بني الأهدل، ويعرف أيضاً بصاحب القبيع ـ مصغر قبع ـ؛ لأنه كان لا يجعل على رأسه إلا قبعاً من عسيب الدوم، لم يفصل طَفْيُه عن عرجونه؛ لزهده في الدنيا ومتاعها.

وكان على قدم الفقراء، معتقداً، كثير الفتوح والنذور، واشتهر أن الجن

كانت تخدمه، وتسطو على من يؤذيه؛ كرامة له من ربه تعالى، توفي أواخر المائة العاشرة ـ نفع الله به ـ.

قلت: والظاهر أن بني القَبَع ـ بفتح القاف والباء ـ الذين ببندر الصليف، من تهامة اليمن، منسوبون إليه، وغيرت صيغة القُبْع ـ بضم القاف وسكون الباء ـ إلى فتحهما للتخفيف.

وأخبرني صاحبنا السيد الجليل محمد بن مكين القَبَع: أن بعض أصحابه أهدى إليه في ثاني يوم عيد الفطر رأساً من الغنم، فردها، فعتّبه في ذلك بعض أصحابه، وقال له: إن ردك له من الرعونة، فقال له: شممت منه رائحةً منتنةً، فتبين بعدُ أنه أرسله إليه بعض الظَّلَمة، وهذه من كراماته ـ نفع الله به ـ.

[٥٨٦] أحمد المزجاجي.

نزيل المدينة، كان شيخاً جليلاً، صاحب زاويةٍ، وخُلقٍ حسنٍ، يسير بقافلةٍ إلى المدينة المشرفة كل عام للحج، توفي في شوال، سنة ثلاث وأربعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٥٨٧] أحمد الفرفوري الحنفي(١).

أحد أكابر الفضلاء بدمشق، كتب إليه عبد الكريم الطاراني محاجياً في ياسمين:

يـــا فاضـــلاً قـــد تـــسامى ... وفـــاقَ مثـــلَ الخليـــلِ

ومـــن غـــدا فـــي الأحـــاجي ... فـــرداً بغيـــر مثيـــلِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٩).

مـــا مثــــل قــــول محـــاج نــــادى نقـــيض هزيـــلِ

فأجابه بقوله، على الوزن والروي، وذلك في رجب سنة خمس وعشرين وألف:

مــــولاي يـــا ذا المعـــالي وما لَـــهُ مـــن عـــديل
ومَـــنْ صـــفات عـــلاه أخرسْـــنَ كـــلَّ قـــؤولِ
بلغـــتَ غايـــةَ فـــضلٍ فيهـــا عـــديمِ المثيـــلِ
وحـــزتَ أوفـــر حـــظٍّ مـــن كـــل فـــن جليـــلِ
حاجيـــتَ فـــي ياســـمينٍ غـــدا شـــفاءَ العليـــلِ
مـــن نشـــره طـــاب عَرْفـــاً ريـــح الـــصبا والقبـــولِ
كأنـــــه إذا تبـــــدَّى فـــي وارفٍ مـــن ظليـــلِ
ســـماءُ روضٍ تهـــادت نجومُهـــا للأفـــولِ
أو مثـــلُ ملـــكٍ خطيـــر والزهـــرُ مثـــلُ الرعيـــلِ
فخـــذْ جـــواب محـــبٍّ وصـــاحبٍ وخليـــلِ
لـــولاك مـــا قـــال شـــعراً مـــن جـــور دهـــرٍ خـــذولِ
تحيـــق الـــنقصُ فيـــه ذوي الحجـــى والعقـــولِ
وذو النباهـــة جـــوراً كـــساه ثـــوبَ الخمـــولِ
واســـلمْ ودم فـــي هنـــاء ممتعـــاً بـــالقبولِ
مـــا فـــاح عـــرفُ ريـــاض يحكيـــه لطـــفُ الـــشمولِ

[٥٨٨] أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالحنش الحمودي، المغربي الطرابلسي الأصل، الدمشقي الدار، المالكي، الملقب بالصّل(١).

قدم أبوه محمد الحنش إلى دمشق، وتديّرها في عشر السبعين وتسعمائة تقريباً، والحمودي نسبةً إلى قبيلةٍ من عرب المغرب، منازلهم الجبل الخضر، ووُلد صاحب الترجمة بدمشق، وأشار إلى ذلك في منظومةٍ له بقوله منها:

ومولـــدي ليلـــة ســـبتٍ زاهـــرِ رابـــع عـــشرٍ مـــن ربيـــع الآخـــرِ

وذلك في عام ثلاثـ[ـة] وثمانين وتسعمائة.

وقد رمى بي الدهر بعد أن كبرت بالعرا وعـشت دهـراً فـي ذرا أم القـرى

وأخذ بدمشـق الفقه عن علاء الدين علي بن المرحل المالكي البعلي الأصل، الدمشقي الدار، وعن شيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الأندلسي المالكي، أحدِ خلفاء الحكم العزيز من المالكية، وبمكة عن خالد السويدي الجعفري، وعبد الرحمن بن عيسى المرشدي.

وبالديـار المصـرية عن إبراهيـم اللقاني، وبالمدينة عن محمـد البري المالكي، وعن محمد بن زوز التونسي، وأخذ بقية العلوم بدمشق عن أحمد الوفائي المفلحي الحنبلي، وعن تاج الدين القطان، والحديث عن محمد بن داود المقدسي الحافظ المشهور، وعن الشيخ إبراهيم بن كسيائي، وعن محمود البيلوني، والأدب عن الشيخ عبد الرحمن العمادي، وبالمخا من سواحل اليمن عن السيد العارف بالله حاتم الأهدل، وبعدن عن السيد أحمد العيدروس.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٤).

ورحل إلى مكة سنة إحدى عشرة وألف، وأقام بها مدةً مديدةً، واتصل بأشرافها الحسنيين، ودارت بينهم وبينه محاوراتٌ أدبيةٌ، ومحادثاتٌ لطيفةٌ، واتصل بخدمة الشريف حسن بن أبي نمي، وأقام بها بين ذهابٍ إلى اليمن وعودٍ إليها، وزيارة المدينة المنورة في كل سنة، إلى أن رجع إلى دمشق سنة ثلاث وعشرين وألف.

ثم لما نبغ في شعابه، اشتغل بمعاناة الأدب، واكتساب الفضائل، وصار يتعاطى فن التوريق، بالقسمة النورية، وله شعرٌ حسنٌ، وخطٌّ بديعٌ، غير أنه لم ينل حظاً، كما هو دأب الزمان مع أبناء الآداب والفضائل، ولازال واجد البلبال، غير ناعم البال.

ثم رحل من دمشق، وأقام بحلب أشهراً، ومات بها في سابع شعبان سنة اثنتين وثلاثين وألف، ومدة إقامته كان يتعاطى نسخ الكتب، ويتقوت بأجر كتابته، إلى أن اخترمته المنية، ولم ينل حظاً ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره: ما كتبه إلى عبد الكريم الميقاتي الدمشقي، محاجياً في حَبَوْا كَرَى قوله:

يـا مـن لـه البـاعُ الطويـ ـل وفـي الأحـاجي لـن يُسامَى
مـا مثـلُ مـا أودعـتُ فـي أحجيتـي وَهَبـوا مَنامـا

فأجابه بقوله:

يـا كـاملاً بـين الـورى وفاضـلاً بـلا مِـرا
وكاتبـاً وشـاعراً أعجـز كـلَّ الـشعرا
حاجيـتَ فـي داهيـةٍ يعلمهـا مـن شـعرا

نبهتنـــــــــي لحلِّهـــــــا إذ كنـــــت فيهـــا عُمُـــــرا

وتلـــــك وُقِّيـــــت الـــــردى نظيرُهـــــا حَبَـــوْا كَـــرَى

لا زلـــــتَ ترقَـــــى للعـــــلا مــــا ســـار ركـــبٌ أو ســـرى

[٥٨٩] أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن محمود السعودي، الشهير بالشلبي الحنفي المصري[(١)].

شهاب علم أشرقت في مصر أنواره، وخطت في صحائف المحاسن آثاره، وجرت في مضمار العلوم سوابقه، وتلاقى في سماء الفضل من خلال سحائبها بارقه، كان إماماً محدثاً، له اعتناء بالحديث وطرقه، وتقيد بقراءة كتبه، وله سهمٌ عاملٌ في الفقه والفرائض، وذكاءٌ سريع الفهم يسبق ما يعجز عنه الرابض.

مولده بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن والده، وعن الجمال يوسف بن زكريا، وغيرهما، وعن حسن بن عمار الشرنبلالي، والشهاب أحمد الشوبري، وعمر الدفري، وشيخنا محدث عصره محمد البابلي، وزين العابدين ابن شيخ الإسلام، وغيرهم، وكانت وفاته بمصر، في نيف وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٩٠] أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن جمال الدين عبدالله، ابن عم القطب الشهير الشيخ الكبير إبراهيم المتبولي الشافعي[(٢)].

---

(١) «خلاصة الأثـر» للمحبي (١/ ٢٨٢)، «هدية العارفين» (١/ ١٥٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧٤).

إمامٌ علامةٌ، أشهر من أن ينبّه عليه، وأجل من أن يعرف بالإشارة إليه، لا يجاذب رداء فضله، ولا تدور العين في أصحابه على مثله، كبير علماء عصره بلا مدافع، وحامل لوائهم من غير منازع، مبرزٌ في حلبة العلوم الشرعية، حائز قصبات السبق في الفنون العقلية، وسعة اطلاعه على السنة سارت بها الركبان، من قاص ودان.

أخذ عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، وعن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني، والشمس محمد الرملي، وغيرهم، وله «شرحٌ حافلٌ على الجامع الصغير للسيوطي» في مجلدات، و«نيل الاهتداء في فضل الارتداء»، و«مؤلفٌ في عرض الأعمال».

توفي يوم السبت، ثامن عشر ربيع الآخر، سنة ثلاث بعد الألف.

ومن فوائده: أنه سئل عما ورد فيمن مات بطريق مكة أو المدينة ذاهباً أو راجعاً، فأجاب: روى الأزرقي في «تاريخ مكة» مرفوعاً: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً، لم يعرض، ولم يحاسب، وكتب له في كل سنة حجة وعمرة إلى يوم القيامة».

قلت: ولم يذكر المدينة، ولعلها مقيسة على مكة؛ بجامع أنهما يقصدان للزيارة، فليحرر.

[٥٩١] أحمد بن محمد بن أبي بكر، صاحب الخال(١).

ورفع نسبَه إلى سلطان العارفين بالله الفقيهِ أحمد بن عمر الزيلعي في

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢٤).

ترجمة ولده شيخنا الجمال محمد صاحب الخال.

شيخ المعلوم والمعارف، ومعدن اللطائف والعوارف، الإمام الفقيه، والعالم النبيـه، الذي انفرد في عصـره باليمن بعلوم الدين، واشتهر بالولاية والتمكين، كان قاضـيَ اللحيـة ومرجعَها الذي عليه المعول، ذا كلمةٍ نافذةٍ لا تهمل، مع تمسك من التقوى، بالسبب الأقوى، والجلالة والمهابة، والخشية من الله والإنابة.

وُلد بمدينة اللحية، عام خمسة وتسعين وتسعمائة ـ بالتاء فيهما ـ، وحفظ القرآن، و«الإرشاد»، وعدة متون في جملة فنون، وأخذ عن شيوخٍ كثيرين، منهم: الفقيه رضي الدين أبو بكر القُمري الحشيبري، وبمكة عن العلامة أبي الخير محمد ابن شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي، والشيخ محمد علي بن علان الصديقي المكي، وعنه: جمعٌ من الأعيان الأفاضل، وكثيرٌ من العلماء الأماثل، منهم: ولداه: محمد، وأبو بكر.

وله مؤلفـاتٌ، منهـا: «منظومة في الحسـاب»، و«منظومة في أسماء الصحابة الذين روى عنهم البخاري في صحيحه».

وكانت **وفاته** ليلة الجمعة، خامس عشر رجب، سنة خمس وستين بعد الألف باللحية، ودفن بقرب تربة العارف بالله سيدي المقبول ـ صاحب القصب ـ ابنِ أحمد بن موسى ـ نفع الله به ـ.

[٥٩٢] أحمد بن محمد بن أبي بكر الأهدل.

صاحب المقصورة بزبيد، السيد الولي الشهير، كانت له كراماتٌ ظاهرةٌ مشهورةٌ، توفي تاسع شوال، سنة تسع وستين وألف بزبيد، ودفن في بيته.

[٥٩٣] أحمد بن محمد بن أبي بكر المشرع.

صاحب المبرة ـ بالراء ـ من أعمال رمع، كان عبداً صالحاً عابداً مطعاماً، يحب الفقراء، ويقوم بكفاية الوافدين، وله أخلاقٌ رضيةٌ، وأحوالٌ مرضيةٌ، ذو صيتٍ رفيعٍ، وجاهٍ وسيعٍ، توفي يوم الأربعاء، ثالث عشر رجب، سنة أربع وسبعين وألف بالمبرة، وبها دفن عند آبائه.

[٥٩٤] أحمد بن المساوي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن عبدالله بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن علي بن أبي بكر بن علي الأهدل.

السيد الناصح الصالح أبو الفضائل، الذائب في عبادة الرحمن، العاكف على تلاوة القرآن، العديم النظير في هذا الزمان، كان في قرية المحط من أعمال زبيد، محطَّ رحال الوافدين، قائماً بحقوق المسلمين، له اليد الطولى في أفعال البر، ملازماً على الاعتكاف في بيته، يتلو كتاب الله على الأرض، ليس على السرير، وهو متمكن من الديباج والحرير، ولا يخرج إلا لِمُهم يتعين.

توفي سنة ألف وأربع وسبعين، ثالث جمادى الآخرة.

وللسيد محمد بن الطاهر البحر فيه مرثيةٌ مطلعها:

هام الشجيُّ فدمعي اليومَ منسكبُ ... والقلبُ من ألم التفريقِ مضطربُ

ومدمعي وافرٌ في الخد مبتدرٌ ... والدهرُ ما زال بالأقراع ينقلبُ

لله أيامُ وصل بالحبيب مضتْ ... والقلب في فرحٍ والحبُّ مصطحبُ

[٥٩٥] أحمد بن محمد بن عمر الأهدل.

كان سيداً صالحاً، تالياً لكتاب الله، سالكاً طريق آبائه، حسن السيرة

والسريرة، توفي ثالث وعشري ذي الحجة، سنة اثنتين وستين وألف بالمراوعة، وبها دفن.

[٥٩٦] أحمد بن محمد بن يحيى المطيب الحنفي الزبيدي[1].

كان سيبويه زمانه، وإمام سائر الفنون في أوانه، فقيهاً محققاً، آلت الفتوى في مذهب الإمام أبي حنيفة إليه، وزينه الله وأمده بالحفظ، فكان بحراً زاخراً في جميع الفنون، وخصوصاً علم النحو ومتعلقاته، مع التحقيق الوافي، والتدقيق الشافي.

أخذ عن والده، وغيره، وعنه: أخوه عبدالله بن محمد، والسيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، وأخوه سليمان، وكثير.

توفي في ذي القعدة، سنة سبع وعشرين وألف بزبيد، وبها دفن بتربة سهام ـ رحمه الله ـ.

ورثاه الفقيه الأديب الفاضل المفنن أبو بكر بن علي بن مُهَيْر، أحد تلامذته بمرثيةٍ منها قوله:

إمام له في العلم باعٌ وساعدٌ … وكفٌّ يكفُّ الخطبَ إما تقلَّبا

ومنها:

أما كان فرداً في العلوم ومحولاً … إذا ما عرا خطب من الدهر قلَّبا

فمَنْ لدروس الفقه بعد شهابها … يذلل منها فهمَ ما قد تصعَّبا

ومن لخبايا النحوِ كم تسترت … وأبدى لنا منها ضميراً محجَّبا

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٣).

ومن للفتاوى في العلـوم بأسـرِها يفيــدُك إيجــازاً وإن شــاء أطنبـا
خطيـبٌ تـرى قُـسّاً لديـه كباقِـلٍ فصيحٌ إذا ما قـال أطـرى وأطربـا
لقـد بـرّ منـا الـدهر وجـهَ بلادنـا وفـرق منـا الحـسن تفريقـه سَبا

[٥٩٧] أحمد بن محمد بُو مُجيب المغربي.

قال الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: لقيته وأنا متوجه مع الركب إلى الحج بالمغرب، سنة أربع وسبعين وألف، وهو مجذوبٌ سالكٌ، محبوبٌ ناسكٌ، والغالب عليه الجذب، وفيه خيرٌ كثيرٌ، قارب عمره المائة، ومع ذلك فهو صحيح الذهن والسمع والبصر.

قال: وسبب معرفتي به الشيخ محمد بن محمد الحفيان، شيخُ الركب، وكان أخبرنا قبل الوصول إلى بلده بكرامة وقعت له معه في بعض حجاته، وقد حج مراراً عديدةً مع سيدي محمد الحاج، صاحب باسكره، وكان يثني عليه كثيراً، وقال لي: لو عاش، ما تخلفت عن الحج، فقلت له: ألا تحج معنا؟ فقال لي: إنه لا مـال لي، وأنتم لا تشـاركونني في دنياكم، وهو كان يشاركني في دنياه.

وقد أخذ عن سيدي أحمد الشريف البقال بفاس تلميذِ سيدي مسعود الدراوين، ولقيه لما جاء للحج، ومرّ بهذه البلدة، وقال لي في رجوعه من الحج: يا بُو مجُيب! أعلمنا بك الحبيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقال لطيفة: أخبرني الشيخ بُو مجُيب: أنه لما حج، بقي أمام النبي ﷺ، وقال في نفسه: إني لا أذهب لزيارة سيدنا حمزة ولا غيره، هذا يكفيني، فقال لي: يا أحمد! عمُّ الرجل عوض أبيه، قال: فقمت في الحين، وذهبت إلى

زيارة سيدنا حمزة وحدي، وكان وقت خوف، ولقيت هناك ثلاثة رجال أحدهم الخضر.

وقال لطيفة: أخبرنا أيضاً، وهو عندي صدوقٌ، قال: أخبرني الشيخ اللقاني: أن الوزغ يتغذى بعينيه، وأنـه ـ أي: اللقاني ـ كان ذات يومٍ يأكل، ووزغ ينظر إليه من السقف، فأمر من قتله، قال: وشقوا بطنه، فوجدوا فيه من الخضرة التي كان الشيخ يأكل منها، قال: وقد عقدت معه عقد أخوةٍ في الله، وكتب لي خطة بذلك ـ نفعني الله وإياه بها ـ.

[٥٩٨] أحمد بن محمد النخلي المكي الشافعي[1].

الشيخ الإمام الفقيه، الهمام العالم، العارف الكامل، الصالح التقي، الورع النقي، الذي يسترشد بعلومه ويقتدى، ويستضاء بأنواره ويهتدى.

مولده بمكة في ثامن عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين بعد الألف، وبها نشـأ، وحفظ القرآن، وكان والده من المقربيـن إلى الدولة، فلازم في صغره قراءة العلوم، واشـتغل بما يعنيه من صـنوف الخير، وظهر عليه أثر الفلاح.

أخذ عن أكابر شيوخ الحرمين؛ كالشيخ علي الجمال، وعبدالله باقشير، ولازم شيخنا محمد البابلي حين جاور بمكة، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من العارف بالله السيد عبد الرحمن الإدريسي، وأجازه أكثر شيوخه، وتصدر للتدريس للإقراء بالمسجد الحرام، وانتفع به من طلبة العلم الخاص والعام،

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٤)، وذكر وفاته في ١١٣٠هـ، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٤١)، وذكر وفاته في ١١٣٠هـ.

وله ـ حفظه الله ـ الحظ التام من العبادة وتلاوة القرآن، والصيام وقيام الليل والضحى، وغير ذلك من السنن النبوية، مع اطراح التكلف، والتواضع، وعدم الحرص، والتقنع باليسير، وشرف النفس، وأجمع الناس على محبته، فلا تراه عين إلا قرّت برؤيته، ولا تسمع به أذن إلا وأصغت لحسن سيرته، واشتهر ذكره في الحرمين، وعلا قدره في البلدين.

هذا مع المواظبة في غالب أعوامه لزيارة رسول الله ﷺ، وابن عمه حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وكفى بذلك منقبةً عظيمةً وشرفاً، فقد قال بعض العارفين بالله ـ كما سمعته من بعض شيوخي ـ: إنه لا يتيسر لأحدٍ زيارته ﷺ حتى يتشفع به سبعون صديقاً إليه ﷺ في أن يزوره.

[٥٩٩] أحمد بن محمد السيد الجعفري الصالحي الشافعي، المعروف بالمصارع[(١)].

لكون أخيه كان مصارعاً مشهوراً من المصارعين، ثم غلب هذا الاسم عليه، القاضي الفاضل شهاب الدين، ولي نيابة القضاء بمحاكم دمشق، وكان شديد الحمية، حامياً لساحته من كل ريبة.

أخذ عن أحمد العيثاوي، وخدمه كثيراً، وكان الشيخ يحبه، ويأمره دائماً بالإفادة، ولا تسهل به حدته وتجرؤه، وقد وقع له بسبب ذلك محنٌ، ولم يزل على حاله، حتى أصبح ميتاً في فراشه، عشري ربيع الأول، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٠) (٩٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٨١).

[٦٠٠] أحمد بن محمد بن قنديل[1].

الشيخ الفاضل الصالح، شهاب الدين الحنفي، أحد وعاظ دمشق، وكان خنثى، وكان يتظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

توفي سنة اثنتي عشرة بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٠١] أحمد بن محمد المنقاري الحلبي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الحنفي[2].

وهو ابن عم الشمس محمد بن المنقاري المتقدم ذكره، قرأ على الملا أسد بن معين الدين في العربية، نحواً وصرفاً، فبرع فيها، وتميز على أقرانه، وقال الشعر الحسن، واشتهر بالفضيلة، والذكاء المفرط، ورفع المشايخ من قدره، وصار يضرب به المثل في الفطنة لأهل عصره، وسافر إلى الروم، وأقام مدةً طويلةً بالقسطنطينية، وقدم دمشق، وأقام بها، إلى أن مات في أوائل شوال، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف.

[٦٠٢] أحمد بن محمد بن مفلح الحنبلي القاضي شهاب الدين[3].

كان رئيس الكتبة بمحكمة قناة العوني بدمشق، ثم صار قاضياً بها وبغيرها، وكان فاضلاً محمود السيرة في القضاء، صيّن العرض في طريقه،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٩) (٩٨).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٤) (١٠١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٦٠) (٢٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٦).

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٧) (٩٦).

فقيهاً عفيفاً تقياً، مات في عشري ذي الحجة، سنة ست بعد الألف.

[٦٠٣] السيد أحمد بن محمد بن النقيب الحسيني الحلبي الحنفي[١].

عالم لم تنجب الشهباء مثله، وكامل لم تر الأيام شكله، نحر العلوم وأتقنها أي إتقان، وتصدر بصدارة شرفه وفضله على سائر الأعيان، ذكره العلامة الخفاجي في «ريحانته»، وأثبت له من بعض أشعاره.

قلت: ومنها: قوله يمدح الأديب صلاح الدين الكوراني الحلبي سنة ثلاثين بعد الألف:

هـذا الربيـع أتـى وجـاء بـشيرُه ... وبـدت طلائعُـه وفـاح عبيـرُهُ

وتناسـبت أوقاتُـه فـي لطفِهـا ... فتـشابهت آصـالُه وبُكـورُهُ

والروضُ تحسبه جنانـاً زُخرفت ... وكأنمـا الأغـصانُ فيـه حـورُه

وبـدت أزاهـرُه تـروق بحـسنها ... وتجاوبـتْ مـن جانبيـه طيـورُه

ومنها:

نـاح الحمـام علـى أعـالي أيكـةٍ ... حزنـاً وغنّـى بهجـةً شُـحرورهُ

وجـرت جداولُـه تخـرُّ تواضـعاً ... وصَـفا ورقّ لناظريـه غـديرُه

لا بـدعَ أن ثـار الـذي هـو كـامنٌ ... من شوق شغف قد حواه ضميرُه

فنـسيمُه قـد رقّ فهـو إذا سـرى ... يُنبـي بأخبـار الهـوى فيثيـرُه

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٥٣٣) (١١٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧).

ومنها:

مـا لـي أرى فيـه أديـبَ زماننـا ... مـن لـم يـزل فلـكُ النظـام يـديرُه
العـالمُ العلامـةُ الفـردُ الـذي ... قـد قـلّ فـي هـذا الوجـود نظيـرُه
من إذا ذكرت الفـضلَ فهـو إمامُـه ... ورئيسُـه المـشهورُ بـل نِحريـرُه
وإذا ذكرت الشعرَ فهـو المقتـدَى ... فـي فنـه وسَـرِيِّه وجريـرُه
متغـافلاً عـن أن يحـرك خدنـه ... بنـسيم شـعر مـن عـلاه مثيـرُه
هـو فـي لطافتـه ورقَّتـه الـصَّبا ... لكـن سـواه مـن القـريض دَبـورُهُ

ومنها:

فلقد تـصدى فكـره مـن بعـد مـا ... قـد كـان مـصقولاً يروقُـك نـورُه
وعـرا قريحتَـه خمـولٌ فاسـتوى ... سـهلُ القـريض تباعـداً وعـسيرُه
فانعمْ وكن مولى الـورى متفـضلاً ... فالفـضلُ فيـك قليلُـه وكثيـرُه
واسـلمْ ودم فـي نعمـة وسـعادة ... لـك مـن زمانـك عذبُـه وبريـرُه
مـا نـاح قُمـريٌّ بجانـب روضـة ... شـجواً وأطـرب ذا الغـرام غـديرُه

وقوله رباعية:

مـا اختـرت سـواك لا ولا أختـار ... يـا ظـالمُ يـا خـوانُ يـا غـدارُ
أسـكنتك مهجتـي وفيهـا لهـبٌ ... والظلـم مـا جـزاه إلا النـارُ

وقوله:

فـي سـاعدها سـوارُ تبـرٍ واري ... كالنـار تـشبُّ فـوق مـاءٍ جـاري

هـل يوجـد فـي خـواطر الأفكـار مـــاء ولهـــا منطقـــةٌ مـــن نـــار

وقوله:

ما الكون سـوى صـحيفة الأقـدار خطَّـت لـذوي العقـول والأفكـارِ
كـم موعظــة تـضمنت أسـطرُها إن أنـــت جهلتهـــا فـــأين القـــاري

وقوله يرثي أخاً له:

رُزء ألَـــمَّ وحـــسرةٌ تتـــوالى ومـــصيبةٌ قـــد جَـــزَّت الآمـــالا
وجليلُ خطـب لـو تكلَّـف حملَـه ثهـلانُ ذو الهـضاب هُـدَّ ومـالا
وفـراقُ إلــفٍ لـو أردتُ تـصبراً عنـه طلبـتُ مـن الزمـان مُحـالا
وغـروبُ عـينٍ لـيس تفتـرُ دائمـاً عن سكب رقراقِ الدموعِ سِجالا
بُعــداً لــدهر شــأنه أن لا يُــرى إلا خؤونـــاً غـــادراً مغتـــالا
تغتــرُّ فيــه بالــسلامة ثــم لــم يبـرح بـه حتـى يـرى أسـمالا
ويـــذيقنا مـــاء الحيـــاة مروَّقـــاً وإذا اعتبـرتَ وجـدتَ ذلـك آلـى
قُبِّحتَ يـا وجـهَ الزمـان فـلا أرى لكَ بعـد أن فُقـد الجمـالُ جمـالا
ذاك الـذي قـد كـان فتـرةَ نـاظري وقـرارَ قلبـي بـل وأعظـمَ مـالا
وأخي الذي أعطى المروءة حقَّهـا مـن كـلِّ مـا أرجـو وزاد وغـالى
قـد كنـتُ أرجـو أن يـؤخِّر يومُـه عنـي ويحمـلَ بعـديَ الأثقـالا
ويـذوقَ مـا قـد ذقتـه لفراقـه ويمـارسَ الأهـوال والأوجـالا
فتطاولـتْ أيـدي المنيـة نحـوه وبقيـتُ فـرداً أنـدب الأطـلالا

كنا كغصنَي روضةٍ قطع الردى ... منها الأغَضَّ الأرطبَ الميَّالا
أو كاليدين لذاتِ شخص واحدٍ ... كان اليمينَ لها وكنتُ شِمالا
أسفي عليه فضلُ شمس عُوجلت ... بخسوفها وعمادُ مجدٍ مالا
أسفي عليه من نجيبٍ ما اكتسى ... غيرَ المعارف والتقى سِرْبالا
أسفي عليه مَع حداثة سنه ... لم يحتقبْ غيرَ العفاف نوالا
مَن للمباحث حين يُشكل حلُّها ... من ذا يوضِّح بعدَه الإشكالا
مَن للدروس إذا تعسر فهمُها ... وتشاعبت فيه الرفاقُ جدالا
مَن للمروءة والفتوة والندى ... من نال منها في الورى ما نالا
مَن للأخوة والصداقة والوفا ... إن عزَّ خطبٌ تابعَ الأهوالا
لا كان يومٌ ضم فيه فراقنا ... فلقد أطال الحزنَ والبلبالا
صيفاً أتى وظننتُ أني في الشتا ... لمّا هَمَى مطرُ الدموع وسالا
فسقى ضريحاً حلَّه صوبُ الحَيا ... في كل وقتٍ لا يضنُّ وصالا
فلقد وصفتُ به المكارمَ والعلا ... ودفنتُ فيه العزَّ والإقبالا
ولقد طرقتُ به الندى متهللاً ... طلقاً وطلق ناظري استهلالا
لا تطلبي يا نفس نِدّاً مثلَه ... هيهاتَ أن تَجِدي له أمثالا

[٦٠٤] أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي[١].

عنوان الشرف، والبديع الذي هو كالبدر في السدف، واللؤلؤ في الصدف،

---

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٥٣)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٩٦).

والجوهر الفرد في هذا الزمن، الذي تاهت به على الشام اليمن.

أخذ عن والده، وجنى ثمرات طريف علمه وتالده، وفاق الأقران، فليس له فيهم مُدان.

وألف التآليف الحسان، ومنها: «الأصداف المشحونة بالجواهر المكنونة» في نحو أربعين كراساً، بالقطع الكامل، وهو شرح منظومةٍ عجيبةٍ غريبةٍ تسمى: «الجواهر المكنونة» احتوى على فنون من العلم عديدة، وكتاب «سلافة العاصر»، وكتاب «لذة الوسن»، وكتاب «نسيمات الأسحار» جعله على نهج «الريحانة للخفاجي»، ذكر فيه جملةً من فضلاء عصره، والمكاتبات التي بينهم وبينه، وكتاب «توابع نوابغ الكلم للزمخشري»، وكتاب «النذير لأرباب المسير» يشتمل على ما أنشأه من الخطب الوعظية المبتكرة.

وله مقامةٌ عجيبةٌ سماها: «إبريق الزرجون في الترويح على المسجون»، وديوان شعرٍ سماه: «مجمع البحور»، وغير ذلك، ومنها: «عطر نسيم الصبا» الذي ذيل به كتاب «نسيم الصبا لابن حبيب الصفدي» أهدى إليّ والده نسخةً، لما قدمت المحويت من الجهات الكوكبانية، سنة ست ومائة وألف.

وكان من أجل فوائد الرحلة: الاجتماع بهما، والتملي بمقامات أنسهما الزاهرة، وآيات فضلهما الباهرة، ولكنه لم يتيسر ذلك لعوائق منعت عما هنالك، والاجتماع مقدور، وفي المكاتبة بعض إطفاء الأشواق، وبلاغ السلام ـ كما قيل ـ بعضُ التلاق.

إن كانت الأشباح نائيةً ... فنفوسُ أهل الظرف تأتلفُ
يا رُبَّ مفترِقين قد جمعتْ ... قلبيهما الأقلامُ والصحفُ

ومما كتبه إليّ مجيباً عن كتابٍ أرسلته إليه في التاريخ المذكور. . .[1].

[٦٠٥] أحمد بن محمد المزجاجي الشافعي.

خليفة الحكم بمصر، كان فاضلاً نبيهاً، أديباً شاعراً، توفي بمصر، يوم الأربعاء، خامس عشري جمادى الأولى، سنة إحدى وعشرين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٦٠٦] أحمد شهاب الدين بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي المصري الحنفي[2].

نادرة الدهر وفريد الأوان، وخاتمة المفسرين في هذا الزمان، صاحب الفنون، وغيث الإفادة الهتون، جمال الكتب والسير، سيد أهل الحديث والأثر.

وُلد بالقاهرة، وبها نشأ في حجر والده، وتأدب وتفقه، وبه تخرج وانتفع، وجلالة والده أشهر من أن تذكر، ثم لازم خاله سيبويه زمانه أبا بكر ابن إسماعيل الشنواني في علوم العربية، وحضر دروس الشمس الرملي الفرعية، وقرأ عليه طرفاً من «صحيح مسلم»، ولازم النور الزيادي مدةً طويلةً، وقرأ على علي بن غانم المقدسي الحنفي، وعلى خاتمة المحدثين إبراهيم العلقمي علمَ الحديث، وأخذ علم الأدب والشعر عن أحمد العلقمي، ومحمد الصالحي

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أرباع صفحة بياض».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٩٥) (٣٢٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٣١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٢٠)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٤٧٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٨).

الهلالي، وأحمد العناياتي الدمشقيين، والعروض عن محمد دكروري المغربي، والطب عن الشيخ داود البصير.

وارتحل مع والده للحرمين الشريفين، وقرأ ثمة على علي بن جاد الله، وعلى العلامة علي بن صدر الدين حفيدِ العصام، وغيرهما، وأجازه شيوخه، ثم رحل سنة عشرين بعد الألف إلى القسطنطينية، فأخذ عمن بها من الفضلاء والمصنفين؛ كابن عبد الغني، ومصطفى بن عربي، والحبر داود، وغيرهم.

ومكث بالروم دهراً طويلاً، وولي به مناصب سنيةً، ثم تولى قضاء العساكر بمصر، فسار فيه أحسن سير، ثم بعد عزله عنها، توجه إلى الروم ثانياً، ووقع بينه وبين مفتي الروم وبعض كبرائها، فرجع إلى مصر مرتبعِ شبابه، ومنتجعِ أخدانه وأترابه، وأقام بها، وكانت أيامه للفضائل موسماً، وللدهر طرازاً معلماً، وطافت أفاضلها بكعبة علومه، واقتبسوا من مشكاة منثوره ومنظومه.

وكان مع التحلي بعقد هذه العلوم، جاحظَ العرب والروم، ووحيد المنثور والمنظوم، لم يقض ساعة من عمره إلا في علمٍ يدرسه، أو أدبٍ يقتبسه، أو فائدةٍ يعلقها، أو مسألةٍ يحققها، أو شعرٍ يبتدعه، أو بكرٍ معنىً يخترعه، أو رسالةٍ يوشيها، أو مقامةٍ ينشر لآليها، فنظمُه نفثاتُ السحر، وقلائد النحور، وغمرات الألحاظ المراض، وعطفات الحسان بعد الإعراض، ونثره أنجمُ النثرة إشراقاً، وهباب الخمرة رونقاً واتساقاً، فهو من الثعالبي خَلَف، وعن الباخرزي عِوَض، وللعماد الكاتب بَدَل.

وقد ألف المؤلفات العديدة، منها: الحواشي المفيدة على تفسير البيضاوي المسماة بـ: «كفاية الراضي» في مجلدين، و«نسيم الرياض في شرح شفاء

القاضـي عياض»، و«شـرح درة الغواص للحـريري»، و«حاشيةٌ على شرح السراجية في الفرائض»، و«حاشيةٌ على الرضي»، و«حاشيةٌ على الجامي»، و«حاشيةٌ على المغني» لم تتم، و«طراز المجالس»، و«حديقة السحر في قرض الشعر».

وتذكرةٌ سـماها: «خبايا الزوايا فيما في الرجـال من البقايا» جمع فيها لشـعراء العصر تراجـمَ جمةً، وتوَّجها بذكر عدةٍ من علماء الأمة، و«ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا»، و«الرسائل الأربعون»، و«ديوان الأدب في محاسن شعراء العرب»، و«ديوان شعر» في مجلد، ورسائل كثيرة، وفصول قصار، ومقامات عديدة، ينبو القلم عن حصرها.

توفي ـ رحمه الله ـ بمصر، في الساعة الرابعة، من ليلة الثلاثاء، ثاني عشر رمضان، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وستين بعد الألف، وصلي عليه في يومها بالجامع الأزهر، ودفن بقرب تربة خاله أبي بكر الشنواني، بمقبرة المجاورين، وأرخ وفاته بعضهم بقوله: (في جنة المأوى شهاب قد سكن).

ومن شعره قوله:

قـد فـتنَ العاشـقين حـين بـدا — بطلعـــةٍ كـــالهلال أبرزَهـــا
طَـرَّ لــه شــاربٌ علــى شــفةٍ — كـالوردِ فـي الآس حـين طَرَّزَهـا

ولما تولى قضاء مصر، مرّ بطريقه على دمشق، عام خمسين بعد الألف، وكان قاضياً بها شيخ الإسـلام عبد الرحمن بن حسـام الدين، فخرجا يوماً لصالحية دمشق، فبينما هما على الجسر الأبيض، إذ وقع نظر صاحب الترجمة على غلامٍ بديع الجمال، فلما رآه، أمسك لجام فرسه هنيَّةً، وهو ينظر إليه،

فنظر إليه قاضي دمشق نظرَ معنفٍ، فقال بديهاً:

قيـــل لا تنظـــرْ لوجـــه جميـــلٍ　　فهـــو إثـــمٌ مبـــددُ الحـــسناتِ

قلـــتُ هـــذا الجمـــال لمَّـــا تبـــدَّى　　أدهـــشَ الكـــاتبين عـــن ســـيئاتي

[٦٠٧] أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف بن حسين بن يوسف بن موسى، الحصكفي الأصل، الحلبي المولد والدار، الشافعي، المعروف بابن الملا، جده لأبيه كان قاضي قضاة تبريز، وشهرته ملا جامي، وشرح «المحرر»، وجده لأمه من بني أجا.

مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، ونشأ في كنف أبيه، واشتغل بالعلم، فقرأ على ابن الحنبلي «مغني اللبيب»، وغيرَه من كتب النحو، وفي «شرح المفتاح»، وفي المنطق، والقراءات، وفي الحديث، وفي مؤلفاته.

وصحب سيدي الشيخ محمد بن علوان الحموي، وهو بحلب، سنة أربع وخمسين، وسمع منه نحو ثلث «البخاري»، وحضر دروسه ومواعيده، وسمع المسلسل بالأولية من البرهان العمادي، وأجاز له، وقرأ في التجويد على إبراهيم الضرير الدمشقي، نزيل حلب كثيراً، وأجاز له سنة خمس وستين.

ورحل إلى دمشق رحلتين، وأخذ بها عن البدر الغزي، وحضر دروسه بالشامية، وبحث فيها بحوثاً حسنةً مفيدةً، أبان فيها عن يد طولى، وكلما انتقل من مسألة إلى غيرها، قال لسان حاله ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[الضحى: ٤] كما شهد بذلك البدر في إجازته له.

وقرأ على النور السنفي قطعة من «البخاري» و«مسلم»، وحضره في

دروس من «المحلى»، و«شرح البهجة»، وأجاز له، وقرأ بها «شرح منلا زاده على هداية الحكمة» على محب الدين التبريزي، مع سماعه عليه في التفسير قطعتين صالحتين من «المطول»، والأصفهاني على أبي الفتح السستري، ورحل سنة ثمان وخمسين إلى القسطنطينية، فأخذ «رسالة الإصطرلاب» عن نزيلها غرس الدين الحلبي، واجتمع بالسيد عبد الرحيم العباسي، واستجاز منه رواية «البخاري»، ومدحه بقوله:

لك الشرفُ العالي على قادة الناس	ولمْ لا وأنت الصدرُ من آل عباس
حويت علوماً أنت فيها مقدَّم	وفي نثرها أضحيتَ ذا قدمٍ راسي
وفُقت بني الآداب قدراً ورتبةً	وسُدْتهم بالجود والفضل والباسِ
فيا بدَر أفقِ الفضل يا زاهرَ السنا	ويا عالمَ الدنيا ويا واحدَ الناسِ
إلى بابك العالي أتاك ميمماً	كليمٌ بعضب عدتَ أنت له آسي
فتًى عاري الآداب يا ذا الحجى فما	سواك لعارٍ من سنا الفضل من كاسي
فأقبسْه من مشكاة نورك جذوةً	وعلله من وِرْدِ الفضائل بالكاسِ
وسامحْه في تقصيره ومديحه	فمدحُك بحرٌ فيه من كل أجناسِ
فلا زلتَ محمودَ المآثر حاويَ الـ	ـمفاخر مخصوصاً بأطيبِ أنفاسِ
مدى الدهر ما احمرَّتْ خدودُ شقائقٍ	وما قام غصنُ الورد في خدمة الآسِ

ودرَّس وأفاد، وصنف وأجاد، وله شرح عظيم على «المغني» في أربع مجلدات، جمع فيه بين حاشيتي الدماميني، والشمني، وشرح شواهده للسيوطي، وهو الآن المشهور بالشرح الجديد، وهو من أنفس شروحه وأحسنها.

ونظم الشعر الحسن، ومن شعره في مليحٍ لابس أسود:

مـاسَ فـي أسـودِ اللبـاس حبيبـي	ورمى على القلب في ضرامِ بعادِه
لم يُمس في الـسواد يومـاً ولكـنْ	حلّ في الطرف فاكتسى من سوادِه

وله مضمناً:

ظبـيٌ كـساني حلـة وأدار لـي	كاسَ الرحيق علـى ريـاض الآسِ
وغدا يقول عذاره اشربْ يـا فتـى	واجعلْ حديثك كلَّـه فـي الكـاسِ

توفي شهيداً، قتله الفلاحون في قرية باتننا، من أعمال المعرة، ظلماً وعدواناً، سنة ثلاث بعد الألف، ودفن في الجبل، بالقرب من تربة جده إسكندر ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٠٨] أحمد بن محمد المنقوشي المغربي[1].

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: كان علامةً لوذعياً رحالةً، له اطلاع على علومٍ كثيرةٍ غريبةٍ، تكرر سفره إلى القسطنطينية كثيراً، حتى كانت ملحده، فتوفي في شهر محرم، افتتاح سنة اثنتين وسبعين وألف، وبنى أخوه على قبره، فصار مزاراً، ولمعت بارقةٌ من نوره على قبره، ولا يستبعد ذلك من أمره، خصوصاً وهو شهيد الوباء والغربة، قاصداً الحج، وطالب علم، إلى غير ذلك من سيرته الحسنة، وطباعه المستحسنة ـ رحمه الله ـ.

[٦٠٩] السيد أحمد بن محمد الحَوْثي.

كان خالاً في وجنة دهره، ونقطة بيكارة أهل عصره، استفاد عليه خلقٌ

(١) «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٠٣).

كثيرٌ، وتخرج به جمٌّ غفيرٌ، ورُزق البركة في أوقات تدريسه، وهو من ذرية الإمام يحيى بن حمزة.

[٦١٠] السـلطان أحمد بن محمد بن مراد بن سـليم بن سليمان بن سليم بن أبي يزيد بن محمد بن مراد بن محمد بن يلدرم بايزيد [بن] مراد الغازي بن أورخان بن عثمان.

تولى السلطنة العامة ـ على غالب الأقاليم الإسلامية ـ بعد وفاة أبيه، وكانت ولايته في سنة اثنتي عشرة بعد الألف، وقام بتدبير الملك حق قيام، وتمم محاسنه على ألطف وجهٍ وأحسن نظامٍ.

وكان كثير الخـوف والمعروف؛ بحيـث إنه جعل لأهل الحرمين وقفاً بمصر، يجمع مغله في كل عامٍ، ويرسل إليهم صحبة الركب المصري، عوضاً عن مال بندر جده؛ لانقطاعه بموجب عدم وصول المراكب الهندية إليها.

وفي سنة ست وعشرين بعد الألف أرسل إلى أعيان مكة؛ من شريفها وقضاتها وأئمتها وخطبائها كسوةً عظيمةً، فلبس كل من المذكورين ما أرسل إليه، وكان ذلك أول النهار، تجاه البيت الشريف، وفي سنة اثنتين وعشرين وألف أرسل حسن باشا المعمار؛ لعمارة عين مكة، فوصل إلى مكة، وعمر العين، وأصلح بعض إصلاحات كانت بالكعبة المشرفة.

واستمر في الملك إلى سنة سبع وعشرين بعد الألف، **فانتقل إلى رحمة الله تعالى**، وجاء الخبر إلى مكة، وصلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد أن خطب له الرئيس على قبة زمزم، وكان الإمام بالناس للصلاة عليه السيد عمر بن عبد الرحيم البصري.

[٦١١] السلطان أحمد خان بن محمد خان بن مراد خان بن سليم خان ابن سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد بن عثمان، سلطان الروم[1].

كان حليمـاً حازمـاً، عارفـاً بمقادير الناس، وكانت له أخلاقٌ حسنةٌ، ومكارم في الخيرات مستحسنة، وكان له اطلاعٌ على أحوال الرعية، فسارت فيهم الحكام سيرةً مرضيةً، وقد كان في زمان أبيه استيلاء الأعداء على أطراف البلاد، وخرج البغاة المسمّون بالجلالية، واستولوا على بلاد متعددة، قيل: إلى حدّ مدينة «بروسه»، فتوجه السلطان بسيوف هممه على الكفار فأذلهم، وعطف على الجلالية بسـيفه المشـهور الوزير الأعظم مراد باشا، الذي كان سابقاً على بلاد اليمن، فقتلهم وأبادهم، ثم عطف على بلاد العجم، فبينما الرسل تتردد بينهم بالعفو، والصفح والصلح، انتقل الوزير مراد باشا إلى رحمة الله تعالى.

ومن خيراته: أنه بنى الجامع المعظم في القسطنطينية، يكاد أن يقال: ما بني مثله؛ لأنهم بالغوا في استحسانه، فصار سمعةً في الدنيا، وذخراً في الآخرة، وأرسـل إلى الروضـة المطهرة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ بالكوكب الدري، وكان لا قيمة له، وكان شمعة بين سلاطين الهند والعجم والتتار، وله آثارٌ حسنةٌ في المدينة المنورة، ما سبقه إلى مثلها أحد من السلاطين السابقين.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧١) (١٠٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٨٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤٦)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٥٦٥).

وجدد عمارة العلمين، اللذين همـا حـدّ الحرم من جهة عرفـة، سـنة ثلاث وعشرين بعد الألف، على يد الباشا، وأولُ من وضع أنصاب الحرم خوفَ اندراسـها: الخليل إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ بدلالة جبريل ـ عليه السلام ـ، وهي في جميع جوانبه، خلا جهة جدة، وجهة الجعرانة؛ فإنه ليس فيهما أنصاب.

ثم نصبها إسماعيل بن إبراهيم، ثم قصي بن كلاب، وقيل: إن عدنان ابن أدد أول من وضع أنصاب الحرم، حين خاف أن يندرس الحرم، ونصبتها قريش بعد أن نزعوها، والنبي ﷺ بمكة قبل هجرته، وأمر النبي ﷺ عام الفتح تميمَ بن أسد فجددها.

ثم عمر بن الخطاب ﷺ بعث أربعة نفرٍ لتجديدها، وهم: مخرمة بن نوفل، وسعيد بن يربوع، وحويطب بن العزى، وأزهر بن عبد عوف، ثم عثمان، ثم معاوية ﷺ، ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، ثم أمر الراضي العباسي بعمارة العلمين الكبيرين، اللذين هما حدّ الحرم من جهة التنعيم، في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ثم أمر المظفر صاحب أربل بعمارة العلمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة، في سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ثم صاحب الترجمة ـ على ما ذكرنا ـ.

وولادته سنة ألف، وجلوسه في ثاني عشر رجب، سنة اثنتي عشرة بعد الألـف، وحكومته أربع عشـرة سنـة، وثمانية أشهر، ووفاته يوم الأربعاء، رابع وعشري ذي القعدة، سنة ست وعشرين بعد الألف.

ومن آثاره أيضاً: تجديد مولد السيدة فاطمة وتبييضه، على يد الباشا حسن المذكور، في التاريخ المذكور.

ومنها أيضاً: عمارة مسجد البيعة، وهو بالقرب من عقبة منى، على يسار الصاعد، بينه وبين عقبة منى مقدار غلوة سهم، ووهم مَن قال: إنه من منى.

ومنها: عمارة العين، وجعل حزام الكعبة المشرفة، وكان ذلك على يد الباشا حسن المذكور، سنة ثلاث وعشرين، وعمرها أحسن عمارة.

وأصلح مآثر كثيرةً أيضاً بمكة المشرفة، ثم توجه إلى الديار الرومية، ثم وصل منها بقصد الوصول إلى مكة، فوصل إلى المدينة المنورة، ومات بها.

ومن آثاره أيضاً: تجديد تحلية البيت الشريف، وإصلاح ما وَهَى منها.

وأول من حلاها في الجاهلية: عبد المطلب بن هاشم جدُّ النبي ﷺ، وفي الإسلام: الوليد بن عبد الملك، وقيل: أبوه، وقيل: ابن الزبير، وحلاها من العباسيين: الأمين، والمتوكل، والمعتضد، وحلتها أم المقتدر العباسي، والملك المجاهد صاحب اليمن، ومن ملوك الأروام: آل عثمان صاحب الترجمة؛ فإنه أرسل من الديار الرومية الباشا حسن المعمار بميزاب الكعبة الشريفة، وأمره أن يجعل لها إزاراً من فضة مطلي بالذهب.

فوصل إلى مكة في أوائل العشر الأول من ذي الحجة، عام اثنين وعشرين بعد الألف، فبرز أمر صاحب مكة الشريف إدريس بن الحسن، إلى أكابر مكة وعلمائها، أن يلقوا الباشا حسناً من الحجون، ويمشون أمام الميزاب، فامتثلوا الأمر وبرزوا، وكان ذلك آخر النهار، فدخل الميزاب إلى مكة من الحجون، وأمامه بعض طوائف الأذكار، وهم يذكرون الله تعالى.

فبعد وصول الباشا إلى مكة، وإتمام النسك، وقفل الحجاج إلى

بلدانهم، توجه لعمارة عين عرفة، وكان مأموراً بذلك، وصحبته أموالٌ عظيمةٌ من السلطان المذكور، فأتقن ذلك وأتمه، ثم ركب ميزاب الكعبة الشريفة، وقلع الميزاب الأول، وأرسله إلى السلطان، وجعل إزاراً على الكعبة، واستمر إلى أن وقع سقوط بعض الجدران؛ مما فصلناه في ترجمة الشريف مسعود ابن إدريس، فرفعوا ذلك الإزار، وسبكه متعاطو العمارة، ولم يجعلوا عوضه عليها؛ لعدم الاحتياج إلى ذلك. انتهى.

[٦١٢] أحمد بن محمد علي بن إبراهيم بن حسن بن عبد الرحمن المدرس الحنفي.

صاحبنا الفاضل الأديب، البالغ في شبيبته مبالغ الشيب، **وُلد** بالمدينة المنورة سنة سبعين بعد الألف، وبها نشأ، واشتغل بالعلم اشتغالاً حسناً، وأخذ عن الخطيب أحمد البري، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، وغيرهما، ورحل إلى مكة، وأخذ عن شيخنا حسن بن علي العجيمي وغيره، وأجازوه.

وبرع وتأدب، وألف عدة كتب، منها: «شرح البسملة» في مجلدٍ ضخمٍ، و«شرح إيساغوجي»، وهبني منه نسخةً بخطه، و«حاشيته على شرح مقصورة ابن دريد للإمام عبد القادر الطبري»، وغير ذلك من الرسائل اللطيفة، وله ديوان شعرٍ غالبه مدائح في الأشراف الحسنيين ملوك مكة، اجتمعت به بمكة، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، **وأنشدني من شعره قوله مادحاً للشيخ أحمد الخياري:**

قربي الراحَ من حِمانا ودوري ... بين غيدٍ بها حسانٍ بُدورِ

قَرِّبيهـا فهـي الـدواء لمـا قـد حـلَّ مـن دائهـا بجسمي الأسيرِ
قربيهـا وخـلِّ عنـك أناسـاً حرموهـا يـا بهجـة المـسرورِ
قربيهـا صـفراءَ كـالتبر لونـاً كأسُـها كـاللجينُ مـن بلـورِ

منها:

خمـرة تتـرك الـشحيحَ جـواداً باحتـساها كحـاتمِ المـشهورِ
خمرة حانُهـا يفـوق علـى الـشمـ ـس سـنا بـضوئه والنـورِ
مثل وجهِ الأديب أحمدَ نجلِ الـ ـعالم الحـرِّ ذي التقـى النحريـرِ
الخيـاري حـافظِ العـصرِ إبـرا هـيم مـولى التحقيـق والتحريـرِ
فهـو فـردٌ فـي عـصره ووحيـدٌ وإمـامُ المنظـوم والمنثـورِ

وقوله:

ووادٍ قـد كـان بالـصحب جمعنـا ولكـنهم للقلـب بالبعـد كَـوَوْا
ووقـد نـاري هجـرهُم وبعـادهُم وللجسم مني يا خليلي قـد شَـوَوا
وواحيـرةَ العـذالِ إنـي أعـدُّهم كلابـاً فمـنهم لا أبـالي إذا عَـوَوا
وورقـاء دوحٍ قـد أثـارت تـشوُّقي لقـومٍ بأحـشائي وقلبـي قـد ثَـوَوا
وورديـة الخـدينِ معـسولةِ اللَّمـى وعشاقها للسقم من صدِّها حَـوَوا
ووسناء طرفٍ كالغصونِ اهتزازُها أسانيدَ علم السحر عن طرفها رَوَوا
ووجنتُها يحكي دموعي احمرارُها ورضوى مع الأرداف منها قد استووا
وواواتُ أصـداغٍ لهـا كعقـاربٍ وكم لسعتْ قوماً على حبها انطـوَوْا
والخصرُ منهـا مـا تبـدلت غيرهـا ولـم أكُ مـن قـوم لـسلوانها نَـوَوْا

ووِدِّي لهـا مـن قبـل آدمَ ثابـتٌ ولستُ لأقـوامٍ إلـى غيرهـا هَـوَىً

وقوله:

عـذِّبْ بمـا شـئت أيهـا القمـرُ إلا الجفـا والـصدودَ يـا عمـرُ
من قد حوى الماء في الخدود كذا نـار بأحـشائي حـين تـستعرُ
رمـتَ سـلُوي هـواك يـا أملـي مـن أيـن للقلـب عنـك مـصطَبَرُ
أنـت الـذي للـسهام لحظُـك قـد رمـى حـشاي ومـا لـه وتـرُ
بنتَ عن الـروح يـا سـراج ضـنىً كـأنني يـا مليـكُ محتـضَرُ
نهـى عـن الحـب عـاذلي سـفهاً فقلـتُ ذا العـذل يـا فتـى غَـرَرُ
إن حبيبـي كالغـصن قامتُـه لـه ثنايـا كأنهـا دررُ
بـدرٌ كمثـل المُـدام رِقّتُـه والقلـبُ قـاسٍ كأنـه حجـرُ
يـسبي البرايـا بنـور طلعتـه ولـيس للخَـصْر يلتقـي أثـرُ
بلبـل قلبـي دلالـه أبـداً وذاك شـرطٌ فـي العـشق معتبـرُ
كلَّمنـي طرفُـه ومقلتُـه لـذاك أصـمى الحـشا بهـا حـورُ
رَشَـاد تولـه[1] كمثـل دجـى فريـدُ نَـدٌّ لأنـه عَطِـرُ
أصـفرُ مثـلُ النـضار صـفرتُه لـه بنـانٌ هامـت بـه البـشرُ
للهِ مـا ألطفـنْ رشـاقَتَهُ وحـسنَه والحـديثُ والخبـرُ
حمـى بألحاظـهِ لوجنتـه وتلـك واللهِ لا مِـرا بتـرُ
لـه كعـين عـينٌ وحاجبُـه نـونٌ وفـاه مـيم تـستطَرُ

(١) كذا في الأصل.

وذاك يـا صـاحِ جمعُـه عَـنَمٌ   بكفِّـه يـدهش بـه النظـرُ
إن هـواه غـدا بـلا غـصصٍ   لمهجتـي والغـذا هـو الـوطرُ
نعـيمُ دنيـاي حـسنُ صـورته   فوصـفُها صـاحِ لـيس ينحـصرُ
يحـار كـلٌّ فـي وصـف خلقتـه   وكـم لـه مـن محاسـن أخـرُ

[٦١٣] أحمد بن محمد بن علي الغُنيمي ـ مصغراً ـ الأنصاري الخزرجي، الشافعي ثم الحنفي[(١)].

الشيخ الإمام العلامة، شهاب الملة والدين، وحجة المناظرين، وخاتمة المحققين، وشيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، كان ـ رحمه الله ـ من أجلاء الشيوخ، الذين انفردوا في عصرهم بعلم المنقول والمعقول، وتبحروا في العلوم الرياضية والأصول، مع النظر الدقيق، والتقرير البديع والتحقيق، والتواضع وحسن المحاضرة، والملازمة لإقراء العلم والمذاكرة.

أخذ الفقه والحديث، وغيرهما من العلوم الدينية عن القطب الرباني العلامة الشمس محمد البكري، والشمس محمد الرملي، وأبي نصر الطبلاوي، وغيرهم، ولازم العلامة خاتمة المحققين الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، مؤلف «الآيات البينات»، وبه تخرج وانتفع في العلوم النظرية.

وأخذ عن النور الزيادي، وصالح البلقيني، والفهامة سيبويه زمانه أبي المحاسن المعروف بابن المخلِّطة ـ بكسر اللام ـ، وكريم الدين اليرموني المالكيين، وعلي بن غانم المقدسي، ومحمد النحريري الحنفيين، وكان

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٩٤).

آيةً من آيات الله في العلوم العقلية، بحراً زاخراً، لا يجارى ولا يمارى.

وانفرد في عصره بدقة النظر، وشدة البحث، والقوة عليه، وكان درسه لا يحضره إلا جهابذة المحققين، وأكابر الأئمة المدققين، ولكونهم أقل القليل، لم يحضره إلا كل نبيل، وحضره بعض العلماء الذين لا اعتناء لهم بالدقة والبحث، فقال: هذا الرجل يمكنه أن يشكك الإنسان في نفسه، ثم ترك درسه.

وممن لازمه سنين عديدة، ومدةً مديدةً، وبه تخرج، وعليه في العلوم العقلية عرج: شيخنا شيخ الإسلام علي الشبراملسي ـ فسح الله في قبره ـ، وكان لا يفتر عن ذكره في مجالسه ودروسه، وسمعته ـ رحمه الله ـ يوماً يقول في درسه وقد ذكره: مات علم المعقول والمنقول بعده، وكان يقول: من رأى دروس الغنيمي وتقريره، ودقة نظره، لا يجوز نسبة هذه التآليف التي ألفها إليه؛ لأن مقاصده أجل منها، مع أنها في غاية الدقة، وحسن الصناعة.

وكان ﷺ من أجلاء فقهاء الشافعية في عصره، ثم تمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة في آخر عمره، بعد أن كان يقرأ في فقه الشافعية كتباً كثيرةً، ورحل إلى القسطنطينية، فأجله كبراؤها، ولازمه لأخذ العلم عنه علماؤها، وبلغ ما يروم، وحظي فيها حظوةً لم يحظها أحد في عصره من العرب والروم.

وكان شيخ الإسلام يجثو بين يديه على الركب، ويبالغ في تعظيمه، وفي حسن الأدب، وقرأ عليه كتباً كثيرةً، منها: «شرح المواقف»، ولما أراد الرجوع إلى مصر، أجزل له مع بقية كبرائها العطية، وتولى بمصر المدارس

العلية، وأعطي الوظائف والمعالم السنية.

فرجع من طريق البحر، إلى أن وصل ثغر إسكندرية، فانكسر المركب، وضاعت جميع أسبابه وكتبه، إلا كتاباً واحداً كان بيده، فخرج به من المركب، ثم سُرق منه، وبقي صفرَ اليدين، ورجع بخفي حنين، فقال عند ذلك: هذه بركة الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ثم أرسل إلى مفتي الروم، وعرفه بجميع ما حصل له، فعوضه عن بعض ذلك، وجدد له مراسيم بمدارسه ووظائفه، واستمر بمصر، وعرض له في آخر عمره ثقلٌ في سمعه، حتى توفي بها ليلة الأربعاء، سابع وعشري رجب، سنة أربع وأربعين بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة.

ومن مؤلفاته: شرحٌ بديعٌ على «المقدمة الشعرانية في علم العربية» سماه: «إرشاد الطلاب إلى لفظ لباب الإعراب»، وحاشيةٌ على «أم البراهين» للسنوسي، في مجلدين ضخمين، سماها: «بهجة الناظرين في محاسن أم البراهين»، و«رسالة فيما يتعلق بجملة البسملة»، و«رسالة في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، و«رسالة في بيان السنن ونقائضها»، و«رسالة في إيمان المسلم بعد موته في أي محل يكون».

و«حاشيةٌ على شرح الاستعارات للعصام»، و«حاشيةٌ على شرح إيساغوجي لشيخ الإسلام»، و«ابتهاج الصدور في بيان كيفية الإضافة والتثنية، والجمع للمنقوص والممدود والمقصور»، وله «حاشيةٌ على شرح عقائد النسفي للسعد»، و«حاشيةٌ على شرح جمع الجوامع»، و«حاشيةٌ على شرح الأزهرية».

[٦١٤] أحمد بن محمد باشا الوزير الأعظم المعروف بالفاضل، الكويرلي الأصل، القسطنطيني المولد[1].

أحد وزراء الدولة العثمانية، الذين عزت بهم السلطنة، وافتخرت بهم الدولة، كان في وقته من مفاخره السامية، وأفراده المتعالية، وبه ظهر رونق الزمن، وعلا قدر الفضل، وكان عصره إلى أواسط مدته أحسنَ العصور، ووقته أنضر الأوقات، ولم يكن في الوزراء من يحفظ الدين، وقانون الشريعة مثله، صعباً شديداً في أمور الشرع، سهلاً في أمور الدنيا، وكان حاذقاً مدبراً للملك، قائماً بضبطه.

وُلد بالقسطنطينية سنة خمس وأربعين، واعتنى أبوه بتهذيبه، فأقرأه العلوم حتى مهر، وسمت همته، واشتهر أمره، وسلك في بداية أمره طريق المدرسين، ثم عدل إلى طريق والده، فتولى وأبوه في الصدارة العظمى ولاية أرض الروم، فظهرت كفايته، وحُمدت طريقته.

ثم انتقل منها إلى حكومة دمشق الشام، وأُعطيها برتبة الوزارة، وذلك سنة إحدى وسبعين وألف، وقدمها، وكانت أمورها مختلة النظام، فأصلحها، وتقيد في أمور الأوقاف، وأزال ما بها من محدثات الوظائف وغيرها، وركب على أولاد معن، وبني الشهاب، وأقام ببقاع العزيز أياماً حتى أزالهم عن بلادهم، وقمع الفتن.

وكان قبل وطئه دمشق ولعت بها أيدي القحط، حتى عمها، وبلغت غرارة الحنطة إلى ثمانين قرشاً، فنفع الناس في طلب الحبوب من مصر،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥٢).

وأمر وهو بالبقاع بعمارة قاعةٍ معظمةٍ، داخل دار الإمارة بدمشق، فبنيت على أسلوب عجيبٍ وطرحٍ غريبٍ.

ثم طُلب من البقاع إلى الروم، فسار بالسرعة، وعُزل عن حكومة دمشق، وجاء أمر حكومة حلب، وهو ذاهبٌ في الطريق ولم يدخلها، وبعد وصوله إلى القسطنطينية، صار قائماً مقام أبيه فيها، وكان السلطان إذ ذاك بأدرنة، وأقام أياماً قليلةً، ثم طُلب إلى أدرنة، وكان والده قد ابتدأه المرض، فلما وصلها، صار قائماً مقامه في حياته، وبعد أيامٍ قليلةٍ توفي والده، فتولى الوزارة مكانه، وكان ذلك سنة اثنتين وسبعين وألف، وأرخ بعضهم توليته بقوله: (دولته نعمة الإله).

وسلك طريقاً في وزارته لم يسبقه إليه أحد، وبلغ من الإحكام ونفوذ القول مبلغاً ليس فيه مستزاد، ولم يبق للناس سوى التمسك بعنايته، ومراعاة حاشيته، وكان حسن التدبير، صائب الرأي، كامل الفراسة.

ومما ينسب إليه من الفطنة: أنه جاءه يوماً شخصٌ بتوقيع، فتفرس فيه أنه مصنوع، فناوله لأحد جماعته، وأمره بحفظه، ومضى على ذلك ست سنوات، فجاءه يوماً شخصٌ آخر برقعةٍ، فلما رآها، طلب التوقيع، فلما جاء به، قابله على خط الرقعة، ثم سأل من صاحبها عن كاتبها، فأخبره به، فأرسل إليه من أحضره، فلما مثل بين يديه، أراه التوقيع، فاعترف به بأنه هو الذي كتبه، فأمر بقطع يمينه، وعين له في بيت المال كل يومٍ ما يكفيه.

وقصده الشعراء من البلاد، ومدحه جماعةٌ من أكابر شعراء عصره، منهم: العلامة فضل الله بن محب الله ابن القاضي العلامة محب الدين الحموي، فإنه مدحه بثلاث قصائد إحداها التي أولها:

طيــفٌ يمثلِّــه الغــرامُ بفكــره ورجًــا يحــار بطيِّــهِ وبنــشرِهِ

وهي قصيدةٌ فائقةٌ، ولطولها لم أذكرها.

وكتب إليه الأمير المنجكي في صدر الرسالة:

يــا ســيدَ الــوزراء دعــوةَ مقعَــدٍ محت الحوادث رسمَه فعسى عسى

فــانظر إليــه برأفــة بــل رحمــةٍ يكفيه من جرع الأسى يا ما احتسى

قــد كــان ســحبانَ الزمــان فـضيلةً قُطعــت علوفَتُــه فأصــبح أخرســا

ومن الغزوات التي وقعت أيام وزارته: غزوة «أيوار»، عينه مخدومه السلطان محمد إلى فتحها، فسار بجميع العساكر، في حادي وعشري صفر، سنة أربع وسبعين، وصدر بينه وبين أهل دائرتها، من كفار المجر، محارباتٌ كثيرةٌ، وأوقعوا بعسكره مكائد شتى، وكانت النصرة له، وهدم مما يليها قلعة تسمى بالقلعة الجديدة، كانت الكفار بنتها؛ ليتحصنوا بها.

وبعد ما قدم إلى مقر الدولة، استقام مدةً، وقد قويت شوكته، وعظمت مهابته، ثم أمره مخدومه بالسفر إلى جزيرة كريت؛ لفتح بلدة قنديه، التي كانت بقيت في هذه الجزيرة من بين بلادها لم تفتح ـ كما شرحت ذلك في ترجمة السلطان إبراهيم ـ، فوصلها في خامس ذي القعدة، سنة سبع وسبعين، وبنى بالقرب منها مكاناً كان منهدماً؛ لتهيئة مهمات المحاصرة.

ثم نازلها بمن معه من العساكر، وقد كان أهلها حصنوها بأشياء لا يمكن حصرها، وأضافوا لسورها سوراً آخر، عمروه من داخل السور القديم، وطالت الحرب بين الفريقين مدةً، حتى افتتحها صلحاً في غرة جمادى الأولى سنة ثمانين، ووردت البشائر إلى الأطراف بالزينة، وكثرت تباشير الناس بفتحها.

وبالجملة: فإن أمرها كان بلغ الغاية وطال، حتى ملّ العالم من خبرها.

وأكثر الشعراء من التواريخ لهذا الفتح، وعمل القصائد العجيبة، حتى رأيت بعض الفضلاء أفرد الأشعار التي نظمت في ذلك، وفي مدح الوزير صاحب الترجمة، فبلغت شيئاً كثيراً.

ومن التهنئات: قصيدة الفاضل الأديب المشهور مصطفى بن عبد الملك البابي الحلبي، وهي من جيد شعره، ومطلعها:

لكَ اللهُ من ندبٍ إذا همَّ صَمَّما ... وطلاعِ أنجادٍ إذا أَمَّ تمما[1]

وبعد ما مهد أمورها، وبنى ما كان تهدم أيام المحاربة من مساكنها، رجع إلى مقر حكومته، وكان السلطان ـ إذ ذاك ـ بأدرنة، فأقام مدةً، ثم عينه السلطان إلى محاربة الكفار المعروفين بالليه، فسار في جمعٍ عظيمٍ لم يشاهد مثله، وافتتح قلعة قمنيجه في سنة أربع وثمانين.

وعاد إلى أدرنة، وأخذ في نقض الأمور وإبرامها على الوجه الحميد، والرأي السديد، ثم تغيرت أطواره، وحبب إليه العزلة، فانقطع عن الديوان وتعاطي المصالح، واشتغل باتخاذ الندماء، وعقد مجالس الأنس، والجري في ميدان النشوة والقصف، إلى أن رحل السلطان إلى القسطنطينية أواسط محرم، سنة سبع وثمانين، ورحل هو معه.

وعند وصوله إلى القسطنطينية، ابتدأه المرض، وكان ابتداء مرضه اليرقان الأسود، وعولج مقدار ستة أشهر، فلم يفد العلاج، واشتد به إلى أن رحل السلطان راجعاً إلى أدرنة، في شعبان من هذه السنة، وخرج هو على أثره من

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «تمما» صفحة بياض بالأصل».

البحر، في مركبٍ إلى بلده سـلورية، ووصل من البر إلى نواحي حورلي، **فأدركه أجلـه** في قريـة بالقرب منها، وغُسـل وكُفن بها، وأُتي بجنازته إلى القسـطنطينية، فدفن مما يلي والده، بتربته التي كان أنشأها بدرب الديوان، وصُلي عليه مكان دفنه، وذلك في نهار الأربعاء، سابع عشري شعبان، سنة سبع وثمانين وألف.

وكان قبل وفاته وقفَ كتبه، ووضعها في خزانة بالتربة المذكورة، ورتب لها أربعة حفاظ، وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد في مكان، وأخبرني بعض من أثق به: أنها خُمنت بأربعين ألف قرش.

[٦١٥] أحمد بن سنان الرومي[١].

كاتب أوقـاف الحرميـن، وناظرها بدمشـق، كان فاضلاً أديباً، حسن المحاضرة، عظيم الجاه، خصوصاً عند القضاة، وله حشمةٌ ومكارم وإنصاف، وجمع تاريخاً لطيفاً، تعرض فيه لذكر كثيرٍ من قضاة عصره وأمرائه، **توفي** ليلـة الجمعـة، تاسـع وعشـري شـوال، سـنة تسع عشرة وألف ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٦١٦] أحمد بن سعيد العمودي المكي الشافعي[٢].

الشيخ العارف بالله، المقيم بجبل أبي قبيس.

قال النجم الغزي: زرته لما حججت سنة عشر بعد الألف، فرأيته فقيهاً، كتابه «الإرشاد»، وجماعته ملازمون عنده للصلوات الخمس والأذكار، ومن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠٩).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٢٨) (١٢١).

طريقه: أن جماعته في أيام الموسم لا يتركون الاحتراف، فيكتسبون ما يقوم بهم سائر سنتهم؛ استغناء عن سؤال الناس.

قال: ورأيته عليه السكينة والوقار، وكان مصاباً بإحدى عينيه، وكان ظاهر الولاية، سألته الدعاء لي ولأولادي، وتحاببنا في الله، ومات عن نحو تسعين سنة ـ رحمه الله ـ، وكان موته في سلخ رمضان، سنة أربع عشرة بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، بتربتهم المعروفة، وآل العمودي مشايخ مشهورون بحضرموت، وهم حميريون شيبانيون نوحيون، ذكره في «الغرر».

[٦١٧] أحمد الكردي الشافعي[١].

الشيخ العلامة المحقق، كان مجاوراً بالكلاسة، بجامع دمشق، وكان ملازماً لصلاة الجماعة، قانعاً بالرزق، لا يتردد إلى أحدٍ، مقبلاً على الاشتغال والإشغال بالعلم، في النحو والمنطق والبيان، انتفع به كثيرٌ من الطلبة، وممن أخذ عنه ولازمه: شيخ الإسلام النجم الغزي، صاحب «الكواكب السائرة»، ومات بالطاعون، سنة اثنتين بعد الألف، ودفن بمرج الدحداح ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦١٨] السيد أحمد بن محمد الحارث بن الحسن بن أبي نمي[٢].

كان آيةً في العقل والذكاء، مرجعاً للأشراف الحسنيين ملوك مكة في جميع أمورهم، وإذا حكم بأمرٍ، لا يقدر أحدٌ أن يستدرك عليه فيه شيئاً لحسن أحكامه، وشدة إحكامه، ولما وقع بين الشريف سعد بن زيد، وبين حسن

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤٨).

باشا صاحب «جدة» ما وقع، وذهب للمدينة، ولي صاحب الترجمة، ولم يتم له ذلك بعد.

توفي في تاسع رجب، سنة خمس وثمانين وألف بمكة، ودفن في قبة جده ـ رحمه الله ـ، وجده الشريف حسن، وهو إلى جنب تابوته مما يلي الشرق، ووضع عليه تابوت عظيم ـ رحمه الله ـ وخلف أولاداً أمجاداً، أكبرهم السيد محمد كريم، مشهورٌ وشجاعٌ مخبورٌ، ليس في عصرنا من أمثاله من الأشراف أجود وأسخى منه، وأخوه السيد ناصر أحد دهاة الأشراف وعقلائهم، المرجوع إليهم في المهمات، كان الشريف بركات أمير مكة يقول: لا أخاف من أحدٍ من الأشراف ما أخاف من ناصر.

[٦١٩] السيد أحمد بن محمد الأنسي اليمني[١].

شاعر له اختراعات غريبةٌ، وتشبيهاتٌ مصيبةٌ، وأوصافٌ باهرةٌ، وأمثالٌ سائرةٌ، وجِدٌّ يُعجب، وهزلٌ يُطرب، وقفتُ له على أشعارٍ يصبو إليها القلب والطرف، ويقطر منها ماء الملاحة والظرف، ويمتزج بإحن النفس، ويسترجع نافر الأنس، فهو كما قال القائل:

بديعُ شعرٍ رقَّ حتى غدا ... تجري مع الروح كما تجري

في مُذهَب الوشي على وشيه ... ديباجةٌ ليست على الشعر

كزهرة الدنيا وقد أقبلت ... تروقُ في رونقها النَّضْرِ

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٨٥) (٢٦٤)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٦٢)، «البدر الطالع» (١/ ٣٧)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٢٩٨) (٢٢)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٢٧).

أو كالنسيم الغَضِّ غِبَّ الحَيا يختال في أرديةِ الفخرِ

فمن دَنِّ المكنون، الذي يتنافس فيه المتنافسون: قوله يمدح الشريف زيد بن محسن، أمير مكة ـ شرفها الله ـ:

من قبل رؤياكِ يا ريَّا عرفناكِ أهدى النسيم قبولاً طيبَ ريَّاكِ
ونفحةٌ جاءت الآفاقُ منك فلم يبقَ على المسك ذكرى بعد ذكراكِ
كم بلبلَ البالَ منها بلبلٌ سَحَراً وهل مغانيه إلا بعضُ مغناكِ
وأطربَ العيسَ حادٍ في مفازتها تحت الدجى حين غناها بمغناكِ
حللتِ نجداً فطابت منكِ أربُعُه وأصبح الترب تبراً بعد ممشاكِ
وخالطت مجةٌ منك العُذيبَ وما علمي به قبلُ لولا نفثُ مسواكِ
عِمي صباحاً مغاني الغانيات ولا تنفكُّ نعمٌ تفدى أيدي نعماكِ
أين العهودُ التي كانت مؤكدةً إياكِ أن تنقضيها بعدُ إياكِ
نعمتِ يا نعمُ بالاً ولنا بالٌ يبلبلُه ذكرى محياك
إن كان أربعُك التي زهت وهزت بأربُعٍ من جنان الخلد مأواكِ
فيهن عينانِ من شهدٍ ومن لبنٍ نضاختانِ فمن عينيَّ عيناكِ
والمنحنى من ضلوعي لم يزل أبداً مثواكِ والقلبُ لم ينفكّ مرعاكِ
أو كنتِ أطربك الحادي فمن غَزَلي ساق المطيَّ حين عناها وعناكِ
لولاكِ ما قلتُ بيتاً في النسيب ولا جفا جفوني كراها غِبَّ مسراكِ
ولا لقيتُ من الوجد المبرِّحِ ما يرضى رضوى فهل بالله أرضاكِ
نزلتِ نجداً وأضحى منزلي يمناً متى متى يا تُرى بالله ألقاكِ

ولـي بقايـا حـشاشات أضـنُّ بهـا   عـسى عـسى تتلافاهـا مطايـاكِ
وفـي فـؤاديَ أسـرارٌ تـضمنها   مـن الـصبا حبـذا إبـداعها فـاك
لا واخذَ اللهُ أيدي العيش قد جمعتْ   بعائـدِ الـصلةِ المـشكوِّ والـشاكي
يا ربةَ الخالِ والخلخالِ طيفُ خيا   لٍ منك يشفي خليلاً وجـدُه ذاكـي
فمتّعيـه بـه مـا عـاش وانبعثـي   ذمـاه لا تعدميـه لا عَـدِمناكِ
سـقى ورَوَّى للرَّبـاب مثلـث   للربـاب الرُّبـى ريَّـاً بـذكراك
حتى يقالَ لمعناها لقد رحم الـضْـ   ـضَحاكُ يا قوم هذا العارضَ الباكي
وحـاك منهـا بـروداً ثـم فرقهـا   بكل لـونٍ فأعيـا وصفُها الحـاكي
كـأن زيـداً أطـال الله مدتَـه   أمـدَّ بعـض محيَّـاه محيَّـاكِ
فهـو الـذي يـدُه البيـضا وصـنعتُه   نـسجُ المكـارم مـن أبـان أوراكِ
ملـكٌ أنـاف بـه مجـدٌ وسـاعدَه   جَـدٌّ وأيـده جـدٌّ لـه شـاكي
ما بأسُ عمرٍو وما همٌّ ابن ذي يَزَنٍ   ومـا سياسـةُ ساسـانٍ واسـاكِ
ما زال لا زال يطـوي كـلَّ منتشر   من الممالـك فـي عُـرب وأتـراكِ
حمـى بـه الحـرمين اللهُ فامتنعـا   عـن ملحـدٍ وأثـيم بـل وهَتَّـاكِ
فأمت الأمم البيتَ الحرامَ على اخـ   ـتلافِها لـم يخـف سـرب لنسَّاكِ
سـنانُه لـم يـزل يُـدعى وصـارمُه   بفـاطرٍ وبـسفاحٍ وسـفَّاكِ
وكفُّـه واكـفٌ بالمـال يبتـذلُ الـ   آمـال عـن بـذل ملـساكِ
زيدُ المحامد والسعي الذي انحسرت   وقـصرت دون غايـات هـاؤلاك
هو الأمينُ ولكن لـيس يخـدم الـ   ـمأمون إن غمـزت عـينٌ لأفَّـاكِ

سلْ عنه مكةَ هل ملك تسلطنا | يحكي منه زايداً بها من قبله حاكي
وهل لطائره المأمونِ من مثلٍ | فيمن تقدم سلْ سلعاً وذي الواك
كم طاب في طيبةٍ ربعٌ بمرتبع | كساه بردَ ربيع عدلُه الزاكي
إن ينتقل عنك جورُ يشرب فبلا | عزو فقد نُقلت من قبلُ حُمَّاكِ
اختارَه اللهُ في الأرض الحرام لنا | وللإمام إماماً أي تيحاكِ
فقل لمن رام مرقاهُ وغايتَه | قصرْ وقل للحيارى أين سواكِ
ما للبغاث لاحقاً للعقاب وهل | للشمس في غاية التحقيق من حاكي
لسانُ حال النبي المصطفى نطقت | فيه بقول حد السيف نباكِ
زيدٌ هو الجوهر الفردُ الذي انعقدت | له العنايةُ في أثناء شباك
فمن ومن يرتجي أن يشق له | عباب طرف مجاري الرمح مدكاك
يا بُعدَ ما يتمنى نفس ذي شرف | أن تدعيه فقل ما بعد دعواك
دعي غرور الدواعي ما استطعتِ فإن | دعاكِ داعٍ فقد والله مَنَّاكِ
لا تطمعي أين زيد بن محسن | أو حسين أو حسن بُعداً لمرماك
وخامسُ القوم مصباحٌ له بركا | تُ الخير مشكاةُ نورِ ساطعِ شاكي
أبو نميٍّ له المجدُ الأثيلُ غدا | إرثاً وأبقيه أملاك لأملاكِ
همُ همُ إن ذكرتِ الناس في مَلأٍ | لا تذكري غيرَهم أنهاكِ أنهاكِ
أسمعْ وأبصِرْ بقوم إن طلبتهم | في المكرمات تجدْ أفلاكَ أفلاكِ
وقد حوى كلَّ ما في القوم من حسنٍ | زيدٌ وزاد بأوصافٍ وأسباكِ
من لي برؤية زيدٍ من يبلغني | من لي ببسطِ كفٍّ من قبل إدراكِ

أعوذُ بالله من عجزٍ يحولُ عن از ... ديار مَنْ سكن الزور أنهاكِ

يا ربِّ بالبيتِ زدْ زيدَ المكارم تعـ ... ـميراً وعزّاً وصِلْ حبلي به الواكي

ثم الصلاةُ على المختار من مضرٍ ... وآله ما انطوتْ أشراكُ أشراكِ

وقوله مادحاً للشريف زيد بن محسن، وأجازه عليها ألف ذهب، وعبداً وفرساً:

سلوا آلَ نُعمٍ بعدنا أيُّها السفرُ ... أعندَهُمُ علمٌ بما صنعَ الدهرُ

تصدَّى لشتِّ الشمل بيني وبينها ... فمنزليَ البطحاءُ ومنزلُها القصرُ

وإنـي ونُعمٌ لاهيينِ فغالَنا ... فشلَّتْ يدُ الدهرِ الخؤونِ ولا غدرُ

فواللهِ ما مكر العدوُّ كمكره ... ولكنَّ مكراً صاغه فهو المكرُ

فقولا لأحداث الليالي تمهَّلي ... ويا أيهذا الدهرُ موعدُك الحشرُ

سلامٌ على ذاك الزمان وطيبِه ... وعيشٍ تقضَّى لي وما نبت الشعرُ

فتلك الرياضُ الباسماتُ كأن في ... عواتقها من سندس حللٌ حمرُ

تنضَّدَ فيها الأقحوانُ ونرجسٌ ... كأعينِ نُعمٍ إذ يقابلها الثغرُ

كأنَّ غصون الورد قُضْبُ زبرجدٍ ... تخال من الياقوت أعلامُها الحمرُ

إذا خطرتْ في الروض نُعْمٌ عشيةً ... تفاوحَ من فضلات أردانِها العطرُ

وإن سحبت أذيالها خلْتَ حية ... إلى الماء تسعى ما لأخمصها أثرُ

كساها الجمالُ اليوسفيُّ ملابساً ... فأهونُ ملبوس لها التيهُ والكبرُ

فكم تخجلُ الأغصانُ منها إذا انثنتْ ... ويُغضي حياء من لواحظها التبرُ

لها طرةٌ تكسو الظلامَ دياجياً ... على غرة إن أسفرتْ طلع الفجرُ

وصــحنان خــد أشــرقا فكأنمــا مصابيحُ رهبـانٍ أضـاء لهـا الـديرُ

وجيـدٌ مــن البلــور أبـيضُ نـاعمٌ كعنـق غـزالٍ قـد تكنفهـا الـذعرُ

ونحــرٌ يقــول الــدرُّ إن بـه غنًّـى عن الحَلْي لكن بي إلى مثلـه فقـرُ

وحُقَّـانِ كالكـافور نـاف علاهمـا مـن النـدِّ مثقـال فنـدَّ بـه الـصبرُ

رويــدَك يــا كــافورُ إن قلوبنــا ضعافٌ وما كل البلاد هي المـصرُ

بـدا القــدُّ غـصناً باسـقاً متـأوداً علـى نقـوِ رمـلٍ يطـوف بـه نهـرُ

يكاد يدقُّ الخـصرُ مـن هَيَـفٍ بـه روادفُهـا لـولا الثقافـةُ والهـصرُ

لهـا بَـشَرٌ مثـلُ الحريـر ومنطـقٌ رخيمُ الحواشي لا هدى ولا نـذرُ

رأتنـي سـقيماً نـاحلاً واهـلاً بهـا فأدنـتْ لهـا عـوداً أناملُهـا العـشرُ

وغنت ببيتٍ يلبـث الركـبُ عنـدَه حيارى بصوتٍ عنده يـرقصُ البـرُّ

إذا كنتُ مطبوباً فـلا زلـتُ هكـذا وإن كنتُ مسحوراً فلا برئ السحرُ

فقلـتُ لهـا واللهِ يـا بنـةَ مالـكٍ لمـا شـفني إلا القطيعـةُ والهجـرُ

رمتنـي العيـونُ البابليـات أسـهماً فأقـصدني منهـا سـهامُكم الجمـرُ

فقالت وألقت في الحشا من كلامها تـأجج نـاراً أنـت مـن ملكنـا حُـرُّ

فواللهِ مـا أنـسى وقـد بَكَـرَتْ لنـا بإبريقهـا تـسعى بـه القينـةُ البكـرُ

تــدورُ بكاســاتِ العُقــارِ كــأنجمٍ إذا طلعتْ من برجهـا أفـلَ البـدرُ

نــداماي نعــمٌ والربــابُ وزينــبٌ ثلاثُ شخوصٍ بيننا الـنظمُ والنثـرُ

على الناي والعود الـرخيم وقهـوة يــذكرها ذنبــاً لأقــدامنا العــصرُ

فتقــتصّ مــن ألبابنــا وعقولنــا فلم ندرِ هل ذاك النعاسُ أم السكرُ

معتقَـةٌ مـن عهـد عـادٍ وجُـرهم ... ومودِعُها الأدنـانَ لقمـانُ والنـسرُ
مشعـشعةٌ صـفرا كـأن حَبابَهـا ... على فرشٍ مـن عـسجد نثـر الـدرُّ
إذا فرغتْ في الكاس نعمٌ وأختُهـا ... تشابهَ من ثغريهما الريـقُ والخمـرُ
خلا أن ريق الثغر أشفى لمهجتـي ... إذا ذاقه قلبُ الشجيِّ بـرد الجمـرُ
وأنفـعُ دريـاقٍ لمـن قتـل الهـوى ... فهاتِ ارتشافَ الثغر إن سمحَ الثغـرُ
بهذا عرفنا الفرقَ مـا بـين كاسِـها ... وبين مدامِ الظَّلْم إن أشكلَ الأمـرُ
فواللهِ ما أسلو هواها علـى النـوى ... بلى إن سلا بذلَ الندى الملكُ القصرُ
أبـو حـسنٍ زيـدُ المعـالي والتقـى ... له دونَ أملاك الورى المجدُ والفخرُ
إذا ما مشى بينَ الـصفوف تزلـزتْ ... لهيبته الأمـلاكُ والعـسكرُ المجـرُ
وترجفُ ذاتُ الصدع خوفاً لباسـه ... فينـدكُّ أطـوادُ الممالـك والقفـرُ
فلو قال للبحر المحيطِ ائتِ طائعاً ... أتـاه بـإذن الله فـي الـساعة البحـرُ
كـريمٌ متـى تنـزلْ بأعتـابِ دارِه ... تجدْ ملكاً يزهو به النهـي والأمـرُ
تجد ملكاً يغني الوفودَ وينجز الــ ... ـوعودَ وأدنى بذله الدُّهْم والـشقرُ
علـى جـوده مـن وجهـه ولـسانه ... دليلان للوفـدِ البـشاشةُ والبِـشْرُ
فما أحنفٌ حلمـاً ومـا حـاتمٌ يـداً ... وما عنترٌ يـومَ الحقيقـة مـا عمـرُو
هـو الملـكُ الـضحّاكُ يـومَ نزالـه ... إذا ما الجبـانُ الوجـه قَطَّبـه الكـرُّ
لقـد قـرّ طـرفُ الملـك منـه لأنـه ... لديه النوالُ الحلوُ والغـضَبُ المـرُّ
حيـاةٌ ومـوتٌ للمـوالي والعـدا ... لقد جمعا في كفه الجبرُ والكـسرُ
أنخْ عنده يا طالب الـرزق فالـذي ... حـواه أنوشـروانَ فـي عينـه النـزرُ

ولا تُصْغِ للعذَّالِ أذناً وإن وفوا ... بأحسابهم منهم فما العبدُ والحرُّ
وهل يستوي عذبٌ فرات مروَّقٌ ... وملحٌ أجاج لا ولا التبنُ والتبرُ
فلو سمعت أذن العدوِّ بمجده ... مزاياه لا ستحيت ولكن بها وَقْرُ
فما قدّروا زيدَ العلا حق قدره ... وماذا عليهم يا ترى لهم الحشرُ
مليكٌ إليه الانتهاءُ وقيصرٌ ... يقصِّرُ عنه بل وكسرى به كسرُ
مليك له عند الإله مكانةٌ ... تبوأها من قبله إلياسُ والخضرُ
مليك له سرٌّ خفيٌّ كأنما ... يناجيه بالغيب ابنُ داودٍ الحبرُ
فإن كذبوا أعداء زيد فحسبُه ... من الشاهد المقبول قصتُه البكرُ
ليالِيَ إذ جاء الخصيُّ وأكثروا ... أقاويلَ غَيٍّ ضاق ذرعاً بها الصدرُ
فأيقظه من نومه بعدَ هجعة ... من الليل بيتٌ زاد فخراً به الشعرُ
كأن لم يكنْ أمرٌ وإن كان كائن ... لكان به أمر نفي ذلك الأمرُ
وفي طيٍّ هذا عِبرةٌ لأولي النهى ... وذكرى لمن كانت له فطنة تقرُ
فيا زيدُ قل للحاسدين تحنَّطوا ... بغيظِكم إن لم يطيعكم الصبرُ
فمجدي كما تقد تعلمون مؤثَّلٌ ... وكلُّ حمامِ البرِّ يقيظها الصقرُ
من القومِ أربابِ المكارم والعلا ... ميامينُ في أيديهم العسرُ واليسرُ
مساميحُ في الأولى مصابيحُ في الدجى ... تصالح في معناهم الخير والشرُّ
أَسِنَّتهم في كل شرقٍ ومغربٍ ... إذا وردت زرقٌ وإن صدرَتْ حمرُ
مساعيرُ حربٍ والقنا متشاجرٌ ... ويوم الندى يبدو حجاحجةٌ غُرُّ
وكيدُهم لقي الملوك لأمره ... تقولُ لبدر التمِّ ما أنصفَ الشهرُ

بنـي حـسنٍ لا أبعـدَ اللهُ داركـم ... ولا زال مـنهلاً بأرجائِهـا القطـرُ
ولا زال صدرُ الدست منشرحاً بكم ... فعنكم أولاء البيت ينشرح الصدرُ
وصلَّى علـى المختـار والآل ربُّنـا ... وسلَّم مـا لاح الـسِّماكانِ والنـسرُ

وقولـه في هـذه القصيدة: «كأن لم يكن أمر»... البيت، لهذا البيت قصة، وهو أنه لما كان في أثناء سنة تسع وأربعين بعد الألف، أقبل من الديار الرومية بشير آغا الحبشي الطواشي، معه أوامر من السلطان مراد، بأنه مطلق التصرف، وكان ظنه أنه يعزل الشريف زيد عن منصبه، ويولي غيره.

فورد الخبر بوفاة السـلطان مراد، فشاع الخبر بينبع، ثم كتمه بشير؛ ليتم له تنفيذ ما أراد، وكان الشريف زيد هيأ لبشير عدة أماكن؛ من المدارس والبيوت، وأمر بفرشها، وكان نيته مواجهته إلى مر، وأرسل بعض أخدام إلى ينبع، ليرى مَنْ مع بشير من الخيل والرجل والناس، فلما وصل إليها، وسمع هذا الخبر وتحققه، رجع مسرعاً إلى الشريف زيد، فلما تحقق صحة الخبر، أمر بتحويل الفرش التي فرشت في ذلك المكان، وغلق بعضها.

ثم لما قارب بشير آغا مكة، خرج إليه الشريف زيد، ولاقاه في الجوخي، محل ملاقاة أمير الحاج، فلما قابله، وفي ظن بشير أن الخبر لم يبلغه، وأن يتم له ما أراده من تنفيذ ما شـاء على غفلة، فلما تقاربا، ركب الشريف زيد فرسه، مقدماً على بشير قائلاً له: رحم الله مولانا السلطان مراد، فأُسقط في يد بشـير، وبقي كالأسير، وكان الشريف زيد قد رأى في المنام كأن شخصا ينشده هذا البيت:

كأن لم يكـنْ أمـرٌ وإن كـان كـائنٌ ... لكـان بـه أمـر نفـي ذلـك الأمـرُ

فانتبه ـ رحمه الله ـ، وكتبه بالسواك على رملٍ في صحن نحاس خشية النسيان، وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن هذا الخبر، فنظم السيد أحمد صاحب الترجمة هذه القصيدة، وأدرج فيها هذا البيت.

[٦٢٠] ولده السيد أحمد بن أحمد بن محمد الأنسي[1].

شاعر كامل البضاعة في الشعر على فنون، بيني وبينه صحبةٌ أكيدةٌ، ومودةٌ شديدةٌ، **مولده** بصنعاء سنة أربع وسبعين وألف، أول ما اجتمعتُ عليه بمكة، سنة ألف ومائة وواحد، لما قدمها مع جماعة من بني الإمام، منهم: السيد حسين ابن الإمام إسماعيل، والسيد عبدالله بن يحيى بن محمد ابن الحسن، والسيد العلامة الحسين بن عبد القادر بن الناصر صاحب كوكبان، وكان وقع بينهم وبين الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، وظهر عليهم، ففرّوا إلى مكة، وكان بها السيد أحمد بن غالب، فأكرم نزلهم، وأحسن إليهم، وعين لهم ما يكفيهم من الصرف وغيره.

وكان المترجم هجا الإمام محمد بن أحمد، لما تولى الإمامة بقصيدة مطلعها:

خليفةٌ خالف الإسلامَ والخُلَفا ... بعد المؤيدِ لا نرضى به خَلَفا

لم يعفُ يوماً ولا تندَى يداه على ... عافٍ وربعُ الندى والمجد منه عفا

يا ضيعةَ الدين والدنيا بدولته ... ورفعةَ الجهل والأنذالِ والسُّخَفا

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٩٦) (٢٦٥)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٧٤) (٢١)، «البدر الطالع» (١/ ٣٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٢٤٥) (١٦)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٢٠).

ضِـدُّ المؤيدِ في كل الخصال فقلْ يا رحمتاه لأهـل العلـم والـضُّعفا

مـن جهلـه وخطـاه فـي تـصرُّفِه وظلمه حـسبُنا ربُّ الـسما وكفـى

سـلْ خيلَـه فلكـم ألقـى بهـا فتنـاً محا بها جمـلَ الإسـلام واعتَـسفا

فلما بلغت الإمامَ، أمر بقطع لسانه، وقتلِه حيث وجد، فكان ذلك سبب فراره إلى مكة مع الجماعة المذكورين، ثم جاور بمكة مدةً، ثم توسط له بعض الأعيان برجوعه إلى اليمن، فرجع إلى اليمن، واجتمع بالإمام، وخدمه بقصيدةٍ طنانةٍ محت ذنوبه السابقة معه.

ثم ولاه أعمالاً في بلده، ثم غضب عليه، ونهبه، وأرسل به إلى زيلع، فسجنه بها نحو سنةٍ، فوافق موته بها سنة أربع عشرة بعد المائة والألف ـ رحمه الله ـ، وكان فكهَ المداعبة، حلو المصاحبة، ممتلئاً من الأدب، مقبلاً على كل من حدب، وتأكدت بيني وبينه الصحبة بحضرة الإمام ـ رحمه الله ـ.

[٦٢١] أحمد بن يونس(١).

كان وزيراً لشريف مكة السيد إدريس بن الحسن، في قوةٍ وعدد ومدد، وطار صيته في الآفاق، وأكثر الدخل، وأقل الإنفاق، وكان ذا تدبير لأحواله، حتى جاوز الحدود، فوقع له ما قضاه الملك المعبود.

وذلك أنه لما استفحل أمره وعظم، وصارت الأمور كلها منوطةً برأيه وتدبيره، تعدى طورَه، ولم يقف عند حده، فتوافق الشريف إدريس والسيد محسن على عزلـه، فأرسـل الشريف إدريس ـ وكان إذ ذاك المبعوث ـ إلى القائم مقامه بمكة، السيدِ محمد بن عبد المطلب يأمره بأخذ المهر منه ـ وهو

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧١).

مهر العُروض ـ من القائد أحمد المذكور، وأرسل السيد محسن إلى القائد ياقوت بن سليمان ـ وكان وزيره ـ بأخذ مهره منه، ففعل كل ما أمر به.

وكان الأخذ المذكور صبيحة عاشر رمضان، سنة ست وعشرين بعد الألف، فشاع في البلد عزله، وأرسل الشريف إدريس القائد ريحان بن سالم حاكم مكة، يأمره بالوصول إليه إلى الشرف، فقدم إليه، فقلده منصب الوزارة، فوصل إلى مكة في الشهر المذكور.

فلما كان آخر العشر الثاني من رمضان، وصل الخبر للسيد محمد المذكور بأن القائد أحمد يريد الركوب عليك، وقد اجتمعت عنده العُدد والمَدد، ووصل الخبر إلى القائد أحمد بذلك أيضاً، فركب كل منهما وألبس، ووقف عند باب داره، ثم انجلى الأمر، وظهر أن ما أخبر به كل منهما ليس له أصل، فأرسل السيد محمد إلى الشريف إدريس [و]محسن يعرفهما بذلك، ولما كان العشر الأخير من رمضان، عزم القائد أحمد بن يونس إلى الشريف إدريس بالمبعوث، وأقام هناك، فجاء الأمر إلى السيد محمد، بأخذ أموال القائد المذكور من داره، وكل ما هو له، وأن يحتفظ على ذلك.

فلما أن كانت ليلة العيد، حصلت حركة من آخر الليل عند بيت السيد محمد، وتفريق السلاح وأدراع وألباس، فنزل إلى المسجد، وصلى صلاة العيد فقط، وبرز من المسجد قبل الخطبة، وعزم بالجيش إلى بستان القائد المذكور، فختم على أمواله كلها، وأمر أن ينزل البعض منها إلى البلد، واستمر إلى بعد صلاة العصر، فنزل هو والجيش، بعد أن ختم على بقية الأموال، وقبض على جماعة من المنسوبين إليه، وحبسهم بعد أن ختم على بيوتهم، ثم فكوا بعد وصول الشريف إدريس، إلا إبراهيم بن أمين كاتبه، وأعظم

المقربين إليه؛ فإنه لم يزل مسجوناً، إلى أن قضى الله عليه.

وأما القائد أحمد، فإنه استمر بالمبعوث، فثارت بسببه في ثاني شوال من السنة المذكورة فتنةٌ، أدت إلى الادّراع والإلباس، ثم رحل إلى «كلاخ»، فأقام بها، ثم رحل منها إلى جهة الشام، فلما أن كان في أثناء الطريق، رجع، فوصل إلى الشريف إدريس وهو بالشرف في السنة المذكورة، فسجنه، وكبله بالحديد، ثم إنه قتله في العام المذكور، في محل يقال له: وادي النار، ودفن هناك، فسبحان الفعال لما يشاء ويريد.

[٦٢٢] السيد أحمد بن محمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين ابن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى اليمني(١).

إمام مبرز في جميع العلوم، وعلامةٌ كارعٌ من مشارب الفهوم، له مؤلفاتٌ مفيدةٌ، منها: «شرح الكافل في علم الأصول»، و«مرقاة الأصول للإمام القاسم»، و«شرح الأساس» له أيضاً.

وكانت **وفاته** فجر يوم الخميس، تاسع رجب، سنة تسع - بتقديم التاء - وثلاثين بعد الألف، في قلعة غُمار، من جبل رازح - رحمه الله تعالى -.

وذكره الفاضل أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»، فقال: كان علماً من أعلام الشريعة المصطفوية، وصدراً من صدور العصابة الهاشمية، محققاً في كل العلوم الإسلامية، معقولاتها ومنقولاتها، وأما أصول الفقه، فروي عن القاضي العلامة أبي القاسم البيشي: أنه قال: هو عندي بمثابة الفاتحة.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٠٢).

ووصفه السيد العلامة الحسين بن القاسم أنه مجتهدٌ، وناهيك به! ومن تشهد له خزيمة، فهو حسبه.

وكان استقراره بـ «شهارة» من وقت أن هاجر إليها هو وحيّ والده السيد العلامة الطاهر المطهر، حليف السند والقرآن، محمد بن لقمان، إماماً بجامعها، مدرساً بالجامع جميع الأوقات.

واتفق له في اليوم الواحد ثمانية دروس، مع درس غيب مختصرات، ومحله ـ رحمه الله تعالى ـ نازحٌ عن الجامع بمسافةٍ بعيدةٍ معروفةٍ، إلى فوق باب البحر المعروف، ويصلي إماماً الصلوات جميعاً في الجامع.

ومع ذلك، فإنه كان مقتر العيش، ولا يعتريه لذلك تعب ولا طيش، لرغبتهم في الهجرة إلى الله ﷻ، مع ما كانوا فيه من الخيرات الدنيوية الفانية، ورغبوا إلى ما عند الله ﷻ، ورضوا بما هم عليه لعاقبة الدار الأخروية، وهذا حال آل محمد الأعلام، وما زاد بذلك إلا كلفاً بالعلم، وحرصاً عليه.

وألف في أكثر الفنون، منها: «شرح الأساس في علم الكلام»، و«شرح الكافل»، وهو مفيدٌ للطالب، موافقٌ للكتاب، بتعرضه لذكر الخلاف، ونهى ـ في هذا الكتاب ـ أن تكتب صورة الصلاة على النبي ﷺ بغير لفظها، كما يتعارف من أكثر الكتاب؛ من كتابة هذه الصورة: «صلعم» ونحوها، وأمر فيها بإثبات الترضية على الصحابة، إذا ذكروا مجتمعين؛ لأنهم مع الاجتماع جماعة معصومة.

وشرحَ «تهذيب المنطق»، وحشّى على «المفصل» وعلى «الفصول اللؤلئية»، وأوائل «المنهاج» لجده المهدي ـ رحمه الله تعالى ـ، ونظم

«الشافية»، وشرح «البحر الزخار» بجزءٍ من أوساطه، كأنه فعل ذلك إما تتميماً لأحد الشروح، أو وافق قراءة في ذلك المحل، رأيته بخطه، وله رد على «الصواعق المحرقة» قدر خمسة عشر كراساً بالقطع الكامل، لم يتم، وسماه: «البحار المغرقة»، وله شرح على «المرقاة في الأصول»، وله في علم القرآن مؤلفاتٌ، وغير ذلك، وأجوبة علمية، ووسائل عملية.

ولم يزل على ما وصفناه بشهارة، حتى كانت الفتوحات في الأقاليم جميعها، فاقتضى نظر الإمام المؤيد بالله أن يرسله إلى الطويلة، وتلك الجهات، فتوجَّه، فكانت على يديه فتوحات في تلك الجهات واسعةٌ، وأعمالٌ نافعةٌ، وانضافت إليه عساكر متكاثرة من وجوه أصحاب الدولة بكوكبان؛ لأنه كان جليل القدر، حسباً ونسباً، وكان له سعي صالح في تلك الجهات، وعزيمةٌ صادقةٌ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يتولي الخطبة بنفسه غيباً، وكان عنده من العلماء والأعلام وبين يديه أعيانٌ كثيرون، منهم: السيد العلامة عز الدين بن ذريب المشهور علماً وعملاً، ورياسةً وحلماً، والقاضي العلامة الحسن بن أحمد الحيمي، ثم...[1].

من لنفسٍ ذابت فلو منعوها	بأحاديثهم شِفاًها شَفاها
أذكرتْها ريحُ الصَّبا حين هبتْ	من ثنياتهم ليالي صِباها
أتلفَتْها أيدي الفراق وصارت	في قضاها فما أمرَّ قضاها
سَعَّرت في الحشا منها سعيراً	قد غشى العينَ منه ما قد غشاها

---

(١) جاء في الحاشية: «كلمة «ثم» بالأصل في آخر الصفحة، ووجد في الصفحة التالية ما بعد هذه الكلمة».

كم عذولٍ لحبها قد لحاها ... ونهاها لمَّا أضاعت نُهاها
لو سرى طيفُهم سرى عني الهمْـ ... ـم ولكن من لغيرنا بكراها
همْ نفوا نومَ مقلتي واستباحوا ... مهجتي قد نأوا ففر عراها
وأهانوا دمي فها ندمي كم ... من دماء تريق منها دماها
ليت شعري أما نوت لي نوالاً ... أم نوتْ لي تلك الدماء نواها
كم حَمامٍ قد كان منها حِمامي ... عندما ناحت الضحى بحماها
كم أفاضت جراة دمعَ ... العين فيا للإله ما أجراها
هيَّجت من فروعها لي شجوناً ... هي أصلُ الأشجان ما سواها
فشجوني منها فيا ليت شعري ... ما الذي شاقَها وما أبكاها؟!
أيُّ حزن لها وهاهي في الدَّو ... ح مع الإلْفِ دائماً سُكناها
ما جفاها خِلٌّ كما قد جفاني ... أو مَناها دهرٌ ببعد مُناها
ولها مثل ما علمتُ جناحٌ ... إن نأى من يحبُّ من مغناها
كم تغنِّي وكم تنوحُ ولم أدْ ... رِ بذاك النوحِ ما معناها
إن يكن ما ادعَتْ من الحزن حقّاً ... فلماذا قد خالفت مُدَّعاها
خضبتْ كفَّها وطوقتِ الجيـ ... ـدَ وغنت فأبق منها جواها
أين منها صَبابتي ووُلوعي ... بربوعٍ هيهاتَ أن أنساها
ليت أني إن لم يكنْ لي إلى العو ... د سبيلٌ عند المنام أراها

[٦٢٣] أحمد بن مرشد الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي الحنفي.

كان شاباً فاضلاً، دمث الأخلاق، لطيف الطباع، حسن الصحبة، أديباً

وقوراً، **وُلد** بمكة كما أخبرني والده سنة. . . وقرأ على. . . **وتوفي**. . .[1].

ومن شعره يعزي السيد محمد يحيى في والده الشريفِ زيد أمير مكة مؤرخاً وفاته:

يا سيداً أحيا السرورَ قدومُه ... وأماط صبحُ جبينه ليلَ العنا

لا تجزعَنَّ على مصيبة سيدٍ ... ولَّى إلى دار البقا عن دارِنا

واصبرْ ولا تحزنْ فقد وردت له ... بشرى يحقُّ بأن تقابَل بالهنا

القبرُ أنشدني وقال مؤرخاً ... (في جنة الفردوس زيدٌ سكنا)

[٦٢٤] أحمد بن موسى الضجاعي الشافعي.

مفتي زَبيد، كان فقيهاً عارفاً، مفنناً في عدة من العلوم، مصلحاً بين الخصوم، **توفي** سنة ثلاثين بعد الألف.

[٦٢٥] السيد أحمد بن مهدي اليمني.

كان آيةً من آيات الله، قائماً بمهمات الدين، ودرس القرآن، مِطعاماً، مشهوراً بالولاية في قطره، **توفي** في العشر الثاني من هذه المائة.

[٦٢٦] أحمد بن منصور بن عبد الرحمن، خطيب السُّقَيِّفة ـ بالتصغير ـ: محلةٌ بدمشق[2].

الشيخ الصالح، المجذوب المعتقد، كان يلبس قميصاً لا غير، ورأسه مكشوفاً دائماً، ويمشي حافياً صيفاً وشتاءً، ولا يرى على قدمية طين ولا وسخ،

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «سنة»، و«على»، و«توفي» بياض بالأصل».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٦) (١١١).

بل تجدهمـا نظيفتين طريتين، وكان مستغرقاً في غالب أوقاته، وله كشفٌ ظاهرٌ، وكراماتٌ كثيرةٌ، وحكي عن والده: أنه كان يقول لأمه وهي حبلى: إن الذي في بطنك من أولياء الله تعالى.

ومما اتفق له: أنه بات ليلةً في فرنٍ محمى، ولم يضره[1].

مات يوم الخميس، لأربعة عشر جمادى الآخرة، سنة تسع ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٦٢٧] أحمد بن يوسف الصرخدي، المعروف بالمبَخِّر[2].

لأنه كان يُبخر الناس بأنواع الطيب، وكان صالحاً مجذوباً معتقداً، ولا يقبل من أحدٍ درهماً حراماً، ولا ما دفع إليه بنية غير طيبة، وقد عُرف ذلك منه، وكان له كشفٌ صريحٌ، وكراماتٌ ظاهرةٌ.

وبالجملة: كان بركةً من بركات الشام، **مات** يوم الاثنين، سابع عشر شوال، سنة ست عشرة بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة ـ رحمه الله ـ.

[٦٢٨] أحمد بن يونس بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي بكر، الشيخ الإمام، شـيخ الإسـلام، ومفتي الأنام، شهاب الدين أبو العباس العيثاوي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الشافعي[3].

---

(١) هذه الأوصاف والأحوال لا يوصف سوى المجانين الذين سماهم أدعياء الصوفية وأهل الطريق بالمجاذيب، وإلا فما يصنع عاقل بمن هذه حاله سوى الشفقة عليه، لا اعتقاد ولايته، وإنما ذلك من تلبيس الشيطان على من قل دينه وقصر عقله، نسأل السلامة والمعافاة في الدنيا والآخرة.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٧) (١١٢).

(٣) «لطف السـمر وقطف الثمـر» للغـزي (١/ ٣٠٨) (١١٤)، «خلاصـة الأثـر» =

قال تلميذه النجم الغزي في «الذيل»: ذكره تلميذه حسن البوريني في بعض تعليقاته، فقال:

أعني به أحمدَ الدهرِ الذي شهدت ... بفضله الناسُ من عرب ومن عجمِ
وأفضلَ العصرِ مَنْ أمست لساحته ... لتنقل العلمَ عنه سائرُ الأممِ
وجامعَ الفضل من شاعتْ محاسنُه ... حتى اغتدى في الورى كالمفرَدِ العلمِ
مفتي البرايا بعلمٍ حلّ موقعه ... عمَّن يخالفُه في اللفظ والقلمِ
صدرَ المحافلِ بل بدرَ الفضائل مَنْ ... غدا بكلِّ مناطٍ ثابتَ القدمِ
فخرَ البقاع وغيثا بقعة ذكرت ... لنسبة الجد بالتخصيص في القدمِ
فلتفخرِ الشامُ إن قد عادَ واحدها ... فخراً يدوم دواماً غيرُ منصرمِ
وليفخر العبدُ أن قد صار معتقِدا ... لذاتِه باعتقادٍ غيرِ منفصمِ
أدامه اللهُ للطلاب ينفعُهم ... فما لهم مثلُه في العفو والكرم

وُلد سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، وقرأ القرآن العظيم على أحمد ابن التينة، ثم قرأ النحو والفقه على أخيه تاج الدين، ثم لازم والده، ثم أمره والده أن يلازم فقيه عصره نورَ الدين السنفي، فلازمه سنين حتى تضلع من الفقه، وأن يحضر دروس علاء الدين بن عماد الدين، فحضره مدةً، وأخذ الحديث عن الشمس محمد بن طولون، وغيره، وأخذ القراءات عن شيخ الإقراء شهاب الدين الطيبي، وصحب في طريق القوم، ومذاكرة العلوم الأستاذَ شهابَ

= للمحبي (١/ ٣٦٩)، «معادن الذهب» للعرضي (٩٧) (٢٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٧٦).

الديـن الغزي، وصـحب أيضـاً عليَّ بن عبد الرحيم الصالحي، وكان أفقه أقرانه.

واجتمع بشيخ الإسـلام البدر الغزي، وسأله عن نكاح الجنية، فقال: الأصح: أنه لا يجوز، ثم حدثه: أن والده رضي الدين اعتقدته جنيةٌ، فطلبت منه التزوج، فقال: إنه غير جائز، فاستأذنته في الخدمة، فكانت تخدمه، حتى سارت معه إلى مصر، فكانت تظهر في زي خادمٍ تساعد الجماعة في الحط والرحال.

وأذن له البدر الغزي في الإفتاء، فأفتى في حياته، ودخل عليه المترجَم يوماً، فقال له البدر: حدثني شيخنا، وذكر سنده إلى رسول الله ﷺ: أنه قال: «إذا أحب أحدُكم أخـاه، فليعلمه إياه»، ثم قال له البدر: وإني أحبك، قال النجم: وكان شيخنا إذا حدثنا، يبكي، ويقول: ما غبطتُ نفسي بشيءٍ أحبَّ إلي من قول الشيخ لي: وإني أحبك.

ثم جلس للتدريـس، وأقبـل عليـه الطلبة، وكان أنفع شيخٍ من أقرانه لتلاميذه، فانتفع به من لا يحصى كثرةً، وولي تدريس الشامية البرانية، والعُمرية، والعزيزية، ثم الظاهـرية، وولي إمامـة الجامـع الجديـد وخطابته، وخطابة التبريزية خارج دمشق، بمحلة قبر عاتكة، وولي إمامة الجامع الأموي، وكان من أحسن الناس قراءةً في المحراب، مع لطف صوته، وكان عليه السكينة في صلاته، ويدرك سـكينته كل من وقـع بصره عليه، وكان يعتقده أكابر الناس وعامتهم، منذ كان شاباً إلى أن توفاه الله تعالى، وكل من رآه يشهد أنه من أولياء الله تعالى.

وأخذ عنه جماعةٌ لا يحصون، منهم: الشمس محمد الميداني، وحسن

البوريني، ومحمد بن الجوزي، وعبد القادر الطرابلسي، والقاضي عمر بن الموقـع، والسـيد أحمد بن المصادع، والقاضي محمود العَدَوي، ومحمد الرومي، وشرف الدين الدمشقي، وأبو الطيب الغزي، وأحمد الغزي، وأبو بكر الكردي، ومحمد الكـردي صـائم الدهر، وسليمان الحمصي، وكمال الدين العيثاوي، وغيرهم.

ومرض مرةً عاماً كاملاً، وكان ابتداء مرضه في عيد الأضحى، وانتهاؤه في يوم عيد الأضحى من العام القابل، فعاده وعيّده حسن البوريني، **وأنشده قوله:**

شـهابَ المعـالي وبـدرَ النهـى　　　ومَـنْ منـه كـلُّ الـورى تـستفيد

نـذرتُ الـصيامَ ليـوم الـشفا　　　وكـان كمـا يرتجـى يـومَ عيـد

قال النجم: ولما حججت سنة عشر بعد الألف، لقيته يقظةً لا مناماً، ونحن سائرون ليلاً، من أذرعات إلى مرحلةِ المفرّق، فقال لي: يا نجم الدين! استحضر قلبك في سرك؛ فإن القطب معكم في الركب، ثم التفتّ، فلم أر أحداً، وكان من أصحاب الأحوال، وهذا وغيره من وقائع له تدل على أنه من الأبدال.

وبالجملة: فإنه كان من أفراد الوقت علماً وعملاً وديناً، وحسن سمتٍ، وحسـن هـديٍ ولطافةٍ، وذوقٍ وفطانةٍ، ومعارف ولطائف، ولم يمت حتى مات أقرانه بدمشق وحلب، ومصر والحجاز، وكان يفتي مع وجود أقرانه من الشافعية؛ كإسماعيل النابلسي، وأحمد الطيبي، ومحمد الحجازي، والملا أسـد، ومحمد الداودي، وكان هو المعوَّل على فتواه، والمرجعُ إليه فيها،

مـع وجودهـم، وإذا اختلـف معهم، كان الحق بيده، حتى كان ابن الطيبي يشاوره في كثير من المسائل قبل الكتابة عليها.

واختلفا مرةً في بناء المنارة البيضاء على كنيسة النصارى داخل دمشق، فأفتى إسـماعيل النابلسي بأن لا تبنـى؛ حذراً من أن يكون إشهار الأذان بها سبباً لسب النصارى لدين الإسلام، ونزع الآية: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وأفتى المترجَم بجواز بنائها.

وكان الباني لها علاء الدين بن الحُجيج، وجنح قاضي القضاة مصطفى ابن بستان، ووزير الشام وعلماؤها، إلى ما أفتى به المترجم، وبذل النصارى مالاً لوزير الشام في عدم بنائها، فلم يفدهم، وألف في بنائها رسالةً لطيفةً، وكان ذلك قبل التسعين وتسعمائة.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: متن في الفقه على طريقة «الإرشاد» سماه: «الحبب»، وشرحه شرحاً سماه: «الخبب في التقاط الحبب».

وكان فقيه النفس، جيد الملكة، يستحضر مسائل الفروع نصب عينيه، سليم الطبع، بارع الفطنة، حلو الذكاء، يجيب عن الفتوى والمسائل بلا تكلف، وكان ألطف الشيوخ عبارةً، وأجودهم تقريراً، ناصحاً، حسن الخلق، طارحاً للتكلف، يحمل همّ الناس، ويهتم لأمورهم، خاشعاً متواضعاً، سريع الدمعة، يبكي من خشية الله، ولا يحقر أحداً، ولا ينافس في مجلس ولا ملبس ولا مطعم ولا شـراب، قانعاً سخياً، ينفق ما يجد، ويبيت على فاقة، مع كثرة عياله، وكان يفتي حسبةً، وكان لا يشرب القهوة، ويفتي بإباحتها.

وحج وسافر إلى الحصن، ثم إلى طرابلس لصلة أرحامه، وكان له ثَم

أخوال، وسافر إلى حلب، ثم مرض بحمى الربع، حتى توفي في مستهل ذي الحجة، سنة خمس وعشرين بعد الألف، عن أربع وثمانين سنة، وصلى عليه إماماً بالناس، تلميذُه النجم الغزي بعد صلاة الظهر، بالجامع الأموي، ثم حمل على الرؤوس إلى مقبرة باب الفراديس، ودفن عند رأس أبيه، وكانت جنازته حافلةً، لم يتأخر عنها أحد من أعيان البلد وعامتها ـ رحمه الله تعالى وإيانا ـ.

[٦٢٩] السيد أحمد بن يحيى بن المفضل بن إبراهيم بن علي ابن الإمام شرفِ الدين[١].

كان علامةً في سائر العلوم، زاهداً ورعاً ناسكاً.

[٦٣٠] أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر ابن يوسف بن أحمد الحنبلي الكرمي، نسبة لطور كرم، من قرى نابلس، ثم المقدسي[٢].

كان من العلماء العاملين، الأولياء الزاهدين، ملازماً لمكانه المعروف بالجامع الأزهر، مشتغلاً بالعلوم الدينية، غير متردد إلى أحد من أرباب الدنيا، قانعاً باليسير من الرزق، متقيداً بصلاة الجماعة في الصف الأول بالجامع الأزهر، في الأوقات الخمس، قليل الكلام، حسن السيرة، صافي السريرة، جامعاً لصفات الخير، ليس فيه شيء يشينه في دينه ودنياه.

أخبرني ولده صاحبنا الشيخ الفاضل عبدالله: أنه رأى الحقَّ سبحانه في

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (١/ ١٢٤).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٦٧).

النوم ثلاث مرات، أولها: رأى الملائكة آخذينه إلى النار، فإذا بمنادٍ من الحق سبحانه: ليس من أهلها، اذهبوا به إلى الجنة، فقام من نومه، فرأى نفسه بالجامع الأزهر.

مولده ببيت المقدس، سنة ألف، وقرأ القرآن بطوركرم، وأخذ الطريق عن العارف بالله محمد العلمي، وقدم إلى مصر سنة ست وعشرين وألف، وأخذ النحو عن محمد الحموي، والفرائض والحساب عن عبد المنعم الشرنوبي، والحديث عن إبراهيم اللقاني، وعلي الأجهوري، وكثير.

وكانت **وفاته** ليلة الجمعة، رابع عشر صفر، سنة إحدى وتسعين وألف بمصر، وصلى عليه بالجامع الأزهر إماماً بالناس أبو الحسن المحلي الخطيب، ودفن بتربة الطويل، بالمجاورين بقرب تربة عمه مرعي - رحمهم الله -، وقد رأيته، واجتمعت به كثيراً، ودعا لي دعوات صالحة.

[٦٣١] أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي.

نسبةً لبلده، وهي قريةٌ من أعمال القليوبية، كما أفادنيه بعض تلامذته، من فضلاء الشافعية(١).

[٦٣٢] أحمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جَعمان - بفتح الجيم - بن يحيى ابن عمر بن محمد بن أحمد بن علي بن الشّويش بن علي بن وهب بن علي ابن صريف بن ذؤال بن سنوه بن ثوبان بن عيسى بن سحارة بن غالب بن

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الشافعية» بياض سطران بالأصل».

عبدالله بن عك بن عدنان، العكي العدناني الصريفي الذؤالي اليماني، من بيت الفقيه ابن عجيل . . .[1].

[٦٣٣] أحمد بن منصور الصالحي الدمشقي المجذوب.

من أكبر صلحاء الشام، وأزهدهم وأعبدهم، كان مجاب الدعوة، ويقال: إنه من الأقطاب.

[٦٣٤] السيد أحمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي بن بركات الشريف الحسني[2].

قال صاحب «سلافة العصر» في ترجمته: نابغة بني حسن، وباقعة الفصاحة واللسن، الساحب ذيل البلاغة على سحبان، والسائر بأفعاله وأقواله الركبان، أحد السادة الذين رووا حديث السيادة براً عن بر، والساسة الذين فتقت لهم ريح الجلاد بعنبر، فاقتطفوا نور الشرف من روض الحسب الأنضر، وجنوا ثمر الوقائع يانعاً بالنصر، من ورق الحديد الأخضر.

كانت له همة تزاحم الأفلاك، وتراغم بعلو قدرها الأملاك، لم يزل يقدر من نيل الملك ما لم يفد به عدده وعدده، ولم يمده عليه من الزمان مدده ومدده، فاقتحم لطلبه براً وبحراً، وقلد للملوك بمدحه جيداً ونحراً، فلم يسعفه أحدٌ منهم ولم يساعد، وإذا عظم المطلوب قلّ المساعد.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الفقيه» بالأصل سطران بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٩) (٢٦٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٢٥)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٠٣)، «منائح الكرم» للسنجاري (٤/ ٣٠).

وكان قد دخل شهارة، من أرض اليمن، في أحد الجمادين، سنة إحدى وثلاثين وألف، وامتدح بها إمامها، محمد بن القاسم، بقصيدةٍ راح بها ثغر مديحه ضاحكاً باسم، وطلب منه مساعدته على تخليص مكة له، وإبلاغه من تحليته بولايتها أمله، وكان ملكها ـ إذ ذاك ـ الشريف أحمد بن عبد المطلب، فأشار في بعض أبياته إليه، وطعن فيه بسنان بنانه عليه، **ومطلع القصيدة:**

سلا عن دمي ذاتَ الخلاخلِ والعقدِ	بماذا استحلت أخذَ روحي بلا عمد
فإن أمنتْ أن لا تُقاد بما جنتْ	فقد قيل أن لا يُقتل الحر بالعبد

منها مخاطباً للإمام، وطاعناً على سلطان مكة:

أغثْ مكةً وانهضْ فأنت مؤيدٌ	من الله بالفتح المفوض والجدِّ
وقَدِّمْ أخا ودّ وأخّرْ مبغضاً	يساوم طعناً في المؤيدِ والمهدي
ويطعن في كل الأئمة معلناً	ويرضى عن ابن العاص والنجلِ من هند

فلم يحصل منه على طائل، إلا ما أجازه به من فضل ونائل، فعاد إلى مكة المشرفة، سنة تسع وثلاثين، وأقام بها سنتين، ثم توجه إلى الديار الرومية، في أواسط شهر ربيع الثاني سنة إحدى وأربعين وألف، ومدحه بقصيدةٍ فريدةٍ[1] أولها: ألا هبي، سأله فيها تولية مكة المشرفة، وأنشده إياها في أواخر شوال، سنة إحدى وأربعين وألف، وكان ابن عمه الشريف محسن بن الحسين بن

---

(١) لم يذكر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ من الممدوح في القصيدة، والظن أنه السلطان العثماني في عصره، والله أعلم.

حسن، يطرب لأبيات ابن مطير، ويعجب بها، وهي:

ولـي كبـدٌ مقروحـة مـن يبيعنـي | بهـا كبـداً ليـستْ بـذاتِ قـروحِ
أبـى النـاسُ ويـب اللهِ لا يـشترونها | ومَـن يـشتري ذا علـةٍ بـصحيحِ
أحنُّ من الـشوق الـذي فـي جـوانحي | حنـينَ غـصيصٍ بالـشراب قـريحِ

فسأل السيد أحمد تذييلها، فقال:

على سالفٍ لو كان يُشرى زمانُـه | شـريتُ ولكـن لا يبـاع بروحـي
تقـضَّى وأبقـى لاعجـاً يـستفزُّه | تـألُّقُ بـرقٍ أو تنـسُّمُ ريـحِ
وقلباً إلى الأطلال والضالِ لم يزل | نَزوعـاً وعـن أفيـاهُ غيـرَ نـزوحِ
فليتَ بذاتِ الضال نخـبُ أحبتـي | طلاحاً فنضوُ الـشوق غيـرُ طلـيحِ
يجـسِّمه بـالأبرقينِ مُنيـزكٌ | وبرقٌ سرى وهناً وصوتُ صـدوحِ
وموقفُ بينٍ لـو رأى عنـه ملحـداً | ولجـتُ بنفـسي فيـه غيـرَ شـحيحِ
صرمتُ به ربعي وواصلتُ أربُعـي | وأرضيتُ تبريحي وغضتُ نصيحي
وباينـتُ سـلواني وكـلَّ ملـوحِ | ولايمـتُ أشـجاني وكـلَّ ملـيحِ
وكلَّفتُ نفسي فوقَ طوقي فلم أُطِقْ | لعـدِّ سـجايا محـسنٍ بمـديحي

ومن شعره قوله:

ألا ليت شعري هـل أُلاقيـكَ مـرةً | وصوتُك قبلَ الموتِ هل أنا سامعُ
فيا دهرَنا للشتِّ هـل أنـت جـامعٌ | ويا دهرَنا بالوصِل هل أنت راجعُ[1]

---

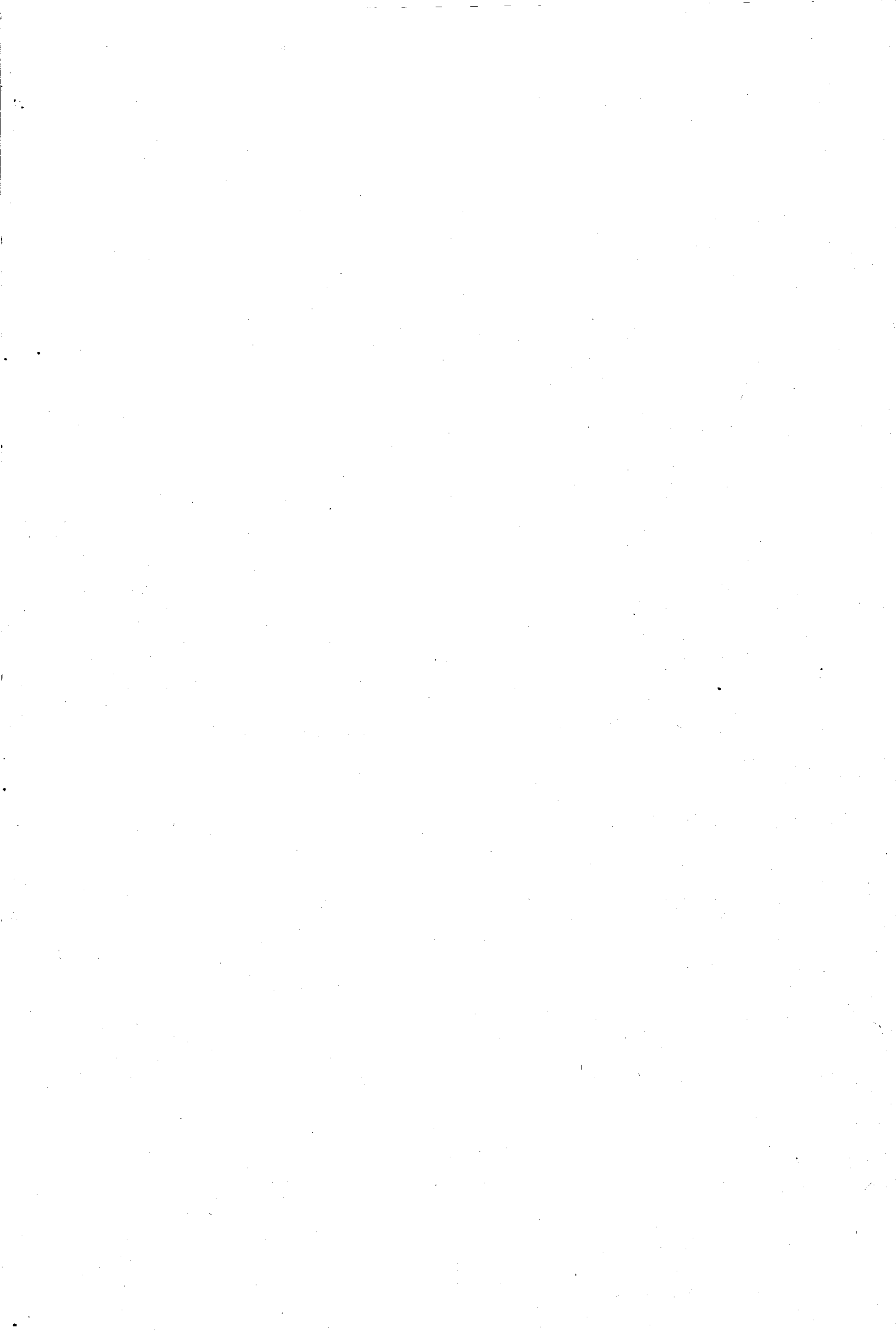
(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «راجع» صفحة وربع بياض بالأصل».

[٦٣٥] الشيخ أحمد بن علي الشناوي.

أخذ عن السيد صبغة الله، وعن الشيخ القطب محمد بن أبي الحسن البكري، وعن أحمد بن المقري، وله اليد الطولى في الطريق والكرامات، التي لا يحصرها عدّ لبلوغها النهايات، ومن أجلّها: أنه عاهد روحاني الأسماء أن لا يؤذوا مريده بشيءٍ من المخوفات، وتعهد عهد الرجعة، لمن صدق من مريديه في إخلاص النيات[1].

❒ ❒ ❒

(١) تمّ الجزء الأول [من تجزئة المؤلف] من فوائد كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»، ويليه الجزء الثاني، أوله: إبراهيم.








فهرس الموضوعات

❏ ❏ ❏